

# بِقَوْلِ مَنْزِلِ الْبَيْتِ

الْبَيْتِ الثَّانِي

صَاحِبِ مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ الزَّمَامِ

صالح محمد عبدالله الزمام، ١٤٣٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزمام، صالح محمد عبدالله

نوادير من التاريخ. / صالح محمد عبدالله الزمام - ط٢ - الرياض، ١٤٣٨ هـ

٤ مج

٤٣٨ ص؛ ١٦،٥ × ٢٤ سم.

ردمك: ٩ - ٤٨٠٤ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

٩٧٨ - ٦٠٣ - ٠٢ - ٤٨٠٦ - ٣ (ج٢)

أ. العنوان

١. الأدب العربي - مجموعات

١٤٣٨ / ٨٩٦٣

ديوي ٨، ٨١٠

## حقوق الطباعة محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م

الناشر **العبيكان** للنشر  
Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com



كتبنا على جوجل



www.kitabsawti.com



دار ضاد للنشر الإلكتروني  
Dhad Audio Publishing  
WWW.DHAD.SA

بوक्स.كوم  
B8KS.COM

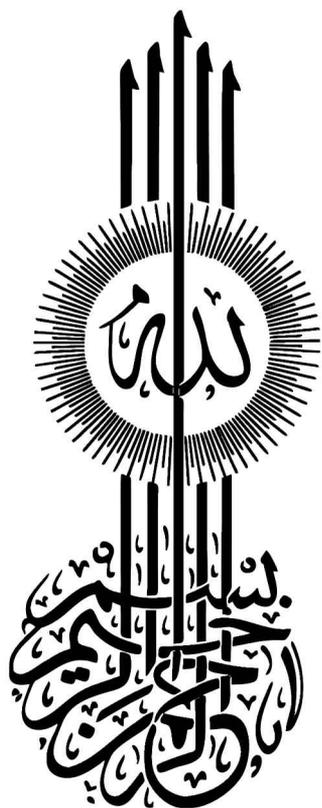
امتياز التوزيع شركة مكتبة **العبيكان**  
Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف ٤٨٠٨٦٥٤ هاتف مجاني ٩٢٠٢٠٢٠٧ فاكس ٤٨٨٩٠٢٣ ص.ب. ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

www.obeikanretail.com

جميع الحقوق محفوظة. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.





الرياض - البرية  
ص . ب : ٢٦٠٢٥٧  
الرمز : ١١٣٤٢  
تليفون : ٤٩٣٣٤٣٧  
جوال : ٥٤٥١٨٧٧٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صالح بن محمد الزمام

مؤلف سلسلة كتب  
نوادير من التاريخ

برقيه من بين القيم  
نقول لقارئ النواذر كما قال الإمام الجليل  
ابن القيم رحمه الله في مقدمة أحد كتبه  
لست أياً القارئ، صفوه ولؤفه كدره وهو  
الذي تجشم غراسه وتعبه وملك ثمره وها  
هو قد استمر في لسرايم الراشقين. وأستغفر  
إلى (الله من الخطأ والزلل .

صالح الزمام .

٥/٥/١٤٣٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ  
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ  
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ  
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

الرقم: ١٥٠١/١/١  
التاريخ: ١٤٣٥/٧/١  
الشؤون:



سعادة الأخ الأديب الأريب الأستاذ صالح بن محمد الزمام  
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد،  
فأسأل الله تعالى لكم مزيداً من التوفيق والصحة والعافية.  
ووصلني - وصلكم الله ببره وهده - كتابكم المؤرخ في ٢٢/٦/١٤٣٥ هـ المرافق نسخة من  
الجزء التاسع من كتابكم (نوادير من التاريخ)  
وإذ أشكر لكم كريم مشاعركم، وجميل إهدائكم، فقد سعدتُ بتواصلكم، وسررت بما  
أنتم عليه من وافر الصحة والعافية.  
وقد اطلعت على الكتاب فألفيته كتاباً رقيقاً في عبارته، سهلاً في أسلوبه، قريباً في لغته،  
متنوعاً في مادته، بما اشتمل عليه من القصص الهادفة، والحكم اللطيفة، والأخبار الطريفة، مع  
ما يتميز به من إستاد جميع الأخبار والنوادير إلى أهلها.  
حفظكم الله وسدد خطاكم.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحرم

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

### حَقِّقُوا الصَّلَامَ

أضيق صلحاً محمداً زعماء أئمتهم  
 بسبب الحقبة والسند العظيم ورحمة الله وإكثاره... وبسبب  
 التزمنا: محلول عيد لفظ السيد دايماً لكم بالخير والبركة  
 والسود انتقل إلى ما صيونى به... لهفة لظيفة طيرت  
 الحلة الثالثة. والظمة الأربعة... والظفة الطويلة...  
 والظيفة اللظيفة... شدى ذلك دوقة متبده  
 لذم هذه الظفة... والحدود الدمية فونسيا ومقدريا  
 بما وصفناه به نبينا الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم به أنه  
 قال في كتابه الكريم - محمد نبي رسول - وأنت لبع عندك عظيم  
 وما قال رسولنا العظيم - بعثت لأتمم مقامكم وأخبركم  
 به هذا وجدناك الجزاء في من - النور - تجسداً  
 لذلك و دعوة و لظيفة. فيط الخيرة والهدى  
 مع التقوى والدهمة بهما واليهما كل سنتك لك الفرحة  
 وانتك الثانية و شيئاً لك لورقة... والدهمة إلى  
 الكبر والهدى هو سبيل المرسلين و دعوة بعاليه ومقصد  
 العلية. إيه كتابك - الجزء الثاني - نبوة و نطقاً حقيقاً  
 ومقدراً عظيمة و تقوى... والله محبت بالكتاب إيماناً  
 ثم بياناً في قوله



بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تيبك

رياض ١١٤٤٢  
ص. ب. ١٠٨١٢  
مبنى ١٦٨٣٢١٨  
مبنى ١٦٢٠١٠٠  
السلطة العربية السعودية

تاريخ ١٤ / ١ / ١٤٢٦ هـ

الوقت ٨ / ٥ / ١٩٩٨ م

الأخ الأستاذ العزيز صالح بن محمد الزمام حفظه الله  
تحية طيبة:

أهللت على كتابكم الذي صدر في التاريخ الجزل والرس،  
وقد كنت أتابع ما كتبتونه في نوادركم الشائقة، ويعجبني اهتمامكم  
بشأن قومكم وتتبعكم الأخبار لهم، وهو جهد يدل على تراثكم الثرائ  
والاهتمام بنوادره، ووضعها في المناشئة لتكون تربية منهم، بارك  
الله بجهودكم. وقد ذكرتني في صفحات ذلك الجزء، ذكرتكم الله  
فمن عنده، وقد سكرتني أن تنقل عني شيئاً ولو قليلاً. إلا أن  
لي مدونة بسيطة وهو أنني من قبيلة حصر ٤٠٠٠ ما عتبه القبيلة  
القبيلة العزيزة فيها أسرة كريمة لها المرنا الاسم، وهم ابن تميم  
تخفي تيبك وهم من المرادة من الروفة ولعل اللبس جاء من هذا  
الاشتراك في اسماء. حصر وعتبه جمعهم أما قبلي كبير مع عليهم لهم شيا به  
وعلى الأحوال فأنا أعتز بل أبار هذا لولمها منة وباريت وأنا منهم  
صيفاً، وبعيداً أنت لدا مستعربين ولديهم من وإنما ذلك للعمل الطيب الذي  
ينفع الجميع ولأهله أينما نواد من أي قبيلة لولمها. إلا أنني لم صيرت  
تصحيح الاسم، أنا عندي لا عدوك.  
أرجو أن ينقل الله للمزيد من العلماء المثل: قبلي سكرتني أولاً  
على ما نقلت عني، وتقديري طويلاً صالحاً الله

أخوك

مرزوق

١١٧٧٥٠ / ١١٩٩٧٥

## الوالد الكريم الشيخ صالح بن محمد الزمام حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نوادير من التاريخ سلسلة عرفتها ولعت بها وكان لها أثراً في مسيرة حياتي أقرأها من حين لآخر وأشتاق للجديد..  
لقد جمعت بين سهولة الطرح وجمال العرض وندرة المعلومة والتعليق الفذ والدعابة المفرحة، كل هذا يجعل هذه السلسلة جديرة بأن تكون في كل بيت وجبة علمية فكرية تراثية تربوية توثيقية رائعة.

إنها السلسلة التي كلما قرأتها وأعدت قراءتها كأنك تقرؤها لأول مرة شكراً لكم على هذا العطاء وستذكر لكم الأجيال هذا الصنيع الخير المبارك وأدعو الله لكم بطول العمر على طاعته ولنسعد برؤية الجديد من هذه السلسلة المباركة.

محبكم خلوفة بن محمد الأحمري

المرشد بجهاز الحرس الوطني

١٤٣١/١٢/٢١هـ

## تقريظ من مجلة الرصينة جزاهم الله خيراً»

قدم المؤلف (صالح محمد الزمام) كتابه (نوادير من التاريخ) بأربعة أجزاء أعيدت طباعة الأجزاء الثلاثة أكثر من مرة . وقد اشتمل الكتاب — بأجزائه الأربعة — على (١٣٦٧) نادرة ، أو خبراً ، أو قصة ، أو حدثاً ، أو مثلاً ، أو حكمة ، أو غيرها من المعلومات المنتزعة من كتب التاريخ القديمة أو المعاصرة ، أو الصحف العربية المختلفة التي تعبر أهمية لميادين الحياة وأحداثها الشائقة والمثيرة في شؤون المجتمع والعلم والدين والأخلاق والسياسة وغيرها من المثريات .. وكثيراً ما تكون الكتابة عنها بأقل من صفحة .. والقليل القليل الذي تعداها وبخاصة في الجزء الرابع من الكتاب .

وإذا كان الجزء الأول غنياً بالطرف والنوادر والمرح والهزل التي امتلأ بها الكتاب التراثي الرصين وأحسن المؤلف استحضارها بذوقه التاريخي وحسه الأدبي .. فإن الأجزاء الأخرى أخذت تميل إلى الجد والاتزان والمعلومات والأخبار الهادفة والملتزمة بقضايا العروبة والإسلام ، ومواقف دعاة المسلمين المعاصرين .. وعلى رأسهم : محمد الغزالي ، وعمر التلمساني ، وعلي الطنطاوي ، وغيرهم . فضلاً عما كتبه أعلام الفكر الإسلامي والأدبي في داخل المملكة وخارجها .

وكذلك ازدحم الكتاب ، وبخاصة الجزء الأول ، بالأخبار والنصوص المتقاة بعناية من الكتب التراثية ، والتي يجد فيها القارئ الكثير مما يروح عن النفس — عملاً بالأثر : رويها القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلت عميت — كما أنه قد يتخلل الكتاب من آن لآخر شؤون معاصرة محلية وعربية وإسلامية وعالمية .. وكلها مهمة ومثيرة وتدل على أن المؤلف لصيق ومخلص لقضايا أمته ودينه والدعوة الإسلامية .



عبدالله محمد الفرعياوي  
SALAH M. AL-FARAYAWI

الرياض في ٢٠ / ٤ / ١٤١٠ هـ  
١٩ / ١١ / ١٩٨٩ م

المحترم

الأخ الكريم الأستاذ / صالح بن محمد الزمام  
الرياض : ١٤٣١ هـ - ص . ب ١٤٠٥ ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

كتابكم - مؤلفكم - [نوادير من التاريخ] الجزء الرابع .. وجدته أمامي في مكتبة الوزارة يوم الأربعاء ١٧ / ٤ / ١٤١٠ هـ وعليه إهداؤكم الكريم لي .. وحين اطلعت عليه سألت الأخ المسئول في المكتبة ، متى وصلكم هذا الكتاب ؟ .. فقال : لا أدري ! وخجلت من نفسي كثيراً أنني لم أبادلكم بتحية شكر على الأقل في وقتها .. وقصة هذا الإهمال يا أخي العزيز هي أن الكتاب فيما يبدو لي وصل إلى مكنتي وأنا غائب فأرسله أحد الزملاء إلى المكتبة - مباشرة - دون أن أطلع عليه .. وحاولت أن استكشف متى وصل ؟ فلم أجد تاريخاً على الكتاب مع كلمة الإهداء .. ولم أجد على الكتاب نفسه تاريخ الشهر .. ولكنني رأيت تاريخ السنة ١٤١٠ (الطبعة الأولى) على الصفحة الداخلية .

أكرر اعتذاري وخجلي منك - بسبب هذا الإهمال الذي لم يكن لي فيه يد - يعلم الله - وأرجو لك التوفيق الدائم في هذه الأعمال الطيبة .. لقد بدأت أقرأ من بدايته على صفحة (٥) بعنوان - تنويه وشكر - بعد البسملة لأكتشف ما هو هذا الكتاب ، وفي أي صنف أصنفه .. وصدقتني - أيها الأخ الكريم - أنني لم أنو أن أتجاوز الصفحات الثلاث ، ولكن يعلم الله .. أنني قرأت معظم الكتاب في جلسة واحدة ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التاريخ: ٥ / ٥ / ١٤٣٧هـ

المحتوى: ( خطاب / شكر )

الخطاب

عبدالمحسن بن علي المطلق

(١)

## صنيع<sup>(\*)</sup> نادر.. يا صاحب (النوادر)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد.

كم سررت بهدية جليلة إزدانت بها مكتبتني من الأستاذ الباحث لجامع ماتع "صالح بن محمد الزمام" أحد أبناء الأسر العزيزة على أبي يرحم الله، ووآلدينا جميعاً (وأصدقائهم).

ولطالما.. رأيت جزء أو آخر ( على تفرّق) لعطائه (نوادير من التاريخ) - ١٢ جزء - ، حتى أتت لي مجتمعة مرتبة بإخراج بهي سهل الفتح، ونديّ الطباعة.. أنيقة متأنقة، قامت مؤسسة (تاج) على تتويجها بإخراج بديع، يُشكر الطرفين المؤلف والمؤسسة، على جليل وإحسانٍ من الأول، جمع - تأليف - ، والطرف الآخر.. لجمال مظهر وحُسن إخراج.

المهم.. كم أشكر المصنّف للاهتمام بي، ومن ثمّ الانتظار من شخصي الصغير أمام عمله الكبير، إذ عهد إلي ، أو هو أستشرف أن أبدي نحو عطائه ما يمكن أن يبلغ مقام التقييم.

أبا محمد، ما كان لهذا البديع الذي أخذ منك سنين وتجشّم عناء بحثٍ، أن ينظر أو ينتظر لإزجاء من ذي بضاعة مُزجاة يحملها مثلي، لولا تواضع الكبار، الذين

(\*) لا غرو، فالصناعة إبداع، وفي الآية رافداً: ﴿صَنَّ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَلَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل : ١٨٨] لاحظ أين أتى طلب الإيقان مع (صنع).

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الخطاب

التاریخ: ٥ / ٥ / ١٤٣٧ هـ

المحتوى: ( خطاب / شكر )

عَبْدُ الْمُحْسِنِ بْنِ عَلِيٍّ الْإِطْلَقُ

(٢)

عُهد منهم التطفّف، من حيث لا يشعرون بحُسن التفاتهم أن هناك من دونهم ( وهم كثيرون جداً).

ثانياً: أحسنت اختياراً بالصفحة الثالثة - من كلّ جزء - ما أوردته لإبن القيم: ( لك أيها القارئ صفوه، وللمؤلف كدره)، لكن أينك من دفع رزق بن عبد الوهاب: (لا يحسن بكم أن تستفيدوا منّا، ثم تذكرونا ولا تترحموا علينا)، كأنه يومئ لتلاميذه من بعده/

أجزيه، أو أثني عليه، وإن من (أثنى عليك) بما فعلت فقد جرى

ثم لا عليك أخرى، أن قال الجاحظ ( من أَلَفَ فقد استهدف) أي: أمسى مرمى للسهام، ثم قال ( فإن أحسن فقط استعطف، وإن أسأ فقد استقذف) فإني - ومن تقيمي المتواضع - أبشرك بالأولى، فقليل (اليوم بخاصة):

من ترك دويماً في الدنيا، وجماليات ما أفأنت به قريحة عطائه، وما جدل... على كل متلقي، وفوتت به لأي متربص امتاعاً.. أن يدع ذاك ليغيص في أتون الكنوز التي تركها السلف، وقد جدوا فيها.. عسى أن يضع من الخلف ( ممن يقدر) كمثلكم، فيتطف من بهي ثمارها، وينتقي بين جليل غمارها/

ما يُحسب أن يوضع في اطروحات سهلة التحصيل بين يدي أي مُستشَف منها (الأفكار) والآداب والتربية وحسن التوجيه..

ويكفيك لنفس مثاله (شعر) الشافعي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الكاتب

التاريخ : ٥ / ٥ / ١٤٣٧هـ

المحتوى : ( خطاب / شكر )

(٣)

عبد المحسن بن علي المطلق

من وعى التاريخ في صدره أضف أعماراً إلى عمره

.. فكيف وأنت مع (الوعي) تدون، فتبرز ما يستحق أن يُملأ على الملاء، ليكون في ميزانكم، مُثقالاً يوم تخفّ أوزان من أسرفوا على أنفسهم، وضيّعوا جملة (أعظم) ما يملكون: (الوقت).. من أعمارهم.

.. كما وهو (بإذن الله) دفاع تعذيرٍ لكم وشافعٍ يوم لا تزول به القدم حتى تُسأل به { .. عن علمه ماذا عمل به }، أنك حفظته، ومن ثمّ نخلته، فقدّمت - به - ما يستحق أن يُنشر.

.. ويكفيكم ذا العطا الذي تطاول واشمخرّ حتى بلغ اثنا عشر قناً، كل منها حلو عذب النهل فهو كالنخل علوّ القدر، فيما ثمره قريب - سهل - ، كقطوف دانية المبلغ من المدارك.

.. أخيراً ( إذا.. لو سرحت وراء نيل بغيتي، لم أبلغ ساحل ما يستحق جهدك من ..)، ولو أننا نُهيينا عن الإطالة بالمدح، ولكن ببعضه، كي يُعلم أننا أمة الشكر.. وإلا ما حُمد هذا، ولا ندبنا لذاكا، لولا نصوص، أجلاها { لا يشكر الله من لا يشكر الناس }، والله أعلم/أن هذا لحكم، أهمها: كي يستمر العطاء، ويزيد النماء.

ف... لك من أخيك المحبّ المقدرّ لك الجهد، وكذلك الهدية (الشمينة):

بسم الله الرحمن الرحيم

الكاتب

عبدالمحسن بن علي المطلق

التاريخ: ٥ / ٥ / ١٤٣٧هـ

المحتوى: ( خطاب / شكر )

(٤)

الثناء البالغ مما أنتم له أهلٌ، بل أٌزجي لك مما هو جميل يسند، في قول  
د. سعاد الصباح:

" هناك من هم كالورود.. لا يحتاجون عطراً، وكالعيون السود.. لا يحتاجون  
كحلاً!

.. ولا يضيف لهم الثناء.. مهما كان (مُستطاباً) قيمة أو مقاماً.

إنهم حقاً أكبر من الثناء..

وأسمى من كل كلمات الإطراء..!

بالذات أن أتى من مثل قلمي، لكنني .. استلحق /

أن أهم شيء النية - في العمل - ، قال أبو داود الطيالسي: ( ينبغي للعالم إذا  
حرر كتابه أن يكون قصدهُ بذلك نصرة الدين، لا مدحه بين الأقران لحسن  
التأليف).

ولا أظنكم - حبيبتنا - تخفاكم هذه..

ملحظ.. لا بد من بسط بعضه /

عالمنا (اليعربي) فيه من الجفاف والغلظة ما يجعل الشكر لا يأتي منه إلا ربما  
بشق الأنفس!، حتى لقد قيل :

ما قلّ فينا النابغون، وإنما عدد الأولى قدروا النبوغ قليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتاب

عبد المحسن بن علي المطلق

التاريخ: ٥ / ٥ / ١٤٣٧ هـ

المحتوى: ( خطاب / شكر )

(٥)

ف (لفظة: قليل) لها شاهد، ومن كتاب ربنا رافداً، بل غزير الدلالة حين أنبأ  
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ لسبباً: ١١٢ صدق الحق.. سبحانه.

.. وأما التوقير- التقدير- لمن يبذل فهذا بعيد شقته إلا على نزر، نحو ما جاء

في قوله تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (ص: ١٢٤) هذا فضلاً أن ينجو البازل من

ألستهم الحداد، أقصد من يعمل، وفيما الخامل ينأي عن.. مجمل خطابهم.

ولهذا فصاحب (المعروف) العطاء لا ينجو... من نقد عام، وإن خلا من نقص

(ظاهر شاهر) عند من ينتقد عليه من الله برهان (حجة) في تصويب أو تصحيح، حتى

نسب للغزالي مقالة (نصف الشعب أعداء للحاكم إذا عدل)، يقصد فكيف لو طالبهم

منه بعض تضعضع عن إيصال الحق!

.. أخوكم/

عبد المحسن بن علي المطلق

جـوال : ٠٥٥٥٤٥٥٢٩٨

البريد الإلكتروني: Mohsn222@gmail.com

المملكة العربية السعودية - الرياض

ص.ب: ٢٥٩٨٥ الرياض : ١١٤٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخي الكريم الاستاذ الأديب/ صالح بن محمد الزمام أدام الله توفيقه  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

أرجو المولى أن تكون بخير وكافة أفراد الأسرة الفاضلة .

تكرمت حفظك الله وأحمتني بهديتك الثمينه ومؤلفك القيم (نوار

من التاريخ) وياله من نوار نادره بما لا يحصى عليه من قصص وحكم  
وأمنال وطرائف تشبع القارئ وتدفعه لقراءتها ناهيك عن ما تحميت

به من طباعة فاخره وأحرف بارزه - ولقد قرأت الأجزاء جميعها

فألفتها ألسنة ما تكون بديعة غناء وواحة فيحاء يجد فيها منادها

ما يسر ناظره ويجمع خاطره ويجمع فؤاده -

خاماً لك خالص محبتي وصادق مودتي لاعد منك أبا عبد الله

ولا عدا لك محبوبك - دمت هانئاً - عيد أفي أمان الله وحفظه

ورعايته - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته  
أبسطم للواء الأديب  
سنة ١٤٣٧ هـ

أخوك محبك  
~~الشيخ~~  
عبد الرحمن بن ناصر الوهبي

للأديب الشيخ محمد الزمام

هاتف / ٥٥٦١١٣٣٥٥ في الطبعة الثالثة هو

الرياض / الجمعة ٢١ ربيع الأول ١٤٣٧ هـ

١ / يناير / ٢٠١٦ وهذا اللواء المتعارف عليه في الأديب

مبوه وشيخ الوهبي

وربيل نظامه به صرح به في كتابه في تاريخه وهو من

كانت منذ عارجه مثل فلاننا يا الفخر ليحيى به في

سأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: أنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك.

ولقد امتن الله على بني إسرائيل بالحرية بعدما لاقوا في مصر من استعباد، وبالآمن بعدما عانوا من مخاوف. فاعتبرهم بالحال التي انتقلوا إليها ملوكاً: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مِمَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

بمثل هؤلاء الشباب انتصر الإسلام قديماً وبمثلهم سينتصر حديثاً، أخرج البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إني لواقف يوم بدر في الصف، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما تمنيت أن أكون بين أضلع أحد منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم، أتعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، وما حاجتك؟ قال: أخبرت أنه يسبُّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذي نفسي بيده إن رأيت لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال مثلاً.

فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما. قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي، فأخبراه. فقال: «أيكما قتله؟» فقال كلُّ منهما: أنا قتلته. فقال: «هل مسحتما

سيفيكما؟ قال: لا. فنظر في السيفين، فقال: «كلاهما قتله». وقضى بسلبه لمعاذ ابن عمرو بن الجموح، والآخر هو معاذ بن عفرأ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا<sup>(١)</sup>.

أقول:

بعض الآباء اليوم يبلغ ابنه الثامنة عشرة وهو لا يحسن شيئاً، ولا يعتمد عليه في شيء وهو أسنّ من أسامة يوم أمره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جيش فيه أبوبكر وعمر، وأسنّ من عتاب بن أسيد يوم ولّاه إمارة مكة، وأسنّ من القاسم بن محمد، حين قاد الجيش إلى المشرق، ومن شباب اليوم بطل كرار وأسد مغوار، وكل الأمور مرجعها إلى التربية والتوفيق الإلهي.

## كتاب الوحي

٧٤١

كُتِبَ وحي رب العالمين منهم من كان في مكة من أول البعثة إلى الهجرة، ومنهم من كان في المدينة بعد الهجرة. أما من كانوا في مكة فمنهم: عبد الله ابن أبي السرح، وأبوبكر، وعثمان، وعمر، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص، وحنظلة بن ربيع الأسدي، ومعيصب ابن أبي فاطمة، وعبد الله الأرقم الزهري، وشرحبيل بن حسنة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. ولما هاجر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة كان من كتاب الوحي أيضاً: زيد بن ثابت، وأبي ابن كعب (وهما أنصاريان) وأبان بن سعيد بن العاص مهاجر، ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن الوليد وعبد الله بن رواحة وثابت بن قيس.

## من شجاعة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

٧٤٢

ذكر ابن إسحاق قال: خرج عمرو بن عبد ودّ يوم الخندق وهو مقنع بالحديد، ونادى: من يبارزني فقام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: أنا لها يا نبي

(١) أخرجه البخاري (٩١/٤-٩٢ رقم ٣١٤١)، ومسلم (١٣٧٢/٣ رقم ١٧٥٢).

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «إنه عمرو اجلس»، ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها، أفلا تبرزون إليّ رجلاً، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «اجلس»، ثم نادى الثالثة، فقال: فذكر شعره قال: علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رسول الله، أنا، فقال: «إنه عمرو» قال: وإن كان عمراً، فأذن له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمشى إليه حتى أتى، وهو يقول:

لا تعجلنْ فقد أتاك	مجيبُ صوتك غيرُ عاجزٍ
في نيةٍ وبصيرةٍ	والصدقُ منجى كلِّ فائزٍ
إني لأرجو أن أقيمَ	عليك نائحةَ الجنائزِ
من ضربةٍ نجلاءٍ يبقى	ذكرُها عندَ الهزاهزِ

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن عبدمناف؟ قال: أنا علي ابن أبي طالب، فقال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك، فقال له علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك. فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مغضباً، فاستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في درقته فقدّها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه، فشجه، وضربه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على حبل عاتقه، فسقط وثار العجاج، وسمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التكبير، فعرفنا أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد قتله<sup>(١)</sup>، ثم يقول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عبدَ الحجارة من سفاهة رأيه	وعبدتُ ربَّ محمدٍ بصوابٍ
فصددتُ حينَ تركته مُتجدلاً	كالجنذع بين دكادك وروابي
لا تحسبن الله خاذلَ دينه	ونبيّه يا معشرَ الأحزابِ

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٣٢/٩ رقم ١٨٨١٢)، وانظر: الروض الأنف (٤٢٧/٣)، والبداية والنهاية (٤/١٢١-١٢٢).

جاء مجاهد، وقال لأحد الصالحين: من يجهزني، فأني ذو مرة - أي قوة على الجهاد - فقال الرجل الصالح: أنا، هذه الدراهم لك، قال: أخذها، وأنا أعرف أن ليس عندك غيرها، وهي ستون درهماً فقط؟ قال: إن ثقتي بما وعدني ربي أعظم من ثقتي بما تحت يدي الآن، قال: ما تقول، أو ما قرأت قول الله تعالى: ﴿إِنْ تُرْضُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا يُضْعَفْ لَكُمْ﴾ [التغابن: ١٧]. هذا وعد قاطع ممن بيده ملكوت كل شيء، خذ ما بيدي يا رجل، لا تتسّ قول رسولنا الكريم: «ما نقص مال من صدقة»<sup>(١)</sup> بل تزيده، وفعلاً أخذ الستين، وانصرف، ودخل المتصدق على أهله، فقالوا له: أين المال؟ قال: تاجرنا به، قالوا: مع من؟ قال: مع الله، قالوا: الله لا يضيعنا، وما هي إلا ساعات، وإذا أحد من أصحابه يدق عليه الباب قائلاً: يا فلان، هناك أعرابي معه عشرة من الإبل ما رأيك في شرائهن؟ قال: ليس معي مال، قال: أسلفك المبلغ حتى تردّه عليّ بعد البيع، قال: إن كان كذلك فعلى بركة الله، واشترى الإبل بست مئة درهم، ولقيهم خيراً، وأخذ الإبل منهم بسعر مضاعف، ورجع الأول بضعف ما أنفق في اليوم نفسه.

أقول:

نعم، إنه وعد صادق من الله ورسوله، ففي قرينتنا كما قص علينا ذلك بعض من نثق به من كبار السن أن امرأة طرقت الباب على بيت، وخرجت عليها ربة البيت، فقالت لها السائلة: أنا فلانة، وابنتي ولدت الليلة، ولا نجد لها ما يقيم أودها، وهي نساء، وكان الوضع الاقتصادي في القرية دون الوسط وأقرب إلى الفقر المدقع، ويقولون: إن المسؤولة حين طرقت عليها السائلة الباب كانت تعجن العجين لتعدّ الطعام لأولادها، ولا يوجد غيره، فجمعته في الإناء، وأعطته المرأة، وقالت: إن النساء أحق به منا، وانصرفت السائلة شاكرة، وعادت الثانية تفكر

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠١ رقم ٢٥٨٨).

ماذا تصنع؟ وإذا بالباب يُطَرَّق في اللحظة نفسها، وإذا بها امرأة أحد الأثرياء في القرية تحمل زنبيلاً يتسع أضعاف ما تصدقت به من العجين، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء!

### علامات الساعة العشر

٧٤٤

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا»<sup>(١)</sup>.

### نزاهة العرض

٧٤٥

إذا بدهك أمران لا تدري أيهما أصوب، فانظر أيهما أقرب إلى هোক فخالفه، فإن أكثر الصواب في خلاف الهوى، وليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، وليكن افتقارك إليهم في لين كلمتك لهم وحسن بشرك بهم، وليكن استغناؤك عنهم في عرضك وبقاء عزك.

### شجاعة وحيلة

٧٤٦

ذكر الأستاذ إبراهيم بن محمد السيف في كلمة تأبينية للمرحوم فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي في (مجلة الدعوة) عدد ٩٢٤ يقول: إن الشيخ رحمه الله حدثه أن سبب تسمية جده إبراهيم البواردي أنه كان في جماعة معه قد خرجوا لجلب العشب لإبلهم من إحدى ضواحي مدينة شقراء، فاعترض

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٥ رقم ٢٨٦١)، و(٤/٢٢٢٥ رقم ٢٩٠١).

عليهم قطع الطريق للفتك بهم وأخذ ما معهم، وكان الوقت آنذاك ظلمة من الليل، وكان إبراهيم يحمل عصا تشبه البندقية، فبرز للعدو، وبصراحة وشجاعة قال: إن تعدى أحدكم على قومي قتلته، فقالوا: أعطنا الأمان على أنفسنا أيها البواردي، ونترك السبيل لك ولجماعتك ففعل، وكان أصحابه يعرفون حقيقة الأمر، وأن ليس معه بندقية، والبادية إذ ذاك لا تسمى بواردياً إلا من كان يحمل بندقية، فلقبه جماعته بهذا اللقب على وجه المزاح، فغلب عليه، وصار هو الاسم.

## الإنسان وقلبه

٧٤٧

ورد ذكر القلب في كثير من الحكم والأمثال والمواعظ، منها قولهم: العقول أئمة الأفكار، والأفكار رائحة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء. وقالوا: المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، وفي الأثر عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم»<sup>(١)</sup> وقيل: ألا وإن من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشد من مرض البدن مرض القلب، وأعجب ما في الإنسان قلبه، فإن سرح له الرخاء أزاله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن أسعد بالرضا نسي التحفظ، وإن أتاه الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمن سلبته الغرة، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن استفاد مالا أطفاه، وإن عضته فاقة حل به البلاء، وإن جهد به الجوع كظنته البطنة، فكل تقصير به مضر وكل إفراط له قاتل، وقالوا: السخي شجاع القلب، والبخيل شجاع الوجه، وقال الشاعر:

صنَعْنَا عُويِنَاتٍ لِعُمَشِ النِّوَاظِرِ      فَهَلْ مِنْ عُويِنَاتٍ لِعُمَشِ البِصَائِرِ؟

(١) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث من قول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٩/٢٧٠ رقم ٢٢١٢١)، وعزاه إلى ابن عبد البر في العلم، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وابن السمعاني في الدلائل.

جاء عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لا تماروا في القرآن، فإن المرء فيه كفر»<sup>(١)</sup> وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إن القرآن يصدق بعضه ببعض، ما علمتم منه فاقبلوه، وما لم تعلموا منه فكلوه إلى عالمه»<sup>(٢)</sup>، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا عنه»<sup>(٣)</sup>. وخرَّج ابن وهب عن معاوية بن قررة قال: إياكم والخصومات في الدين. وقال معن بن عيسى: انصرف مالك يوماً إلى المسجد، وهو متكئ على يدي، فلحقه رجل يقال له أبو الجزيرة، فقال: يا أبا عبد الله، اسمع مني شيئاً أكلمك به، وأحاجك، وأخبرك برأيي، فقال له: احذر أن أشهد عليك، قال: والله ما أريد إلا الحق، اسمع مني، فإن كان صواباً فقل به أو فتكلم، قال: فإن غلبتني؟ قال: اتبعني، قال: فإن غلبتك؟ قال: أتبعك، قال: فإن جاء رجل، فكلمناه، فغلبنا؟ قال: اتبعناه، قال له مالك: يا عبد الله، بعث الله محمداً بدين واحد، وأراك تنتقل. وقال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل.

سأل ابن الكواء علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن السنة، والبدعة، والجماعة، والفرقة؟ فقال له علي: يا ابن الكواء، حفظت المسألة، فافهم الجواب: السنة والله سنة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والبدعة ما فارقها، والجماعة والله جماعة أهل الحق وإن قلوا، والفرقة جماعة أهل الباطل ولو كثروا، وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيما يرويه عنه

(١) أخرجه أحمد (٢٥٣/٢٩-٣٥٤ رقم ١٧٨١٩)، والبيهقي في الشعب (٥٣١/٣ رقم ٢٠٦٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١١٦٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣٥٣/١١ رقم ٦٧٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٢٧/٣ رقم ٢٠٦٢)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٥١/١ رقم ٢٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٨/٦ رقم ٥٠٦٠)، ومسلم (٢٠٥٣/٤ رقم ٢٦٦٧).

عمرو ابن ميمون: يا عمرو بن ميمون، أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا، قال: الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك، وفي رواية: فضرب على فخذي، وقال: ويحك! إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله عزَّجَلَّ، وقد استدل صاحب (فتح الباري) على صحة ذلك بقوله: شذ الناس في زمان الإمام أحمد بن حنبل إلا نفرًا يسيرًا، فكان ذلك النفر هم الجماعة، وكان القضاة والمفتون والخليفة وأتباعهم الشاذين، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة.

### تخلف باسم الإسلام

٧٥٠

قال أحد علماء الإسلام في هذا العصر: في أثناء تطواري في العالم الإسلامي رأيت أناسًا يتحدثون عن الإسلام حديثًا تأباه الفطرة، ويمجّه العقل، إذا كان العقلاء يعشقون الحرية فهم يتعشقون القيود، وإذا كان العقلاء يؤثرون السهولة والمياسرة فهم يؤثرون التعقيد والمعاصرة، ومهمتهم بعد هذا الطبع المريض أن يتأولوا النصوص، أو يصطادوا من الشواهد النادرة ما يؤيد نظرتهم، ويرجح كفتهم، قال أحدهم وهو يشتغل بعلم الحديث: إن إلغاء الرق ليس من الإسلام، قلت له: أفنك أنك اشتغلت بالأحاديث قبل أن توثق صلتك بالقرآن الكريم، فلم تتكوّن لديك الحصيلة العلمية التي تعين على ضبط الأحكام، وتحرير العبيد لا تقوم به دولة واحدة ما دام القتال يسود الأرض، وما دام الأسرى يسترقون، فإذا اتفقت الدول على ميثاق لتكريم الأسرى ومنع استرقاقهم، فهل نحن المسلمون نرفض ذلك، وليس في كتابنا أمر استرقاق، وإنما فيه أوامر الإعتاق؟ هل إشاعة الاسترقاق هدف إسلامي؟ ما قال ذلك أحد، وقلما يعرف هؤلاء شيئاً عن ضوابط الحكومة العادلة، ولو سألتهم لعادوا يبحثون في التاريخ عن أساليب الحكم في الكوفة أو بلخ ليعطوا صورة شرعية للحكم المطلوب، إنني أصادف هذه المناظر المؤذية في طريق الدعوة، فأشعر بالنكد، وتساءلت: هل وراء هؤلاء أحد يكيد للإسلام؟ فقد ظهوروا بغتة في أقطار عدة متباعدة، وقد حاضرت في أوروبا

وفي آسيا وفي إفريقيا، وسئلت عن الخل وحكمه أحلال هو أم حرام في كل هذه الأقطار، وأعرف متعصبين ذوي قلوب طيبة لبعض وجهات النظر الخفيفة الوزن، وهؤلاء صيد سهل لأعداء الإسلام، وينبغي تفتيح أعينهم على مغبة سلوكهم؛ حتى لا ينكبوا دينهم وأمتهم.

مر رجل برجل قد شرب الخمر، وإذا هو ثمل، ويقفز إلى الأعلى يريد تناول القمر من السماء، فأقسم الأول بعد رؤيته لحال السكران قائلاً في قسمه: امرأتي طالق إن كان يدخل جوف ابن آدم شر من الخمر، فقيل له: لا تقرب امرأتك حتى تسأل الإمام مالك: هل هناك شر من الخمر، فذهب إلى الإمام، وأعلمه بما رأى، وبما أقسم به، قال: انصرف اليوم، وأتني غداً، فأتاه في الغد، وقال له: انصرف، وأتني غداً، وأتاه في اليوم الثالث، وقال له الإمام: يا بني، رددت في الأيام الثلاثة، وكنت في كلها أبحث وأتصفح كتاب الله وسنة رسوله، ووجدت أن امرأتك طالق، حيث إن الربا شر من الخمر، وهو يدخل جوف ابن آدم، وقد توعد صاحبه بالحرب، ولم يتوعد صاحب الخمر بالحرب، فامرأتك طالق.

أقول:

الله المستعان، بيوت الربا في كثير من بلاد المسلمين وعواصمهم أكثر من بيوت الله، ويسمونه في هذا العصر بغير اسمه، مثل: الفوائد - أرباح - عمولة.. ولكن حسبهم قول الله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] فحسبنا الله ونعم الوكيل، وإننا ندعو من بيدهم الحل والعقد إلى وقفة إسلامية شجاعة ومنع هذا الداء الخبيث بالوسائل التي يرى الخبراء الاقتصاديون المتعلمون على تعاليم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقرآن رب محمد، وليس كفار الشرق والغرب وأبالسته، والنجاح مضمون، وفي تجربة الأمير محمد الفيصل وبيت التمويل الكويتي وبنك دبي الإسلامي ما يشجع على سلوك هذا الطريق الذي هو الأصح،

ولنضرب مثلاً بسيطاً في متناول الجميع: رجل لديه مئة ألف دينار وضعها في بنك ربوي، وأخذ نسبة معينة قد تزيد أو تنقص، هل استفاد غيره من هذا المال ما عداه وصاحب البنك؟ كلا، كلا، ورجل آخر أقام بهذا المبلغ مزرعة أو مصنعاً أو عمارة أو أي مشروع آخر، كم من عامل سيستفيد وكم من أسرة سيسعدها عائلها بوجود فرص العمل أمامه؟ خالق الإنسان هو الله، وهو أدرى بما يصلحه، كما أن الصانع من البشر أدرى بصناعته.

الله

٧٥٢

قال الشاعر أحمد قاسم:

أبيتٌ وأصحو وأنا الشاكرُ	لربِّ هو الغافرُ القادرُ
لربِّ عليمٍ بذاتِ الصُّدورِ	يذلُّ لعزته الكابرُ
يدينُ له النجمُ في سبحه	يدينُ له الفلكُ الدائرُ
يدينُ له الفرخُ في عشه	ونسرُ السما الجارحُ الكاسرُ
تدينُ البحارُ وحيثانها	وماءُ سحاباتها القاطرُ
تدينُ له الأسدُ في غابها	وظبيُّ الفلا الشاردُ النافرُ
يدينُ له الذرُّ في سعيه	يدينُ له الزاحفُ الناشرُ
تدينُ النجادُ تدينُ الوهادُ	يدينُ له البرُّ والفاجرُ
يدينُ الجليُّ يدينُ الخفيُّ	يدينُ له الجهرُ والخاطرُ
تدينُ الحياةُ يدينُ الوجودُ	يدينُ المقدرُ والحاضرُ
وكلُّ العبادِ إليه رجوعُ	وفوقَ العبادِ هو القاهرُ
وقبلَ الوجودِ هو الأولُ	وبعدَ الوجودِ هو الآخرُ
هو الحقُّ والعدلُ والوارثُ	هو الباعثُ الناشرُ الحاشرُ

هُوَ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْبَاسِطُ  
سَلَامٌ رَحِيمٌ صَبُورٌ وَدُودٌ  
وَيَرْزُقُ مَنْ فَضَلَهُ كُلَّ حَيٍّ  
سِنَادُ الْيَتِيمِ عِمَادُ الْهَضِيمِ  
لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ فِي كُلِّ حِينٍ  
حَبَانَا الْكِتَابَ حَكِيمًا سَنِيًّا  
هُوَ الضُّوْءُ فِي ظِلْمَةِ الْمُدْجِينِ  
أَسَالِيْبُهُ الذَّرْوَةُ الْمَشْتَهَاهُ  
هُوَ اللَّهُ لَا أِبْتِغِي غَيْرَهُ  
مَعَزُّ التَّقِيِّ مَذَلُّ الْعَصِيِّ  
لِسَانِي لِنِعْمَائِهِ ذَاكِرٌ  
وَوَجْهِي لِعِزَّتِهِ سَاجِدٌ  
وَيَفِي كُلَّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ  
هُوَ الْقَابِضُ الْبَاطِنُ الظَّاهِرُ  
عَلِيٌّ مَجِيْبُ الدَّعَاءِ جَابِرُ  
فَمَا يُشْتَكَى فَيُضْهِه الزَّخِرُ  
قَصُومُ الظُّلُومِ هُوَ الْنَاصِرُ  
فَنَعَمَ لَنَا الْخَالِقُ الْآمِرُ  
فَثَابَ بِآيَاتِهِ السَّادِرُ  
بِهِ يَهْتَدِي التَّائِهَةُ الْحَائِرُ  
بِلَاغَتِهِ الْمَثَلُ السَّائِرُ  
إِلَهَاهُ الْوَاحِدُ الْفَاطِرُ  
سَمِيعُ النُّجِيِّ هُوَ الْبَاصِرُ  
جَنَانِي بِدَقَاتِهِ شَاكِرُ  
وَقَلْبِي بِخَيْرِ الْهُدَى عَامِرُ  
تَدُلُّ عَلَيَّ أَنَّهُ الْقَادِرُ

## نتيجة الرفق

٧٥٣

أرسل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطفيل بن عمرو الدوسي إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام، لكنه يعود إليه، ويقول: إن دوسًا قد هلكت، عصت وأبت فادع الله عليهم، فيقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم، اهدِ دوسًا وأت بهم»<sup>(١)</sup> فماذا كانت النتيجة؟

يقول الطفيل الداعية، بعد أن وجهه الرسول الكريم صلى الله عليه وسل إلى قومه مرة أخرى، وقال له: ادع قومك، وارفق بهم: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم

(١) أخرجه البخاري (١٧٤/٥) رقم (٤٣٩٢)، ومسلم (١٩٥٧/٤) رقم (٢٥٢٤).

إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة المنورة، ومضى بدر  
وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر، حتى نزلت المدينة  
بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ثم لحقنا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر، فأسهم  
لنا مع المسلمين.

نعم، كان هذا نتيجة الصبر، والرفق، والرحمة.

### مثل وحقيقة

٧٥٤

حدثني الخال عبد الرحمن المحمد البازعي ذات يوم قال: إن هناك مثلاً  
ينطبق على الفلاح، وهو قولهم: «الزراعة والفلاحة تريك النجوم بالنهار،  
وتترك خلطاً للتراب». يقول: وقد وقع معي مثل هذا حقيقة، قلنا له يرحمه الله:  
ماذا يا أبا محمد؟ قال: توليت أمر مزرعة عمي عبد الله بعد وفاته، وكانت سنة  
مجدبة، وذات يوم خفت على المزرعة من الجراد، حيث يذكر لنا قدومه، وأخذت  
أطالع السماء في رابعة النهار لعلني لا أرى الجراد، فرأيت نجماً يلعب، فتذكرت  
المثل، وهو قولهم: «الفلاحة تريك النجوم في النهار»، وفي أحد الأيام غاب العامل  
الذي يوجه الماء من مكان إلى مكان، وأخذت أوجهه أنا بيدي، فأدماها الحصى،  
وسقط أظفري، فتذكرت قولهم: «وتترك خلطاً للتراب» وقلت: هذا جزء من  
جسمي سقط في التراب.

وكان رَحْمَةُ اللهِ لَدَيْهِ مِنَ التَّحْلِيلَاتِ المنطقية ما يعجب جليسه، قال ذات مرة:  
إن سعر كيس السكر قبل خمسين سنة هو سعره اليوم، قلنا: كيف يا أبا محمد؟  
قال: كان سعره في ذلك اليوم جنيهاً (أربعون ريالاً) وسعره اليوم مئة وخمسون  
ريالاً، وهو نفس سعر الجنيه اليوم!

أوصى عالم ابنه، فقال: يا بني، إذا عرض لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإذا صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحب من إن حاولت أمراً أزرک، وإن تنازعتما أترك، وروي عن الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:

إِنْ أَخَاكَ الْحَقُّ مَنْ كَانَ مَعَكَ      وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ  
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَكَ      شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحلم الناس وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، لم تمس يده قط امرأة لا يملك رقّها أو عصمة نكاحها، أو تكون ذات محرم منه، وكان أسخى الناس، لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل شيء، ولم يجد من يعطيه، وفاجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط، ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يسأل شيئاً إلا أعطاه، ثم يعود على قوت عامه، فيؤثر منه، حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام، فاستقرض، وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخدم في مهنة أهله، وكان أشد الناس حياءً لا يثبت بصره في وجه أحد، ويجيب دعوة الحر والعبد، ويقبل الهدية، ولو أنها جرعة لبن، ويكافئ عليها ويأكلها، ولا يأكل الصدقة، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين، يغضب لربه، ولا يغضب لنفسه، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، يأكل ما حضر، ولا يرد ما وجد، لا يأكل متكئاً ولا

على خوان، لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى إيثاراً على نفسه، لا فقراً ولا بخلاً، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد الناس تواضعاً وأسكنهم في غير كبر وأبلغهم في غير تطويل، وأحسنهم بشراً، يركب الحمار، ويردف عبده أو غيره، يعود المرضى في أقصى المدينة، يحب الطيب، ويجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، ويصل رحمه، ولا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا حقاً، ضحكه التبسم من غير قهقهة، يرى اللعب المباح فلا ينكره، يسابق أهله، وترفع الأصوات عليه من الجفافة فيصبر، لم يرتفع على عبيده في مآكل ولا ملابس، لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه، يخرج إلى بساتين أصحابه، لا يحتقر مسكيناً لفقره، ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاءً مستوياً، قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة، وفقنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في فعله.. آمين.

## طول العمر

٧٥٧

قال الله تعالى يؤنب الكفار حين يسألون الرجعة بعد إدخالهم النار ومشهدهم المفزع: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] ويجيب ربهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا تَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] قال قتادة: اعلمو أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن يطول العمر. وقال الحسن: قوله: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾: أي أربعين سنة، وقال مسروق: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله، وقال ابن عباس: العمر الذي أعذر الله لابن آدم في قوله: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا تَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] ستون سنة، والنذير هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقيل: هو الشيب.

أقول:

إي والله إن الداهية الفطن هو من يعمل لآخرته أكثر من عمله لدنياه، وإن قيل عنه: إنه درويش، ومعقد، ورجعي، ومتزمت، ومتطرف، ومتفتف، وموسوس... إلى آخر قاموس المستهزئين المفتونين في هذه الفانية الغافلين عن الباقية، إنهم والله هم الدراويش، وهم المغفلون، وهم الرجعيون، وهم السذج، هب أن الواحد منا نال ما نال هارون الرشيد وملوك الأرض كلهم قديماً وحديثاً، أليس هوزائلاً بعد سنة أو مئة سنة؟ ثم ماذا؟ إنه الموت، ثم الحياة التي فيها النتيجة والفوز الحقيقي والنجاح الحقيقي أو الخسران الحقيقي والسقوط الحقيقي، يوم يقال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

## الاختلاف بين الناس

٧٥٨

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿[هود: ١١٧-١١٨] فأخبر سبحانه أنهم لا يزالون مختلفين أبداً مع أنه إنما خلقهم للاختلاف، وهو قول جماعة من المفسرين في الآية، وأن قوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨] معناه وللإختلاف خلقهم، وهو مروى عن مالك بن أنس قال: «خلقهم ليكونوا فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير»، فالضمير في ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨] عائد على الناس، فلا يمكن أن يقع منهم إلا ما سبق في العلم، وليس المراد ههنا، الإختلاف في الصور كالحسن والقبح والطول والقصر، ولا في الألوان كالأحمر والأسود، ولا في أصل الخلقة كالتأم الخلق، والأعمى والبصير والأصم والسميع، ولا في الخلق كالشجاع والجبان والجواد والبخيل، وإنما المراد إختلاف آخر هو الإختلاف الذي بعث الله النبيين ليحكموا فيه بين المختلفين كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة: ٢١٣] وذلك الإختلاف في الآراء والأديان والمعتقدات.

روى البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قال رجل: لأتصدقن، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على سارق! فقال: اللهم، لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية! فقال: اللهم، لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على غني! فقال: اللهم، لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غني. فأتى فقيل له: أما صدقتك على سارق فاعله أن يستعف عن سرقة، وأما الزانية فاعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فاعله أن يعتبر، فينفق مما آتاه الله»<sup>(١)</sup>.

وقع نزاع بين الشيعة والسنة في حضرة العالم الفقيه ابن الجوزي في أي الخليفين أفضل أبو بكر أو علي؟ واحتد النزاع ورضوا فيما بينهم بما يجيب به الشيخ، فأقاموا له رجلاً وسط المجلس، فسأله عن ذلك؟ فقال على الفور: أفضلهما من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع، فقالت الشيعة: يريد علياً؛ لأن بنت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحته، وقال أهل السنة: يريد أبا بكر؛ لأن ابنته تحت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه الإجابة في غاية الحسن، وكانت على البديهة.

قال لقمان لابنه:

(١) أخرجه البخاري (٢/١١٠-١١١ رقم ١٤٢١)، ومسلم (٢/٧٠٩ رقم ١٠٢٢).

يا بني، أنزل نفسك من صاحبك منزلة من لا حاجة له بك، ولا بد لك منه. يا بني، كن كمن لا يبتغي محمداً الناس، ولا يكسب ذلهم، فنفسه منه في عناء، والناس منه في راحة. يا بني، إياك والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤدِّ حقاً، وإذا ضجرت لم تصبر على حق. يا بني، لا تحقرن من الأمور صغارها، إن الصغار غداً تصير كباراً!

### للعقرب فوائد

٧٦٢

قال ابن الجوزي: إن قال قائل: أي فائدة في خلق ما يؤذي؟ فالجواب أنه قد ثبتت حكمة الخالق، فإذا خفيت في بعض الأمور وجب التسليم، ثم إن المستحسنتات في الجملة أنموذج ما أعد من الثواب، والمؤذيات أنموذج ما أعد من العقاب، وما خلق شيء يضر إلا وفيه منفعة.

قيل لبعض الأطباء: إن فلاناً يقول: أنا كالعقرب أضر ولا أنفع، فقال: ما أقل علمه! إنها لتتفع إذا شق بطنها، ثم شد على موضع اللسعة، وقد تجعل في جوف فخار مسدود الرأس مطبق الجوانب، ثم يوضع الفخار في تنور، فإذا صارت رماداً سقي من ذلك الرماد مقدار نصف دانق أو أكثر من به الحصة، فيفتتها من غير أن يضر بشيء من سائر الأعضاء، وقد تسع العقرب من به حمى عتيقة فتزول، ولسعت رجلاً مفلوجاً، فزال عنه الفالج، وقد تلقى في الدهن حتى يجتذب قواها، فيزيل ذلك الدهن الأورام الغليظة، ومثل هذا كثير، فالجاهل عدو لما جهله، وأكبر حماقة رد الجاهل على العالم.

### ضل الرعيل ومن يقوده

٧٦٣

قال الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ (قِذَائِفِ الْحَقِّ):

«ذكر الجنرال إيزنهاور قائد الحرب العالمية الثانية التي انتصرت فيها أمريكا، لم تعطِ رجلها لقب (ماريشال) مع أنه خاض حرباً تم له فيها النصر، بعد أن دُمّرت مئات المدن والقرى، وقتل فيها، وجرح سبعون مليون شخص، لكن أناساً في الشرقين الأوسط والأقصى حصلوا على هذا اللقب دون أن يخوضوا حرباً أو يعانون ضرباً.

في البلاد المحترمة، يصعد الأفراد من السفوح إلى القمم، والعرق يتصبب من جبينهم، والإرهاق والتفكير يلاحقهم بين آن وآخر، وعلى هذه السنن تجري أمور الغرب، أما في البلاد المتخلفة، فإن ناساً يصلون إلى الذرى دون جهد يذكر، اللهم، الإجهاد الملق للملاك السلطة، والاستعداد لخدمة الأهواء، وقديماً نظر البحري إلى واحد من هؤلاء جعله الخليفة قائداً، وهو لا يصلح لقيادة ولا قيادة، فقال:

ويكادُ مَنْ شَبِهَ العَدَارَى فِيهِ      أَنْ تَبْدُو نُهْودُهُ  
 نَاطُوا بِمَعْقَدِ خَصِرِهِ      سَيْفًا وَمِنْطَقَةً تَوْوُدُهُ  
 جَعَلُوهُ قَائِدًا عَسْكَرٍ      ضَلَّ الرَعِيلُ وَمَنْ يَقْوَدُهُ

## أجهزة الإعلام المغتصبة

٧٦٤

التجزئة المفتعلة والقسرية التي فرضها الاستعمار على الأمة كانت إفرزات مروعة على أكثر من صعيد، فقد أنشأت هذه التجزئة تناقضاً موهوماً بين المصالح الإقليمية ومصالح الأمة، وأنتجت صراعاً موهوماً بين العروبة كانتماء غريزي والإسلام كعقيدة وشريعة، واستولدت لنا أنظمة وقادة لا يرون بقاءهم يكمل إلا بزوال أنظمة أخرى وقادة آخرين، ولولا القوة العقلية والنفسية لعنصر التجميع في وجه عناصر التفريق لأصبحنا أمماً لا يربط بينها إلا ما يربط بين الدول الناطقة بالإنجليزية في العالم، ولا بد من تغليب مصلحة الأمة على مصلحة الإقليم، بل لا بد من الإيمان بأن المصلحتين هما عند التأمل العميق

مصالحة واحدة، ولا بد من التوقف عند خوض المعارك الفكرية العبيثة التي تضعف الانتماء، وتفسد العقول والقلوب، ويتحتم على بعض القادة أن يتواضعوا لله أولاً، وأن يصغوا إلى خفقات الضمير لدى أبناء هذه الأمة؛ ليكفّفوا من غلواء الإحساس الشاذ بأنهم وحدهم الذين يملكون الحقيقة.

نعم وبكل الصراحة أقول: إن على بعض القادة أن يتنازلوا عن مرتبة الألوهية التي خلعوها على أنفسهم، وأن يتذكروا أنهم بشر ممن خلق، وأنهم ليسوا إلا خدماً لشعوبهم، وأنهم وبكل الصراحة أقول أيضاً: إننا لو استفتينا رجل الشارع في الكويت شرقاً وغرباً لوجدنا أمانيتهم وأمالهم وأفكارهم، تكاد تكون متطابقة، وهذه الحقيقة هي سيدة الحقائق في البلاد العربية، على الرغم من كل محاولات الطمس والتشويه التي يمارسها الطغاة عبر أمرائهم وعبيدهم في أجهزة الإعلام المغتصبة.

هذه النادرة أخذناها مما قاله رئيس مجلس الشورى في الكويت لمجلة (التضامن العربي) عدد يوم ١٩/٥/١٩٨٤م، ونشرته السياسية الكويتية في اليوم نفسه.

أقول:

إن الكويت بخير، حيث إن من رجالها من يصل إلى هذا المستوى من الإدراك والإحساس ونقد الذات، فبغير هذا الاعتراف لن ننجح في معالجة المرض.

تأملات عالم

٧٦٥

قال الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ: «ثلاثون سنة ما خرجت منها إلا بشيء واحد: هو أنني رأيت الحياة كمائدة القمار، فمن الناس من يخسر ماله، ويخرج ينفذ كفه، ومنهم من يخرج مثقلاً بأموال غيره التي ربحها، ومنهم من يقوم على الطريق يمسح الأحذية، ومن يمد إليه حذاءه ليمسحه، ومن ينام على

السرير، ومن يسهر في الشارع يحرس النائم، ومن يأخذ التسعة من غير عمل، ومن يكد ويتعب، فلا يبلغ الواحد، وعالم يخضع الجاهل، وجاهل يت رأس العلماء، ورأيت المال والعلم والخلق والشهادات قسماً وهبات، فربّ غني لا علم عنده، وعالم لا مال لديه، وصاحب شهادات ليس بصاحب علم وذو علم ليس بذو شهادات، وربّ حسن الأخلاق لا يملك شيئاً!

﴿وَمَا تَحْتِ الثَّرَى﴾ [طه: ٦]

فسّر الشيخ محمد متولي الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ آية: ﴿وَمَا تَحْتِ الثَّرَى﴾ [طه: ٦]، فقال: وضع الله سبحانه وتعالى قوانين في الأرض لكل شيء، وجعل الأسباب والمسببات في يديه، ولكن كل شيء يمضي بالقانون الذي وضعه الله له، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى بحكمة هو يعلمها أن يعطل هذا القانون أو يأتي بعكسه فإنه يقول: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ولقد نبهنا الله سبحانه وتعالى في القرآن إلى أشياء لم يكشفها العقل البشري إلا خلال الفترة الأخيرة، فقال الله تعالى: ﴿لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتِ الثَّرَى﴾ [طه: ٦] وكان لا بد للعقل البشري أن ينتبه لكلمة: ﴿وَمَا تَحْتِ الثَّرَى﴾ [طه: ٦] لأن هناك كنوزاً أو ثروات قد وضعها الله سبحانه وتعالى تحت سطح الأرض، ولكن الإنسان في وقت نزول القرآن لم ينتبه إلى الآية: ﴿وَمَا تَحْتِ الثَّرَى﴾ [طه: ٦] ولم يفطن إلى أن الله قد وضع من الثروات ومن الأشياء في باطن الأرض بقدر ما وضعه فوق سطحها، وربما أكثر، ثم تقدم العلم، وحدثت الزلازل والبراكين، وخرج ما تحت الثرى إلى ما فوقها ليكشف للإنسان بقدرة الله عن الكنوز التي وضعها الله تحت الثرى، فعرفنا المناجم والمعادن المدفونة في باطن الأرض، وعرفنا البترول، وبدأ الإنسان يبحث في معنى الآية الكريمة: ﴿وَمَا تَحْتِ الثَّرَى﴾ [طه: ٦]، وفي كل يوم يكتشف جديداً لم يصل إليه علم، وهكذا كانت الآية التي ذكرها القرآن تُسمى حقيقة

كونية كبرى، هي أن الرزق في الأرض والخير الذي وضعه الله فيها لا يوجد فوق السطح، ولكن يوجد تحت سطح الأرض أيضاً، وتلك معجزة قرآنية بدأت تتكشف للعالم، والآن تقوم الدول الصناعية الكبرى بإنفاق الملايين من الأموال للبحث عن الثروات الموجودة تحت الثرى.

### إنها جنتان يا أمير المؤمنين

٧٦٧

روى الأصبهاني في الحلية: حدثنا لؤلؤ خادم الرشيد قال: جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة زوجته وصاحبة عين السقيا؛ سقيا الحجيج المعروفة، مناظرة وملاحاة في شيء من الأشياء، فقال لها في معرض كلامه: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة! ثم ندم، واغتما جميعاً بهذه اليمين، فجمع الفقهاء، وسألهم عنها؟ فلم يجد منها مخرجاً، ثم كتب إلى سائر البلدان أن يحمل إليه الفقهاء، فلما اجتمعوا، وكنت واقفاً بين يديه لإنفاذ أمره سألهم عن يمينه وهل له منها مخلص؟ فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة، وكان فيهم الليث ابن سعد فقيه مصر، وهو جالس في آخر المجلس لم يتكلم بشيء. فقال هارون: بقي ذلك الشيخ في آخر المجلس، فانصرف من كان من الفقهاء، فقال: يا أمير المؤمنين، أتكلم على الأمان وطرح التكلف والهيبة والطاعة لي من أمير المؤمنين في جميع ما أمر به، قال: لك ذلك، قال: يدعو أمير المؤمنين بمصحف جامع، فأحضر المصحف، قال: يأخذه أمير المؤمنين، ويقرأ: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١-٢] فقرأ الرشيد، فلما بلغ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] قال: قف، فوقف عن القراءة، فقال: قل يا أمير المؤمنين، والله، فاشتد على الرشيد أن يستحلفه الليث، وقال له: ما هذا تستحلفني؟ فقال الليث: على هذا وقع الشرط، فنكس الرشيد رأسه، وكانت زبيدة في بيت مسبل عليها ستر، وتسمع الخطاب، فقال الرشيد: والله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. فقال له الليث: تحلف

هذه اليمين على أنك تخاف مقام الله، فقال الليث: يا أمير المؤمنين، فهي جنتان لاجنة واحدة، كما ذكر الله في كتابه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٦] قال لؤلؤ: فسمعت التصفيق والفرح من خلف الستر، وقال هارون: أحسنت والله، بارك الله فيك. ثم خلع عليه، وأحسن جائزته، وأرسلت إليه زبيدة بضعف ما أمر به الرشيد، وكان الليث كريماً سمحاً موسعاً عليه في الرزق، يصل إخوانه وأحباءه من ماله هو فضلاً على هدايا النبلاء.

### هكذا يجب أن يكون الدعاة إلى الله

٧٦٨

جاء في كتاب (الملمه الموهوب) للمجاهد عمر التلمساني عن أستاذه حسن البنا: إن من أبرز مميزات هذا الداعية الإسلامي الكبير: أن الله آتاه قدرة عجيبة في مخاطبة الناس على مختلف طبقاتهم وثقافتهم وأعمارهم، ذهبت معه مرة إلى مدرسة العباسية الابتدائية، وكانت شعبة العباسية أعدت لقاء مع طلبة تلك المدرسة، ولما اكتمل الجمع طلب مني أن أتحدث إلى هؤلاء الأطفال، فنظرت إليه في دهشة بالغة قائلاً: أتريد مني أن أتحدث إلى هؤلاء الأطفال؟ قال: وماذا في هذا؟ قال: يا أستاذي الفاضل، أنا محام اعتاد أن يتحدث إلى القضاة والمستشارين، أما إلى هؤلاء الأطفال فلا عهد لي بذلك، قال: وهل الرجال إلا نبت هؤلاء الأطفال؟ الصغير تسترضيه بقطعة من الحلوى، والرجل تسترضيه بالكلمة الحلوة، الطفل يتعلق بأمه، والرجل يتعلق بزوجه، وكلتاها امرأة، الطفل يحرص على كل ما وصل إلى حوزته، وهل يفعل الرجل غير ذلك؟ الطفل تستهويه الأحداث الساذجة لا يمل الاستماع إليها ساعات، والرجل تستهويه القصة الممتعة، فلا يكف عن متابعة أحداثها حتى يأتي على آخرها، الطفل يعدو على ما في يد طفل أضعف منه قوة وشأناً إلا من رحم ربك:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

قلت: ولو... تفضل فضيلتك، فأنت صاحب هذا الموقف، ووقف وتحدث، فما طرقت عين طفل، ولا مل منهم أحد، ولا انشغل عن الاستماع، ولا قام واحد منهم بحركة توقف ذلك الفيض الذي أمتعهم به فضيلته، ودعي مرة إلى حفل بمناسبة المولد في بولاق، وكان هذا الحي يشتهر في ذلك الوقت بالفتوات والأقوياء، فكان حديثه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أن جحش أبا جهل على بئر زمزم وهما في ميعة الصبا. وعن ركانة أقوى أقوياء الجزيرة العربية الذي لم يؤمن إلا بعد أن صرعه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرات، وعن مسابقته لأبي بكر وعمر وسبقه إياهما، ومن هذا الحديث المحبب إلى قلوب أولئك الفتوات كان يبين لهم كيف أن تلك القوة الجسدية الهائلة لم تأت إلا نتيجة للتمتع بقوة روحانية خارقة، والتزام كامل لأوامر الله واجتناب نواهيه.

وبلغ من إعجاب أحد الفتوات في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الناحية أن صاح معبراً عن إعجابه بمدى تفكيره قائلاً: «اللهم، صل على أجدع نبي». وانتهى الحفل بأن بايع الكثيرون منهم فضيلة الإمام على الانضواء تحت لواء جماعة الإخوان المسلمين، والإقلاع عن استعمال قوتهم في المشاجرات والاعتداء على الناس، وأن يوجهوا هذه القوة التي من الله بها عليهم إلى الخير ونصرة الإسلام، وكان على رأس هؤلاء الفتوات المرحوم إبراهيم كروم أشهر فتوات بولاق والسبتية في ذلك الحين.

أقول:

رحم الله الإمام البنا، ولا بد من تبيين أن الاحتفال في المولد بدعة، وليس في الإسلام إلا عيdan فقط: عيد الفطر، وعيد الأضحى.

سئل الفقيه الجليل فضيلة الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ عن حياة البرزخ، فقال: المعروف عن جمهور المؤمنين أن الإنسان مخلوق من عنصرين متباينين:

جسمه من هذه الأرض خلق ونما، وروحه من نفخة من الله سبحانه وتعالى، فهو ليس حيواناً وليس ملاكاً، وفي كيانه تتجاور المتناقضات من غرائز مادية، وسبجات عقلية وعاطفية، وعندما يموت يرجع إلى الأرض ما نشأ منها، وتغذى على نتاجها، يرجع هذا الجسد ليبنى، ويفنى منه ما شاء الله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]. أما الروح فله مستقر آخر، لا ندري بدقة مكانه، لا ندري كذلك ما علاقته بالجسد الذي كان فيه، هل انقطعت صلته به انقطاعاً تاماً؟ وما نبت فيه أن الشخصية الإنسانية لم تقنَ بالموت، وأنها رحلت من عالم إلى عالم آخر، وأنها بقيت كاملة الحس تامة الوعي، وأنها إذا فقدت الأذن والعين، فلم تفقد السمع والبصر، بل قد تكون أسمع وأبصر مما كانت على ظهر الأرض، إننا نكون مهرة في المنطق المادي.

أما المنطق الروحي فعلمنا محدود بل صفر، وقد أخبرنا الله أن الشهداء الذين قتلوا في معارك الجهاد، ومزعت أجسادهم موتى في نظرنا نحن فقط؛ لأنهم غابوا، أما في حقيقة الأمر فهم أحياء، وقد أسند إليهم خمس صفات تستحق التأمل: هم أولاً أحياء لا هلكى، وثانياً في جوار كريم؛ لأنهم عند رب العالمين، وثالثاً في منزل خصب حافل بالخير يدر عليهم الأرزاق، ورابعاً هم فرحون بما نالوا، مغمورون بالعطاء الأعلى، وخامساً مطمئنون على أقاربهم وأصدقائهم الذين خلفوهم في الدنيا، إنهم على حق وإلى خير، وقريباً سوف يجتمع الشمل، ويلحق أحياء الأرض بأحياء السماء، هذا ما تذكره الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ (١٦٩) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

صحيح أننا لا نشعر بهذا كله ولا بعضه، وقد صرحت سورة أخرى بذلك: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

إن عدم شعورنا لأن أجهزة الاستقبال السمعي والبصري عندنا محدودة القدرة، وغيرنا من الكائنات يرانا ولا نراه، وكما قال العلماء: عدم العلم ليس

علمًا بالعدم، إنه يسافر أحدنا من بلد إلى بلد، يسافر الموتى من مكان إلى مكان، حيث تبدأ الحياة الآخرة، ويبدأ الحساب الرهيب تمهيدًا للمحاكمة الكبرى يوم النشور، وهذه المرحلة المتوسطة هي البرزخ كما ذكرت الآيات: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

ويشبه ما يلقاه الفجار في البرزخ ما يفعله رجال الشرطة بالمجرمين عندما يقعون في قبضتهم، هناك تحقيق ابتدائي سريع، ثم يرمى المتهمون في السجن ريثما يقدمون للقضاء في محكمة كبرى، ويشبه ما يلقاه الأبرار ما يصنعه رجال العلم عندما يستقبلون مؤلفًا تقررت مكافأته أو عبقريًا منح جائزة سنوية، إنه يجاء به مكرمًا، ويستريح في إحدى الغرف الأنيقة ريثما يأخذ ما تقرره، والذين يفعلون الخير أو الشر ليسوا سواء في مراتبهم، فمن الأشرار من يفتح له شواظ من نار يشوي وجهه حتى يوم اللقاء، ومن الأخيار من يتذوق النعيم من أول يوم، كما جاء في وصف الشهداء أن أرواحهم معلقة في قناديل تحت العرش، ترد أنهار الجنة، وتطعم من ثمارها.

المهم أن الموت رحلة من حياة أرضية محسوسة لنا إلى حياة غيبية نسمع بخبرها وحسب، وقد كان الأصحاب الكرام يعرفون ذلك معرفة يقين، فلما حضرت بلال الوفاة صاحت امرأته: وا كرباه! وصاح المحتضر المشرف على الموت: بل وا طرباه، غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه! والواقع أن الموت نقلة إلى عالم مستقر مطرد النمو.

صدقك وهو كذوب

٧٧٠

قال أحد الغيورين: قُدم استجواب في الكنيسة اليهودي عن مقتل شاب عربي في إحدى المظاهرات، ويظهر أن مقدم الاستجواب من العرب الشيوعيين

في إسرائيل، ووقف مناخم بيجن يرد في غضب شديد، ويقول: تريدون أن تقيموا الدنيا، وتقعدها لمقتل شاب عربي على حين خيم الصمت التام بعد مقتل عشرة آلاف في مدينة عربية مجاورة وتسوية ثلث مساكنها بالأرض؟ يعني مدينة حماة التي دكها الباطنيون المتعاونون مع الشيطان، وشعرت بالخزي، وأنا أسمع الإجابة، وقلت لرجل يسمع معي: إن بيجن هنا ينطبق عليه الحديث المشهور: «صدقك وهو كذوب»<sup>(١)</sup>، وإذا كانت مجزرة هذه المدينة محنة تقشعر منها الجلود، وتتقرح العيون، فإن الصمت الذي لفت نظر السفاح اليهودي (مناخم بيجن) بعد وقوعها محنة أنكى وأقسى.

## علامات الكبر

٧٧١

دخل الهيثم بن الأسود بن العريان، وكان خطيباً شاعراً، على عبد الملك بن مروان، فقال له: كيف تجدك؟ قال: أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين، ولان مني ما كنت أحب أن يشتد، ثم أنشد:

اسمُ أنبيكُ بآياتِ الكبرِ	نومُ العشاءِ وسُعالٌ بالسحرِ
وقلةُ النومِ إذا الليلُ اعتكر	وقلةُ الطعمِ إذا الزادُ حضرُ
وسرعةُ الطرفِ وتحميغُ النظرِ	وتركي الحسنةِ في قبلِ الطهرِ
وحذرًا أزدادهِ إلى حذر	والناسُ يبلونَ كما يبلى الشجرُ

وقال الآخر: (مروا الأحداث بالمرء والكهول بالفكر). فقال عبد الله بن الحسن: «المرء رائد الغضب، فأخزى الله عقلاً يأتيك بالغضب» وقالوا: أربعة تشتد معاشرتهم: الرجل المتواني، والرجل العالم، والفرس الفرح، والملك الشديد المملكة.

(١) أخرجه البخاري (١٠١/٣) رقم (٢٣١١).

كان الفضل بن عيسى الرقاشي لا يركب إلا الحمير، فقال له عيسى بن حاشر: إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب، فلم ذلك؟ قال: لما فيها من المرافق والمنافع، قلت: مثل أي شيء؟ قال: لا تستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان، ثم هي أقلها داءً وأيسرها دواءً، وأسلم سريعاً وأكثر تصريفاً، وأسهل مرتقى وأخفض مهوى، وأقل جماعاً، وأشهر فارهاً، وأقل نظيراً، يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصدًا، وقد أسرف في ثمنه.

سئل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما الصراط المستقيم؟ فقال: تركنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أدناه وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يساره جواد؛ يعني طرفاً شتى، وثم رجال يدعون من مر بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت بهم إلى النار، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

خرَجَ أبو عبيدة في (فضائل القرآن) وسعيد بن منصور في تفسيره عن إبراهيم التيمي قال: خلا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذات يوم، فجعل يحدث نفسه كيف تختلف هذه الأمة، ونبيها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: كيف تختلف هذه الأمة، ونبيها واحد، وقبلتها واحدة، زاد سعيد: وكتابتها واحد؟ قال: فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يا أمير المؤمنين، إنما أنزل علينا القرآن، فقرأناه،

وعلمنا فيما أنزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن، ولا يدرون فيما نزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، قال: فزجره عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وانتهره علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فانصرف ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونظر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما قال، فعرفه، فأرسل إليه، وقال: أعد علي ما قلت، فأعاد عليه، فعرف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله، وأعجبه.

### على هذا، فليغن من غنى

٧٧٥

جاء في كتاب (الاعتصام) للشاطبي ص ٢٧٢ أن قومًا أتوا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن لنا إمامًا إذا فرغ من صلاته تغنى، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من هو؟ فذكر الرجل، فقال: قوموا بنا إليه، فإننا إن وجهنا إليه يظن أننا تجسنا عليه أمره، قال: فقام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع جماعة من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أتوا الرجل وهو في المسجد، فلما أن نظر إلى عمر قام فاستقبله، فقال: يا أمير المؤمنين، ما حاجتك وما جاء بك؟ إن كانت حاجة لنا كنا أحق بذلك منك أن نأتيك، وإن كانت حاجة لك فأحق من عظمناه خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ويحك بلغني عنك أمر ساءني، قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: أتمجن في عبادتك؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين، لكنها عظة أعظ بها نفسي، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قلها، فإن كان كلامًا حسنًا قلت معك وإن كان قبيحًا نهيتك عنه، فقال:

وفؤادٍ كلما عاتبته	في مدى الهجران يبغي تعبي
لا أراه الدهر إلا لاهياً	في تماديه فقد برح بي
يا قرين السوء ما هذا الصبا	فني العمر كذا في اللعب
وشباب بان عني فمضى	قبل أن أقضي منه أربي
ما أرجي بعده إلا الفنا	ضيق الشيب علي مطلبي

ويح نفس لا أراها أبداً في جميل لا ولا في أدب  
نفسى لا كنت ولا كان الهوى راقبي المولى وخايف وارهبي

قال: فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نفسي لا كنت ولا كان الهوى، راقبي المولى وخايف وارهبي. ثم قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: على هذا، فليغن من غنى.

### خبث اليهود

٧٧٦

أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨]. فقال لخدمته: اذهب إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقل له: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذب أجمعون، فبين له ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما أزال عنه الإشكال، وقال له: إن الآية نزلت في أهل الكتاب اليهود، حين سألهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، فنزلت الآية<sup>(١)</sup>.

### هذا العالم المجنون

٧٧٧

جاء في مجلة المجتمع عدد (٦٨٦) ما يأتي:

تلقينا رسالة من السجن المدني في الرباط بعث بها رجل أعمال فرنسي سجين، التقى هناك الداعية الإسلامي الأستاذ عبد السلام ياسين، وأسلم على يديه، وبدل اسمه من جان بول إلى سليمان نفيسي. تقول الرسالة بعد ترجمتها إلى العربية: الإخوة في مجلة المجتمع، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لشد ما كانت بهجتي عظيمة عندما أطلعني بعض الأشخاص على مقالكم حول السيد عبد السلام

(١) أخرجه البخاري (٤٠/٦ رقم ٤٥٦٨)، ومسلم (٢١٤٣/٤ رقم ٢٧٧٨).

ياسين، وترجمه لي نظراً لعدم قراءتي للغة العربية، وفي هذا المقال تشيرون إلى لقاء الأستاذ ياسين داخل السجن برجل أعمال فرنسي واعتناقه الإسلام على يده، وبصفتي المعني بالأمر، وقد انتهلت من المعارف الواسعة للشيخ عبد السلام ياسين، فإنه يسرني جداً أن أكتب إليكم لأطلعكم على السعادة التي تغمر قلبي، وأنا الآن أنتمي إلى الأسرة الإسلامية الكبيرة، ولربما أنكم تودون معرفة الأسباب التي أدت بي وأنا الرجل الغربي إلى اعتناق الإسلام، وتودون الاطلاع على رأيي تجاه العالم الإسلامي حالياً، تجدر الإشارة أولاً إلى أن قراري باعتناق الإسلام لم أتخذه عن عجل دون أن يكون مسبقاً ببحث دقيق وعميق، وإنما جاء بعد طرحي لكثير من الأسئلة التي كانت كثيراً ما تخامر ذهني، وتأخذ بمجامع فكري دون أن أستطيع أن أجد لها جواباً. إنني لم أكن ملحداً منكرًا لوجود الله، فقد ولدت في بيت ملتزم بالمذهب البروتستانتي، وتابعت تعليمًا دينيًا مكثفًا، وخاصة ما يتعلق بالعهد القديم، ولكني - وأعترف لكم بذلك - لم أجد فيما تعلمت قط موردًا لإرواء عطشي الروحي، إنه ليس من طبيعتي ألا أعمل فكري، وألا أوظفه، ولهذا لم أجد فيما تعلمت أسسًا سليمة أستطيع أن أبني عليها إيمانًا عميقًا ودائمًا. إن المسيح قد أعطى بعض الأجوبة، لكنها تبقى غامضة ولغزية، إذ لا تقتأ أن تطرح بدورها أسئلة ربما أكثر غموضًا، حتى لا يبصر المتعمق في الأمر في النهاية إلا الظلام، ومن جهة أخرى إذا ما تجاوزنا الدراسة السطحية للديانة المسيحية، فإننا نعثر على التناقضات، ونلمس آثار البتر، وباختصار نجد آثارًا للتلاعب والتحريف البشري عن قصد ولأغراض معينة، فكيف يجوز إذن أن توضع الثقة في دليل ومرشد ليس أهلاً لها، ولا يستحقها، لكنني مع ذلك أحتفظ في قرارة نفسي بذلك الإيمان الفطري بوجود الخالق، الذي فطر عليه كل مخلوق. إن الاستعداد الفطري لتلقي كلام الله الموحى به موجود في أعماقتنا، لكننا لا نهتدي لذلك إلا عندما تقوى عزيمتنا، ولبلوغ ذلك، فإن الطرق كثيرة، لكنها ليست كلها صائبة، فكم واحدة منها لا تعدو أن تكون طريقًا مسدودًا لا مخرج منه، ولهذا فإنني وفي يدي الثروات المتنوعة تهت في هذا العالم دون أي دليل حقيقي، اللهم وكما هو

الشأن بالنسبة لكثير من معاصري الإل دليل غرائزي. وكم من مرة أثور، وتأخذني  
 الشفقة عندما أرى ظلم هذا العالم المجنون الذي يسعى إلى خرابه عندما أرى  
 هذا التسمم الكوني الذي نرغم على الخوض فيه من طرف القوى الكبرى،  
 عندما أرى الإله الدولار والآلهة التي خلقها تعبد وتقدس، وهكذا واصلت بحثي  
 أتلمس تلمس الأعمى أبحث هنا وهناك واثقاً من أنه لا يمكنني أن أرجو عطاء،  
 لا من الفلسفة الحديثة، ولا من علم اللاهوت أو أدب المعاصرين، وأما العلم  
 الحديث فإنه على الرغم من اكتشافاته المدهشة واستفساراته الكثيرة، فإنه إذا  
 ما اصطدم بالمجهول يقف معطوباً يعالج آلام صدمته، لقد تأملت هذه المعطيات  
 ملياً، فتوصلت إلى أنه لم يعد هناك ما ينتظر في حالة مزرية كهذه تفسح المجال  
 للتعسف والأناية المطلقة، وتفتح الباب على مصراعيه للنذالة والخساسة، في  
 هذه الحالة الروحية اكتشفت الإسلام، اكتشفت القرآن، واكتشفت سيرة الرسول  
 محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانت الهداية، وكانت دعوة الحقيقة الخالصة الصافية التي  
 لا تترك مجالاً للتردد أو لعدم المسارعة إلى الإجابة، إن القدرة الإلهية أن ألتقي  
 في طريقي مع رجل عرف كيف يوجه خطواتي الأولى في هذا الاتجاه الجديد،  
 فعلمني يوماً بعد يوم مبادئ الدين، وأيقظ في قلبي الروحانية التي كانت في  
 سبات عميق، فحمداً لله الذي جعل ممكناً ما كنت أراه مستحيلاً، والذي هيا لي  
 مرشداً ودليلاً في مستوى السيد عبد السلام ياسين أرافقه طوال هذه الأيام، بل  
 هذه الشهور التي قضيناها معاً، وإني لواع لهذه المحنة الربانية التي اختصني  
 بها سبحانه وتعالى، لقد أبيت إلا أن أقول هذا بوضوح على مرأى ومسمع الأمة  
 الإسلامية، لقد تمخضت عن هذا اللقاء وعن هذه المحبة مشروعات عدة، أرجو  
 الله أن يحققها بمشيئته، وخاصة تلك التي ترمي إلى نشر الإسلام في الغرب،  
 الذي هو في أشد الحاجة إليه على الرغم من العدد المتصاعد من المعتنقين له،  
 وقد حرصت على أن أحيطكم علماً بهذه العوامل، التي أتمنى أن تلفت انتباهكم  
 وكذا انتباه قراء مجلتكم الغراء، وإني لعل على كامل الاستعداد لكل حوار تروونه بناءً،  
 وتودون فتحه معي، وتقبلوا سادتي الأفاضل، تحيتي الخالصة.

أقول:

صدق الله العظيم، حيث يقول: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] ربما كره هذا الرجل السجن، فكان فيه الخير كله، وقد قيل: «رَبُّ ضارة نافعة». وحدثني الأستاذ عبدالعزيز صالح المهنا قال: كان أعرابي يسكن في خيمة بجوارنا في الرياض، وكان عليل الجسد، وحدث بينه وبين خصم له مشادة، فضربه خصمه بطلق ناري أصاب ساقه، وأخذ دمه يسيل بغزارة، وتدخلنا، وأنهينا المشكلة بالإصلاح، وأسعف المصاب المريض سابقاً، ورأيته بعد أسابيع، وإذا حاله في تحسن عجيب، وإذا هو يعود كأقوى ما يكون الرجال، وتذكرت قول المتنبي:

لَعَلَّ عَتَبِكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ      فَرَبِّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعَلَلِ

### الحاكم الأسود النبيل

٧٧٨

كان أبوبكر المحلى يتولى نفقات أبي المسك كافور الإخشيدي، وكان له في كل عيد أضحية عادة هي أن يسلم إلى أبي بكر بغلاً محملاً ذهباً وجريدة تتضمن أسماء قوم من حد القرافة إلى الجبانة وما بينهما.

قال أبوبكر المذكور: وكان يمشي معي صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل، وأطوف من بعد العشاء الأخيرة إلى آخر الليل، حتى أسلم ذلك إلى من تضمنت اسمه الجريدة، فأطرق منزل كل إنسان ما بين رجل وامرأة، وأقول: الأستاذ أبوالمسك كافور الإخشيدي يهنئك بالعيد، ويقول لك: اصرف هذا في منفعتك، وادفع إليه ما جعل له، وفي آخر وقت زاد كافور في الجريدة اسم الشيخ أبي عبد الله بن جابار، وجعل له في ذلك العيد مئة دينار، فطفت في تلك الليلة، وأنفقت المال في أربابه، ولم تبق إلا صرة ابن جابار، فجعلتها في كمي، وسرت مع النقيب حتى أتينا منزله لظاهر القرافة، فطرقت الباب، فنزل إلينا الشيخ وعليه أثر السهر،

فسلمت عليه، فلم يرد عليّ، وقال: ما حاجتك؟ قلت: الأستاذ أبوالمسك كافور يخص الشيخ بالسلام، فقال: وإلى بلدنا؟ قلت: نعم، قال: حفظه الله، الله يعلم أنني أدعوه في الخلوات وأدبار الصلوات بما الله سامعه ومستجيبه، قلت: وقد أنفذ معي نفقة وهي هذه الصرة، ويسألك قبولها لتصرف في مؤونة هذا العيد المبارك، فقال: نحن رعيته، ونحبه في الله تعالى، وما نفسد هذه المحبة بعله، فراجعت القبول، فتبين لي الضجر في وجهه والقلق، واستحييت من الله أن أقطعه عما هو عليه من عبادة، فتركته، وانصرفت، قال: فوجدت الأمير قد تهيأ للركوب وهو ينتظرني. فلما رأيته قال: إيه يا أبا بكر، قلت أرجو الله أن يستجيب فيك كل دعوة صالحة دعوت لك في هذه الليلة وفي هذا اليوم الشريف، فقال: الحمد لله الذي جعلني لإيصال الراحة إلى عباده، ثم أخبرته بامتناع ابن جابار، فقال: نعم، هو جدير، لم تجر بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم، ثم قال لي: عدّ إليه، واركب دابة من دواب النوبة، واطرق بابه، فإذا نزل إليك فإنه سيقول لك: ألم تكن عندنا؟ فلا تردّ عليه جواباً، ثم استفتح، وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿طه﴾ (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا نَذِيرًا لِمَنْ يَخْشَى (٣) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿طه: ١-٦﴾.

يا ابن جابار، الأستاذ كافور يقول لك: ومن كافور العبد الأسود، ومن هو مولاه، ومن الخلق، ليس لأحد مع الله ملك ولا شركة، تلاشى الناس كلهم ههنا. أتدري من هو معطيك، وعلي من رددت؟ أنت ما سألت، وإنما هو أرسل لك. يا ابن جابار، أنت ما تفرق بين السبب والمسبب. قال أبو بكر: فركبت، وسرت، فطرقت منزله، فنزل إليّ، فقال لي مثل لفظ كافور: ألم تكن عندنا؟ فأضربت عن الجواب وقرأت (طه) ثم قلت ما قال لي كافور، فبكي، وقال لي: أين ما حملت؟ فأخرجت الصرة، فأخذها، وقال: علمنا الأستاذ كيف التصوف. قلت له: أحسن الله جزاءك، ثم عدت إليه، فأخبرته بذلك، فسرّ، وسجد شكراً لله تعالى، وقال: الحمد لله على ذلك.

قال الشاعر:

فقل لبني الظالمين حيث حلوا      وإن خضت المهند والقطيعة  
أجاع الله من أشبعتموه      وأشبع من بجوركم أجيعة

لذلك قال سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ مبيِّناً نظرة الداعية للصراع مع الباطل: إن المسلم ينظر إلى غالبه من علٍ ما دام مؤمناً، ويستيقن أنها فترة وتمضي، وأن للإيمان كرة لا مفر منها، وهبها كانت القاضية، فإنه لا يحني لها رأساً، إن الناس كلهم يموتون، أما هو فيستشهد، وهو يغادر هذه الأرض إلى الجنة، وغالبه يغادرها إلى النار، وشتان شتان، وهو يسمع نداء ربه الكريم: ﴿لَا يَغْرَتُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ﴾ (١١٦) ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (١١٧) ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٨]. والجاهليون يغفلون عن هذه الحقائق التي ينطلق منها دعاة الإسلام، ويضيعون عليهم، لكنهم يخسرون كل جولة في النهاية، بما صادموا من الفطرة التي جبل الله عليها الدعاة إليه.

قال مصطفى أمين الكاتب المعروف في زاوية (فكرة) في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٠/١١/١٩٨٤م:

«اعلم أنك لست خالداً في منصبك، الأيام دول، وكم من رجال قبلك ظنوا أنهم باقون إلى الأبد، فداستهم الأيام بأقدامها، توهموا جني ظلمهم دائماً، فجاءت العدالة، وسحقتهم، توهموا أن السوط سيبقى في أيديهم يلهبون به ظهور الأبرياء، فإذا الأبرياء الضعفاء ينتزعون السوط، ويلهبون به ظهور الطغاة

المستبدين. إذا وقعت قرارًا بفصل مظلوم من وظيفته الصغيرة، فسيجيء اليوم الذي يصدر فيه قرار بفصلك من منصبك الكبير، اعدل اليوم لتنال العدل غدًا، وانصف البريء لتنصفك الأيام، وقد رأينا مصارع الظالمين ونهايات المستبدين، فما دام طغيان، ولا استمر استبداد. أنت تعلق خصومك في المشانق، وتغتال أعداءك في المنايا، وتملاً السجون بمن يهمس بكلمة ضدك، لا تتوهم أن الزمن سيبقى حليفك دائماً، فقد تبقى المشنقة التي شنقت فيها خصومك لتعلق فيها، وتبقى السجون التي ملأها بمعارضيك لتسجن فيها، اقرأ التاريخ، وستجد في كل صفحة قبراً لطاغية ونهاية لجبروت، لم يحدث على مدى الأيام أن بقي ظالم، تبدلت الأيام، وتحول الكرسي الذي يجلس عليه الطاغية الجبار إلى كرسي كهربائي، اعلم أن لعنات المظلومين قادرة على أن تسحق الظالمين، همساتهم تتحول إلى رعد، صرخاتهم تصبح كالأعاصير، هذه القلاع التي تبنيها حولك ستتهار كالتراب، لن ينفك إلا العدل إذا عدلت، ولن يفيدك إلا العفو إذا عفوت، واعلم أن حب الشعب هو القلاع التي تحمي الحكام، وثقة الأمة هي الجيوش التي تصد أي اعتداء.

أنت لا تستطيع أن تلوث الشرفاء، وتحطم الأكفاء، وتزيّف الحقائق، وتلفق التاريخ، كل قواتك وسلطاتك ونفوذك وأموالك أضعف من أن تدفن الحقيقة أو تخرس فم الشعب الذي تتوهم أنك قادر على أن تخضعه بطغيانك واستبدادك، وإذا اضطر الشعب إلى أن يركع اليوم تحت وقع مطارقك، فهو سوف ينقض عليك، لا تصدق المنافقين حولك الذين يشيدون بعظمتك، ويتحدثون عن عبقريتك، فهم كلاب كل سلطة، وكذابو كل زفة، وعبيد لكل طاغية، إنهم يجمعون معك في جبروتك، وينفضون عنك في هوانك، إنهم يقفون أمامك راكعين يحنون رؤوسهم، وهم في قرارة أنفسهم يحتقرونك، ويهزؤون بك. هذا خطاب شخصي موجه لكل طاغية في العالم الثالث.

على المسلم أن يسعى في طلب الغنى (قدر طاقته وبجميع الطرق المشروعة كالتجارة والزراعة والصناعة)، فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»<sup>(١)</sup>، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»<sup>(٢)</sup> ومعروف أن العليا هي المعطية والسفلى الآخذة، ولا تكون يدك عليا دون مال، وسمى الله المال في القرآن في مواضع عدة خيراً، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»<sup>(٣)</sup>، وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لو كان الفقر رجلاً لقتلته»، وقال الشاعر:

دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي      رأيتُ النَّاسَ شَرَّهُمْ الْفَقِيرُ

وقصتنا أدناه تدل على أن من بيده المال محترم ومقدر ممن حوله، قال مصطفى أمين في مذكراته تحت عنوان: (المسجون المليونير).

كان معنا في السجن مسجون متهم بجريمة نصب اسمه محمود، وكان ضابط العنبر يسيء معاملته ويستبد فيه، ويعاقبه بلا جريمة، ويشتمه بلا سبب، ويهينه كلما رآه. وكان ضابط العنبر معروفاً بالجشع يتقبل الهدايا والسجائر من المسجونين، وكان المسجون محمود فقيراً معدماً يعيش على بيع دمه كل أسبوع لوزارة الصحة. ولم ينفع مع الضابط الجشع شفاعات، ولا رجوات، ولا استرحامات، وفكر محمود في حيلة غريبة، فإن ابن عمه يعمل بحاراً على إحدى السفن التجارية التي تسافر إلى سيدني بأستراليا، وتمر أمام قناة السويس، وفي كل مرة تصل السفينة إلى السويس ينزل منها ابن العم، ويحضر إلى القاهرة

(١) أخرجه أحمد (٢٩/٢٣٢٧-٢٣٢٨ رقم ١٧٨٠٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٤٦ رقم ١١٩٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/٣٥٥ رقم ٢٧٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢/١١٢ رقم ١٤٢٧)، ومسلم (٢/٧١٧ رقم ١٠٣٣).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩/١٢ رقم ٦١٨٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٤١٤٨).

لزيارة ابن عمه في الليمان، واتفق محمود مع البحار ابن عمه على أن يرسل له خطاباً من ميناء سيدني يقول فيه: إن أحد أعمامه الذي هاجر من مصر منذ خمسين سنة اشتغل في تجارة الصابون في أستراليا، وأصبح زعيم الصابون هناك، وأنه توفي، وترك ثروة قدرها سبعة ملايين جنيه إسترليني، أوصى بنصفها لمحمود المسجون، وأوصى بالنصف الآخر لابنة عم أخرى له موجودة في مدينة شيكاغو في أمريكا، ووصل الخطاب من أستراليا إلى ليمان طرة، وتسلمه الضابط الجشع كما يفعل بباقي خطابات المسجونين، وفتح الخطاب، وقرأ فيه أن محمود أصبح مليونيراً، فاستدعاه إلى مكتبه، وأطلعه على السر الرهيب، وأوصاه بالأخبار أحداً من زملائه في السجن بأمر هذا الكنز؛ حتى لا يطمعوا فيه، ويحاولوا أن يقتسموه، منذ ذلك اليوم تبدلت حياة المسجون الغلبان محمود. أصبح محمود بك، وبعد أن كان عمله كنس وتنظيف دورة المياه في العنبر، سحب الضابط منه المقشة والجردل، وأسند له وظيفة في المكتبة، وهو لا يقرأ ولا يكتب، ولم يعد الضابط يصفعه على قفاه كلما رآه، بل أصبح يأخذه بالأحضان، ويعانقه، ويقبله، وفي كل يوم يذهب الضابط إلى المطبخ، ويسرق طبقاً مليئاً باللحم والخضراوات، ويحمله إلى محمود بك، وهكذا عاش محمود بك زعيماً في السجن بعد أن كان صعلوكاً يُصفع على قفاه، واستمرت الخطابات تصل من أستراليا، خطاب يصف العزبة الشاسعة التي ورثها وعدد الخيول والبقر والعجول والثيران التي تملأ زريبة العزبة، وخطاب ثانٍ فيه صورة قصر جميل تحيط به حديقة غناء وبركة للسباحة، ويذكر فيه ابن العم أن هذا القصر ورثه محمود في ضاحية من ضواحي سيدني، وأن شركة فنادق تعرض أن تستأجر هذا القصر بعشرة آلاف جنيه إسترليني في الشهر لتحويله إلى فندق كبير، وخطاب ثالث فيه صورة شقراء رائعة الجمال ومعها خطاب يقول: إن هذه صورة ابنة عم محمود التي ورثت هي الأخرى ثلاثة ملايين جنيه إسترليني ونصف، وأن ابن عمه ينصحه بأن يتقدم لخطبتها؛ حتى لا تتبعثر الثروة الهائلة، ويعقد المسجون اجتماعات مع الضابط الجشع يبحثان فيه مشروع الخطبة، وفي

أثناء ذلك يحصل محمود على السجائر مجاناً والمأكولات مجاناً، ومن وقت لآخر يجيء الضابط حاملاً بعض الأطعمة التي طهتها زوجته خصيصاً لمحمود بك، واتفق محمود بك مع الضابط أن يعينه مديراً لأعماله بألف جنيه إسترليني في الشهر، وفي ضوء هذا الاتفاق أخذ من الضابط ساعة ذهبية و ٥٠٠ جنيه مصري وامتيازات داخل السجن تساوي ألوف الجنيهات، وانتهت مدة محمود بك في السجن، وأفرج عنه، وقال للضابط: إنه سيسافر فوراً إلى أستراليا، وسيُرسل له تذكرة الطائرة له ولزوجته وأولاده وبناته ليقيموا بجوار قصره المنيف، وخرج محمود النصاب من السجن، ولا يزال الضابط الجشع ينتظر الخطاب الموعود من أستراليا، وسوف ينتظر طويلاً.

## الرؤيا

٧٨٢

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ الْقِيمُ زَادَ الْمَعَادَ: صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان، فمن رأى رؤيا يكره منها شيئاً فلينفث عن يساره، وليتعوذ بالله من الشيطان، فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحداً، وإن رأى رؤيا حسنة فليستبشر، ولا يخبر بها إلا من يحب»<sup>(١)</sup>، وأمر من رأى ما يكرهه أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه، وأمره أن يصلي، فأمره بخمسة أشياء: أن ينفث عن يساره، وأن يستعيذ بالله من الشيطان، فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحداً، وأن يتحول عن جنبه الذي كان عليه، وأن يقوم يصلي، ومتى فعل ذلك لم تضره الرؤيا المكروهة، بل هذا يدفع شرها، وقال: الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت، ولا يقصها إلا على وادٍّ أو ذي رأي، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا قُصَّتْ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا قَالَ: «اللهم، إن كان خيراً فلنا، وإن كان شراً فلعدونا»<sup>(٢)</sup>، ويذكر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من

(١) أخرجه البخاري (٣٠/٩ رقم ٦٩٨٦)، ومسلم (٤/١٧٧٢ رقم ٢٢٦١).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/٥٤٩ رقم ٢٠٩٨).

عرضت عليه رؤيا فليقل المعروض عليه خيراً<sup>(١)</sup>، ويذكر عنه أنه كان يقول للرائي قبل أن يعبرها له: «خيراً رأيت»<sup>(٢)</sup>، ثم يعبرها، وذكر عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا أراد أن يعبر رؤيا قال: إن صدقت رؤياك كان كذا وكذا.

### ألفاظ إبليس ورفقائه

٧٨٣

بها إبليس وفرعون وقارون ف: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] لإبليس، و: ﴿لِي مُلْكٌ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١] لفرعون، و: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَيَّ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] لقارون. وأحسن ما وضعت (أنا) في قول العبد: أنا العبد المذنب المخطئ المستغفر المعترف ونحوه، و(لي) في قوله: لي الذنب، ولي الجرم، ولي المسكنة، ولي الفقر والذل، و(عندي) في قوله: اغفر لي جدي وهزلي وعمدي وكل ذلك عندي.

### لعل في الأمر خيراً

٧٨٤

جاء في كتاب العلامة الشيخ عبداللّه بن خميس من أحاديث السمر: التوكل على الله وإرجاع الأمر إليه في السراء والضراء وإدراك أن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، هذا مبدأ من مبادئ المؤمن الحق الذي يفوض أمره إلى الله، فإن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، وليس معنى هذا أن يكون المرء تكله يحيل على القدر كل شيء، ولكن ليعمل، وليبذل الأسباب كما أمره الله، وكلُّ ميسر لما خلق له. هذا رجل مؤمن سحب رفقة له في سفر ليمتاروا من بلاد بعيدة، وكلما حصلت مناسبة أو أي أمر يقع يقول هذا المؤمن: لعل في الأمر خيراً، ويكثر من ذلك، وفي عودتهم محملين

(١) لم أجده.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٢٩٢/٢ رقم ٣٩٢٣)، والطبراني في الكبير (٢٧/٢٥ رقم ٤٢).

ركابهم بالميرة أناخوا بمكان مساء لترعى ركابهم لبيبتوا، وفي الصباح يستأنفون سيرهم، فذهب الرعاة بالإبل ليرعوها، وعندما أظلم الليل أقبلوا بالإبل، وفي مكان منزوٍ عقلوا به إبل هذا المؤمن، وراحوا ببقية الإبل بقصد امتحانه، ولما سألهم عن إبله؟ قالوا: ضلت منا، وكل الوقت نبحث عنها، فلم نجدها، ويجوز أن القوم اختطفوها، وذهبوا بها، فلم يزد على أن قال: لعل في الأمر خيراً، كلمته التي يرددها دائماً، فسخروا منه، وضحكوا، وقالوا: أنت في موماة لا ماء بها ولا ساكن، منقطعة عن كل أنيس إلا من الوحوش وربما اللصوص، وميرتك مطروحة بالأرض، ولا يمكن لرفقتك أن ينتظروك في هذا المكان لثلاث تهلوكوا معاً، ومع هذا تقابل الأمر بكل برود وبكلمتك الدائمة؟! إن لأمرك لعجباً، باتوا في مكانهم، وفي الليل هجم اللصوص، وأخذوا إبلهم وميرتهم إلا ميرة الرجل، فإنهم لم يجدوا ما يحملها، وفروا بها، ولم يعلموا عن إبل هذا الرجل الذي على بصيرة من دينه وعلى ثقة من وعد ربه، وأن إيمانه هو الذي جعله يتمسك بكلمته الخالدة، ويلاقي كل مصيبة بالإيمان والارتياح لقضاء الله وقدره، فأحضروا إبله، وحملوا عليها ميرته، وما بقي لهم من ماء وغذاء، وأصبحوا كلهم عائلة عليه حتى وصلوا: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

جاء في كتاب (سنة أولى سجن) للكاتب الكبير مصطفى أمين يقول: عندما وصلت إلى السجن الحربي قادماً من سجن المخابرات وضعوني في زنزانة صغيرة، ثم أحضر الفريق حمزة البسيوني كلبين ضخمين (ميمي وليلى) وتركهما يندفعان نحوي، التف الكلبان بي ينهشان لحمي، ويمزقان ملابسي، وكان (ميمي) يمتاز بناييه البارزين اللذين يبقيان خارج فمه إذا أغلقه، وقد علمت بعد ذلك أن كلاب حمزة البسيوني كلها مدربة على تمزيق أي إنسان يشير إليه ملك التعذيب أو

أحد زبانيه. ويقول الكاتب الكبير: استمر تعذيبي في السجن الحربي اثني عشر يوماً بالليل والنهار، وفي اليوم الثاني عشر أخذوني ليلاً إلى مكتب اللواء حمزة البسيوني، وجدته في انتظاري مع عدد من ضباط صلاح نصر، وأمر كبيرهم أن أخلع ملابس كلها، ووقفت أمامه عارياً تماماً، فأخذ يديرني في كل اتجاه ليرى آثار التعذيب على جسمي، ثم التفت إلى حمزة البسيوني قائلاً: يا حمزة بك، أنتم دللتوه جداً، وهنا هوى الشاويش المصاحب لي بالسوط الذي يحمله على صدري في ضربة أراد أن يثبت بها لكبير رجال صلاح نصر أنهم لا يدللوني، وقد ظلمت أتالم من هذه الضربة مدة عام كامل، وكانت مصدر عذاب أليم لي في أثناء نومي، وصاح اللواء حمزة البسيوني: لا، حرام لا تضربوه هات (لاكي)، ويقول مصطفى أمين: ولم أعرف من هو (لاكي)، وبعد دقائق رأيت أمامي شيئاً لم تصدقه عيناى، كلباً هائلاً لم أر في حياتي كلباً في مثل حجمه أو بشاعته، كلباً في حجم الحمار الضخم، لقد رأيت في حياتي كلاباً كثيرة من أنواع مختلفة، ولكنني لم أر مخلوقاً بكل هذه البشاعة والوحشية، كان يبدو كالوحش المفترس، دخل (لاكي) وهو يسد الباب بجسمه الضخم، وهنا أشار الشاويش إلي بطرف السوط، فقفز (لاكي) نحوي مهاجماً، وصرخت صرخة ملؤها الرعب والفرع، واحتميت خلف مقعد يجلس عليه أحد ضباط صلاح نصر، وهجم الكلب على المقعد، ونالت أظفاره من أقدام الضابط الذي قفز في فرع، وقال للشاويش في لهجة هستيرية: (طلع الكلب ده بره)، وخرج لاكمي بعد أن أحدث ارتباكاً وفرعاً بين الموجودين.

أقول:

لو طبقنا المثل الشعبي الدارج عندنا في نجد الذي يقول: «خذ من هرج العاقل نصفه»، لكان يكفي أن تتعوذ بالله كل ساعة من هذا الهول الذي صب على الرجل صباً.

نظر أعرابي إلى البدر في رمضان، فقال: سمنت، فأهزلتني، أراني الله فيك السل، ودعا على أعرابي عامل، فقال: صب الله عليك الصادات؛ يعني الصفع والصرف والصلب، وقال أعرابي لامرأته: أين بلغت قدركم؟ قالت: قد قام خطيبها؛ تعني الغليان، ووقف المهدي على عجوز من العرب، فقال لها: ممن أنت؟ قالت: من طيء، قال: ما منع طيًّا أن يكون فيهم آخر مثل حاتم؟ فقالت مسرعة: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك، فعجب من سرعة جوابها، وأمر لها بصلّة.

تريد إلى الحسن يفخر عليها ولا ينصفها ويسيء إليها فيقول ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين، ولكن هل لك في ابن عمها فهي له وهو لها، قال: ومن ذلك؟ قال: محمد ابن الأشعث، قال: قد زوجته. ودخل الأشعث على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أمير المؤمنين خطبت على الحسن ابنة سعيد؟ قال: نعم، قال: فهل لك في أشرف منها بيتاً وأكرم منها حسباً وأتم منها جمالاً وأكثر مالاً؟ قال: ومن هي؟ قال: جعدة بنت الأشعث بن قيس، قال: قد قاولنا رجلاً، قال: ليس إلى ذلك الذي قاولته سبيل، قال: إنه قد فارقتني ليأمر أمها فقال: قد زوجها من محمد بن الأشعث بن قيس، قال: متى؟ قال: الساعة الباب، قال: فزوج الحسن جعدة، فلما لقي سعيد الأشعث قال: يا أعور خدعتني، قال: أنت أعور خبيث، حيث تستشيرني في ابن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألسنت أحمق؟ ثم جاء الأشعث إلى الحسن فقال: يا أبا محمد ألا تزور أهلك؟ فلما أراد ذلك قال: لا تمشي والله إلا على أردية قومي، فقدمت له كندة سماطين وجعلت له أرديتها بسطاً من بابه إلى باب الأشعث.

قُلْ لِلطَّبِيبِ تَخْطِفْتُهُ يَدُ الرَّدَى  
 قُلْ لِلْمَرِيضِ نَجَا وَعَوِيْفٍ بَعْدَمَا  
 قُلْ لِلصَّحِيحِ سَيَمُوتُ لَا مِنْ عِلَّةٍ  
 قُلْ لِلْبَصِيرِ وَكَانَ يَحْذَرُ حَفْرَةَ  
 بَلِ اسْأَلِ الْأَعْمَى خَطَا بَيْنَ الزَّحَامِ  
 قُلْ لِلْجَنِينِ يَعْيشُ مَعْزُولًا بَلَا رَاعٍ  
 وَإِذَا تَرَى الثَّعْبَانَ يَنْفُثُ سَمَّهُ  
 وَاسْأَلْهُ كَيْفَ تَعْيشُ يَا ثَعْبَانُ  
 وَاسْأَلِ بَطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرْتُ  
 بَلِ اسْأَلِ اللَّبْنَ الْمَصْفَى كَانَ بَيْنَ

يَا شَايَةَ الْأَمْرَاضِ مَنْ أَرَادَكَ  
 عَجَزَتْ فَنُونَ الطَّبِّ مَنْ عَافَاكَ  
 مَنْ بِالْمَنَايَا يَا صَحِيحُ دَهَاكَ  
 فَهَوَى بِهَا مَنْ ذَا الَّذِي أَهْوَاكَ  
 بَلَا اصْطَدَامَ مَنْ يَقُوذُ خُطَاكَ  
 وَمَرَعَى مَا الَّذِي أَبْكََاكَ  
 فَاسْأَلْهُ مَنْ ذَا بِالسَّمُومِ حَشَاكَ  
 أَوْ تَحْيَا وَهَذَا السَّمُّ يَمَلَأُ فَاكَ  
 شَهْدًا وَقُلْ لِلشَّهَدِ مَنْ حَلَاكَ  
 دَمٌ وَفَرِثٌ مِنَ الَّذِي صَفَاكَ

كتب معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بفلسطين إلى عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أما بعد، فإنه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة، وقدّم إلينا جرير بن عبد الله في بيعة علي، وحبست نفسي عليك حتى تأتيني، أقبّل أذاكرك أمورًا لا تعدم صلاح مغبتها إن شاء الله. فاستشار عمرو ولديه عبد الله ومحمدًا فيما يصنع، فقال عبد الله: قتل عثمان وأنت غائب فقرر في منزلك، فليست مجعولًا خليفة، ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة أوشك أن تهلك، فنشقي فيها، وقال محمد: إنك شيخ قريش، وصاحب أمرها، وإن تصرم هذا الأمر وأنت فيه خامل تصاغر أمرك،

فالحقّ بجماعة أهل الشام، فكن يدًا من أيديهم. قال عمرو: أما أنت يا عبد الله، فأمرتني بما هو خير لي في ديني، وأما أنت يا محمد، فأمرتني بما هو خير لي في دنياي، وأنا ناظر فيه. وروي أنه قلب رأيه في الأمرين، فقال: إني إن أتيت عليًا قال: إنما أنت رجل من المسلمين، وإن أتيت معاوية يخلطني بنفسه، ويشركني في أمره، ولكن ظل يتردد إلى ساعة السفر بعدما عنّ له أن ينضوي إلى جانب الشام، فدعا غلامه وردان، فقال: ارحل يا وردان، ثم صاح به: حظ يا وردان، فقال له وردان، وكان كما وصفوه داهيًا ماردًا: خلطت يا أبا عبد الله، أما إنك إن شئت أنبأتك بما في نفسك، قال: هات ويحك، قال: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك، فقلت: عليّ معه الآخرة في غير دنيا، وفي الآخرة عوض من الدنيا، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة، وليس في الدنيا عوض من الآخرة، فأنت واقف بينهما، قال: واللّه ما أخطأت، فما ترى يا وردان؟ قال: أرى أن تقيم في بيتك، فإن ظهر أهل الدين عشّ عند دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك، فتأمل في قول غلامه مليًا، ولكنه لم يقبل القرار في بيته بعد عودته، وعوّل على المسير، فسار.

### بسطوا له الأردية

٧٨٩

قال الهيثم بن عدي: أخبرنا ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على الحسن ابنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أم عمران بنت سعيد ابن قيس الهمداني، فقال: فوقني أمير ذو إمرة يعني أمها، فقال: قم فأمرها، فخرج من عنده، ولقيه الأشعث بن قيس بالباب، فأخبره الخبر، فقال: ما تريد إلى الحسن يفخر عليها، ولا ينصفها، ويسيء إليها، فيقول: ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين، ولكن هل لك في ابن عمها، فهي له وهو لها، قال: ومن ذلك؟ قال: محمد بن الأشعث، قال: قد زوجته، ودخل الأشعث على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: يا أمير المؤمنين، خطبت على الحسن ابنة سعيد؟ قال: نعم، قال: فهل لك

في أشرف منها بيتاً وأكرم منها حسباً وأتم منها مالا؟ قال: ومن هي؟ قال: جعدة بنت الأشعث بن قيس، قال: قد قاولنا رجلاً. قال: ليس إلى ذلك الذي قاولته سبيل، قال: إنه قد فارقتي ليوامر أمها، فقال: فزوج الحسن جعدة، فلما لقي سعيد الأشعث قال: يا أعور، خدعتني، قال: أنت أعور خبيث، حيث تستشيرني في ابن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألسنت أحمق؟ ثم جاء الأشعث إلى الحسن، فقال: يا أبا محمد، ألا تزور أهلك؟ فلما أراد ذلك قال: لا تمشي والله إلا على أردية قومي، فقدمت له كندة سماطين، وجعلت له أرديتها بسطاً من بابه إلى باب الأشعث.

لا تعاشر الأحمق، وإن كان ذا جمال، وانظر إلى السيف ما أحسن منظره وأكثر أذاه! وقال الجاحظ: لا تجالس الحمقى، فإنه يعلق بك من مجالستهم من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهرًا من الصلاح، فإن الفساد أشد التحامًا بالطباع، وقال المتنبي:

وَمَنْ الْبَلِيَّةِ عَدْلٌ مَنْ لَا يَزْعَوِي      عَنْ جِهْلِهِ وَخَطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ

قيل لحكيم: من أنعم الناس عيشاً؟ قال: من كُفي أمر دنياه، وتفرغ لأمر آخرته.

كان ابن المقفع والخليل يجبان أن يجتمعا، فاتفق التقاؤهما، فاجتمعا ثلاثة أيام يتحاوران، فقيل لابن المقفع: كيف رأيته؟ قال: وجدت رجلاً عقله زائد على علمه. وسئل الخليل عنه، فقال: وجدت رجلاً علمه فوق عقله. قال بعض العلماء: صدقا، فإن الخليل مات حتف أنفه في خص، وهو أزهى خلق الله، وتعاطى ابن المقفع ما كان مستغنياً عنه حتى قتل أسوأ قتلة.

دخل أعرابي مسجد البصرة، فانتهى إلى حلقة علم يتذاكرون الأشعار والأخبار، وهو يستطيب كلامهم، ثم أخذوا في العروض، فلما سمع المفاعيل والفعول ورد عليه ما لا يعرفه، فظن أنهم يأترون به، فقام مسرعاً، وخرج، وقال:

قد كان أخذهم في الشعر يعجبني      حتى تعاطوا كلام الزنج والرؤم  
لما سمعتُ كلاماً لستُ أعرفه      كأنه زحل الغربان والبوم  
وليت منفلتاً والله يعصمني      من التقحم في تلك الجرائم

كان المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قد أصيبت عينه عام غزوة مسلمة ابن عبد الملك الأموي للقسطنطينية، وكان جواداً كريماً يطعم الطعام حيث نزل، وحدث أن جاء أحد الأعراب، فجعل يديم النظر إلى المغيرة، ولا يأكل، فقال له المغيرة: ما لك يا أعرابي، لا تأكل كما تأكل الناس؟ قال: والله إنه ليعجبني كثرة طعامك، ولكنني مرتاب من عينك، قال: وما يريبك منها؟ قال: أراك أعور تطعم الطعام، وقد سمعت من أحد خطباء المساجد أنها صفة الدجال، فضحك المغيرة، وقال: كل يا أعرابي، فإن الدجال لا تصاب عينه في سبيل الله.

كان لأحد تجار بغداد ولدان فتنا بغداد بحسنتهما وأدبهما، فلما بلغ الأكبر أراد والده أن يحصنه كما كان يفعل التجار الورعون المحافظون على دينهم،

فاشترى له جارية بألف دينار، وأخبره ألا يعلم أخاه بذلك، ولكن حدث أن وصل الخبر إلى ابنه الأصغر عن طريق أحد معارفه، وقال له: إن أباك خص أخاك بشيء دونك، فقال له: بم خصه؟ قال: بجارية اشتراها له، فقال الأصغر: هو إليها أحوج، وأنا عنها أغنى غير أنني أشفق أن يتسع الخرق، وما علمت أن والدي فضل أحد أبنائه على الآخر منذ نشأنا، وأنا أجله عن المشافهة، ولكن هات دواة وبياضاً، فكتب إليه:

ليس لي بعد إلهي	مُشتكى إلا إليك
وأخي في الفضل مثلي	وكلنا في يديك
إنما ابنك كعينيك	فداو مقلتيك
إن أذقت العين كحلاً	هاجت الأخرى عليك

فابتاع الأب جارية أخرى لابنه الأصغر، وأنفذها إليه.

### شريح والجراد

٧٩٤

سئل شريح القاضي عن الجراد؟ فقال: قبَّح الله الجراد في خلقه سبعة جبابرة: رأسها رأس فرس، وعنقها عنق ثور، وصدرها صدر أسد، وجناحها جناح نسر، ورجلاها رجلا جمل، وذنبها ذنب حية، وبطنها بطن عقرب.

### درهم بـ ١٢٠ ألف درهم

٧٩٥

روى التوخى في كتابه (الفرج بعد الشدة) أنه كان لرجل مغزل، فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً، فمر على رجلين كل واحد منهما أخذ برأس صاحبه، فقال: ما هذا؟ فقيل: يقتتلان في درهم، فأعطاهما ذلك الدرهم، وليس له شيء غيره، فأتى إلى امرأته، فأخبرها بما جرى له، فجمعت له أشياء من البيت،

فذهب ليبيعهها، فكسدت عليه، وممر على رجل ومعه سمكة قد أروحت، فقال له: إن معك شيئاً قد كسد ومعى شيء قد كسد، فهل لك أن تبيعني هذا بهذا؟ فباعه، وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت، وقال لزوجته: قومي، فأصلي أمر هذه السمكة، فقد هلكتنا من الجوع، فقامت المرأة تصلحها، فشقت جوف السمكة، فإذا هي بلؤلؤة قد خرجت من جوفها، فقالت المرأة: يا سيدي، قد خرج من جوف السمكة شيء أصغر من بيض الدجاج، وهو يقارب بيض الحمام، فقال: أريني، فنظر إلى شيء ما رأى في عمره مثله، فطار عقله، وحار لبه، فقال لزوجته: هذه أظنها لؤلؤة، قالت: أتعرف قدر اللؤلؤة؟ قال: لا، ولكن أعرف من يعرف قدر ذلك، ثم أخذها، وانطلق بها إلى أصحاب اللؤلؤ وإلى صديق جوهرى، فسلم عليه، فردَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وأخرج تلك اللؤلؤة، وقال: انظر كم قيمة هذه، فقال بعد نظر طويل: عليّ أربعون ألفاً، فإن شئت أقبضتك المال تلك الساعة، وإن طلبت الزيادة فاذهب بها إلى فلان، فإنه أثنى بها لك منى، فذهب إليه، ونظر إليها، واستحسنها، وقال: لك بها ثمانون ألفاً، وإن شئت الزيادة فاذهب بها إلى فلان، فإنه أثنى بها لك منى، فذهب بها إليه، فنظر فيها، واستحسنها، وقال: لك بها على مئة وعشرون ألفاً، ولا أرى أحداً يزيدك شيئاً، فقال: نعم، فوزن له المال، فحمل الرجل من ذلك اليوم اثنتي عشرة بكرة بكل بكرة عشرة آلاف درهم، فذهب بها إلى منزله ليضعها فيه، فإذا فقير واقف بالباب يسأل، فقال: هذه قصتي التي كنت عليها، ادخل، فدخل الرجل، فقال: خذ نصف هذا المال، فأخذ الرجل الفقير ست بدرات، فحملها، ثم تباعد غير بعيد، ورجع إليه، وقال: ما أنا بمسكين ولا فقير، وإنما أرسلني إليك ربك عزَّجَلَّ الذي أعطاك بالدرهم عشرين قيراطاً، فهذا الذي أعطاك قيراطاً منه، وذخر لك تسعة عشر قيراطاً.

قال مالك بن دينار: قلت للحسن البصري: ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا؟ قال: موت القلب، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة، فعند ذلك ترحل

عنه بركات العلم، ويبقى عليه رسمه، وعن الحسن أنه عاد عليلاً، فوجده قد شفني من علته، فقال: أيها الرجل، إن الله قد ذكرك فاذكروه، وقد أقال فاشكره، ثم قال: إنما المرض ضربة سوط من ملك كريم، فإما أن يكون العليل بعد المرض فرساً جواداً، وإما أن يكون حماراً عثوراً معقوراً.

### هيات أبا معاذ

٧٩٧

حضر الشاعر الماجن بشار بن برد إلى دار الخليفة العباسي المهدي والناس ينتظرون الإذن، فقال أحد الموالي لمن بالباب: عندكم في معنى النحل من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]. وهي قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]. يعني العلم. فقال بشار: أراني الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بني هاشم، فقد أوسعتنا غثاة، فدعا بهما، وحدثه بشار بالقصة، فضحك المهدي حتى أمسك بطنه.

### شربة ماء

٧٩٨

قال أبوحنيفة: احتجت إلى ماء بالبادية، فجاءني أعرابي ومعه قربة ماء، فأبى أن يبيعيها إلا بخمسة دراهم، فدفعت إليه خمسة دراهم، وقبضت القربة، ثم قال: يا أعرابي، ما رأيك بالسويق؟ فقال: هات، فأعطيته سويقاً ملتوتاً بالزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثم عطش، فقال: شربة، قلت: بخمسة دراهم، فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء، فاسترددت الخمسة، وبقي معي الماء.

جاء في فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة السابق رَحِمَهُ اللهُ قَالَ (٧٥/١): وأنا أقص الآن قصة عبدالرحمن البكري من أهل نجد، كان أولاً من طلاب العلم على العم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ وغيره، ثم بدا له أن يفتح مدرسة في عمان يعلم فيها التوحيد من كسبه الخاص، فإذا فرغ ما في يده أخذ بضاعة من أحد، وسافر إلى الهند، وربما أخذ نصف سنة في الهند، قال الشيخ البكري: كنت بجوار مسجد في الهند، وكان فيه مدرس إذا فرغ من تدريسه لعنوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإذا خرج من المسجد مرَّ بي، وقال: أنا أجيد العربية، لكن أحب أن أسمعها من أهلها، ويشرب عندي ماءً بارداً، فأهمني ما يفعل في درسه، قال: فاحتلت بأن دعوته، وأخذت (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونزعت ديباجته (الغلاف) ووضعت على رف في منزلي قبل مجيئه، فلما حضر قلت: أتأذن لي أن آتي ببطيخة؟ فذهبت، فلما رجعت إذا هو يقرأ، ويهز رأسه عجباً، فقال: لمن هذا الكتاب، هذه التراجم عناوين الفصول شبه تراجم البخاري هذا والله نفس البخاري؟! فقلت: لا أدري، ثم قلت: ألا نذهب للشيخ الغزوي لنسأله، وكان صاحب مكتبة، فدخلنا عليه، فقلت للشيخ الغزوي: كان عندي أوراق سألتني الشيخ: لمن هي؟ فلم أعرف، ففهم الغزوي المراد، فنادى من يأتي بكتاب (مجموعة التوحيد) فأتى بها، فقابل بينها، فقال: هذا لمحمد بن عبد الوهاب، فقال العالم الهندي مغضباً وبصوت عالٍ: الكافر! فسكتنا، وسكت قليلاً، ثم هدأ غضبه، واسترجع، ثم قال: إن كان هذا الكتاب له فقد ظلمناه، ثم صار كل يوم يدعو له، ويدعو معه تلاميذه، وتفرق تلاميذه له في الهند، وإذا فرغوا من القراءة دعوا الله جميعاً للشيخ محمد بن عبد الوهاب. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ أرأيت كيف يُنسى التعصب؟ وقد رمي الإمام المجدد ابن عبد الوهاب بمثل ذلك، وأكثر وكذلك رمي الأئمة من قبله ومن بعده، ولكن لا يبقى إلا ما ينفع الناس.

تجادل الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ وشيوعي، فقال الشيوعي: أنا مع اليسار الإسلامي! فقال الشيخ: الإسلام دين ليس له يسار، وليس له يمين، إنه نهج فذ يخالف المغضوب عليهم كما يخالف الضالين. قال: أعني أنني مع رأي أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال الشيخ: إنني أعرف أنك شيوعي، فهل أنت مع أبي ذر في الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين؟ هل أنت مع الرجل الصالح في أداء الفرائض من صلاة وصيام وترك المنكر من خنا وبغي؟ هل أنت معه في الإيثار والرحمة، فلا تبقي لديك فلساً لأنك أسرع الناس إلى البذل والمواساة وطلب الآخرة؟ إن أبا ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عاش زاهداً مجاهداً لم يخذل الإسلام في موطن، ولا نکص في معركة؟ بل كان أصرح الناس رأياً وأشدهم في الله بأساً، فما أنت وأبوذر؟ قال: أنا أتابعه على رأيه في المال، إنه يحرم أن يستبقي أحد عنده فوق حاجته، قلت ضاحكاً: أحسبك تكلف الآخرين بهذا الرأي، أما أنت فما أحسبك تتنازل للفقراء عن قصر ملكته بطريقة ما، أو مزرعة جاءتك، ولو بطريق الميراث. لقد ظننتم أبا ذر شيوعياً والرجل بعيد عن هذه النزعة، إنه مسلم صالح يتبع القرآن والسنة، ولا يعدل بهما شيئاً في الأولين والآخرين. ويرى المسلمون أنه في الأزمات التي تهدد الإسلام، وتهز أركانه يجب ألا يدخر أحد نفساً ولا مالاً، وقد كان جمهور المؤمنين في الأيام العصبية مثل غزوة العسرة يتنافسون في دعم الجهود الحربية، فمنهم من يخرج من ماله كله، ومنهم من يخرج من نصف ماله، ومنهم من يبذل القناطر المقلطة. وكذلك كانوا يتبادلون في أيام السلام، فلا يدعون محروماً، ولا يضعون ضعيفاً، ونهضت تقاليد الكرم، وخفت نوازع الشح، واستقر بين الناس إنفاق ما زاد عن الحاجة، لكن شيئاً من ذلك لم يعطل آيات الموارث، ولم يمنع أصحاب الفضول أن تكون لهم مدخرات تنفعهم في غدهم، وتنفع ذرياتهم من بعدهم، ولم يخفف

التفاوت بين الأغنياء والفقراء في مقادير الثروات التي يحوزونها، الذي اختفى هو التصور والبأساء، ربما ظن أبوذر أن النعماء التي شاعت سببها أن أحداً لم يمسك شيئاً يزيد عن حاجته، وربما سبق إلى ذهنه أنه يحرم الادخار على المؤمن. لقد اتفق أولو الرأي والعقل على أن ذلك خطأ، فهل يعني ذلك اتهام الرجل الصالح بأنه من اليسار الإسلامي؟ إن الشريعة في البناء أخت العقيدة في الأساس، ومع الشريعة والعقيدة معاً نسير، ونرفض أي تحريف.

### لم يعص الله في بلاد المتحليلين

٨٠١

قال المرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ عمر التلمساني رَحِمَهُ اللهُ: ليس للمرأة دخل في حياتي على الإطلاق، فما أحببت بالصورة الخيالية السائدة لدى الفتيات والفتيان، ولو حضرت مجلساً فيه من النساء أكثر من الرجال اعتراني طوفان من الخجل: إنني لا أستطيع أن أنظر إلى امرأة في وجهها، أو أحقق النظر إليها. بل إنني لا أحب الحديث إلى النساء، قد يرى المتحضرين أن هذا عيب، وقد يرونه جبناً، لكنني لا شأن لي بالنظريات الحديثة ومساواة المرأة بالرجل، فأنا ما زلت أعتقد أن الرجل رجل، وأن المرأة امرأة ولذلك خلقها الله، ولا يستطيع البشر أن يغيروا حكمة الله في خلقه مهما قدموا لشبابنا المساكين من نظريات براقة تدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة، إن المرأة التي تؤمن بمساواتها بالرجل امرأة فقدت أنوثتها قبل أن تخسر عفافها وكرامتها. وكنت قد أعطيت تعليماتي لوكيل مكنتي ألا يدخل عليّ امرأة بمفردها، بل لا بد أن يدخل معها إلى مكنتي، ولما حضرت مؤتمراً للنساء في دولة الإمارات كنت أعجبت من جرأة بعض النساء في توجيه الأسئلة التي كنت أجيب عنها في لف ودوران، وكنت في فندق بمدينة كومو في إيطاليا، وحددت موعداً في صالون الفندق للحلاقة، فلما دخلت لم أر إلا نساءً، فسألت: من سيحلق لي شعري؟ فأشاروا إلى فتاة، فقلت: أليس من رجل؟ قالوا: لا! فقلت: لا رجل، إذن لا حلاقة. ويات الفندق يتحدث عن هذه الواقعة،

وبت أحمد الله على أني لم أعصه في بلاد المتحللين. هذا هو دور المرأة في حياتي. ليس الإزوجة وفيه وفرت لي السعادة المنزلية جاءتني بأبناء وبنات هم موضع احترام كل من لقيهم، وأنا أريد أن أنفي من أذهان الناس أن هذا التصرف احتقار مني للمرأة، أبداً فالله وحده يعلم كم أحترم النساء، وأرى في تصرفي هذا غاية الاحترام لهن. إنني من الدعاة إلى تعليم المرأة لكي تباشر من الأعمال ما يتناسب مع أنوثتها وشرفها حتى تكون دائماً فوق مستوى الشبهات والأقاويل، وبحسب المرأة في الإسلام أن الله ساوى بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات وفي المثوبة والعقاب.

قال الشيخ المجاهد الدكتور عمر عبدالرحمن من مرافعاته في قضية الجهاد، وهو يعلق على كلام القضاة الذين حاكموه، حيث قال أحدهم: «ونسوا أن بغيتهم كان رجلاً نزف العمر في حب الله وفي حب مصر!!» فهل تعلمون من هو هذا الرجل؟ إنه الرجل الذي أعلن أن الأديان كلها سواء، فالإسلام والمسيحية واليهودية أديان واحدة، وأن عقيدة التوحيد لا تختلف عن عقيدة التثليث، وأن من قالوا: إن المسيح ابن الله وأن عزيزاً ابن الله لا يختلفون مع من قال: إن الله واحد: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣-٤] إن هذا الرجل جعل أحفاد القردة والخنازير من الضالين الذين كفروا بربهم، ونعتوه بصفات النقص، مثلهم كمثل المسلمين، بل اتخذهم أولياء وأصدقاء وأحباباً، فوصف السفاح اليهودي العالمي بقوله: صديقي الحميم بيجن.. إن هذا الرجل الذي نزف العمر في حب الله قد غرق في هذه المحبة حتى نادى بمجمع واحد للأديان، وبتوحيد كتب الدين المدرسية للطلاب مسلمين كانوا أو مسيحيين، إن الرجل الذي قضى عمره في حب الله قد أباح في بلده كل ما حرم الله من خمر وميسر وربا، وسمح ببيوت الليل والملاهي الموبقة أن تملأ مصر، وتنتشر

في عهده الأسود، حتى وصلت حقارته ودناءته أن أقام احتفالات كبرى من أموال الشعب المطحون لتكريم الفاجرات والمخنثين فيما أسماه أعياد الفن، إن ذلك العابد لله كان يسخر من شرع الله، فيصف حجاب المرأة المسلمة أنه خيمة، وأن الإسلام جعل المرأة كالكرسي والحجر، وكان من فرط حبه لله لا يستحي أن يعصي الله جهرة، فيراقص النساء، ويعانقهن أمام شاشات التلفزيون، والقمر الصناعي ينقل صورته من أمريكا إلى العالم كله، وكل هذا زعمه لا يتنافى مع أخلاق القرية التي ينادي بها. هل تريدون مزيداً عن ذلك العابد الذي توعد علماء المسلمين وشيوخهم فزج بهم في السجون والمعتقلات، وهددهم قائلًا: لن أرحمهم! ووصفهم بأنهم مجانين، وأنهم في السجون كالكلاب. إن ذلك الرجل الذي تبكيه النيابة، وتدعي أنه نzf عمره في حب الله لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب على هواه، بل كان ينادي بكل منكر وقبيح، فقال: إن قدوته هو كمال أتاتورك العلماني الذي أعلن سقوط الخلافة الإسلامية، ثم قال فض فوه كلمته المشهورة: لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة! فخلع بذلك ربة الإسلام عن عنقه.

قال الأديب الأريب الأستاذ محمد حسين زيدان رَحِمَهُ اللهُ هذه الكلمة التي تستحق التسجيل: «نحن جيل الحمد لله، نشأنا في حضانة الأمهات والجيدات والعمات والخالات، فكل واحدة منهن أم الطفل، سواء كان من ضناه أو أن التي أضنت واحدة من الأسرة، فكل البيت بمن فيه وما فيه يشعر بالحنان. تعانقنا بالمحبة وارتبطنا بالمسؤولية، ومع العناية بالطفل والبيت لا تجد واحدة من أمهاتنا ومن إليهن خالية شغل. في البيت أكثر من منسج، وفي البيت مدبغة، وفي البيت أكثر من مغزل، كلهن يعملن يغزلن الصوف يدبغن الجلد وعلى المنسج أشغال الإبرة حلية زينة. لم ألبس طاقيّة اشتريها من السوق، فالطاقيّة السنارة من شغل

خالتي، حتى اللعب عرائس من القطن أو حيوانات من الطين على كل لعبة حلية من سعف النخيل عليها أصباغ شتى، فالأمهات قل أن يتعسرن في الولادة لأنهن يتحركن، يعملن كأنما العمل هو الرياضة، لا يصبن بالزلال ولا يتكرشن بالشحم، تلد الأم قبل وصول الداية، هي تقطع الصرة، ولا ترقد منعمة بعد الولادة، بل هي وبعد ساعة من ولادتها تقوم بمسؤولية البيت، أعرف إحدى الجدات ذهبت إلى الحقل حملت أكثر من ٤٠ كيلوجراماً من التمر، وبينما هي في الطريق فاجأها المخاض، فألقت حملها يحرسه طفلان كانا معها، واتخذت مكاناً قصياً تحت سدرية. أنجبت طفلة، دفنت الخلاص، حملت طفلتها، وحملت تمرها، وسارت إلى بيتها، فخبزت عجيناها، وطحنت قدرها، وأطعمت بنيتها، فرياضة العمل أكسبتها قوة الاحتمال، كان ذلك قبل، أما اليوم فنرمي الجلد الذي كن يحتفلن به، يغزلن صوفه ويدبغن ويصنعن القلص الدلو القربة السعن، كل شيء من الشاة حين تذبح لا يرمى، حتى الفرث يحمل ويدفن تحت النخلة سماداً لها، أما اليوم فلا شيء من ذلك، حتى إن كرش الخروف والرأس يرميان في الزبالة، ونسينا الكوارع مصيرها الزبالة، بينما كانت توصف لضعيف البنية أو المصدر. من هنا كثر المرضى، وانتفى الرضا، وأصبحنا نستورد الحبال والمكانس والزناييل، فهل أحمد الشظف الذي كان ينمو به الاقتصاد، وأذم الترف الذي أفقر الاقتصاد.

اسمعوا يا شباب

٨٠٤

في جريدة (الوفد) الصادرة يوم ٢٨/٤/١٤٠٦هـ:

قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م باسم الحرية والديمقراطية والعدالة، فماذا فعلت بهذه الثلاث؟ سحقت الحرية، وذبحت الديمقراطية، وألحقت العدالة بأخوات كان! فباسم الثورة وفي غياب الديمقراطية سيطر حكم الفرد ما نجم عنه الكثير الكاثر والخاسر من المغامرات غير المحسوبة ومن الخسائر الفادحة في الأنفس

والأموال، وباسم الثورة وفي غياب الديمقراطية استبيح الإنسان المصري في نفسه وفي شرفه وفي عرضه. فمثلاً كان حمزة البسيوني قائد السجن الحربي يقول للمعتقلين: أنا لا أتسلمكم بإيصال، إشارة إلى أنه لن يسأل عن الذين يختفون منهم، ويدفنون أحياء في صحراء مدينة نصر، وفي السجن الحربي كان يؤتى يا شباب، بأمهات كأمهاتكم وبنات كأخواتكم، ويعرين تماماً من ملابسهن، ثم يعرضن على آبائهن وأزواجهن وأبنائهن حتى يعترفوا بما يطلب منهم أن يعترفوا به، فإذا لم يفعلوا جيء بمن يفسق بهن أمام الزوج أو الأب أو الابن أو الأخ، وفي السجن الحربي الثوري جيء بسيدة فاضلة، وطرحها المجرمون أرضاً على ظهرها، وكشفوا عن نصفها الأدنى ثيابها، ثم أمروها أن تباعد بين ساقها وفخذها، ثم راحوا يتسلون بإطفاء السجائر في فرجها، وفي سجون الثورة هذه استورد مجرموها كلاباً مدربة على إتيان الرجال والشباب، والمجرمون يتلهون بهذا المنظر السعيد، ويصفقون طويلاً للكلب الذي ينجز مهمته في إتيان، وفي سجون الثورة هذه أخذ أستاذ جامعي رَحْمَةُ اللَّهِ لِمَثُولٍ أمام المحقق، كان يقف على يمين المحقق عسكري شائه المنظر، وإلى يساره عسكري آخر يحمل سوطاً مجدولاً، وبعد انتهاء التحقيق الذي أنكر فيه الأستاذ الجامعي كل أكاذيبه وضلالاته، التفت المحقق المهزوم والمخدول إلى الضحية، وقال له: أتري هذا العسكري؟ إنه سيجامعك الآن بجامعة النساء، فهل تحب أن يأتيك وهو محشش أو وهو سكران؟ وصعق الرجل من المفاجأة، وراح يهمهم، ويغمغم، ولا يكاد يبين، وهنا أشار المحقق لحامل السوط، فأوجعه ضرباً وجلداً، وأعاد المحقق السؤال، وقال الأستاذ وهو يلتقط أنفاسه: كما ترى يا سيدي، وأجاب المحقق: لا، لا بد أن تختار بنفسك، وتقول بأعلى صوتك تريده محششاً أم مخموراً، وأنقذه من هول الإجابة شلل أصاب لسانه، بيد أنه لم ينقذه من العذاب، ففقد وعيه، وسقط على الأرض، ثم لم يشعر بما أصابه إلا حين صحا من إغمائه ليجد نفسه ملقى على أرض زنزارة ممزق الجسد نازف الدماء، ثم نجد من يقول: هذه حالات فردية، ولقد كانوا سيضعونها في خانة المئات أو الألوف لو كانوا هم وأهلهم في عداد

القتلى والمعدبين. وفي عهد الثورة يا شباب، شهدت البلد هي والعباد مخابرات دمرت ثقة الإنسان بأخيه وبأمه وأبيه، وعاشت في الأرض والعرض فساداً يزري بكل فساد، وليس أدل على بأسها ورجسها إلا وقوف عبد الناصر بعد النكسة خطيباً في الناس يقول: الحمد لله لقد سقطت دولة المخابرات، وحتى بعد النكسة يا شباب، لم تتواضع الثورة، ولم تجد الخجل الذي يمنعها من اقتراف مذبحه القضاة.

وفي عهد الثورة يا شباب، ظل عبد الناصر على الرغم من جبروته عاجزاً أحد عشر عاماً عن نقل قائد الطيران الذي اتهمه بالتقصير الشديد في حرب ١٩٦٧م؛ لأن عبد الحكيم كان يعارض هذا النقل، ويرفضه، وهذا عاجل عقاب الله العادل لأي دكتاتور، يبدأ وكل القوة في قبضته، ثم لا يلبث حتى يرى نفسه قد سقط في قبضة الآخرين.

## سيف الله والقائد جرجة

٨٠٥

قال المؤرخون: تقدم في أثناء معركة اليرموك من قلب فرسان العدو محارب غارق في الحديد، فما زال حتى توسط بين الصفين، وهناك انطلق ينادي بصوت ضخم: ليخرج إلي خالد، وما هو إلا تحققت الأسماع والأبصار حتى عرفته، إنه جرجة بن تواذر أحد عمالة الروم وقائد مقدمتهم، وأقام خالد أبا عبيدة مكانه، ثم انطلق كشأنه كلما وجد فرصة للمبارزة يعدو بأشقره الحافي في اتجاه جرجة، وقد ملأته الغبطة، غير أنه ما كاد يقارب قرنه حتى سمعه يقول: شم سيفك يا خالد، ولأشم سيفي فإن لي إليك كلاماً. وردّ كلّ من البطلين سيفه إلى قرابه، وتدانيا حتى اختلفت أعناق دابتيهما، وبدأ جرجة الحوار: يا خالد، اصدقتي ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع، قال: لك ما طلبت، فسل ما تشاء، قال: بالله أسألك هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من

السماء، فأعطاكه، فلا تسله على قوم إلا هزمتهم؟ قال: اللهم، لا، قال: فبِمَ إذن سميت سيف الله؟ قال: إن الله عزَّ وجلَّ بعث فينا نبيه، فدعانا، فتنرنا، ونأينا، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، فكنت فيمن كذبه، وباعده، وقاتله، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا، فهدانا به، فتابعناه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنت سيف من سيوف الله سلَّه الله على المشركين»<sup>(١)</sup>، قال: ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين. قال: لقد صدقتني، والآن أخبرني الإم تدعوني؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله، قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية على أن نمنعه كل عدو يريد به شراً، قال: فإن لم يعط الجزية؟ قال: نوذنه بحرب، ثم نقاتله، وصمت جرجة يفكر، ثم استأنف: فما منزلة الذي يدخل فيكم، ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأولنا وآخرنا، قال: وهل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد، مثل مالكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم، وأفضل. قال: كيف يساويكم، وقد سبقتموه؟ قال: إنا دخلنا في هذا الأمر، وبايعنا نبينا، وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وأنتم لم تروا، ولم تسمعوا ما رأينا وسمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم حقيقة ونية كان أفضل منا. قال جرجة، وقد رقت لهجته، وترقرق فيها أثر اللهفة والحنين: أسألك بالله ألق صدقتني، ولم تخادعني، ولم تتألفني؟ وفي حزم حاسم أجاب خالد: بالله لقد صدقتك، وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة، وإن الله لولي ما سألت عنه. ولم يبق في صدر جرجة أي محل للريب، فإذا هو يقلب ترسه، ويقول لخالد: أجل، لقد صدقتني، فهل معك، وعلمني الإسلام. فأسلم، وقاتل في صفوف المسلمين.

(١) أخرجه البخاري (١٤٣/٥ رقم ٤٢٦٢) بلفظ قريب، أما اللفظ المذكور فقد صححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٢٠٧).

جاء في مقال للأخ الكاتب الإسلامي الدكتور محمد بن سعد الشويعر في (جريدة الجزيرة) ١٤٠٦/٥/٧ هـ في مقال تحت عنوان (عندما يسلم المفكرون) بتصريف: فهذا مثلاً الدكتور الفرنسي موريس بوكاي كان من أعداء الإسلام، وكان أشد عداوة للقرآن والرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان كلما جاءه مريض مسلم محتاج إلى العلاج الجراحي، فإنه إذا تم علاجه، وشفي يقول له: ماذا تقول في القرآن هل هو من الله تعالى أنزله على محمد أم هو من كلام محمد نسبه إلى الله افتراءً عليه؟ وقد ذكر عن الدكتور محمد تقي الدين الهلالي العالم المغربي أنه قابله في باريس، وقال له: إن المريض يجيبني هو من الله ومحمد صادق، فأقول له: أنا أعتقد أنه ليس من الله وأن محمداً ليس صادقاً، فيسكت، ومضيت على ذلك زماناً، حتى جاءني الملك فيصل بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية، فعالجته علاجاً جراحياً حتى شفي، فألقيت عليه السؤال نفسه المتقدم ذكره، فأجابني بأن القرآن حق، وأن محمداً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صادق، قال: فقلت له: أنا لا أعتقد صدقه، فقال لي الملك فيصل: هل قرأت القرآن؟ فقلت: نعم، قرأته مراراً، وتأملت، فقال الملك فيصل: هل قرأته بلغته أم بغير لغته؟ قال: بل قرأته بالترجمة فقط، فقال لي: إذن أنت تقلد المترجم، والمقلد لا علم له، إذ لم يطلع على الحقيقة، لكنه أخبر بشيء فصدقه، والمترجم ليس معصوماً من الخطأ والتحريف عمداً، فعاهدني أن تتعلم اللغة العربية، وتقرأ بها، وأنا أرجو أن يتبدل اعتقادك هذا الخاطئ. قال: فتعجبت من جوابه، فقلت له: سألت كثيراً قبلك من المسلمين، فلم أجد الجواب إلا عندك، ووضعت يدي في يده، وعاهدته على ألا أتكلم في القرآن ولا في محمد إلا إذا تعلمت اللغة العربية، وقرأت القرآن بلغته، وأمعت النظر فيه حتى تظهر لي النتيجة بالتصديق أو بالتكذيب. فذهبت من يوم- والكلام لموريس بوكاي- إلى الجامعة الكبرى بباريس إلى قسم اللغة

العربية، واتفقت مع أستاذ بالأجرة أن يأتيني كل يوم إلى بيتي، ويعلمني اللغة العربية ساعة واحدة كل يوم، حتى يوم الأحد الذي هو يوم الراحة، ومضيت على ذلك سنتين كاملتين، ولم تفتني ساعة واحدة، فتلقيت منه سبع مئة وثلاثين درسًا، وقرأت القرآن بإمعان، ووجدته هو الكتاب الوحيد الذي يضطر المثقف بالعلوم العصرية إلى أن يؤمن بأنه من الله لا يزيد حرفًا ولا ينقص، أما التوراة والأنجيل الأربعة ففيها كذب كثير لا يستطيع عالم عصري أن يصدقها (عن مقال له نشر بمجلة البحوث الإسلامية العدد ١١) وقد دخل موريس بوكاي بعد هذه الحادثة الإسلام، واهتم به، وألف كتابًا أحدث صدى عالميًا اسمه (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، وقد ترجم لسبع لغات عالمية منها اللغة العربية، وطبع طبعات عدة، مرات عدة، ومضمونه الدفاع عن القرآن الكريم وبيان أنه حق من عند الله بالقرائن العقلية والنقلية، وفضح التوراة التي بيد اليهود اليوم والأنجيل الأربعة التي بأيدي النصارى الآن، وأبان أنه دخلها التعديل والتحويل بالقرينة العلمية التي تناقض ما وضعوا في كتبهم، مع أنه كان منهم ومن المتحمسين لدعوتهم، ما ذلك إلا بعد أن عرف فكر الإسلام ونظراته البعيدة، فتغير فكره السابق الذي كان يحمله ضد الإسلام ورسوله الكريم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم صار يدافع عن هذا الرأي تأليفًا ومحاضرات ومناقشات، فتأثر به كثير من بني جنسه، وأصبح رأيه هذا من أوسع أبواب المعرفة والدعوة لدين الإسلام؛ لأنه دخله عن قناعة وفهم.

قدم الأمير أبونصر بن مروان مائدتته، وكان عليها قطاتان مشويتان، فنظر إليها أحد الرجال من أصحابه، وضحك، فسأله الأمير عن سبب ضحكك؟ فقال: كنت في عنفوان شبابي قاطعًا للطريق، فمر بي تاجر، فأمسكت به، وأردت قتله، فتضرع إليّ أن أخلي سبيله، فما أفاده تضرعه، فلما رأى أنني قاتله لا محالة

التفت إلى حجلتين كانتا في الجبل، وقال لهما: اشهدا أنه قاتلي، فلما رأيت هاتين الحجلتين على سماطك تذكرت حمقه، فضحكت، فقال الأمير: لقد صدق الرجل، وشهد عليك إقرارك، وشهدت الحجلتان، ثم ضرب عنقه.

### تخيّر أخوال أولادك

٨٠٨

قال أحد الأعراب يوماً لأولاده: والله لقد أحسنت إليكم قبل أن تولدوا صغاراً وكباراً، قالوا: إننا عرفنا أنك أحسنت إلينا صغاراً وكباراً، فكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: تخيرت لكم من الأمهات من لا تُعيرون بها.

### ثلاث وثلاث

٨٠٩

قالوا: ثلاث لا يصلح فسادهن بشيء من الحيل: العداوة بين الأقارب، وتحاسد الأكفاء، والركاكة في العقول. وثلاث يستفسد صلاحهن بنوع من المكر: العبادة في العلماء، والقنوع في المستبصرين، والسخاء في ذوي الأخطار. وثلاث لا يشبع منهن: الحياة والعافية والمال. وثلاث تبطل ثلاثاً: الشدة مع الحيلة، والعجلة مع التأنى، والإسراف مع القصد.

### لا يفضح شعبه

٨١٠

رفع صاحب الخبر إلى المأمون: «إنا أصبنا يا أمير المؤمنين، رقاعاً فيها كلام السفهاء والسفلة، وفيها تهديد ووعيد، وبعضها عندنا محفوظ إلى أن يأمر أمير المؤمنين فيها بأمره». فكتب المأمون إلى صاحب الخبر رسالة جاء فيها: «هذا أمر إن أكبرناه كثر غمنا به، واتسع خرقة علينا، فمر أصحاب أخبارك متى وجدوا مثل هذه الرقاع أن يمزقوها قبل أن ينظروا فيها، فإنهم إذا فعلوا ذلك لم يظهر لها أثر ولا عين».

أقول:

على كل مسؤل أن يرفق بالناس، فهم أهله أو قومه، وبالرفق يكسبهم، وبالشدة يخسر قلوبهم وأبدانهم.

## عَجَلُ الْهَدِيَّةِ

٨١١

حج أبو جعفر المنصور مرة، فقال للربيع وزيره: «أبغني فتى من أهل المدينة ظريفاً عالماً بقديم ديارها ورسوم آثارها، فقد بعد عهدي بديار قومي، وأريد الوقوف عليها» فالتمس له الربيع فتى من أعلم الناس بالمدينة، وأعرفهم بظريف الأخبار وشريف الأشعار، فعجب المنصور منه، وكان يسايره أحسن مسaire، ويحاضره أزين محاضرة، ولا يبتدئه بخطاب إلا على وجه الجواب، فإذا سأله أتى بأوضح دلالة وأفصح مقالة، فأعجب به المنصور غاية الإعجاب، وقال للربيع: «ادفع إليه عشرة آلاف درهم» وكان الفتى المدني محتاجاً إلى هذه النقود، ولكن الربيع تشاغل عنه، ولم يعطه شيئاً مما أمر له المنصور، فاضطر الفتى المدني إلى الاقتراض من بعض أصدقائه، وحدث أن اجتاز مع المنصور دار عاتكة بنت يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية الذي يقول فيه الأصوص:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعرُّلُ      حذرَ العدا وبه الضؤادُ موكلُ

فقال المنصور في نفسه: ما هاج منه ما ليس هو طبعه من أن يخبر بما لم يستخبر عنه، ويجب بما لم يسأل عنه؟ ثم أقبل يردد أبيات القصيدة في نفسه إلى أن بلغ آخرها، وهو:

وأراكَ تفعلُ ما تقولُ وبعضهم      مذاقُ اللسانِ يقولُ ما لا يفعلُ

(مذاق اللسان: كذب فيه أو مزج الجد بالهزل) فدعا المنصور وزيره الربيع، وقال له: هل دفعت للمدني ما أمرنا له به؟ فقال: أخرته عنه علة كذا يا أمير المؤمنين، قال: «أضعفها له، وعجلها».

قال الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: دخلت مكنتي فتاة لم يعجبني زيها أول ما رأيتها، غير أنني لمحت في عينيها حزناً وحيرة يستدعيان الرفق بها، وجلست تبثني شكوكها وهمومها متوقعة عندي الخبر، واستمعت طويلاً، وعرفت أنها فتاة عربية تلتقت تعليمها في فرنسا لا تكاد تعرف عن الإسلام شيئاً، فشرعت أشرح حقائق، وأرد شبهات، وأجيب عن أسئلة، وأفند أكاذيب للمبشرين والمستشرقين حتى بلغت مرادي أو كدت، ولم يفتني في أثناء الحديث أن أصف الحضارة الحديثة بأنها تعرض المرأة لحمماً يغري العيون الجائعة وأنها لا تعرف ما في جو الأسرة من عفاف وجمال وسكينة، واستأذنت الفتاة طالبة أن أذن لها بالعودة، فأذنت، ودخل بعدها شاب عليه سمات التدين يقول بشدة: ما جاء بهذه الخبيثة هنا؟ فأجبت: الطبيب يستقبل المرضى قبل الأصحاء ذلك عمله، قال: طبعا نصحتها بالحجاب، قلت: الأمر أكبر من ذلك، هناك المعاد الذي لا بد منه، هناك الإيمان بالله واليوم الآخر والسمع والطاعة لما جاء في الكتاب والسنة والأركان التي لا يوجد الإسلام إلا بها في مجالات العبادات والأخلاق، فقاطعتني قائلاً: ذلك كله لا يمنع أمرها بالحجاب، قلت في هدوء: ما يسرني أن تجيء في ملابس راهبة وفؤادها خال من الله الواحد، وحياتها لا تعرف الركوع والسجود، إنني علمتها الأسس التي تجعلها من تلقاء نفسها تؤثر الاحتشام على التبرج، فحاول مقاطعتي مرة أخرى، فقلت له بصرامة: أنا لا أحسن جر الإسلام من ذيله كما تفعلون، إنني أرسى القواعد، وأبدأ البناء، وأبلغ ما أريد بالحكمة، وجاءتني الفتاة بعد أسبوعين في ملابس أفضل، وكانت تغطي رأسها بخمار خفيف، واستأنفت أسئلتها، واستأنفت شروحي، ثم قلت لها: لماذا لا تذهبين إلى أقرب مسجد من بيتكم؟ وشعرت بندم بعد هذا السؤال؛ لأنني تذكرت أن المساجد محظورة على النساء، لكن الفتاة قالت: إنها تكره رجال الدين، وما تحب سماعهم، قلت:

لماذا؟ قالت: قساة القلوب غلاظ الأكباد يعاملوننا بصلف واحتقار. ولا أدري لماذا تذكرت هند امرأة أبي سفيان التي أكلت كبد حمزة، ونالت من الإسلام ما نالت، إنها كانت لا تعرف رسول الله، فلما عرفته، واقتربت، وآمنت به قالت هذه الكلمات: يا رسول الله، والله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يذلوا من أهل خبائك، وما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك. إن نبع المودة الدافع من قلب رسول الله الكريم بدل القلوب من حال إلى حال، فهل يتعلم الدعاة ذلك من نبيهم، فيؤلفون بدل أن يفرقوا، ويبشروا بدل أن ينفروا!

### الأعرابي وابن عيينة

٨١٣

قيل: إن أحد الأعراب كان يلزم سفيان بن عيينة مدة طويلة يستمع إلى ما يرويه من الأحاديث، فلما أراد الأعرابي السفر إلى بلاده سأله سفيان: «ما أعجبك من حديثي يا أعرابي؟» فقال الأعرابي: ثلاثة أحاديث فقط: أولها: حديث السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الحلوى والعلس. وثانيها: حديثه عليه الصلاة والسلام إذا وقع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤوا بالعشاء، وثالثها: حديث عائشة ليس من البر الصيام في السفر!

### العاشق المسكين

٨١٤

حكى الأصمعي قال: بينما كنت أسير في بادية الحجاز، إذ مررت بحجر كتب عليه هذا البيت:

أيَا مَعْشَرَ الْعِشَاقِ بِاللَّهِ خَبِّرُوا      إِذَا حَلَّ عَشَقٌ بِالْفَتَى كَيْفَ يَصْنَعُ؟

فكتب الأصمعي تحت ذلك البيت:

يُداري هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ سِرَّهُ وَيَخْشَعُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَيَخْضَعُ

ثم عاد في اليوم المقبل إلى المكان نفسه، فوجد تحت البيت الذي كتبه هذا البيت:

وكَيْفَ يُدَارِي وَالْهَوَى قَاتِلُ الْفَتَى وَيَوْمَ كُلِّ يَوْمٍ قَلْبُهُ يَتَقَطَّعُ؟

فكتب الأصمعي تحت ذلك البيت:

إِذَا لَمْ يَجِدْ صَبْرًا لِكْتِمَانِ سِرِّهِ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ يَنْفَعُ

قال الأصمعي: فعدت في اليوم الثالث إلى الصخرة، فوجدت شاباً ملقى تحت ذلك، وقد فارق الحياة، وقد كتب في رقعة الجلد هذين البيتين:

سَمِعْنَا أَطْعَمْنَا ثُمَّ مِتْنَا فَبَلَّغُوا سَلَامِي إِلَى مَنْ كَانَ لِلْوَصْلِ يَمْنَعُ

هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النِّعِيمِ نَعِيمُهُمْ وَلِلْعَاشِقِ الْمَسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

### قتيبة وأسيره

٨١٥

عن أبي عبيدة قال: أتيت الحجاج بقوم كانوا قد خرجوا عليه، فأمر بقتلهم، وبقي منهم واحد، فأقيمت الصلاة، فقال الحجاج لقتيبة بن مسلم: «ليكن عندك وتغدو به علينا» قال قتيبة: «فخرجت والرجل معي، فلما كان في بعض الطريق قال لي الرجل: هل لك في خير يا قتيبة؟ فقلت: ما هو؟ قال: عندي ودائع للناس، وإن صاحبك الحجاج لقاتلي لا محالة، فهل لك أن تخلي سبيلي لأودع أهلي، وأعطي كل ذي حق حقه، وأوصي بما عليّ ولي، والله تعالى كفيلي بأن أعود إليك غداً؟ فتعجبت من قوله، وتضاحكت منه، ثم إنه أعاد عليّ القول مرة أخرى، وقال: يا هذا، لله عليّ أن أعود إليك، وما زال يلح إليّ أن قلت: اذهب. فلما توارى عني انتهت إلى نفسي، فقلت: ماذا صنعت بنفسك يا قتيبة؟ ثم أتيت إلى أهلي، فباتوا بأطول ليلة، فلما أصبحنا إذا برجل يقرع الباب، فخرجت

وإذا بالرجل، فقلت: رجعت؟ قال: جعلت الله كفيلاً، ولا أرجع؟ فانطلقت به، فلما أبصرني الحجاج قال: أين الأسير يا قتيبة؟ قلت: إنه بالباب أصلح الله الأمير، فأحضرتة، وقصصت عليه القصة، فجعل الحجاج يردد نظره فيه، ثم قال: وهبته لك، فانصرفت به، فلما خرجت من الدار قلت له: اذهب أين شئت، فرفع الأسير رأسه إلى السماء، وقال: اللهم، لك الحمد، ثم إنه لم يزد لي أي كلمة أخرى، وانصرف، فلما كان في اليوم الثاني جاءني، فقال: يا هذا، جزاك الله عني أفضل الجزاء، والله ما ذهب هذا عني أمس، وما صعقت، ولكني كرهت أن أشرك في حمد الله تعالى أحداً.

## المؤمن والكافر

٨١٦

ذكر أبو نعيم في كتابه (حلية الأولياء) عن ثابت البناني أنه قرأ: (حم السجدة) حتى إذا بلغ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠] وقف فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعث من قبره يلتقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له: لا تخف، ولا تحزن، وأبشر بالجنة التي كنت توعده، قال: فأمن الله خوفه، وأقر الله عينه، فما عظمة تغشى الناس يوم القيامة، فالمؤمن في قرة عين لما هداه الله له، ولما كان يعمل في الدنيا. وقال عمرو بن قيس الملاي: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة وأطيب ريح، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، إلا أن الله قد طيب ريحك، وحسن صورتك، فيقول: كذا كنت في الدنيا، أنا عمك الصالح طالما ركبتك في الدنيا اركبني اليوم، ثم تلا: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] وأما الكافر فيستقبله عمله في أقبح صورة وأنتن ريح، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، إلا أن الله قد فجع صورتك، ونتن ريحك، فيقول: كذلك كنت في الدنيا، أنا عمك السيئ، طالما ركبتني في الدنيا، وأنا اليوم أركبك، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلْسَاءَ مَا يَرِزُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

يوم القيامة يُنادى بالأغنياء وأهل الغبطة، فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله؟ فيقولون: أعطانا الله ملكاً وغبطة شغلنا عن القيام بحقه في دار الدنيا، فيقال لهم: من أعظم ملكاً أنتم أم سليمان؟ فيقولون: بل سليمان فيقال: ما شغله ذلك عن القيام بحق الله والدأب في ذكره. ثم يقال: أين أهل البلاء؟ فيؤتى بهم أنواعاً، فيقال لهم: أي شيء شغلكم عن عبادة الله تعالى؟ فيقولون: ابتلانا الله في دار الدنيا بأنواع من الآفات والعاهات شغلتنا عن ذكره والقيام بحقه، فيقال لهم: من أشد بلاء أنتم أم أيوب؟ فيقولون: بل أيوب، فيقال لهم: ما شغله ذلك عن حقنا والدأب لذكرنا. ثم ينادى: أين الشباب العطرة والمماليك؟ فتقول الشباب: أعطانا الله جمالاً وحسناً فتننا به فكنا مشغولين عن القيام بحقه، وكذلك المماليك فيقولون: شغلنا رق العبودية في الدنيا، فيقال لهم: أنتم أكثر جمالاً أم يوسف عليه السلام، فلقد كان في رق العبودية ما شغله ذلك عن القيام بحقنا ولا الدأب لذكرنا؟ ثم ينادى: أين الفقراء، فيؤتى بهم أنواعاً، فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله تعالى؟ فيقولون: ابتلانا الله في دار الدنيا بفقر شغلنا، فيقال لهم: ما أشد فقراً أنتم أم عيسى عليه السلام؟ فيقولون: بل عيسى، فيقول لهم: ما شغله ذلك عن القيام بحقنا والدأب لذكرنا. فمن بلي بشيء من هذه الأربعة فليذكر صاحبه.

روى ابن حزم بسنده قال: أتى أبو بكر رضي الله عنه بسارق، فقال: اقطعوا يده، فقال اللص: أقتنيها يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سرقت قبلها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: كذبت والذي نفسي بيده ما غافص الله مؤمناً بأول ذنب يعمله. (غافصه: أخذه على غرة). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أتى عمر بن

الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بسارق، فقال: والله ما سرقت قبلها، فقال له عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كذبت ورب عمر ما أخذ الله عند أول ذنب، وقيل: إن علياً بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: الله أحلم من أن يأخذ عبده من أول ذنب يا أمير المؤمنين، فأمر به عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقطع. فلما قطع قام إليه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال له: أنشدك الله كم سرقت من مرة؟ قال له: إحدى وعشرين مرة.

كان عندنا مثل ذلك

٨١٩

في ألمانيا الغربية استقال ألبرت أوزوولد رئيس وزراء ولاية هيس ورئيس الحزب الاشتراكي فيها؛ لأنه كان يدير بنك كالدولة، وخسر البنك نتيجة قرارات أصدرها، وقد اضطر إلى الاستقالة من جميع مناصبه، ورفعت عنه الحصانة، واعتزل السياسة. وفي إنجلترا اجتمع مجلس إدارتها أن يستقيل، ودهش رجال المال في إنجلترا، فهذا رجل يهودي ومن أوسع رجال الأعمال نفوذاً، وكان صديقاً حميماً لمستر ويلسون رئيس الوزراء السابق الذي طلب من الملكة قبل أن يستقيل مباشرة أن تنعم على هذا المليونير بلقب سير، وهو صاحب نفوذ ضخم في حزب العمال الحاكم، وفوق ذلك كله فالمعروف عنه أنه من أكبر المشجعين في إنجلترا لإسرائيل، وأكبر المتبرعين لها، ورجال المال اليهود في كل أنحاء العالم يعدونه حصناً من حصونهم، وقال أعضاء مجلس الإدارة: إن المليونير اشترى طائرة هيلوكبتر من أموال الشركة، ووضعها تحت تصرف رئيس الوزراء في المعركة الانتخابية دون أن يستأذن مجلس الإدارة، وتصرف في أموال الشركة بغير استئذان مجلس الإدارة، وأرغمه المجلس على أن يرد مبلغ (٥٠) ألف جنيه للشركة، ورفض المليونير اليهودي أن يستقيل، ودعت الجمعية العمومية للمساهمين للاجتماع في ١٧ مايو لتقرر مصير المليونير. ولم يستطع أحد أن يحمي المليونير، ولا أن يدافع عنه، ولم يفتح ويلسون فمه بكلمة؛ ذلك لأن المليونير خالف القانون حتى لو كان ذلك لمصلحة رئيس الوزراء، وصحيح أن المليونير يملك نسبة

ضخمة من أموال الشركة، ولكن ليس من حقه أن يقدم خدمة لرئيس الوزراء  
بغير أن يستأذن مجلس الإدارة، وبغير أن يستأذن أصغر مساهم في الشركة.

أقول:

كان عند العرب والمسلمين أعظم من ذلك، أقولها بمرارة وحنن، وأسأل  
الله العلي القدير أن نسترد بضاعتنا.

ثمانية وعشرون !

٨٢٠

لقي غلام أعرابي أبا العلاء المعري، فقال له: من الشيخ يكون؟ قال المعري:  
أنا أبو العلاء المعري شاعركم المعروف! فقال الغلام: أهلاً بالشاعر الفحل، ذي  
القول الجزل، والرأي الفصل، أنت القائل في شعرك:

وإنِّي وإن كنتُ الأخيرَ زمانهُ      لآتٍ بما لم تستطعهُ الأوائلُ؟

قال أبو العلاء: نعم، أنا القائل ولا فخر! فقال الغلام: قول طيب، وثقة  
بالنفس واعتداد، ولكن الأوائل قد وضعوا ثمانية وعشرين حرفاً للهجاء، فهل لك  
أن تزيد عليها حرفاً واحداً؟! فسكت أبو العلاء، وقال بعد ذلك: والله ما عهدتُ  
لي سكوتاً كهذا السكوت!

يضحكون وبقية الأجل ٤٥ ثانية!

٨٢١

هذا بالضبط ما حصل لطاقم تشالنجر الفضائي الذي طيّره وكالة الفضاء  
الأمريكية (ناسا) يوم الثلاثاء الموافق ١٨/٥/١٤٠٦هـ، ففي ذلك اليوم عرض التلفاز  
على الناس صورة خمسة رجال وامرأتين، وهم متوجهون إلى مركبة الفضاء تشالنجر  
في طريقهم إلى الصعود، وهم فرحون، ويضحكون، والناس من حولهم يصفقون  
فرحين، وفي لحظات بدأ التشغيل، وصعدت المركبة فوق صواريخ الإطلاق، وعلى  
متنها الرواد والوقود المعد، وهو بحجم هائل قُدِّر بنصف مليون جالون، وصعدت

المركبة والعالم كله تقريباً يراها بواسطة الشاشة، وبعد أقل من ٤٥ ثانية من الصعود إذا بها تنفجر بالفضاء بمن فيها، وتصير هباءً منثوراً، ودهش الناس كل الناس لهذا الحدث غير المتوقع، والقصد من تسجيله هنا هو العظة والعبرة، كيف تتغير أحوال الكون والناس كلمح البصر، سرور وحزن، ونجاح وسقوط، وموت وحياة، وصدق الله العظيم، حيث يقول: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

### بخيل وجبان

٨٢٢

لما قتل عبدُ الملك بنُ مروان مصعبَ بنَ الزبير وجَّه أخاه بشر بن مروان على الكوفة، ووجَّه معه روح بن زنباع الجذامي وزيراً، وكان روح رجلاً عالماً داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم، فلما رأى أهل الكوفة من بخله ما رأوا تخوفوا أن يفسد عليهم أمرهم، وكانوا قد عرفوا جبنه، فاحتالوا في إخراجه عنهم، فكتبوا ليلاً على بابه:

إِنَّ ابْنَ مَرْوَانَ قَدْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ فَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ يَا رُوحُ بَنَ زَنْبَاعِ

فلما أصبح، ورأى ذلك لم يشك أنه مقتول، فدخل على بشر، واستأذنه في الشخوص، فأذن له، وخرج حتى قدم على عبد الملك، فقال له: ما أقدمك؟ قال: يا أمير المؤمنين، تركت أخاك مقتولاً أو مخلوعاً، قال: كيف عرفت ذلك؟ فأخبره الخبر، فضحك عبد الملك حتى فحص برجليه، ثم قال: احتال لك أهل الكوفة، حتى أخرجوك عنهم!

### قرآن مسيلمة

٨٢٣

حكى الشعبي قال: كنت في المسجد الجامع في الكوفة، إذ قام أعرابي يصلي وخلفه قوم جلوس، فقال: «الله أكبر أفلح من هبَّ إلى صلاته، وأخرج الواجب من زكاته، وأعم المسكين من نخلاته، وحافظ على بغيره وشاته». فضحك القوم،

فقال: «أمن هيمنتي ضحكتم؟ أشهد عند الله على عمتي أنها سمعت هذه الآيات من فم مسيئة!»

لما أهدق المشركون واليهود بالمدينة، وحوصر المسلمون في دورها، وأزقتها على النحو الذي قال الله فيه: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿[الأحزاب: ١٠].

في هذه الأزمة العصيبة أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إغراء بعض القبائل بفك الحصار لقاء جُل من ثمار يثرب، فبعث إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة، فذكر ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد بن معاذ وسعد بن عباد، واستشارهما فيه قالا: يا رسول الله، أشيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر تحبه، فنصنعه أم شيء تصفه لنا؟ قال: «بل شيء أصنعه، والله ما أصنع ذلك إلا أنني قد رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم» فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك الله وعبادة الأصنام، لا نعبد الله، ولا نعرفه، ولا يطعمون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة، فحين كرمنا الله بالإسلام، وأعزنا بك نعطيههم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيههم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنت وذاك» (١) فتناول سعد الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتابة، ثم قال: ليجهدوا علينا.

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٩٤/٢)، وانظر: البداية والنهاية (١٢٠/٤).

قال الصحفي محمود السعدني في (جريدة السياسة) ما يلي: دخلت سجن القلعة ثلاث مرات: مرتين وهو سجن، والمرة الأخيرة وهو متحف، ووقفت أمام الزنزانة التي ضمتني شهوياً عدة، وتمنيت لو أنهم علّقوا على بابها لوحة تضم أسماء الذين تشرفوا بالنزول فيها على مر الزمان، ولقد كان سجن القلعة أحط سجن وأحقره عرفته مصر، ومعظم السياسيين المصريين دخلوه، وعدد كبير أيضاً من المسؤولين ورجال الحكم؛ عاش مدة بين جدران المملوك حمصي أخضر الذي حكم مصر حقبة، ونزل فيه مفتي الديار المصرية في عهد فايربك بعد الغزو العثماني، وفي العصر الحديث سجنوا فيه الإخوان المسلمين والشيوخيين وبعض أقطاب الثورة، فقد دخله علي صبري نائب رئيس الجمهورية، وشعراوي جمعة وزير الداخلية، وشمس بدران وزير الحربية، وصلاح نصر مدير المخابرات، وعباس رضوان وزير الداخلية، وأمين هويدي مدير المخابرات، وأحمد كامل مدير المخابرات، وعبدالمحسن أبوالنور رئيس الاتحاد الاشتراكي. وجدرانه مصنوعة من الحجارة نفسها التي بنوا بها الأهرام، وهي تجعل الصيف قطعة من جهنم، وتجعل الشتاء قطعه من القطب الشمالي، ولا أحد استطاع الهروب من سجن القلعة؛ لأنه أقيم على جبل المقطم وفوق قمة عالية من قممه، وأي محاولة من هذا النوع سيكون مصيرها الهلاك، حبذا لو اهتمت وزارة الداخلية، فأصدرت سجلاً بأسماء الذين دخلوا سجن القلعة في العصر الحديث على الأقل، وسيكتشف الناس عندئذ أن ٩٠٪ من كتّاب مصر دخلوه، و٢٠٪ من محامي مصر شرفوه، و١٠٪ من حكام مصر نزلوا ضيوفاً عليه، و٥٪ من النقابيين قضوا فيه مدة من الوقت، وأنه كان سجنًا لتحالف قوى الشعب العامل في السياسة.

أقول:

﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، رأيت كيف فعل الله بمن عذبوا عباده؟ إن الجزاء من جنس العمل، سلط الله الظالمين على الظالمين، فأخرج منهم الصالحين.

ذكر التنوخي في كتابه (الفرج بعد الشدة) هذه القصة: كان ينزل بباب الشام من الجانب الغربي من بغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة يقال له: لبيب العابد، لا يُعرف إلا بهذا، وكان الناس ينتابونه، وكان صديقاً لأبي، فحدثني لبيب قال: كنت مملوكاً رومياً لبعض الجند، فرباني وعلمني العمل بالسلاح حتى صرت رجلاً، ومات مولاي بعد أن أعتقني، فتوصلت إلى أن حصلت رزقه لي، وتزوجت بامرأته، وقد علم الله أنني لم أرد بذلك إلا صيانتها، فأقمت معها مدة، ثم اتفق أنني رأيت يوماً حية داخلية في جحرها، فأمسكت ذنبها، فانثنت عليّ، فنهشت يدي فشلت، ومضى على ذلك زمان طويل، فشلت يدي الأخرى لغير سبب أعرفه، ثم جفت رجلاي، ثم عميت، ثم خرست، وكنت على ذلك الحال ملقى سنة كاملة، لم تبق لي جارحة صحيحة إلا سمعي أسمع به ما أكره، وأنا طريح على ظهري لا أقدر على الكلام ولا على الحركة، وكنت أسقى وأنا ريان، وأترك وأنا عطشان، وأهمل وأنا جائع وأطعم وأنا شعبان، فلما كان بعد سنة دخلت امرأة على زوجتي، فقالت: كيف أبو علي؟ فقالت لها زوجتي: لا حي، فيرجى ولا ميت، فيسلى. فأقلقني ذلك، وألمني ألماً شديداً. وبكيت، ورغبت إلى الله عز وجل في سري بالدعاء، وكنت في جميع تلك العلل لا أجد ألماً في جسمي، فلما كان في بقية ذلك اليوم ضرب علي جسمي ضرباً عظيماً كاد يتلفني، ولم أزل على ذلك الحال إلى أن دخل الليل وانتصف، فسكن الألم قليلاً، فتمت، فما أحس إلا قد انتهت وقت السحر وإحدى يدي على صدري، وقد كانت طوال هذه السنة مطروحة على الفراش لا تتشال أو تشال، ثم وقع في قلبي أن أتعاطى تحريكها، فحركتها فتحركت، فقبضت إحدى رجلي، فانقبضت فرددتها فرجعت، ففعلت مثل ذلك مراراً، ثم رمت الانقلاب من غير أن يقلبني أحد كما كان يفعل بي أولاً فأقلب بنفسي، وجلست ورمت القيام فأمكنني، فقممت ونزلت عن السرير الذي

كنت مطروحاً عليه، وكان في بيت الدار، فمشيت ألتمس الحائط في الظلمة؛ لأنه لم يكن هناك سراج إلى أن وقعت على الباب وأنا لا أطمع في بصري. فخرجت من البيت إلى صحن الدار، فرأيت السماء والكواكب تزهو، فكدت أموت فرحاً، وانطلق لساني بأن قلت: يا قديم الإحسان، لك الحمد. ثم صحت بزوجتي، فقالت: أبو علي؟! فقلت: الساعة صرت أبا علي؟ أسرجي. فأسرجت، فقلت: جيئني بمقراض، فجاءت به، فقصصت شارباً لي كان بزى الجند، فقالت زوجتي: ما تصنع؟ الساعة يعيبك رفقاًؤك. فقلت: بعد هذا لا أخدم أحداً غير ربي. فانقطعت إلى الله عزَّجَلَّ وخرجت من الدار، وطلَّقت الزوجة، ولزمت عبادة ربي، سبحانك يا رب، ما أعظم لطفك وأرأفك بعبادك!

### علو الهمة بلاء

٨٢٧

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: ما ابتلي الإنسان قط بأعظم من علو همته، فإن من علت همته يختار المعالي، وربما لا يساعد الزمان، وقد تضعف الآلة، فيبقى في عذاب، وإني أعطيت علو الهمة طرفاً، فأنا به في عذاب، ولا أقول: ليته لم يكن، فإنه إنما يحلو العيش بقدر عدم العقل، والعامل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل، ولقد رأيت أقواماً يصفون علو هممهم، فتأملتها فإذا بها في فن واحد، ولا يبالون بالنقص فيما هو أهم، قال الرضي:

ولكلِّ جسمٍ في النُحولِ بليَّةٌ      وبلاءُ جسمي من تفاوتِ همَّتي

فنزطت فإذا غاية أمله الإمارة، وكان أبو مسلم الخراساني في حالة شبيبته لا يكاد ينام، فقيل له في ذلك، فقال: ذهن صافٍ، وهم بعيد، ونفس تتوق إلى معالي الأمور، مع عيش كعيش الهمج والرعاع. قيل: فما الذي يبرد غليلك؟ قال: الظفر بالملك، قيل: فاطلبه، قال: لا يطلب إلا بالأهوال، قيل: فاركب الأهوال،

قال: العقل مانع، قيل: فماذا تصنع؟ قال: سأجعل من عقلي جهلاً، وأحاول به خطراً لا ينال إلا بالجهل، وأدبر بالعقل ما لا يحفظ إلا به، فإن الخمول أخو العدم، فنظرت إلى حال هذا المسكين، فإذا به قد ضيَّع أهم المهمات، وهو جانب الخبرة، وانتصب في طلب الولايات، فكم فتك وقتل حتى نال بعض مراده من لذات الدنيا، ثم لم يتنعم في ذلك أكثر من ثماني سنين، ثم اغتيل، ونسي تدبير العقل، فقتل ومضى إلى الآخرة على أقبح حال. وكان المتنبى يقول:

وَمَرْكُوبُهُ رَجُلَاهُ وَالثُّوبُ جِلْدُهُ	وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مَرَادِ أَحَدُهُ	وَلَكِنْ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبِي مَا لَهُ
فِيخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهْدُهُ	تَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرْبُهُ

### أسباب عدم إجابة الدعاء

٨٢٨

من العجب إلحاحك في طلب أغراضك، وكلما زاد تعويقها زاد إلحاحك، وتتسى أنها قد تمتنع لأحد أمرين: إما لمصلحتك، فربما طلبت معجل أذى، وإما لذنوبك، فإن صاحب الذنوب بعيد عن الإجابة. فنظف طرف الإجابة من أوساخ المعاصي، وانظر فيما تطلبه هل هو لإصلاح دينك أو لمجرد هواك؟ فإن كان للهوى المجرد فاعلم أنه من اللطف بك والرحمة لك تعويقه، وأنت في إلحاحك بمنزلة الطفل يطلب ما يؤذيه، فيمنع رفقاً به، وإن كان لإصلاح دينك فربما كانت المصلحة تأخيره، أو كان صلاح الدين بعدمه، وفي الجملة تدبير الحق عَزَّجَلَّ لك خير من تدبيرك، وقد يمنحك ما تهوى ابتلاءً لئبلو صبرك، فأره الصبر الجميل تَرَ عن قرب ما يسر، ومتى نظفت طرق الإجابة من أدران الذنوب، وصبرت على ما يقتضيه لك، فكل ما يجري أصلح لك، عطاءً كان أو منعاً.

سئل الشيخ خليل الرواف، وكان من أهل بريدة، ومن مواليد الشام عن أطرف موقف مر به؟ فقال: هناك موقف لا يخلو من طرافة على الرغم من صعوبته، وهو مع حمد المديفر من مدينة بريدة، وقد سافر إلى مصر، وترك ولده محمد وعمره سنتان، وطال به السفر حتى استقر في مصر مدة ٢٥ سنة. كانت هناك وقتها رحلات للعقيلات إلى مصر تحط بجمالها في القنطرة شرق، وهناك يستقبلون تجار العقيلات، ويشترون منهم الجمال والخيل، وكان ضمن هذه الرحلة محمد بن حمد المديفر، وكان حمد المديفر قد نزل على ولده محمد بالقنطرة شرق ليشتري منه، فمرّ عليهم أحد رجالات العقيلات، وكان يعرف الاثنين، فقال له: قُرت عيناك يا حمد، بولدك محمد. فدُهِش حمد المديفر، وقال له بصوت قوي: أين هو؟ فقال له: هو الذي أمامك، وتشتري منه الجمال، وكانت المفاجأة المذهلة!

قال أحد الرجال، حينما رزقه الله المال بعد ذهاب الشباب:

ما كنت أرجوه إذ كنت ابنَ عشرينا	ملكته بعد أن جاوزتُ سبعينا
تطيفُ بي من بني الأتراكِ أغزلةٌ	مثلُ الغصونِ على كَثبانِ ييرينا
وخردٌ من بناتِ الرومِ رائعة	يحكينُ بالحسنِ حورَ الجنةِ العينا
يغمرنني بأساريعٍ منعمة	تكادُ تعقدُ من أطرافِها لينا
يردنُ إحياءَ ميتٍ لا حراكَ به	وكيفَ يُحيينَ ميتًا صارَ مدفونا

عند وفاة القائد العربي المهلب بن أبي صفرة دعا من حضر من أبنائه، وكانوا كلهم فرساناً، منهم أشقاء وهم أبناء أم واحدة، ومنهم غير أشقاء، وهم الذين يسمون أبناء العلات، فلما دعاهم أمر بإحضار سهام، فحزمت، وقال: أترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا: نعم، قال: فهكذا الجماعة، فأوصيكم بتقوى الله وصلته الرحم، فإن صلة الرحم تُنسى في الأجل أي تزيد العمر، وتثري المال، وتكثر العدد، وأنهاكم عن القطيعة، فإن القطيعة تعقب النار، وتورث الذلة والقلّة، فتحابوا وتواصلوا، وأجمعوا أمرهم ولا تختلفوا، تباروا تجتمع أموركم، إن بني الأم يختلفون فكيف ببني العلات؟ وعليكم بالطاعة والجماعة، وليكن فعلكم أفضل من قولكم، فإني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه، واتقوا الجواب وزلة اللسان، إن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته، ويزل لسانه فيهلك. اعرفوا لمن يغشاكم حقه، فكفى بغد الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك، فكيف الصنيعة عنده؟ عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة، وإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن أخذ رجل بالحزم، فظهر على عدوه قيل: أتى الأمر على وجهه، ثم ظفر فحمد، وإن لم يظهر بعد الأناة قيل: ما فرط، ولا ضيّع ولكن القضاء غالب، وعليكم بقراءة القرآن وتعلم السنن وأدب الصالحين، وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم.

جاء في كتاب (البخلاء) للجاحظ: قال الخليل: حُمّ الثوري - أي أصابته حمى - وحمّ عياله وخدمه، فلم يقدرُوا مع شدة الحمى على أكل الخبز، فربح كيلة تلك الأيام من الدقيق، ففرح بذلك، وقال: لو كان منزلي سوق الأهواز أو

نطاة خيبر أو وادي الجحفة - لأن هذه المناطق لا تفارقها الحمى - لرجوت أن أستفضل كل سنة مئة دينار، فكان لا يهتم أن يُحمّ هو وأهله أبداً بعد أن يستفضل كفايتهم من الدقيق.

## فوائد المسواك

٨٣٣

منذ العصور الأولى للإسلام والمسواك يستعمل لنظافة الأسنان وطهارة الفم وإكسابه رائحة منعشة. وفي قسم البحوث بشركة فاربا بازل ليمتد السويسرية للأدوية وبإشراف العلماء فيها، تم إجراء التجارب العلمية على خلاصة المسواك، فجاءت النتائج القاطعة والمذهلة باحتواء المسواك والمعروف علمياً باسم (سلفادورا برزيكا) على مواد قاتلة لجراثيم الفم الضارة التي تسبب التهابات اللثة وتسوس الأسنان. هذه النتائج أثبتت بالبحوث العلمية التي أجريت في كل من قسم الكيمياء بجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية، وقسم الكيمياء بجامعة أنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث جاءت المؤشرات الفارماكولوجية مؤكدة وجود المفعول المضاد للالتهابات والبكتيريا في نبات المسواك، وقد قام قسم البحوث العلمية بشركة فاربا بازل ليمتد باستبعاد الشوائب من خلاصة المسواك دون إضافة أي مواد كيميائية قد تكون لها بعض الآثار الجانبية الضارة. فمعجون الأسنان كوالي مسواك معتمداً على التقاليد الإسلامية والحكمة العربية أصبح الإجابة القاطعة لمتطلبات العصر في نظافة الأسنان والمحافظة عليها، هذه ليست من باب الدعاية للمعجون، وليس لي علاقة بتجارته، لا من بعيد ولا من قريب، ولكن حين قرأت ذلك تذكرت قول الله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] وتذكرت قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْلَا أَنِ اشْتَقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِم بِالْمَسْوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤/٢ رقم ٨٨٧)، ومسلم (١/٢٢٠ رقم ٢٥٢).

يقول محمد مهدي النراقي في كتابه (جامع السعادات ص ١٤٢): اعلم أن الخاطر ما يعرض في القلب من الأفكار، فإن كان مذموماً داعياً إلى الشر سمي (وسوسة) وإن كان محموداً داعياً إلى الخير سمي (إلهاماً). وتوضيح أن مثل القلب بالنسبة إلى ما يرد إليه من الخواطر مثل هدف تتوارد عليه السهام من الجوانب أو حوض تنصب إليه مياه مختلفة من الجداول، أو قبة ذات أبواب يدخل منها أشخاص مختلفون، أو مرآة منصوبة تجتاز إليها صور متباينة، فكما أن هذه الأمور لا تنفك عن تلك السوانح، فكذا القلب لا ينفك عن واردات الخواطر، ثم لما كان الخاطر أمراً حادثاً فلا بد له من سبب، فإن كان سببه الشيطان فهو الوسوسة، وإن كان ملكاً فهو الإلهام، وما يستعد به القلب لقبول الوسوسة يسمى إغواءً وخذلاناً، وما يتهيأ به لقبول الإلهام يسمى لطفاً وتوفيقاً، وإلى ذلك أشار سيد الرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «في القلب لمتان: لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمة من الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب الحق»<sup>(١)</sup>.

وبقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن»<sup>(٢)</sup>.

قال الأديب والشاعر عبد الله بالخير في ذكرياته عن الملك عبدالعزيز: كان الرئيس روزفولت قد بعث إلى جدة مدمرة أمريكية لتقل الملك عبدالعزيز إلى البحيرات المرة في قناة السويس. ثم اجتمع بعد ذلك بالمستر (تشرشل) في واحة الفيوم. وفي عودته وضع المستر تشرشل مدمرة بريطانية تنقله من

(١) أخرجه البزار في مسنده (٣٩٤/٥ رقم ٢٠٢٧)، والطبراني في أكبر معاجمه (١٠١/٩ رقم ٨٥٢٢)، والبيهقي

في شعب الإيمان (١٢٠/٤ رقم ٤٥٠٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ١٩٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٤٥/٤ رقم ٢٦٥٤).

ميناء السويس إلى جدة في عودته من تلك الاجتماعات، وفي المدمرة البريطانية قسمت غرف الضباط على كبار من كانوا في معية الملك، وجعلوا في كل غرفة ذات أسرة أربعة رجال، وكنت في إحداها مع الشيخين المستشارين خالد أبي الوليد القرقتي وبشير السعداوي، فكان جندي من بحارة المدمرة موكلًا بشؤون من في الغرفة، وكان على جانب من الطيبة والبساطة والمرح، فسأله الشيخ بشير السعداوي، وقد جلس معنا: ما أحب شيء إليك إذا عدت إلى إنجلترا في إجازة ترى أن فيها السعادة التي تتمناها؟ ففكر البحار البريطاني هنيهة، ثم قال: لعل من أسعد لحظاتي حينئذ أن آخذ زوجتي وأولادي في نزهة في شارع أوكسفورد بلندن، فنجلس في أحد مشارب الشاهي المحترمة -ولا شاهي فيها هذه الأيام- فيطلب الأولاد أن يتناولوا من أنواع الحلوى ما قد يوجد هناك، فيكون في جيبتي حينئذ ما أستطيع أن أشتري لهم به ما تمنوه واشتهوه، وأن ترى زوجتي ونحن نمر بعد ذلك على معارض الملابس في الواجهات الزجاجية في أكبر محال الأزياء (فستانًا) أو معطفًا بديعًا، فتقف تنظر إليه، فأسألها ما لفت نظرها هناك؟ فتشير إليه، وتقول لي: إنها قطعة ممتازة، فأجذبها من ذراعها، وأدخل بها إلى ذلك المحل، وأفاجئها بشراء ما استحسنت، وأجد في جيبتي حينئذ ما أحقق به أمنيته ورغبتها، ثم أخرج وقد تأبطت ذراعها أحمل لها ما اشتريناه، ونعود إلى منزلنا في سعادة وهناء.

ولقد أعجبنا، واستحسنا من ذلك الجندي البسيط هذا الإحساس المرهف العميق، فلما جاء وقت جلوس مجلس الملك عبدالعزيز في بهو المدمرة، وجلسنا، قص الشيخ السعداوي خبر الجندي وأمنيته على الملك، فاهتز رحمته الله لما سمع، وأعجب بأريحية ذلك الجندي وبشعوره الفياض نحو زوجته وأولاده، وأمرني أن أستدعيه في الحال، ففعلت، وأسقط في يد البحار، وارتبك ولم يصدق أن الملك يدعوه بالاجتماع به، وسألني في بساطة: هل هذا ما يريده صاحب الجلالة حقًا؟ فقلت له: نعم، فقال: وهل يجب أن ألبى دون استئذان من ربان المدمرة؟ فقال له: نعم، قال، ولا يزال مرتبًا حائرًا: والحقيقة أنني لم أجمع بملك، ولا أعرف

كيف يخاطب الملوك، ولا أدري كيف أتصرف الآن، فقلت له: تعال معي والأمر كله بسيط، وسترى بساطته هناك، فقال لي: وهل أذهب هكذا بالقميص دون (جاكته)؟ فقال له: نعم، فقال لي: إن هذا لا يجوز في تقاليدنا الإنجليزية، فقال له: هو جائز في تقاليدنا العربية، ثم جذبت يده، وتوجهت به إلى حيث يجلس الملك، فاستقبله استقبالاً ودياً متهلل الأسارير، ثم أمره بالجلوس على الكرسي المجاور لجلالته، فاضطرب الرجل ولم يدرك كيف يتصرف، فهمس في أذنه: اجلس حيث أمرك الملك، ففعل. واستدعى الملك صانع القهوة كالعادة، فشرب وشرب الحاضرون وبينهم الضيف، وهنا جاءت الطامة الكبرى على الرجل عندما أقبل قائد المدمرة لتناول القهوة والشاي مع الملك بحسب العادة خلال تلك الرحلة عصر كل يوم، فوثب الجندي مذعوراً من دخول رئيسه وهو يؤدي له التحية على تلك الحال، ودهش الربان مما رأى، وضحك الملك وهو يقول للربان: لقد دعونا الأخ لتناول الشاي والقهوة معنا حتى نسمع منه ما قصه علينا الأخ بشير مما سمعه منه. وأمرني الملك أن أقص على الربان حديث البحار معنا، ثم أمر له بمبلغ من المال جاؤوا به، فتسلمه الملك بيده من حامله، ثم مال على الجندي في جواره ومد به إليه وهو يقول له: خذ هذه الهدية حتى تشتري للأولاد ولأمهم ما يشتهون إذا عدت إليهم إن شاء الله، وارتبك البحار كيف يتسلم الهدية، وكنت أترجم له وللربان حديث الملك، فأمره الربان بأن يتقبل الهدية شاكراً، ففعل وقام منصرفاً تكاد تتعثر به خطاه من الحياء والفرح والحبور. ولم تسع الدنيا صاحبنا وهو منطلق نحو رفاقه البحارة مملوء اليدين بالهدية الملكية، وكانوا قد استمعوا بأن الملك قد استدعاه ليتناول معه القهوة والشاي، فلم يصدقوا ما رأوه، وسمعوه، وتجمعوا حوله يسألونه عما جرى وهو يصيح فيهم ولا يستطيع ضبط أعصابه من الانفعال، ويقول لهم: انظروا لقد سلمها الملك لي بيده أمام الربان، وأمرني الربان أن أقبلها، وأن أشكر جلالته عليها، ولقد أسقط في يدي، فلم أعرف كيف أشكر ولا ماذا يجب علي أن أقول، لم أصدق أنني بما قلته عفواً دون روية سأنال كل هذا الشرف في هذا اليوم.

وعندما وصل الملك إلى ميناء جدة، واستقبلته الجماهير الزاخرة في عرض البحر بزوارقها وأهازيجها وأحاطوا بالدمرة، نزل الملك إلى الزورق البخاري الذي أقله إلى الميناء، وكان البحار بينهم يؤدي التحية معهم في تأثر بالغ على أسارير وجهه، وحمله على أن يلوح بيده للملك، فبادلته الملك الإشارة بمثلها وهو يبتسم، فقد عرف أنها من البحار الطيب المرح.

أقول:

صدق الله العظيم، إذ يقول: ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] نعم، إنه الله الذي سخّر ملك العرب ليهب المال لهذا الرجل، وهو على غير دين الإسلام، ورحمة الله وعطاؤه ليس حكراً على أحد.

رقيب عتيد

٨٣٦

قال سفيان الثوري يوماً لأصحابه: أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا: لا، قال: فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله تعالى.

سلاح المسلمين المرعب

٨٣٧

يقول هانون وزير خارجية فرنسا السابق: «لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده، وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر».

ويقول البرمشادور: «من يدري؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية وفي الوقت المناسب».

ويتابع قائلاً: «لست متنبئاً، لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها. إن المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ: ها أنذا إنني لم أمت، ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداة تسييرها العواصم الكبرى ومخابراتها». ويقول أنطوني ناتج في كتابه (العرب): «منذ أن جمع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي، وبدأ أول خطوات الانتشار الإسلامي، فإن على العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وصلة تواجهنا عبر المتوسط». الشيء الغريب والمؤلم في آن واحد على الرغم من كل هذه الاعترافات من قبل أعداء الإسلام، هو أن نجد في بعض البلاد الإسلامية من يحاول إبعاد هذا السلاح الفاعل عن ساحة المعركة الدائرة بيننا وبين أعدائنا. إلى هؤلاء نقول: إن الأمة بأجمعها تطالبكم أن تغيروا سلوككم هذا؛ لأن أمتكم التي فتحت أعينها على النور لا يمكن أن تعود ثانية إلى عصور الظلام، عصور التبعية، عصور الشعارات البراقة الفارغة، فما دام الدواء لما حل بنا من نكبات ونكسات بات معروفاً، فكونوا أنتم الأطباء وهداة الركب، وكل انحراف بالأمة عن هذه الأمانى خيانة للأمانة وتقرير في الحق وتهديم للدولة.

كتب أحد عمال عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليه: إني بأرضٍ قد كثرت فيها النعم حتى لقد أشفقت على أهلها من ضعف الشكر.

فكتب إليه عمر: إني قد كنت أراك أعلم بالله مما أنت فيه. إن الله لم ينعم على عبد نعمة، فحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمه، ولو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

جاء في كتاب الإمام المجاهد الشيخ عمر التلمساني رَحِمَهُ اللهُ (قال الناس ولم أقل في حكم عبدالناصر): إذا أردت أن تعرف كيف كانت السياسة الاقتصادية في عهد عبدالناصر مخربة للوطن مسعدة لحاشيته وأنصاره، فاقرأ في جريدة (أخبار اليوم) السبت ١٠ ديسمبر سنة ١٩٧٧ م: «إن محمد حسنين هيكل أغنى اشتراكي في مصر، له عزبة يمتلكها في الهرم، وله شقة مطلة على النيل بها ست عشرة غرفة، وله شقة في الإسكندرية، وله يخت يملكه على شاطئ المعمورة». ولم يكذب هيكل حرفاً واحداً من هذه الاتهامات التي تمس الأمانة والذمة الطاهرة في صميمها. هيكل الذي كان قبل اتصاله بعبدالناصر لا يملك إلا مرتبه التافه. وثمان الإعلانات التي كان يكتبها للمرحوم أحمد عبود باشا. هذا هو المستشار الصحفي للزعيم المفدى بالدم والروح والمال، من كل ممخرق مأجور.

حضر السلطان بايزيد إلى المحكمة بين يدي شمس الدين محمد حمزة الفناري قاضي القسطنطينية ليشهد في قضية رفعت إليه، فما كان من قاضي القسطنطينية إلا أن يرد شهادة السلطان، ولم يقبلها، ولما سأل السلطان عن وجه ردها، جاءه الجواب الحاسم من القاضي المؤمن الذي لا يرهبه سلطان: إنك تارك للصلاة مع الجماعة. أرايتم ما طعن في صحة شهادة السلطان وجرأة القاضي الذي يستمد سلطته من شريعة الله لا من قوانين المضبوطين والمنهزمين؟ وكان جواب السلطان أن بنى جامعاً في الحال أمام قصره، وعين لنفسه موضعه فيه، ولم يترك صلاة الجماعة بعد ذلك.

عن كتاب (المنهزمين) ليوسف العظم، ص ٩٦.

روى صاحب كتاب (الرياض النضرة) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اشتريت إبلاً، وسقتها الحمى، فلما سمت قدمت بها، فدخل عمر رضي الله عنه السوق، فرأى إبلاً سماناً، فقال: لمن هذه؟ فقيل: لعبد الله بن عمر، فجعل عمر رضي الله عنه يقول: يا عبد الله، .. بخ .. بخ ابن أمير المؤمنين، فجئته أسعى، قلت: مالك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما هذه الإبل؟ قلت: إبل اشتريتها، وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر، هذا رأس مالك، واجعل الربح في بيت مال المسلمين.

في طريق عودة الرشيد إلى بغداد، رأى في الكوفة (بهلولاً) المجنون، فنصح بهلول الرشيد، وحاول الربيع إسكاته، فقال له الرشيد: قل يا بهلول، فقال:

هَبْ أَنْ قَدْ مَلَكْتَ الْأَرْضَ طَرًّا      وَدَانَ لَكَ الْعِبَادُ فَكَانَ مَاذَا؟  
أَلَيْسَ غَدًا مَصِيرُكَ جَوْفُ قَبْرِ      وَيَحْتُوا التُّرْبَ هَذَا ثُمَّ هَذَا؟

قال الرشيد: أجدت يا بهلول، أفغيره؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، من رزقه الله مالاً وجمالاً، فغف في جماله، وواسى في ماله، كُتِبَ في ديوان الله من الأبرار. فظن الرشيد أنه يريد شيئاً، فقال: إنا أمرنا بقضاء دينك. فقال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا يُقضى دين بدين، اردد الحق إلى أهله، واقض دين نفسك من نفسك. قال الرشيد: إنا أمرنا أن يجري عليك رزق تقات به، قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنه سبحانه لا يعطيك وينساني، وها أنا قد عشت عمراً لم تجر عليّ رزقاً، انصرف لا حاجة لي في جرايتك، قال الرشيد: هذه ألف دينار

خذها، قال: ارددها على أصحابها، فهو خير لك، وما أصنع أنا بها، انصرف عني، فقد أذيتني.

### الغلام الجشع

٨٤٣

قال الأصمعي: كنا عند الرشيد، فقدمت إليه فالوذجة، فقال: يا أصمعي، حدثنا بحديث مُزرد، فقلت: إن مزردًا أخا الشماخ كان غلامًا جشعًا، وكانت أمه تؤثر عيالها بالطعام عليه، وكان ذلك يُحفظه (يغضبه) فخرجت أمه ذات يوم تزور بعض أهلها، فدخل مزرد الخيمة، وعمد إلى صاعٍ دقيق، وصاع من تمر وصاع من سمن، فجمعه، ثم جعل يأكله وهو يقول:

وما غدت أمي تمير بناتها	أغرّت على العكم الذي كان يُمنع
لبكت بصاعي حنطة صاع عجوة	إلى صاع سمن فوقه يتربّع
ودبّلت أمثال الأثافي كأنها	رؤوس نقادٍ قطعت يوم تجمّع
وقلت لبطني أبشر اليوم إنه	حمى آمن مما تحوز وترفع
فإن كنت مصفورًا فهذا دواؤه	وإن كنت غرثانًا فذا يوم تشبع

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره، ثم قال: كلوا باسم الله هذا يوم تشبع فيه يا أصمعي.

### العقل والشرع

٨٤٤

قال حكيم: مثل العقل كمثل العين السليمة من الآفات، ومثل الشرع كمثل الشمس المنتشرة الضياء، والمستغني بإحداهما عن الأخرى معدودة في غمار الأغبياء؛ لأن العين السليمة دون ضوء الشمس لا ترى شيئاً، ولا ينتفع بها،

وكذلك ضوء الشمس لا ينفع العميان، فالشرع لا يستغني عن العقل، إذ هو أساس التكليف، وهو الذي يعقل الأوامر والنواهي عن الشرع، وكذلك العقل لا يستغني عن الشرع؛ لأن الشرع هو النور الإلهي الذي يرشدنا إلى ما فيه سعادتنا في الدنيا والآخرة من عقائد وعبادات وأخلاق، فمن دون الشرع يتيه العقل في أودية الضلال، وتتفرق به السبل، ويسبح في بحر الظلمات، لكنه يتأثر بالعصبيات والعنصريات، ويقلد ما في البيئة من ضلال وأوهام، فالشرع مع العقل نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء.

### خصمهم الحقيقي الإسلام

٨٤٥

جاء في كتاب (الله أو الدمار) لرئيس وزراء الأردن السابق سعد جمعة رَحْمَةُ اللَّهِ: ذكرت وكالة (الأسوشيتد برس) غداة الاحتفال بتشييع جنازة تشرشل في لندن أن (شالمان شازار وبن غوريون) اللذين مثلا الحكومة الإسرائيلية في ذلك الاحتفال، سارا مسافة ميل ونصف وهما الشيخان اللذان تجاوزا السبعين، ورفضوا ركوب العربة؛ لأن يوم الاحتفال كان يوم سبت، والدين اليهودي يحرم استخدام وسائل النقل في ذلك اليوم، وابن غوريون وغيره من القادة اليهود جميعهم دون استثناء لا يأكلون الطعام إلا إذا أعد وفقاً للعقيدة اليهودية وتحريماتها الواردة في التوراة، واليهود إلى هذه الساعة يرحمون السيارات في قلب تل أبيب إذا سارت أيام السبت في الطرقات، و(يوسف تيكواه) مندوب إسرائيل في الهيئة الدولية يعطل اجتماع مجلس الأمن ليقوم بالطقوس الدينية. والجماهير اليهودية حين وصلت إلى حائط المبكى في السابع من حزيران المشؤوم صلى بهم حاخامهم الأكبر صلاة النصر والظفر، فعلا النواح، وجلجلت الأصوات الهادرة: ليسقط محمد. اليوم انتهى محمد (محمد مات وخلف بنات) يا لثارات خيبر! لم يهتفوا ضد ناصر أو الأتاسي أو عارف أو الحسين أو غيرهم من قادة العرب وزعمائهم؛ لأن هدف المؤامرة هو محمد والإسلام. ومع ذلك لم

نسمع صوتًا واحدًا يرتفع في الساحة العربية للدفاع عن محمد ودين محمد، ولم نجد مفكرًا واحدًا يكتب حرفًا في تعبير اليهود بالأرضية الدينية، ولم نجد عربيًّا يسأل نفسه: لماذا يهتف القوم ضد محمد؟ ذلك لأن معظم من واجهوا إسرائيل في معركة الذل من التقدميين لا يعرفون محمدًا، بل لا يعرفون الله.

## إينشتاين والملحدون

٨٤٦

يقول إينشتاين: «إن الإنسان الذي يعدّ حياته وحياة غيره من المخلوقات عديمة المعنى ليس تعيسًا فحسب، بل هو غير مؤهل للحياة». ثم يقول: «إن العقل البشري مهما بلغ من سمو الإدراك والتفكير عاجز عن الإحاطة بالكون، ولا يمكن أن يدرك أكثر من الطفل الذي يدخل مكتبة كبيرة تضم عددًا ضخمًا من الكتب المختلفة بلغات متعددة، فهو يعلم أن هناك أشخاصًا قد كتبوا مثل تلك الكتب، ولكن لا يعرف من كتبها، ولا كيف كتبها، ولا يعرف اللغات التي كتبت بها، والطفل يلاحظ أن هناك طريقة معينة في ترتيب الكتب ونظامًا خفيًا لا يدركه هو، ولكنه يعلم بوجوده علمًا مبهمًا، فذاك شبيه بموقف العقل البشري من الله مهما بلغ من العظمة والسمو، وقد سأله مرة صحفي يدعى (فيرك): هل تؤمن بالله؟ فأجاب: ليس أمام أحد إلا ذلك، وإلا فليُنظر إلى السماء، وليسمع موسيقاها الرياضية، وليقل بعد ذلك: من هو ذاك الموسيقار والمهندس العظيم وراء كل شيء وكل نفس وكل عقل؟ إنني لست ملحدًا، ولا أدري إذا صح في القول بأنني من أنصار مذهب وحدة الوجود، فالمسألة أوسع نطاقًا من عقولنا المجردة».

أقول:

إينشتاين الذي يُعدّ بحق قمة العقل العلمي في العالم يؤمن بأن نطاق العقل محدود، وأدعو القارئ إلى مقارنة هذا التواضع العظيم ببعض صفار العقول من أنصاف المتعلمين الذين يسمون أنفسهم مفكرين ثوريين، وكل ثقافتهم حصيلة نتف سطحية من هنا وهناك، ولا يستحون أن يعتقدوا سفهاً أنهم بلغوا قمة المعرفة.

قال الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ فِي ذِكْرِيَّاتِهِ بِجَرِيدَةِ (الشرق الأوسط) ١٤٠٦/٩/٧ هـ: لقد عودت نفسي من الصغر ألا أفص على بائع، ولا أشتري بنفسي شيئاً، لا اللحم ولا الخضرة ولا الثياب ولا الأثاث، وإنما أؤكل من يشتري لي، وإذا أنا خالفت عادتي، واضطرتت إلى شراء شيء رجعت في كل مرة بقصة من أعجب القصص. من ذلك أنني دخلت مرة دكاناً في سوق الحميدية مع صديق لي يحب أن يشتري قماشاً لأهله، فتلقاني صاحب الدكان مسلماً ومعظماً، وأهوى لتقبيل يدي؛ لأنني كما يقول أستاذه وصاحب الفضل عليه: أهلاً وسهلاً بسيدنا يا مرحباً، من علمني حرفاً حفظت له وداً، قل لي يا أستاذ، ماذا تأمر لأخدمك بعيوني؟ ولم آمن أمر بشيء، ولكن هذا المدح والتعظيم، وأن الرجل سيخدمني بعيونه قد خدر أعصابي، كما يخدر الصياد الأسد والنمر بإبرة يطلقها عليه، أو كما يخدر الحوأة في الهند الحية الخطرة حتى ترقص بين يديه، والإنسان مفطور على محبة الثناء، فنظرت، فاخترت لونا من الحرير أعجبنى، فسألته عن ثمنه، فضحك، وقال: أي ثمن؟ محلك يا أستاذ! فحسبته أنه سيهديه إليّ، وحلفت أنني لا أخذ إلا بثمن، ولن أطلب أن يبيعي بربح معقول، قال: برأسمالي لا أريد منك ربحاً أبداً، وراح يحلف بذمته ودينه وأبيه وأمانته وشرف آبائه وعظام أجداده وما لا أذكر الآن من الأيمان التي لا يجوز أن يحلف بها مسلم إنه لا يبيعي إلا برأس المال، وكان في داري يومئذ خمس نسوة: عمتي، وأختاي، وزوجتي، وبنتي الكبرى، وبناتي الصغيرات، فاشتريت لهن جميعاً، وبلغ الثمن قريباً من ثلث الراتب، وذهبت إلى الدار، فقالت النساء: متى كنت تشتري؟ وبكم اشتريته؟ قلت: احزرن، قلن: بالله عليك إلا أن قلت، فأخبرتتهن بأن الرجل تلميذي، وقد خدمني بعيونه، فباعني برأس المال وهو كذا! قلن: لقد زاد عليه ٣٠٪ قلت: مستحيل! قلن: ما قولك إن ذهبت فلانة الآن - لجارة لهن خياطة - فجاءت بالقماش نفسه من المحل نفسه بخصم ٣٠٪ قلت: أنا أدفع الثمن، وأهدي

إليها القماش. وذهبت من فورها إلى الدكان التي اشتريت منها، ورجعت بعد ساعة، وقد أخذته بثلثي الثمن الذي دفعته أنا لتلميذي البار الذي حلف إنه لا يبيعهني إلا برأس المال!!

## جراح الخيبة الكبرى

٨٤٨

جاء في كتاب (تجربة عربي في الحزب الشيوعي) لقصري قلعي: قد تأكد لي أن المرء إنما ينتسب إلى الحزب الشيوعي وهو في سن المراهقة أو سن الشباب عن عاطفة نفسية لا عن اقتناع فكري، ثم يحاول إقناع نفسه عن طريق ما يقرأ أو يسمع، وهو لا يجب أن يقرأ أو يسمع إلا ما يدعم هذه المحاولة الجاهدة، يأخذ كل ما يدعمها، ويرفض كل ما يهدمها، ومن النادر جداً أن يستيقظ بعد ذلك، وتسقط العشاوة عن عينيه؛ لأن جو الافتتان المسحور الذي يعيش فيه سرعان ما يعطل عقله، ويفسد حكمه على الأمور، وينتزع من نفسه تلك الفضائل المثالية التي كانت دافعة إلى الانتساب إلى الحزب، كالأخوة والمحبة والطيبة والشعور الوطني والإنساني؛ لأن الحزب إنما يعمل أول ما يعمل على قتل الفضائل وتغيير صاحبها بها، بحجة أنها فضائل برجوازية ورواسب إقطاعية يجب التحرر منها، لهذا بقدر ما يكون الاندفاع نحو الشيوعية سهلاً يكون التحرر منها شاقاً وعسيراً، وقد كنت أرى المساوي، فأنكرها، وأشهد المخازي، فأخادع نفسي بشأنها، حتى كانت أحداث فلسطين أشبه بالقطرة التي تطفح بها الكأس المترعة، فانطلقت من شراك العنكبوت الشيوعي غير متحرج ولا نادم، وبقيت سنوات عدة، وأنا أمسح جراح الخيبة الكبرى.

## عمر والرجل الجميل العفيف

٨٤٩

روي أنه بينما كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعس ذات ليلة في سكك المدينة، إذ سمع امرأة تقول: هل من سبيل إلى خمرٍ، فأشربها، أم من سبيل إلى نصر بن

حجاج؟ فقال عمر: أما ما عشت فلا أرى معي في المدينة رجلاً تهتف به العواتق في خدورهن، عليّ بنصر بن حجاج. فلما أصبح أتى به، فإذا هو من أحسن الناس وجهاً وعيناً وشعرًا، فقال له: فتنت نساء المدينة يا ابن حجاج؟ والله لا تساكني بلدة أنا فيها، فقال: يا أمير المؤمنين، ما ذنبي؟ قال: هو ما أقول لك سرّ إلى البصرة. وأبرد عمر بريدًا إلى عتبة بن أبي سفيان بالبصرة، فأقام بها أيامًا، ثم نادى منادي عتبة: من أراد أن يكتب إلى أهله بالمدينة أو إلى أمير المؤمنين شيئاً فليكتب، فإن بريد المسلمين خارج، فكتب الناس، ودس نصر بن حجاج كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصر بن حجاج: سلام عليك. أما بعد يا أمير المؤمنين:

وما نلت من شتمي عليك حرام	لعمري لئن سيرتني أو حرمتني
وبعض أمانى النساء غرام	أئن غنت الذلقاء يوماً بمنية
بقاء فما لي في الندى كلام	ظننت بي الظن الذي ليس بعده
وقد كان لي في المكتين مقام	فأصبحت منفياً على غير ريبة
وأبأ صدق سالفون كرام	سيمنعني ما تظن تكرمي
وحال لها في دينها وصيام	ويمنعها مما تظن صلاتها
فقد جبّ مني كاهل وسنام	فهذان حالانا فهل أنت راجعي

فقال عمر: أما ولي ولاية فلا، وأقطعه أرضاً بالبصرة وداراً. فلما قتل عمر ركب راحته، ولحق بالمدينة.

كتب معاوية إلى المغيرة يأمره أن يعذب عبد الرحمن بن أبي بكر أشد العذاب حتى يعترف بما لديه من مال عمه زياد، فأحضر المغيرة عبد الرحمن، وألقى على

وجهه قطعة قماش من حرير نضحها بالماء، فأغمي عليه بعد ثوانٍ، وفعل ذلك به مرات، ثم أخلى سبيله، وكتب إلى الخليفة قائلاً: إنني عذبت عبدالرحمن، فلم أجد عنده شيئاً، ولقد أغمي عليه مرات في أثناء العذاب، فثبت لدي يقيناً أنه مفترى عليه، وليس لديه إلا ما يملكه هو مما لا يزيد على نفقته ونفقة من يعولهم.

أقول:

إذا كنت مسؤولاً، وابتليت بمثل هذا، فأكرب وجهك، وارخ يدك كما يقول المثل، فالغيرة أَرْضَى الخليفة، وما ضَرَّ صاحبه، فهذه هي الحكمة بعينها.

### أعمال لا يتصورها إبليس

٨٥١

سأل صحفي من جريدة (السياسة) الكويتية الإمام عمر التلمساني عليه رحمة الله قبل موته بأيام قليلة عن رأيه في التطرف المتهم به بعض الإخوان؟ فقال: إن ما نقوله هو أن النظرية شيء والتطبيق شيء آخر. الإسلام بعيد عن معظم ما تقرؤونه، هناك من ينحون بدوافع عدة إلى تطبيق خاطئ لمفاهيم الإسلام، على أن هذا لا يعيب هؤلاء المطبقين، خاصة وإن الإسلام لا يقر ما تسمونه بحزب الشيطان، صحيح أن هناك شباباً متطرفاً، والله أعلم بالأسباب التي دعتهم إلى هذا التطرف، وإن كنت أرى أن الإجراءات التي تمت في السجون المصرية لها ارتباط وثيق جداً بهذا التطرف المعروف الآن على الساحة المصرية، أعمال لا يتصورها إنسان، ولا يتصورها إبليس نفسه، فما حدث في سجون (٥٤ و٦٥) كانت رهيبة جداً، ويكفي أن تعلم أنهم أتوا بشقيقتي وعلى ملاء من الجنود والضباط، وهي عارية تماماً، وأنا مقيد بالجنازير، ماذا تفعل لو كنت مكاني في هذا؟ التطرف الحادث كما أقول ضمن أولى مسبباته ما حدث في هذه السجون.

أقول:

ما قاله الإمام لا نشك في صدقه، وقد علقنا على هذه الأمور في نادرة سابقة.

جاء في مجلة (الحوادث) في عددها ١٩٧٣/٦/٢٩ م ما يلي:

حيث أفاد أن الفريق صلاح محسن، والفريق محمد فوزي، ومدير المخابرات العسكرية قد تجاهلوا، وأهملوا، وتهاونوا في إبلاغ إندارات أربعة وُجّهت إليهم بتوقع الهجوم الإسرائيلي ذلك الصباح:

الإندار الذي وجهه الرئيس عبدالناصر إلى القوات المسلحة يوم ١٩٦٧/٦/٢ م.

الإندار الذي وجهه أمر مخابرات العريش الساعة ٢٣:٣٠ من مساء يوم ١٩٦٧/٦/٤ م. عن توقع الهجوم البري للعدو صباح اليوم التالي؛ أي قبل الهجوم الفعلي بست ساعات.

الإندار الموجه من قيادة سيناء إلى القيادة العامة في القاهرة ببدء الهجوم البري قبل الغارات الجوية بنحو ساعة ونصف.

الإشارة الموجهة إلى القيادة العامة من رادار عجلون في الأردن بإقلاع طائرات العدو في اتجاه مصر، وقد وصلت هذه الإشارة قبل نصف ساعة من وقوع الهجوم، وهي مدة كافية- كما قال المرحوم الفريق عبدالمنعم رياض- لتمكين المقاتلات المصرية من ملاقات الطائرات المغيرة.

إن هذه الإندارات الأربعة لو أُبلّغت في الحال إلى القيادات العسكرية البرية والجوية لتغيّرت وجهة المعركة كلياً، ولكنها اختفت، وضاعت، ولم ينكشف أمرها إلا في أثناء المحاكمات التي جرت في مصر بعد الهزيمة، حتى جاء حسين الشافعي نائب رئيس جمهورية مصر العربية ليعلن في محاضرة له بجمعية الشبان المسلمين في القاهرة قوله: «انقلوا على لساني أن الجيش المصري لم يحارب في

معركة ١٩٦٧م، بل هُزم بسبب الإهمال والخيانة، وأقول الخيانة واضعاً تحتها عشرة خطوط».

### العوني وعبيد الرشيد

٨٥٣

حدثني والدي قدّس الله روحه قال: عبد الله العوني والد الشاعر المشهور رجلٌ ذو نكتة وروح خفيفة، وهو من أمهر البنّاءة للبيوت وقصور الطين، وكان ذات يوم يبني قصرًا عند الأمير محمد بن الرشيد، ويضع فتحات للرمّاة من الداخل، فوقف عليه الأمير محمد وحيّاه، فردّ التحية، ثم نظر الأمير إلى الجدار، فقال له: الجدار قصير على السلم، فقال بعفوية: تكذب، فغضب الأمير، وأمر بإحضار السلم فوراً، ووضع على الجدار، فزاد عليه، والتفت الأمير إليه قائلاً: أكذب؟! فقال له على الفور: أكذب أنا يا الأمير، وضحك منه. وفي المساء على مأدّة العشاء التفت إليه الأمير الشاعر عبيد العلي، وقال: هاه يا أستاذ؟

ليتك حضرتن يوم زوجات الأذهان      السيف في يميني والدرع فوقي

ورد العوني قائلاً: لا، يا ذخري لن أحضر إن شاء الله إلا على هذه الصحيفة. يقول والدي: وصلوا ذات يوم صلاة الخسوف، حيث خُسف القمر، وذلك في قرية الربيعية، وأطال الإمام القراءة، ثم سلم، وقال: انظروا هل انجلى ما على القمر؟ قالوا: لا، فصلوا ثانية، وأطال الإمام، ثم سلم، وقال: انظروا، وبدا على العوني التعب، فقال: تكفينا نجيماتنا، وانصرف. يرحم الله الجميع.

### غصب للأرض

٨٥٤

حدثني الصديق الأستاذ محمد العلي السويح قال: حدثه من يثق به قال: كنت أسكن قرب مقبرة، ذات ليلة سمعت صوت صياح، وكذبت سمعي، وفي الليلة

الثانية تكرر الصوت من جانب المقابر، وقد استمرت الحال بشكل مزعج لا يدعني أنام، فتوضأت، وتطهرت، وعزمت على أن أمشي جهة الصوت، فحين سمعته ذهبت جهته، وإذا بي أمام قبر أسمع صاحبه يقول: قل لأولادي يردوا الأرض إلى أهلها، فاسترجعت إلى الخلف، وفي الصباح ذهبت أسأل عن صاحب القبر؟ فدللت عليه، وأخبرت أولاده بما حدث، فردّوا الأرض إلى صاحبها، وهدأ الصوت. يقول الرجل: سألت أحد العلماء؟ فقال: هذه منّة من الله على صاحب القبر.

مصلحة الضرائب في أمريكا تأخذ عينة عشوائية بواقع واحد من كل عشرة آلاف لتحري صدق المعلومات التي فيه؛ لأنه لا يمكن رد جميع الإقرارات ومناقشاتهما واحتمال رد إقرار المواطن العادي، أو أن تحقق معه مصلحة الضرائب وهو واحد من عشرة آلاف إلا مواطن واحد في أمريكا هو الرئيس نفسه، فلا يتساهل في أمره ولا بد من مناقشته والتحري عنه وإثبات صحة ما ذكره من معلومات، هذا الرئيس البائس يناقشه مأمور الضرائب كل سنة، ويطالبه بمستندات، ويفتش، وينقب في أوراقه لعله يجد أنه أخفى دولارًا، فيخرب بيته وبيت البيت الأبيض. وقد نشرت التفاصيل هذا العام (١٤٠٦هـ) عن مداخيل الرئيس وزوجته كالآتي: مرتبه ١٠٠ ألف دولار، ويحق له مخصصات ٥٠ ألف دولار، و ٢٠٠ ألف دولار مصاريف سفر، و ٢٠ ألفاً حفلات رسمية، وحصلت زوجته على ٧٧٢ دولارًا ثمن برامج تلفزيونية، وحصل من أملاكها ١١٥٩٦ فوائد ادخار، و ١٨٨٢٧ ربح من بيع عقار، و ٣٦٠٠ أجور أملاك، و ٢٢٨٣٤ حقوق تأليف كتاب قبل العمل في الحكومة، ولم يؤلفه وهو في السلطة و ٢٨٠ معاشه السابق في لكينورنيا. وأطرف ما عرف بمناسبة نشر الإقرار الضرائبي للرئيس هو تعبير الشركة العمياء؛ لأن

القانون يقضي أن يضع الرئيس فور انتخابه جميع أمواله وممتلكاته في شركة تتولى استثمارها دون أن يعرف أين تستثمر، فيشترون له أسهماً في أي شركة، ولا يخطر ونه بذلك، فلا يدري إلا في نهاية العام أنه كسب كذا أو خسر كذا احتياطي؛ لكيلا يعلم الرئيس أو الموظفون على تريبج الشركات المسهم فيها سيادته، مصلحة الضرائب وحدها هي التي تعلم. ألا يذكرنا ذلك بخليفتنا الراشد عمر بن الخطاب على حظر ابنه بالعمل على تجارة الجمال؛ حتى لا يقوم الناس تنحو لجمال ابن أمير المؤمنين، فتسمن إبلك، وتجوع جمال الناس. أه يا ابن الخطاب، أصبحت عندهم الشركة العمياء وعندنا الدولة والذمة عمياء. عن جريدة الوفد المصرية عدد ٢٧/١٠/١٤٠٦هـ.

### ابن سعود وأهل القصيم

٨٥٦

حدثني الأمير الوقور عبد الله الفيصل الفرحان آل سعود رَحِمَهُ اللهُ، وكان صديقاً لوالدي قال: حدثه الوجيه المرحوم فهد العلي الرشودي قال: اشتد الأمر على أهل القصيم في أثناء معارك الإمام عبدالعزيز بن سعود مع خصمه الكبير الأمير عبدالعزيز بن متعب آل رشيد، ومعروف أن كبرى المعارك حصلت في القصيم، مثل معركة البكيرية، ومعركة الشنانة، ومعركة روضة مهنا، وما قبلها وما بعدها. يقول الرشودي: وأحس الملك في عبقرية نادرة ما يجول في بعض النفوس من التملل، وأراد أن يشد أزر القوم بأن يقودهم بقلوبهم، وليس بأبدانهم فقط، وأراد الإعذار وتبيين الأمر لهم بأنه ليس في مصالحتهم أن يتركهم الإمام، ويتولى عليهم الأمير الصارم، وقال لهم بالحرف الواحد: يا أهل القصيم، أنا أحبكم، ولا أضمر لكم إلا كل خير، وقد رأيت ما فعلت الحروب بنا وبكم وأنا لا أكرهكم على الحروب، وأود والله الصلح بيني وبين هذا الرجل، يعني الأمير ابن رشيد، فأنا عازم على الرحيل، وابعثوا من تتقون به منكم ليكلّم الأمير عبدالعزيز بن رشيد، فإن رحل، وترككم فهذا والله خير لنا جميعاً، يذهب إلى

جبل شمر، وأذهب إلى الرياض، وأنتم أحرار في بلدكم. يقول الأمير: إن الرشودي قال له: لقي هذا الاقتراح من الإمام عبدالعزيز قبولاً في النفوس، وفعلاً أرسلوني مندوباً لأكلم ابن رشيد في هذا الموضوع، وذهبت إليه وكان معسكراً قرب قصر ابن عقيل بعد معركة الشنانة، وعند وصولي إليه - والكلام للرشودي - قال: ماذا تريد يا فهد الرشودي؟ يقول محدثي الأمير عبد الله: وفهد الرشودي هذا في القمة ذكاءً وعقلاً ودينياً وشجاعة، حتى إن الملك عبدالعزيز قال عنه: لو وجد عشرة مثل هذا الرجل لأصلحت بهم نصف العالم - نعود لابن رشيد يقول فهد: قلت له: أيها الأمير، نريد منك أن تضع الحرب عنا، ويضع ابن سعود الحرب كذلك، وكل يبقى في بلده، يقول الرشودي: أصغ إليّ، ثم زمجر قائلاً: تبقى لي بلدة جبهه يا بعد حيي لينسحب عنكم ابن سعود، وأبقى أنا، قلت: أخشى أن أهل القصيم لا يريدون ذلك، فصاح: هذا رأيك فقط، فتوعدني وحدي، وتوعد أهل القصيم، ولولا أن الرسل لا تقتل لقتلني، وقمت من عنده، وأنا مرعوب وهو يقول لي: والله لو أن الله ولاني عليكم لأفعل كذا وكذا. ولما عدت إلى الإمام عبدالعزيز قال: ما عندك يا فهد؟ قلت: أريدك على انفراد، قال: لا، قل ما عندك لقومك علناً، فالأمر يهمكم أنتم يا أهل القصيم، قبلي. وأخبرت الجميع بما سمعت، ورأيت، ثم قال عبدالعزيز: هاه يا للمسلمين؟ فقالوا بصوت واحد: الآن جد الجد وأنت يا عبدالعزيز ونحن معك على السراء والضراء. وعزموا على الحرب بجهد مضاعف في دفع الرجال والأموال حتى تم لهم ما أرادوا. وهذا ما يريد عبدالعزيز وما كان يتوقع حدوثه، وليعلم هذا الجيل كيف كان الأهل قبل عقود قليلة من الزمان.

قال الأحنف: الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات، فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك، وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا في أخيك التقصير، ويقول الشاعر:

وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الأحاب هينة الخطب  
وقال الفضيل: إنما تقاطع الناس بالتكلف، يزور أحدهم أخاه، فيتكلف له،  
فيقطعه ذلك عنه.

### أدب المجلس

٨٥٨

لا تشبك أصابعك، ولا تعبت بلحيتك وخاتمك، ولا تخلل أسنانك، ولا تدخل  
إصبعك في أنفك، ولا تبصق، ولا تتنخم، ولا تتثائب، وأصغ إلى محدثك، ولا  
تسأله الإعادة، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا خادمك ولا تأليفك، ولا تتزين  
تزين المرأة، ولا تتبذل تبذل السخيف، ولا تلح في الحاجات، ولا تخبر بقدر مالك،  
فإن كان قليلاً هنت في نفوسهم، وإن كان كثيراً سألوك ما لا تستطيع قضاءه.

### الكبر والحرص

٨٥٩

دخل عون بن عبد الله على الفضل بن المهلب، وكان يومئذ على واسط، فقال:  
إني أريد أن أعظك بشيء، فقال: وما هو؟ قال: إياك والكبر؛ فإنه أول ذنب عصي  
الله به، ثم قرأ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤]،  
وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة، أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها  
السموات والأرض، يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها، فأكل منها،  
فأخرجه الله تعالى منها، ثم قرأ: ﴿أَهْبِطْ مِنْهَا﴾ [طه: ١٢٣]. وإياك والحسد،  
فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده، وإذا ذكر أصحاب رسول الله فأمسك، وإذا  
ذكر القدر فأمسك، وإذا ذكرت النجوم فأمسك.

قال بكر بن عبد الله المزني: كان رجل يغشى بعض الملوك، فيقوم بحذاء الملك، فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه، فإن المسيء سيكفيكه إساءته. فحسده رجل على ذلك المقام والكلام، فسعى به إلى الملك، فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك، ويقول ما يقول، زعم أن الملك أبخر، فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعوه إليك، فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه؛ لئلا يشم ريح البخر، فقال له: انصرف حتى أنظر، فخرج من عند الملك، فدعا الرجل إلى منزله، فأطعمه طعاماً فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده، وقام بحذاء الملك على عادته، فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه إساءته، فقال له الملك: ادنُ مني، فدنا منه، فوضع يده على فمه؛ مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرى فلاناً إلا قد صدق؟ قال: وكان الملك لا يكتب بخطه إلى عامل من عماله: إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحشُ جلده تبناً، وابعث به إليّ!! فأخذ الكتاب، وخرج، فلقى الرجل الذي سعى به، فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: خط الملك لي بصلة، فقال: هبه لي، قال: هو لك، فأخذه، ومضى به إلى العامل، فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك، قال: إن الكتاب ليس لي، فالله الله في أمري حتى تراجع الملك، قال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه، وحشا جلده تبناً، وبعث به، ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته، وقال مثل قوله، فعجب الملك، وقال: ما فعل الكتاب؟ قال: لقيني فلان، فاستوهبه مني، فوهبته له، قال له الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبخر، قال: ما قلت ذلك، قال: فلم وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنه أطعمني فيه ثوماً، فكرهت أن تشمه، قال: صدقت، ارجع إلى مكانك، فقد كفى المسيء إساءته.

قال ابن المبارك: إن الذين يأخذون الجوائز اليوم، ويحتجون بابن عمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما يقتدون بهما؛ لأن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فرق ما أخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين ألفاً، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فعلت مثل ذلك، وجابر بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاءه مال، فتصدق به، قال: رأيت أن أخذه منهم، وأتصدق أحب إليّ من أن أدعها في أيديهم. وهكذا فعل الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بما قبله من هارون الرشيد، فإنه فرقه على قرب، حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة.

قيل في أخبار الطوفان: إن امرأة حملت ولداً صغيراً مرضعاً، ولم يكن في القوم من الأطفال غيره، فلما ارتفع الماء حملت ابنها على عنقها، وهربت، وصعدت به إلى جبل عالٍ لتعتصم به من الماء، فلما غشيها الماء حملت ابنها على عنقها، فلما بلغ الماء إلى فمه رفعته بيدها إلى أعلى رأسها، فلما غمرها الماء جعلته تحت رجليها، ووقفت عليه ساعة، فطلبت النجاة قدر نفس، ثم غرقا جميعاً، فأوحى الله إلى نوح لو كنت أرحم أحداً من قومك لرحمت تلك المرأة وولدها، فصارت الواقعة هذه مثلاً، فيقال: إذا وقع الطوفان يضع الإنسان ولده تحت رجليه. قال الكسائي: اختلف جماعة من العلماء في مقدار مكث الماء على الأرض، فمنهم من قال: مكث على وجه الأرض ستة أشهر، ومنهم من قال: مئة وخمسين يوماً، وبعد ذلك أوحى الله إلى الأرض: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤] ويروى أن الجودي جبل بالقرب من الموصل، فاستقرت السفينة عليه.

كتب الدكاترة زكي مبارك يصف القاهرة وما بها من نزعات، وذلك بأسلوبه الساخر منذ نصف قرن يقول: القاهرة مدينة خطيرة جداً، فيها يشتبك الجد والهزل، ويصطرع الهدى والضلال، وفي القاهرة طوائف من المغفلين، وطوائف من المحنكين، ويكفي أن يكون بها الأزهر والجامعة المصرية. في القاهرة أقطاب الملحددين وأقطاب المؤمنين، وفي القاهرة خلفاء حسن البصري وخلفاء إبليس، في القاهرة أتباع القرآن والتوراة والإنجيل، في القاهرة أبناء الآخرة والموعودون بالنعيم والجحيم، في القاهرة أحياء باريسية، وأحياء بغدادية، وأحياء دمشقية، فيها منازل لا يدخلها الفأر بسبب النعمة، ومنازل لا يدخلها الفأر بسبب الجوع، في القاهرة ناس يموتون من الظمأ، وناس يموتون من الشراب، في القاهرة خدود تجرحها خطرات النسيم، وفيها وجوه تعجز عن لفحها النيران، ومن الذي يصدق أن إبليس يقف مبهوراً أمام حيل الفجور في القاهرة؟ تنظر في شوارع القاهرة، فتري شيخاً يهطع لإلقاء عظة في مسجد، وتري فتى متأنقاً يمضي إلى موعد غرام، وتري رجلاً يحمل أوراقه ليناقدش الميزانية في مجلس النواب، وتري فتاة تصاولك بعينين مصوغتين من السحر الحرام أو الحلال. (عن كتاب ليلى المريضة بالعراق بتصريف). وسمي الدكاترة؛ لأنه حاز على شهادات دكتوراه عدة في موضوعات عدة.

قصيدة قالها حافظ إبراهيم في الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ويَعُدُّها النقاد من أعظم ما قيل في سيرة الرجل الذي يعد من مفاخر دين الإسلام ومن أعظم ما أنجب الإسلام من الرجال، بل أعظمهم على الإطلاق بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصديق، ولعل القارئ الذي لم يطلع على سيرة الخليفة أن

يرجع إليها في مصدرها ويسهل عليه فهم بعض ما ورد في الأبيات من تفاصيل،  
قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

حسبُ القوافي وحسبي حين ألقياها  
فمر سري المعاني أن يُواتيني  
مولي المغيرة لا جادتكَ غاديةٌ  
مزقت منه أديمًا حشوه هممٌ  
طعنت خاصرة الفاروقٍ منتقمًا  
فأصبحت دولة الإسلام حائرة  
مضى وخلصها كالطودِ راسخة  
تنبو المعاول عنها وهي قائمة  
وأها على دولة بالأمس قد ملأت  
والله ما غالها قدمًا وكاد لها  
لو أنها في صميم العرب ما بقيت  
يا ليتهم سمعوا ما قاله عمرُ  
لا تكثروا من مواليكم فإن لهم  
رأيتُ في الدين آراءً موفقةً  
قد كنت أعدى أعاديتها فصرت لها  
خرجت تبغي أذاها في محمدِها  
فلم تكد تسمع الآياتِ بالغة  
سمعت سورة طه من مرّتلها  
وقلت فيها مقالًا لا يطاوله  
أني إلى ساحة الفاروق أهديتها  
فيها فإني ضعيف الحال وأهيتها  
من رحمة الله ما جادت غواذيتها  
في ذمة الله عاليها وماضيتها  
من الحنيضة في أعلى مجاليتها  
تشكو الوجيعه لما مات آسيها  
وزان بالعدل والتقوى مغانيها  
والهادمون كثير في نواحيها  
جوانب الشرق رغدا في أيادها  
واجتت دوحتها إلا مواليتها  
لما نعاها على الأيام ناعيتها  
والروح قد بلغت منه تراقبها  
مطامعًا بسّمات الضعف تخفيها  
فأنزل الله قرآنًا يزكيها  
بنعمة الله حصنًا من أعاديتها  
وللحنيضة جبارٌ يواليتها  
حتى انكفأت تناوي من يناويها  
فززلت نية قد كنت تنويها  
قولُ المحب الذي قد بات يُطريها

ويوم أسلمت عز الحق وارتفعت  
فأنت في زمن المختار منجدها  
كم استراك رسول الله مغتبطا  
وموقف لك بعد المصطفى افتقرت  
بايعة فيه أبا بكر فبايعه  
وأطفئت فتنة لولاك لاستعرت  
بات النبي مسجى في حظيرته  
تهيم بين عجيج الناس في دهش  
تصبح: من قال نفس المصطفى قبضت  
أنساك حبك طه أنه بشر  
وأنه وارد لا بد موردها  
فالسقيفة يوم أنت صاحبه  
مدت لها الأوس كفا كي تناوله  
وظن كل فريق أن صاحبهم  
حتى انبريت لهم فارتد طامعهم  
كم خفت في الله مضعوقا دعاك به  
وفي حديث فتى غسان موعظة  
فما القوي قويا رغم عزته  
وما الضعيف ضعيفا بعد حجته  
وما أقل أبا سفيان حين طوى  
لم يغن عنه وقد حاسبته حسب

عن كاهل الدين أثقالا يُعانيها  
وأنت في زمن الصديق مُنجيها  
بحكمة لك عند الرأي يُلقِيها  
فيه الصحابة لما غاب هاديها  
على الخلافة قاصيها ودانيها  
بين القبائل وانسابت أفاعيها  
وأنت مستعر الأحشاء داميها  
من نبأ قد سرى في الأرض ساريها  
علوت هامته بالسيف أبريها  
يُجري عليه شؤون الكون مُجريها  
من المنية لا يُعفيه ساقِيها  
فيه الخلافة قد شيدت أواسيها  
فمدت الخرج الأيدي تباريها  
أولى بها وأتى الشحاء آتيها  
عنها وأخى أبوبكر وأخيها  
وكم أخضت قويا ينثني تِيها  
لكل ذي نعة يابى تناسيها  
عند الخصومة والفاروق قاضيها  
وإن تخاصم واليها وراعيها  
عنك الهدية معتزا بمهديها  
ولا معاوية بالشام يجبيها

قيد منه جليلاً شاب مفرقه  
قد نوهوا باسمه في جاهليته  
في فتح مكة كانت داره حرماً  
وكل ذلك لم يشفع لدى عمر  
تالله لو فعل الخطاب فعلته  
وتلك قوة نفس لو أراد بها  
سل قاهر الفرس والرومان هل شفعت  
غزى فأبلى وخيل الله قد عقدت  
ما واقع الروم إلا فر قارحها  
وخالد في سبيل الله موقدها  
أتاه أمراًبي حفص فقبله  
واستقبل العزل في إبان سطوته  
فاعجب لسيد مخزوم وفارسها  
يقوده حبشي في عمامته  
ألقى القيادة إلى الجراح ممتلاً  
وانضم للجند يمشي تحت رايته  
فخالد كان يدري أن صاحبه  
لذاك أوصى بأولاد له عمراً  
وما نهى عمر في يوم مصرعه  
وقيل فارقت يا فاروق صاحبنا  
فقال: خفت افتتان المسلمين به

في عزة ليس من عز يدانيها  
وزاده سيد الكونين تنويها  
قد آمن الله بعد البيت غاشيها  
في هفوة لأبي سفيان يأتيها  
لما ترخص فيها أو يجازيها  
شم الجبال لما قررت رواسيها  
له الفتوح وهل أغنى تواليها  
باليمن والنصر والبشرى نواصيها  
ولا رمى الفرس إلا طاش راميتها  
وخالد في سبيل الله صاليتها  
كما يقبل أي الله تاليها  
ومجده مستريح النفس هاديها  
يوم النزال إذا نادى مناديها  
ولا تحرك مخزوم عواليها  
وعزة النفس لم تجرح حواشيها  
وبالحياة إذا مالت يفتديها  
قد وجه النفس نحو الله توجيهها  
لما دعاه إلى الضردوس داعيها  
نساء مخزوم أن تبكي بواكيها  
فيه وقد كان أعطى القوس باريها  
وفتنة النفس أعييت من يداويها

تالله لم يتبع في ابن الوليد هوى  
لكنه قد رأى رأيا فأتبعه  
وما أصاب ابنه والسوط يأخذه  
شاطرت داهية السواس ثروته  
وما في ابنك عبدالله أنيقه  
رأيتها في حماه وهي سارحة  
فقلت: ما كان عبدالله يشبعها  
قد استعان بجاهي في تجارته  
ردوا النياق لبیت المال إن له  
جنى الجمال على نصر فغربه  
وكم رمت قسما الحسن صاحبها  
كانت له لمة فينانة عجب  
وكان أنى مشى مالت عقائلها  
هتفن تحت الليالي باسمه شغفا  
فصحت فيه: تحول عن مدينتهم  
وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا  
عهده بملوك الفرس أن لها  
راه مستغرقا في نوم فرأى  
وقال قولة حق أصبحت مثلا  
أمنت لما أقيمت العدل بينهم  
يارافعا راية الشورى وحارسها

ولا شفى غلة في الصدر يطويها  
عزيمة منه لم تثلم مواضيها  
لديه من رافة في الحد يديها  
ولم تخفه بمصر وهو واليها  
لما اطلعت عليها في مراعيها  
مثل القصور قد اهتزت أعاليها  
لو لم يكن ولدي أو كان يرويه  
وبات باسم أبي حفص يئميها  
حق الزيادة فيها قبل شاريها  
عن المدينة تبكيه ويبكيها  
وأتعبت قصبات السبق حاويها  
على جبين خليق أن يخليها  
شوقا إليه وكاد الحسن يسبها  
وللحسان تمن في لياليها  
فإنها فتنة أخشى تماديها  
بين الرعية عطلا وهو راعيها  
سورا من الجند والأحراس يحميها  
فيه الجلالة في أسمى معانيها  
وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها  
فنمت نوم قرير العين هانيها  
جزاك ربك خيرا عن محبيها

لم أنس أمرَكَ للمقدادِ يحمله  
إن ظلَّ بعدَ ثلاثٍ رأيهمُ شعباً  
يا مَنْ صدفتَ عن الدنيا وزينتها  
ماذا رأيتَ ببابِ الشامِ حينَ رأوا  
ويركبوكَ على البرذونِ تقدمه  
فصحتَ يا قومُ كادَ الزهوُ يقتلني  
ردُّوا ركابي فلا أبغي به بدلاً  
ومنَ رآه أمامَ القدرِ منبطحاً  
وقد تخللَ في أثناءِ لحيته  
رأى هناكَ أميرَ المؤمنينَ على  
يستقبلُ النارَ خوفَ النارِ في غده  
إن جاعَ في شدةِ قومٍ شركتهمُ  
جوعُ الخليفةِ والدنيا بقبضتهِ  
فمنَ يباري أبا حفصٍ وسيرتهِ  
يومَ اشتَهتْ زوجته الحلوى فقالَ لها:  
لا تمتطي شهواتِ النفسِ جامحةً  
وهل يفي بيتُ مالِ المسلمينَ بما  
قالتُ لك اللهُ إنِّي لستُ أرزؤه  
لكنَ أجنبُ شيئاً منَ وظيفتنا  
حتَّى إذا ما ملكنا ما يكافئها  
قالَ اذهبي واعلمي إن كنتِ جاهلةً

إلى الجماعةِ إنذاراً وتنبئها  
فجردَ السيفَ واضربَ في هواديها  
فلمَ يغرِّك من دنياك مُغريها  
أن يُلبسوكَ من الأثوابِ زاهيها  
خيلٌ مطهمةٌ تحلُّو مرائيها  
وداخلتني حالٌ لستُ أدريها  
ردُّوا ثيابي فحسبي اليومَ باليها  
والنارُ تأخذُ منه وهو يُذكيها  
منها الدخانُ وفوه غابَ في فيها  
حالٍ ترعُوعُ لعمرُ اللهِ رائيها  
والعينُ من خشيةٍ سالتُ مآقيها  
في الجوعِ أو تنجلي عنهمُ غواشيها  
في الزهدِ منزلةٌ سبحانَ موليها  
أو مَنْ يحاولُ للفاروقِ تشبيها  
منَ أينَ لي ثمنُ الحلوى فأشريها  
فكسرةُ الخبزِ عن حلواك تجزيها  
تُوحى إليك إذا طاوعتِ موحيا  
مألاً لحاجةِ نفسٍ كنتُ أبغيها  
في كلِّ يومٍ على حالِ أسويها  
شريتها ثمَّ إنني لا أثنيتها  
أن القناعةَ تغني نفسَ كاسيها

وأقبلت بعد خمسٍ وهي حاملَةٌ  
 فقال نبهت مني غافلاً فدعي  
 ويلي على عمر يرضى بموفيةٍ  
 ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به  
 كذاك أخلاقه كانت وما عهدت  
 في الجاهلية والإسلام هيبته  
 في طي شدة أسرارٍ مرحمةٍ  
 وبين جنبيه في أوقى صرامته  
 أغنته عن الصارم المصقول درته  
 كانت له كعصا موسى لصاحبها  
 أخاف حتى الذراري في ملاعبها  
 أريت تلك التي لله قد نذرت  
 قالت: نذرت لئن عاد النبي لنا  
 ويمت حضرة الهادي وقد ملأت  
 واستأذنت ومشت بالدَّفِّ واندفعت  
 والمصطفى وأبوبكر بجانبه  
 حتى إذا لاح من بعد لها عمرٌ  
 وخبأت دفها في ثوبها فرقا  
 قد كان حلم رسول الله يؤنسها  
 فقال مهبطٌ وحي الله مبتسماً  
 قد فر شيطانها لما رأى عمراً

دريهمات لتقضي من تشهيهها  
 هذي الدراهم إذ لا حق لي فيها  
 على الكفاف وينهى مستزيديها  
 أولى فقومي لبيت المال رديها  
 بعد النبوة أخلاق تحاكيها  
 تُثني الخطوب فلا تعدو عواديها  
 تُثني الخطوب فلا تعدو عواديها  
 فؤادُ والدة ترعى ذراريها  
 فكم أخافت غوي النفس عاتيهها  
 لا ينزل البطل مجتازاً بواديها  
 ورأى حتى الغواني في ملاهيها  
 أنشودة لرسول الله تهديها  
 من غزوة لعلى دفي أغنيها  
 أنوار طلعت أرجاء ناديهها  
 تُشجي بالحنانها ما شاء مشجيهها  
 لا ينكران عليها من أغانيها  
 خارت قواها وكاد الخوف يرديهها  
 منه وودت لو أن الأرض تطويهها  
 فجاء بطش أبي حفص يخشيها  
 وفي ابتسامته معنى يؤاسيهها  
 إن الشياطين تخشى بأس مخزيها

وفتيةٌ ولعوا بالراحِ فانتبذوا  
ظهرت حائطهم لما علمت بهم  
حتى تبينتهم والخمرُ قد أخذت  
سفهت آراءهم فيها فما لبثوا  
ورمت تَفْقِيهِهم في دينهم فإذا  
قالوا: مكانك قد جئنا بواحدةٍ  
فأت البيوت من الأبوابِ يا عمرُ  
واستأذنِ النَّاسَ أن تَغْشَى بيوتهمُ  
ولا تجسسُ فهذي الآيُ قد نزلت  
فعدت عنهم وقد أكبرت حجتهم  
وما أنفت وإن كانوا على حرج  
ودوحةٌ في سماءِ السرحِ قد رفعت  
أزلتها حين غالوا في الطوافِ بها  
هذي مناقبه في عهدِ دولته  
في كلِّ واحدةٍ منهنَّ نابلةٌ  
لعلَّ في أمةِ الإسلامِ نابتةٌ  
حتى ترى بعضَ ما شادت أوائلها  
وحسبها أن ترى ما كان من عمرٍ

لهم مكانًا وجدوا في تعاطيها  
والليلُ معتكرُ الأرجاءِ ساجيها  
تعلو ذؤابةُ ساقِها وحاسيها  
أن أوسعوك على ما جئت تَسْفِيها  
بالشربِ قد برعوا الفاروقَ تَفْقِيها  
وجئتنا بثلاثٍ لا تُباليها  
فقد يُزَنُّ من الحيطانِ آتيها  
ولا تلمَّ بدارٍ أو تحييها  
بالنهي عنه فلم تذكر نواهيها  
لما رأيت كتابَ اللهِ يُمليها  
من أن يحجك بالآياتِ عاصيها  
بيعةُ المُصطفى من رأسها تِيها  
وكان تطوافهم للدينِ تشويها  
للشاهدين ولالأعقابِ أحكيها  
من الطبائعِ تغذو نفسَ واعِيها  
تجلو لحاضرها مرآةَ ماضيها  
من الصروحِ وما عاناهُ بانيها  
حتى يُنبهَ منها عينَ غافيها

قال الشيخ محمد الغزالي تغمده الله برحمته: المسؤولون عن جائزة نوبل يبحثون في أرجاء العالم عن أكفأ رجل لنيل هذه الجائزة الرفيعة في شتى الفروع العلمية والأدبية التي تقرر لها. ولا يدور في خلدكم أي بحث عن إيمان الرجل أو إحداه إذا كان بارزاً، من الناحية الفنية، ولذلك لم يترددوا في منح جائزتهم إلى الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر، مع أنه جريء الكفر منكور السيرة. والمفاجأة التي وقعت أن سارتر رفضها بكبرياء؛ لأنه يزدري نوبل ومؤسسته، ويحيا وفق قيم أخرى ليست موضع حديثنا، وقد تتدخل معانٍ ذات بال في سوق الجائزة إلى قوم آخرين، فقد نالتها الراهبة تريزا أكبر داعية للنصرانية في الهند لأعمالها الاجتماعية الجليلة، وأرى أنها جديرة بها، ولا ريب أنها وجهت قيمتها المادية إلى أعمال البر التي تشرف عليها.

ونال الجائزة مناحم بيجن أستاذ إسحاق شامير، وكلا الرجلين يؤمن أن اليهود مٌلاك العالم وملوكه وسادة العرب وأصحاب الأرض التي يعيشون عليها، وهي فلسفة تشبه فلسفة قطاع الطرق، وهم يقومون بالسلب والنهب، ويجتاحون إلى حقوق الآخرين بما أتيح لهم من قوة، أما أنور السادات فله شأن آخر لا نذكره هنا.

وقد نال الجائزة أخيراً الأستاذ نجيب محفوظ، وهو قصاص وروائي كبير، متمكن. والرجل ليس دون من نالوها من قبل، وقد يكون خيراً منهم، ولكن لفت نظري أن من بين الأعمال التي رشحته لنيلها رواية (أولاد حارتنا) التي نشرت في الخمسينيات بصحيفة الأهرام. إن هذه الرواية هجوم على عقيدة الألوهية ورفض للوحي كله وإنكار ساخر لنبوات موسى وعيسى ومحمد، ونزعة علمانية تجعل الدين أوهاماً ومهازل.

وأذكر أن الأستاذ الشيخ محمد أبوزهرة كتب تقريراً ضافياً عنها، وأن الدكتور أحمد الشرباصي قام بالعمل نفسه، واني كتبت تقريراً عن الرواية، والتقت هذه التقارير عند الأستاذ حسن صبري الخولي الرقيب العام يومئذ. وقد رجعت إلى الرئيس جمال عبدالناصر، ثم صادر الرواية، ومنع تداولها تسكيماً لثورة المؤمنين. واليوم يتحدث البعض عن أبطال المصادرة وإعادة النشر، وقد كنت أظن أن المؤلف وهو في العقد الثامن من عمره وفي رحلة العودة إلى الله يحب ترك الرواية في مرقدها طارحاً ما فيها من أفكار، فهل أخطأت الظن؟ لا أدري. على أي حال نحن نقبل التحدي، وستكون نتائجه مُرّة المذاق في أفواه كثيرة. جريدة (المسلمون) يوم ٢٣ من ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ العدد (٢٠٠).

نقول: هي جائزة شهرتها طبقت الآفاق، هذا صحيح، ولكن منحت لبيجن مناصفة مع (أبورغال العصر الحديث السادات)، ومنحت لسارتر زعيم الوجودية، ومنحت في كثير من الأحيان لأناس يخدمون اليهود أولاً، ولا أدل على أن المرشح مع نجيب هو أدونيس الذي يدعو إلى هدم كل شيء، حتى عقائد المسلمين تعرض لها علناً، نقول: مع الأسف إن جائزة الملك فيصل منحت لشخصيات عربية ومصرية بالذات، ولم تسلط عليهم الأضواء كما سلطت على نجيب على الرغم من نزاهة الجائزة التي منحت للأستاذ محمود شاكر، والشيخ محمد قطب، ولم نر من الإعلام العربي ولا (١٠٪) من الترحيب الذي لقيه محفوظ، والفرق بين خدمة محفوظ ومحمود شاكر ومحمد قطب مثل الفرق بين الثرى والثريا، فيما خدم الأول الأعداء، وخدم هؤلاء دينهم وأمتهم، ولكن الغرب هو القوي مادياً، والعرب في موقع ضعف، والقاعدة تقول: إن الضعيف يحاول تقليد القوي ومتابعته، وهذه حقيقة ذكرها العلامة ابن خلدون في تاريخه، وهي تحصل في كل يوم وفي كل عصر، وقد لاحظت ذلك شخصياً في مجتمعاتنا الصغيرة.

جاء في جريدة (الشرق الأوسط) تاريخ (٧/٢/٧٠٤١هـ).

في عملية رائدة وجريئة أخرج الأطباء جنيناً من رحم أمه، وأجروا له جراحة لإنقاذ حياته، ثم أعادوه إلى الرحم، حيث قضى تسعة أسابيع أخرى وولد بعدها طفلاً، وهو الآن يقترب من عامه الأول في صحة جيدة. كان الجنين في الشهر الخامس من الحمل في رحم أم أمريكية من تكساس طلبت عدم الكشف عن هويتها، وأظهر الفحص الطبي آنذاك أن الجنين يعاني انسداداً خلقياً في المسالك البولية، وذلك يُعدُّ مقدمة لتلف الكليتين ثم الوفاة، واتجه تفكير الأطباء في بداية الأمر إلى إجهاض المرأة، ولكن الدكتور مايكل هاريسون وزملاءه بجامعة كاليفورنيا في سان فرانسيسكو أجروا الجراحة التي تضمنت فتح الرحم، ثم إخراج الجنين وتسليك الانسداد، ثم إعادة الجنين إلى الرحم، وقد تم فتح الرحم بالجراحة القيصرية، وأخرج الجنين دون فصله عن المشيمة. الجراحة التي أجريت قبل عام ظلت سرّاً كشف النقاب عنه ليلة أمس.

حسن هو الأمير الشهير حسن المهنا أبا الخيل أمير القصيم في العقد الأول من القرن الرابع عشر والعقد الأخير من القرن الثالث عشر، والحسنى هذا مزارع من ضواحي بريدة يشتهر بالدهاء والحيلة، والفرخ هو النخلة الصغيرة التي تقلع من النخلة الكبيرة لغرسها.

قلنا لحسن السليمان الحسن المهنا من قرينتنا الربيعية وهو حفيد الأمير حسن: يا أبا صالح، ما قصة هذا المثل؟ قال: إن جده رَحِمَهُ اللهُ أراد غرس نخل في روضة الربيعية، وربما غيرها، فأرسل بعض رجاله لشراء الغريس، وفعلاً اشتروا

له من عدة مزارعين عددًا من الغريس، ومن ضمنهم هذا المزارع الحسنى، ولكنه باع على رجال الأمير فراح فحول، وليس غريسيًا، فعلم به بعض أصدقائه، فنهاه قائلاً له: أما تخاف سطوة الأمير؟ فقال بعفوية رحمهم الله جميعاً: هذا أمير قادر، وأنا مزارع فقير سأخذ هذا المال، ولن يتبين له أنني خدعته إلا بعدما يطلع ثمر النخل، وهذا على أقرب الفروض سيكون بعد خمس سنوات، وفي هذه المدة سيموت الحسن، أو سيموت الحسنى، أو سيموت الفرخ، بعدها يحلها الحلال رب العزة والجلال. وبعد أربع سنوات أو خمس اطلع النخل، وتبين أن الحسنى خدعهم، واستدعاه الأمير، وفي مجلس الأمير قال: إن صدقتك تعفينى من العقوبة؟ قال له: نعم، قال: هذه حساباتي، ولكن الله أخلف ظني، وأبقانا جميعاً. فضحك الأمير، وعفا عنه على ألا يعود لمثلها، فذهبت مثلاً مشهوراً في القصيم عندما يشتد الأمر على أحدهم، فيقول: «سيفرجها الله إما حسن وإما الحسنى وإما الفرخ».

نقل لي ابن أخى الأستاذ عبد الله الفهد الزمام احتجاج بعض أحفاد الحسنى على رواية حفيد الأمير حسن، ويقولون: إن حسن أراد أخذها غصباً، وليست شراءً، وأن ليس في الأمر مزاحاً ونحن هنا للأمانة التاريخية نعتذر من أحفاد الحسنى، ونثبت رأيهم وروايتهم، وهذا من حقهم علينا.

كتب مصطفى أمين في الشرق الأوسط يوم ٢٥/٢/١٤٠٧هـ ما يلي:

يجب أن ندقق في اختيار القادة، وليس كل من يناقنا هو عبقرى زمانه، وليس كل من ينتقدنا جاهلاً وغيبياً وخطراً على الأمن والنظام.

الدكتور أحمد ماهر أفندي المدرس بمدرسة التجارة العليا لفت نظر الزعيم سعد زغلول بمعارضته له في اجتماعات الحزب، واختاره وزيراً للمعارف، ولم

يلفت نظره إلى النواب الذين يصفقون، ويهتفون، ويحاولون أن يحملوا الزعيم على الأعناق. ويستر بينان النائب العمالي البريطاني كان ينكد الحياة على مستر إتلي زعيم الحزب بمقاطعته ومهاجمته، ومع ذلك اختاره وزيراً في وزارته، وكان من أكفأ وزراء بريطانيا العظام. ولهذا نخطئ عندما نختار للوظائف المهمة الإيمعات والأقزام والتافهين والمنافقين والتهافتين والانتهازيين. وقد يصلح هؤلاء للزفة والسير في المواكب، ولكنهم لا يصلحون أبداً لمناصب الخبراء والأعوان، وإذا هبت العاصفة كانوا أول الراكعين، وإذا قامت معركة كانوا أول الهاربين، وإذا حدثت أزمة كانوا في مقدمة المستسلمين. الأصفار لا يصلحون لإقامة دولة، ولا لإنشاء نهضة، ولا لقيادة شعب، القائد القوي المؤمن هو الذي يبعث الروح والحياة في المؤسسة التي يرأسها، هو الذي يوقظ النائمين، ويحرك الساكنين، وينهض القاعدين، هو الذي يوزع النجاح على كل من يعملون معه، ويتحمل وحده تبعه أخطاء الجميع، أستاذ عبقرى واحد في كلية يستطيع أن يخرج جيلاً من النابغين، ومصنع يديره مهندس كفاء قادر على أن يحول الخسائر إلى أرباح، ومزرعة يديرها زراعي ممتاز ممكن أن يتضاعف إنتاجها مرات عدة، واحذروا من الاعتماد على الأصفار، فإن مجموع ألف صفر هو صفر واحد كبير.

أقول:

وفعلها الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ مع أمير المجمع عبد الله بن عسكر، وكان ابن عسكر معروفاً بقوة الشخصية ومعارضته للحكومة، ثم إنه ذهب لمقابلة الملك في بريدة بعد فتحها، وتوقع الناس أن يبطش به الملك، ولكنه قال له: يا هلا يا قوماني، فردّ عليه ابن عسكر بقوله: يا هلا يا طمام، وطمام يعني النهر الجارف. قال: وفاؤك لعهدك مع ابن رشيد زاد من قيمتك عندنا، اذهب، فأنت أمير على بلدك. وفعلها الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ مع الكاتب المرحوم عبد الله عريف، وكان يكتب وينقد بعض الأنواع الخاصة بخدمات أم القرى، وجمع الملك رَحِمَهُ اللهُ كتاباته، واستدعاه، وقال: يا عبد الله، القول شيء والعمل شيء آخر،

هل تستطيع عمل ما تقول؟ قال: نعم، قال: اذهب فتسلم عمل الأمانة من الغد، وفعلاً نجح العريف في عمله، وكان مضرب المثل، وسلمه الأمير ماجد يوم كان وزيراً للبلديات شهادات تقدير. وفعلاً قبل هؤلاء جميعاً صفوة خلق الله محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم قال لأبي ذرٍّ: «يا أبا ذرٍّ إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم»<sup>(١)</sup>، وقال لشقيق خالد بن الوليد: «إن لأخيك عقلاً لا يدلّه إلا إلى الخير، ولو أسلم لقدمناه على غيره»<sup>(٢)</sup>، وفعلاً أسلم، وقدمه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال عنه هذا «سيف من سيوف الله»<sup>(٣)</sup>. وكان أمة وحده، وفعل الأفاعيل في ميزان الإسلام، ومصيبتنا في جميع بلدان العالم الثالث أن الرجل المناسب لا يوضع في المكان المناسب.

### ممن يؤخذ العلم

٨٦٩

قال الإمام مالك: لا يؤخذ العلم من أربعة، ويأخذ ممن سوى ذلك: لا يؤخذ من سفيه معطن وإن كان أروى الناس، ولا يأخذ من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على الأحاديث النبوية، ولا من صاحب هوى يدعو إلى بدعته، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إن كان لا يعرف ما يحدث به، ولقد أدركت بالمدينة أقواماً لو استسقي بهم القطر لسقوا، وقد سمعوا من العلم والحديث شيئاً كثيراً، وما أخذت عن واحد منهم؛ لأن زهداً بلا معرفة ولا إتقان لا ينتفع به وليس هو بحجة، ولا يحمل عنهم العلم.

نقول:

رحم الله الإمام لو أدرك عصرنا هذا وكثرة فتاوى المجلات والجرائد، وأكثرها بغير علم.

(١) أخرجه مسلم (٣/١٤٥٧ رقم ١٨٢٦).

(٢) لم أجده

(٣) أخرجه البخاري (٥/١٤٣ رقم ٤٢٦٢).

يقول: دخلت المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة الفجر، فأتيت مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرأيت مالك بن أنس مؤتزرًا ببردة متشحًا بأخرى، وهو يقول: حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر، فلما رأيت ذلك هبته الهيبة العظيمة، وجلست حيث انتهى المجلس، فأخذت عودًا من الأرض، فجعلت كلما أملى مالك حديثًا كتبته بريقي على يدي ومالك ينظر إلي من حيث لا أعلم حتى انفض المجلس، وجلس مالك ينتظر العشاء من المغرب، ولم يرني انصرفت فيمن انصرف، فأشار إلي بيده، فدنوت منه، فنظر إلي ساعة، ثم قال لي: أحرمي أنت؟ قلت: وقرشي، قال: كملت صفاتك فلم رأيتك سيئ الأدب؟ فقلت: وما الذي رأيت من سوء أدبي؟ قال: رأيتك وأنا أملئ الألفاظ لرسول الله، وأنت تلعب بريقك في يدك، قلت: عدم الورق، وكنت أكتب ما تقول، ف جذب مالك يدي، فقال: ما لي لا أرى عليها شيئًا، قلت: إن الريق لا يثبت على اليد، ولكني وعيت جميع ما حدثت به منذ وقت جلست إلى حين قطعت، فعجب مالك من ذلك، فقال: أعد علي ولو حديثًا واحدًا، قلت: حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر، وأشرت بيدي إلى القبر كإشارته عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثًا حدث بها من وقت جلس.

(نوابغ الفكر الإسلامي لأنور الجندي).

حضر أبوحنيفة مع العلماء وليمه رجل زوج ابنتيه من أخوين، فخرج الولي، وهو يقول: أصابتنا مصيبة عظيمة، غلطنا، فزفت إلى كل واحد غير امرأته، وأصابها، قال سفيان: لا بأس بذلك كما حكم به علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: أرى على كل المهر بما أصاب من المرأة، وترجع كل إلى زوجها، فاستحسن الناس فيه ذلك

وأبوحنيفة ساكت، فقال له مسعر: قل فيها. قال سفيان: وما عسى أن يقول خلاف هذا؟ قال أبوحنيفة: عليّ بالغلامين، فأحضرا، فقال لكل واحد منهما: أتحب أن تكون عندك التي زفت إليك. قال: نعم، قال: فما اسم امرأتك التي عند أخيك؟ قال: هي فلانة، قال: قل: هي طالق مني. ثم زوّج المرأة التي مسها، وأمرهم بتجديد عرس آخر. فعجب الناس من فتياه بذلك حتى قام مسعر، فقبله، وقال: لا تلوموني على حبه، وسفيان ساكت لا يقول شيئاً.

### عَفَّ عَنِ الْبَاذِنَجَانَةِ فَرَزَقَ الْمَرْأَةَ!

٨٧٢

قال: الشيخ الجليل علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ فِي مَذَكَرَاتِهِ: إِنِّي سَأُورِدُ عَلَيْكُمْ طَرَفَيْنِ مِنْ طَرَفِ اللَّصُوصِ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللهُ مَتَعَةً:

في دمشق مسجد كبير اسمه (جامع التوبة)، وهو جامع مبارك فيه أنس وجمال، سمي بجامع التوبة؛ لأنه كان خاناً ترتكب فيه أنواع المعاصي، فاشتراه أحد الملوك في القرن السابع الهجري، وهدمه، وبناه مسجداً، وكان فيه منذ نحو سبعين سنة شيخ مُرَبِّ عالم عامل اسمه الشيخ سليم السوطي، وكان أهل الحي يثقون به، ويرجعون إليه في أمور دينهم وأمور دنياهم، وكان مضرب المثل في فقره وفي إباءه وعزة نفسه، وكان يسكن في غرفة في المسجد، مرَّ عليه يومان لم يأكل فيهما شيئاً، وليس عنده ما يطعمه، ولا ما يشتري به طعاماً، فلما جاء اليوم الثالث أحس كأنه مشرف على الموت، وفكر ماذا يصنع، فرأى أنه بلغ حدَّ الإضرار الذي يجوز له أكل الميتة أو السرقة بمقدار الحاجة، وأثر أن يسرق ما يقيم صلبه، وهذه القصة واقعة أعرف أشخاصها، وأعرف تفصيلها، وأروي ما فعل الرجل، لا أحكم بفعله بأنه خير أو شر أو أنه جائز أو ممنوع. وكان المسجد في حي من الأحياء القديمة، والبيوت فيها متلاصقة والسطوح متصلة، يستطيع المرء أن ينتقل من أول الحي إلى آخره مشياً على السطوح، فصعد إلى سطح

المسجد، وانتقل منه إلى الدار التي تليه، فلمح بها نساء، فغضّ من بصره، وابتعد، ونظر، فرأى إلى جنبها داراً خالية، وشمّ رائحة الطبخ تصدر منها، فأحس من جوعه لما شمها كأنها مغناطيس تجذبه إليها، وكانت الدور من طبقة واحدة، فقفز قفزتين من السطح إلى الشرفة، فصار في الدار، وأسرع على المطبخ، فكشف غطاء القدر، فرأى فيها باذنجاناً محشواً، فأخذ واحدة، ولم يهتم من شدة جوعه بسخونتها، وعض منها عضة، فما كاد يبتلعها حتى ارتد إليه عقله ودينه، وقال لنفسه: أعوذ بالله أنا طالب علم مقيم في المسجد، ثم أقتحم المنازل، وأسرق ما فيها؟ وكبر عليه ما فعل، وندم، واستغفر، وردّ الباذنجانة، وعاد من حيث جاء، فنزل إلى المسجد، وقعد في حلقة الشيخ وهو لا يكاد من شدة الجوع يفهم ما يسمع، فلما انقضى الدرس، وانصرف الناس - وأؤكد لكم أن القصة واقعة - جاءت امرأة مستترة، ولم يكن في تلك الأيام امرأة غير مستترة، فكلمت الشيخ بكلام لم يسمعه، فتلفت الشيخ حوله، فلم يرَ غيره، فدعا، وقال له: هل أنت متزوج؟ قال: لا، هل تريد الزواج؟ فسكت، فقال له الشيخ: قل: هل تريد الزواج؟ قال: يا سيدي، ما عندي ثمن رغيث والله، فلماذا أتزوج؟ قال الشيخ: إن هذه المرأة خبرتني أن زوجها توفي، وأنها غريبة عن هذا البلد ليس لها فيه ولا في الدنيا إلا عم عجوز فقير، وقد جاءت به معها، وأشار إليه قاعداً في ركن الحلقة، وقد ورثت دار زوجها ومعاشه، وهي تحب أن تجد رجلاً يتزوجها على سنة الله ورسوله؛ لئلا تبقى منفردة، فيطمع فيها الأشرار وأولاد الحرام، فهل تريد أن تزوج بها؟ قال: نعم، وسألها الشيخ: هل تقبلين به زوجاً؟ قالت: نعم، فدعا بعمها، ودعا بشاهدين، وعقدا العقد، ودفعت المهر عن التلميذ، وقال له: خذ بيد زوجتك، فأخذ بيدها أو أخذت هي بيده، فقادته إلى بيتها، فلما دخلته كشفت عن وجهها، فرأى شاباً وجمالاً، ورأى البيت هو البيت الذي نزله، وسألته: هل تأكل؟ قال: نعم، فكشفت غطاء القدر، فرأت الباذنجانة، فقالت: عجباً من دخل الدار، فعضّها؟ فيكى الرجل، وقص عليها الخبر، فقالت له: هذه ثمرة الأمانة، عفت عن الباذنجانة الحرام، فأعطاك الله الدار كلها وصاحبته بالحلال.

وجاء في مذكرات الشيخ الطنطاوي قصة أخرى يقول فيها الشيخ: لعل الطرفة فيها أكثر من المنفعة منها، وهي واقعة أعرف أشخاصها وظروفها، وهي أن شاباً فيه تقى وفيه غفلة طلب العلم، حتى إذ أصاب منه حظاً قال الشيخ له ولرفقائه: لا تكونوا عالة على الناس، فإن العالم الذي يمد يده إلى أبناء الدنيا لا يكون فيه خير، فليذهب كل واحد منكم، وليشتغل بالصنعة التي كان أبوه يشتغل بها، وليتق الله فيها. وذهب الشاب إلى أمه، فقال لها: ما الصنعة التي كان أبي يشتغل بها؟ فاضطربت المرأة، فقالت: أبوك قد ذهب إلى رحمة الله فما لك وللصنعة التي كان يشتغل بها؟ فألح عليها، وهي تهرب منه، حتى إذا اضطرها إلى الكلام أخبرته، وهي كارهة أن أباه كان لصاً فقال لها: إن الشيخ أمرنا أن يشتغل كل بصنعة أبيه، ويتقى الله فيها، قالت الأم: ويحك! وهل في السرقة تقوى؟ وكان في الولد - كما قلت - غفلة، فقال لها: هكذا قال الشيخ. وذهب، فسأل، وتسقط الأخبار حتى عرف كيف يسرق اللصوص، فأعدّ عدّة السرقة، وصلى العشاء، وانتظر حتى نام الناس، وخرج ليشغل بصنعة أبيه، كما قال الشيخ، فبدأ بدار جاره وهمّ أن يدخلها، ثم ذكر أن الشيخ قد أوصاه بالتقوى، وليس من التقوى إيذاء الجار، فتخطى هذه الدار، ومرّ بأخرى، فقال لنفسه: هذه دار أيتام، والله حذر من أكل مال اليتيم، وما زال يمشي حتى وصل إلى دار تاجر غني ليس له إلا بنت واحدة، ويعلم الناس أن عنده الأموال التي تزيد عن حاجته، فقال: هنا، وعالج الباب بالمفاتيح التي أعدها، ففتح، ودخل، فوجد داراً واسعة وغرفاً كثيرة، فجال فيها حتى اهتدى إلى مكان المال، وفتح الصندوق، فوجد من الذهب والفضة والنقد شيئاً كثيراً، فهمّ بأخذه، ثم قال: لا، لقد أمرنا الشيخ بالتقوى، ولعل هذا التاجر لم يؤدّ زكاة أمواله، لنخرج الزكاة أولاً.

وأخذ الدفاتر، وأشعل فانوساً صغيراً جاء به معه، وراح يراجع الدفاتر ويحسب، وكان ماهراً في الحساب خبيراً بإمساك الدفاتر، فأحصى الأموال

وحسب زكاتها، فنحى مقدار الزكاة جانباً، واستغرق في الحساب حتى مضت ساعات، فنظر فإذا هو الفجر، فقال: تقوى الله تقضي بالصلاة أولاً، وخرج إلى صحن الدار، فتوضأ من البركة، وأقام الصلاة، فسمع رب البيت فنظر، فرأى عجباً: فانوساً مضيئاً! ورأى صندوق أمواله مفتوحاً، ورجلاً يقيم الصلاة، فقالت له امرأته: ما هذا؟ قال: والله لا أدري، ونزل إليه، فقال: ويلك! من أنت وما هذا؟ قال اللص: الصلاة أولاً، ثم الكلام، فتوضأ، ثم تقدم فصلباً فإن الإمامة لصاحب الدار. فخاف صاحب الدار أن يكون معه سلاح، ففعل ما أمره به والله أعلم كيف صلى، فلما قضيت الصلاة قال له: خبرني من أنت؟ وما شأنك؟ قال اللص: وماذا تصنع بدفاتري؟ قال: أحسب الزكاة التي لم تخرجها منذ ست سنين، وقد حسبتها، وفرزتها لتضعها في مصارفها. فكاد الرجل يجنّ من العجب، وقال له: ويلك! ما خبرك؟ هل أنت مجنون؟ فخبّره خبره كله، فلما سمعه التاجر، ورأى جمال صورته وضبط حسابه ذهب إلى زوجته، فكلّمها، ورجع إليه، فقال له: ما رأيك لو زوجتك بنتي، وجعلتك كاتباً وحاسباً عندي، وأسكنتك أنت وأمك في داري، ثم جعلتك شريكي؟ قال: أقبل. وأصبح الصباح، فدعا المأذون والشهود، وعقد العقد.

### كل من في الأرض للمسلم

٨٧٤

قال الناظم الفقيه العمري المقدسي:

وتارك الصلاة حتى كسلا      يقتل كضراً إن دعي وقال لا  
وماله فيء ولا يغسل      وصحح الشيخان حدّاً يُقتل

وقوله: «وماله فيء» يعني لبيت المال؛ لأنه لا يرث ولا يورث، وأصل الفيء مشتق من (فَاء) إذا رجع. قال الشيخ ابن تيمية: لما كان جميع ما في الأرض حلالاً وملكاً للمسلم المؤمن، ولا يستحقه الكافر؛ لعدم قيامه بشكر النعمة، ولذلك وجب

جهاده ليلتزم حكم الله، أو يدخل في دينه، وحل ما عنده من المال والنساء والمتاع، فإنه لها كالمغتصب؛ لعدم شكره، فسمي ما يغنمه المسلمون من الكافرين فيئاً؛ لأنه ملك لهم رجع إليهم بعد استغلال الغير له.

### كلمة الله فوق عين طفل

٨٧٥

ذكر في جريدة (الأنباء) الكويتية بتاريخ (٢٩ ربيع الأول ١٤٠٧ هـ) ما يلي:  
ذكر في مسقط أنه ظهرت على عين أحد الأطفال كلمة (الله) مكتوبة بطول (٤) ميليمترات تقريباً من العروق الرفيعة المملوءة بالدم الأزرق الداكن، ويبلغ الطفل العماني الذي ظهرت كلمة (الله) في إحدى عينيه من العمر خمس سنوات، ويدعى أنور بن فرج البطحري من سكان الشويمية في المنطقة الجنوبية بسلطنة عمان، ونسبت صحيفة (عمان) التي أوردت النبأ إلى والد الطفل قوله: إن نظر ابنه عادي جداً، وليس بين عينيه أي اختلاف.

### أراد حرق المصحف فاحترقت يده

٨٧٦

سبحان الله! كلمتان لا يستطيع الإنسان إلا أن يذكرهما، وهو يسمع تلك القصة التي أوردتها جريدة (عكاظ) والتي جاءت كالاتي:

نشرت جريدة (ترنيم) النيجيرية الواسعة الانتشار يوم الأربعاء الماضي خبراً لا يزال حديث الناس في نيجيريا بأسرها، فقد زلزل معقلاً من معاقل المسيحية في ولاية كنجولا النيجيرية. الخبر يقول: إنه وقف القس ولبرفورس راعي كنيسة المدينة ويده مصحف كان قد جذبه من بين يدي أحد الحاضرين. ثم ألقى به على الأرض، وسكب عليه مقداراً من البنزين وهم بإشعال عود ثقاب بالمصحف، وأصيبت يده بحروق شديدة، ولم تمس النار المصحف الشريف، وكان الحاضرون يتابعون هذا المشهد وهم في ذهول، حيث جرى ذلك في أثناء قدّاس في الكنيسة، وعقب هذا الحادث مباشرة أعلن القس فورس دخوله في الإسلام،

وتبعه رئيس الكنيسة يعقوب موسى، وتوالى دخول المبشرين المسيحيين في الإسلام حتى بلغ عددهم (٢٠٠٠) مبشر. وقدم يعقوب موسى (٢٢) سنة استقالته من منصبه بوصفه سكرتيراً عاماً للجمعية المسيحية النيجيرية للتصير في كنجولا، وفي حديث لرئيس تحرير الجريدة الحاج إبراهيم سليمان نشر في اليوم اللاحق صرح يعقوب موسى بأنه يعكف في الوقت الراهن على نشر الدعوة الإسلامية في أوساط المسيحيين في نيجيريا، خاصة أنه يحمل دبلوماً عالياً في علوم الكتب المقدسة. وأعرب يعقوب موسى عن أسفه؛ لأن الدعوة إلى الإسلام غير نشطة في المنطقة، وقال: إنه ينوي تأليف كتاب عن الإسلام، وقد شرع فعلاً في هذا العمل. ويقوم يعقوب موسى حالياً بزيارة لمدينة (كانو) بهدف جمع معلومات عن الإسلام والمسلمين في نيجيريا، وقد سأله رئيس التحرير عما ينوي القيام به من أجل الإسلام؟ فقال: إنه سيعمل على توضيح حقيقة الإسلام وإزالة كل الشبهات التي تعتمل في نفوس غير المسلمين تجاهه. وأعلن يعقوب موسى أنه حول كل أفراد أسرته إلى دين الإسلام، وقال: لو يمثل المسلمون الإسلام بالقدوة، فإنهم سيساهمون في نشر الدين الإسلامي بين غير المسلمين، وذلك من خلال العمل بما يأمر به الإسلام في مختلف أنشطة الحياة، وأشار يعقوب موسى إلى حاجة المنطقة إلى دعاة للدين الإسلامي يرشدون أبناءها، ويوجهونهم، ويخرجونهم من الحيرة التي يعانونها، ويعلمونهم قواعد الدين الإسلامي ومبادئه، هذا ما نشرته جريدة (عكاظ) على لسان مندوبنا في نيجيريا، والقصة لا تدعو أبداً إلى التعليق، ولكنها تدعو لكل المقاييس إلى العبرة والاعتبار، وما إيرادنا لذلك الخبر إلا لهذا الهدف. عن جريدة (المسائية) يوم (١٤٠٧/٣/١هـ).

جاء في جريدة (السياسة) الكويتية يوم (١٤٠٧/٤/٨هـ) نشرت صحيفة (الدستور) الأردنية أخيراً تحقيقاً صحفياً حول الطفل المعجزة عبد الله الصنادي

البالغ من العمر تسع سنوات، وقالت الصحيفة: إنه بعد صلاة العصر من يوم جمعة تقدم طفل صغير لم يتجاوز التاسعة من عمره صفوف المصلين في مسجد الشهيد بجبل التاج بالأردن، وبدأ يتحدث بأسلوب أخذ شائق يستند إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حول رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أصيب المصلون بالدهشة وهم يتابعون موعظة الطفل المعجزة حول مهمة الرسالة والأنبياء والعلماء من بعدهم، وقالت (الدستور): إن الحديث يتدفق من بين شفثيه بسلاسة وعذوبة وتركيز، مستشهداً بآيات قرآنية وأحاديث قدسية وأحاديث نبوية شريفة، مؤكداً أنه إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع استحق أبناؤه غضب الله ولعنته، وأخذ الله العامة بجريرة الخاصة، فالعذاب إذا نزل في الدنيا أصاب الصالح والطالح. وأجابت صحيفة (الدستور) في مقابلة مع الطفل عن مختلف الأسئلة والحقائق المتصلة بالطفل، فهو عبدالله أحمد علي الصنادي، تسع سنوات، طالب بمدرسة موسى بن نصير الإعدادية، يدرس في الصف الثالث الابتدائي، ولد في القاهرة، وتجول مع والده في عمله بالسعودية بمدينة القريات، وهو يعيش الآن في كنف والده في عمان، ويعيش مع والده وحيداً. والطفل المعجزة مبدع في دروسه كما هو مبدع في حفظ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتفسير والأحكام، وهبه الله قوة حفظ خارقة وشخصية قوية قادرة على التعامل مع أي مجتمع يتحدث فيه بلهجة واثقة. ويقول الطفل المعجزة: إنه ليس لديه فراغ كالأطفال الآخرين ليلهو ويلعب، فهو يقضي وقته إضافة إلى الأشغال اليدوية في الاستماع إلى المذيع، فيقوم بتسجيل الأحاديث الدينية والتلاوات المباركة، فيسجلها ويحفظها، ويعيد قراءتها وكتابتها حتى تستقر في ذهنه، وتفيض على لسانه بأسلوب مميز ورباطة جأش في مواقف يضعف أمامها أقوى المتحدثين.

أقول:

أسأل الله أن يتم عليه نعمته، وينفع به الإسلام والمسلمين، فهذا قد يكون عالماً في مستقبل الأيام، ولم لا؟ فالعلماء الكبار كانوا على هذا المستوى من النبوغ، مثل الأئمة الأربعة.

قالت السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد: «قاتل الله اللجاجة» قالتها حين رأت المأمون يمشي خليفةً، وسمعها المأمون، فسألها: لماذا قالت ذلك؟ فانصرفت عن الإجابة، ولكنه ألحّ ولجّ، فأجابته: لا تتلجلج، لقد كنت أنا وأبوك أيام الصفاء وحلاوة الوفاء نلعب الشطرنج ينزل المغلوب على حكم الغالب، فغلبني. ويصدر حكمه لأقف أمامه متجردة من أثوابي، ولا عيب في ذلك، زوج وزوجة، ولكني كنت أستحي حين يراني، فخضعت للحكم، ثم استأنفنا اللعب، فغلبته، وأصدرت حكمي، أمرته أن يطأ أقبح جارية في المطبخ، فكانت أمك مراجل، فحملتك وكان ما كان، واكفهر المأمون، ولم يزور، فقال: صدقت يا أماه «قاتل الله اللجاجة». هذه الكلمة جعلتني أكره الخوض في اللجاجة.

### نساء ألمانيا يطالبن بمنع الاختلاط في التعليم

طالبت المنظمات النسائية في ألمانيا الغربية بعودة الفصل بين الجنسين في المؤسسات التعليمية؛ وذلك لتجنب الفتاة المنافسة والإهمال من قِبَل الأساتذة. وأعربت تلك المنظمات عن اعتقادها بأن السبب الرئيس لمطالبتها يكمن في الإهمال الذي تعانيه الفتاة داخل المؤسسات التعليمية، والاهتمام بالفتيان خاصة في حصص الرياضيات والعلوم الطبيعية، ما يسبب ردع رغباتهن العلمية. وتبلغ نسبة المشاركة بالنسبة إلى الفتيان في الصف الواحد (٢٠٪) فقط، وذلك جعل الفتاة تصاب بالفطور إزاء أكثر المواد العلمية.

تضيف المصادر التنظيمية النسوية أن انفصال الفتاة عن الفتيان سوف يعيد لها بالضرورة ثقافتها بنفسها وبإمكاناتها، وكذلك تطورها العلمي. ( جريدة السياسة) الكويتية العدد (٧٣٣٨) الأحد غرة جمادى الآخرة (١٤٠٩هـ) الموافق (٨) من كانون الثاني (يناير) (١٩٨٩م) ص ٢٨.

هذه النادرة نهدىها إلى إخواننا المخدوعين ببهرج الاختلاط في التعليم الجامعي وغير الجامعي من أبناء هذا الوطن وجميع بلاد الإسلام.

وهم يدعون إلى ذلك بغير سوء قصد ولا خبث، ولكنهم مخدوعون، ويحبون التقليد، ونهدىها كذلك إلى إخوان الشياطين وأذئاب اليهود والنصارى والطابور الخامس الذين يدعون إلى ذلك عن سوء قصد وتبييت نية الهدم، وهم أحفاد ابن سلول وابن سبأ. نسأل الله لهم الهداية، وإن كان في علمه جل شأنه غير ذلك، فنسأله أن يطهر بلاد الإسلام والعرب منهم، وخاصة بلاد الحرمين.

يا للهول!

٨٨٠

عندما ظهر الوثنيون التتار على المسلمين في بغداد وقعت المأساة الدامية التي سجلتها الروايات التاريخية، والتي نكتفي فيها بمقتطفات سريعة من تاريخ (البداية والنهاية) لابن كثير فيما رواه من أحداث عام (٦٥٦هـ):

ومالوا على البلد، فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقتي الوسخ، وكمنا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات، ويغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم، فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة، فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وكذلك في المساجد والجوامع والربط، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا أماناً يدلون عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم. وعادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كلها، لكأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس وهم في خوف وجوع وذلة وقلة. وقد اختلفت الناس في كمية من قتل ببغداد من

المسلمين في هذه الواقعة. فقيل: ثماني مئة ألف، وقيل: ألف ألف. وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوماً، وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر، وعفي قبره، وكان عمره يومئذ ستاً وأربعين سنة وأربعة أشهر، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً، وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد، له خمس وعشرون سنة، ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن وله ثلاث وعشرون سنة، وأسر ولده الأصغر مبارك، وأسرت أخواته الثلاث فاطمة، وخديجة، ومريم. وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، وكان عدو الوزير، وقتل أولاده الثلاثة: عبد الله وعبد الرحمن وعبد الكريم وأكابر الدولة واحداً بعد واحد، منهم الدويدار الصغير مجاهد من أمراء السنة وأكابر البلد، وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس، فيخرج بأولاده ونسائه، فيذهب إلى مقبرة الخلال تجاه المنطرة، فيذبح كما تذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار، وقتل خطباء الأمة وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، ولما انقضى الأمر المقدر، وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر، فتغيرت صورهم، وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى، وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو والريح؛ فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإننا لله وإنا إليه راجعون. ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والفنى والمقابر وكانهم الموتى، إذ نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضاً، فما يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد، فقتلوا، وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دخلت على عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد احتضر، فدخل عليه عبد الله بن عمرو، فقال له: يا عبد الله، خذ ذلك الصندوق، فقال: لا حاجة لي فيه، قال: إنه مملوء مالا. قال: لا حاجة لي به. فقال عمرو: ليته مملوء بعراً، قال: فقلت يا أبا عبد الله، إنك كنت تقول: أشتهي أن أرى عاقلاً يموت حتى أسأله كيف تجد؟ فكيف تجد؟ قال: كأنما أتففس من خرم إبرة، ثم قال: اللهم، خذ مني حتى ترضى. ثم رفع يديه، فقال: اللهم، أمرت، فعصينا، ونهيت، فركبنا فلا بريء فأعتذر، ولا قوي فأنتصر، ولكن لا إله إلا الله (ثلاثاً) ثم فاض. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شاهد ملاحو طائرة شحن يابانية قبل شهرين طبقاً طائراً، وكان مقدراً أن تضاف قصتهم إلى أُلوف القصص المماثلة التي ثبت خطؤها لولا أن هذه المشاهدة الأخيرة جاءت مختلفة عن المؤلف؛ فملاحو الطائرة اليابانية الذين شاهدوا الطبق ليسوا أولاداً أو جهلة، بل يجمعون فيما بينهم (٤٦) سنة خبرة في حقل الطيران، وقد فحصوا جميعاً فور إعلانهم مشاهدة الطبق الطائر، وثبت أنهم أصحاء العقول والأجسام، وأنهم لم يتعاطوا أي شراب أو مخدر خلال الرحلة. كذلك وجد الخبراء أن وصفهم للصحن الطائر كان دقيقاً للغاية، ومتماثلاً من واحد إلى آخر، فهم رأوا طبقاً هائل الحجم، وربما في حجم ملعب كرة قدم على شكل حبة جوز وهو منتفخ من فوق وتحت ومسطح عند الأطراف، وكانت هناك أجسام مضيئة صغيرة تدور حوله. ولم تكن مشاهدة الطبق الطائر عابرة أو بعيدة، فالملاحون قدروا على رادارهم أن الطبق اقترب منهم حتى مسافة خمسة أميال، وعندما حاولوا الفرار منه تبعهم (٤٠٠) ميل.

وأغرب من كل هذا أن الجسم الغريب أو الطبق الطائر سجل في الوقت نفسه على رادار وكالة الطيران الفيدرالية الأمريكية، وهي المرجع في أمور الطيران العالمي كله. وعلى رادار سلاح الطيران الأمريكي. عن جريدة (الشرق الأوسط) يوم ١٥/٥/١٤٠٧هـ.

وتعليقنا هو قول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وذلك أنه يوجد عالم آخر في الكون لا يعلمه إلا الله، ولم يقل جل شأنه رب العالم، بل قال رب العالمين.

### الطنطاوي على مائدة الملك فيصل

٨٨٣

قال الشيخ: لقد عشت أكثر شبابي وسماء بلاد العرب ملبدة بالغيوم، لا يبدو فيها من الشمس شعاع، حتى إذا كانت سنة (١٩٧٣ م) إن لم أكن قد أخطأت التاريخ، وكان قد مر عليّ عشر سنوات وأنا أدرس في جامعات المملكة العربية السعودية في الرياض أولاً، ثم في مكة المكرمة، وأذيع من إذاعتها، كنت قادماً بالطيارة من الرياض إلى جدة، فاتفق أن كنت قريباً من الشيخ السقاف رحمة الله عليه الذي كان وزير الخارجية، أو يقوم مقام وزير الخارجية، فخبّرني خبيراً ملأ قلبي مسرة، هو أن المملكة وجهت الدعوة إلى وزراء خارجية الدول الإسلامية ليعقدوا مؤتمرهم، ليكون تمهيداً لمؤتمر القمة الإسلامي، وأبلغني عن المقام السامي بأن أكون في الفندق الذي ينعقد فيه اجتماع الوزراء حتى إذا عرضت مسألة شرعية، وكان لي علم بها ورأي فيها سئلت عنها. فركبني والله همّ أحسست منه كأن صخرة قد وضعت على كتفي، ولم أدر كيف أعتذر عنها، وأتخلص منها، وكان قد دعي إلى هذا مثلي الشيخ الصواف، والدكتور أمين المصري، فشكرت إليه، ورجوته أن يخلصني، فأخذني إلى لقاء الملك فيصل رحمة الله عليه، وقاموا إلى الغداء، فأقاموني معهم، وأنا أتحرج أن أكل في الفندق أمام الناس، فكيف على مائدة الملك فيصل؟ ولم يكن على المائدة إلا

هو رحمة الله عليه، والدكتور معروف الدواليبي، والدكتور أمين المصري، والشيخ الصواف، وأنا، وكان عليها ضيفان أحسبهما من الصحفيين من لبنان، وجعلوا يأتون بطبق بعد طبق، وأنا لا يحتمل أكلي كله ست دقائق، فكيف أنتظر حتى ينتهي الطعام؟ وجاؤوا بطبق فيه شيء حسبته من المعجنات، فأخذت الشوكة لأمسكه بها، ثم أقطعه بالسكين كما رأيت الناس يصنعون، وإذا هو صلب لا تنزل الشوكة فيه، وإذا هو ينط (وكلمة نط فصيحة) من الطبق وأنا يجللني الخجل لا أدري ما العمل، وأقول لنفسِي: ويحك! يا نفس، ما الذي جاء بك إلى مائدة الملك؟ ومتى كنت أصلح لها؟ وأجد أن الحق كله على الشيخ الصواف الذي يراه الناس نعمة يحرصون عليها، وأجده أنا عذاباً أهرّب منه، وتمنيت أن أجد شقاً في الأرض، أو زاوية في الغرفة أختبئ فيها، وليس يعلم إلا الله كيف أمضيت مدة الطعام، ولكن الذي أعلمه أنني قمت، وأنا جائع.

وأقول:

أظن الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ سَقَطَ مِنْهُ تَحْدِيدُ تَارِيخِ أَوَّلِ مُؤْتَمَرِ إِسْلَامِي، فَقَدْ عَقِدَ فِي الْمَغْرِبِ عَامَ (١٩٦٩م) بِدَعْوَةِ مِنَ الْمَلِكِ فَيُصَلُّ عِنْدَمَا أَقْدِمُ الْيَهُودَ عَلَى حَرْقِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

## العلاقة بين المال والسياسة

٨٨٤

قال هيكل في (أخبار اليوم) يوم (١٢/١٠/١٤٠٨هـ) على مائدة غداء مع دافيد روكفلر يوم (١٨ أكتوبر ١٩٧٥م): في إحدى قاعات الطعام المخصصة له في الطابق الأربعين من مبنى بنك تشيز مانهاتن سألتته صراحة عن العلاقة بين المال والسياسة، وكان رده ببساطة: «إنهما وجهان لعملة واحدة» وقلت له: إنني رأيت شخصك في بعض أزماتنا وأزمات غيرنا الكبرى، وفي بعضها الآخر لمحت ظلك، ثم عددت له بعض ما رأيت، ولمحت فيه من مناسبات وظروف، وكان رد دافيد روكفلر وبابتسامة هادئة هو قوله: «هل تسمح لي أن أقول لك ما القاعدة

الذهنية في عمل البنوك؟» ثم أجاب عن سؤاله: «الصمت» واستطرد: «كان أول درس تعلمناه في جو الأسرة أن أكبر قدر من النجاح يرتبط بأقل قدر من الكلام، كلما تكلمنا أكثر كشفنا من مواقفنا رقة أوسع، وكلما كشفنا المزيد من مواقفنا ضاقت أمامنا مساحة الحركة وحرية التصرف. ميدان المال فيه كثير من ميدان الحرب خصوصاً بالنسبة إلى السرية والمفاجأة وسرعة الحركة بالفعل وببرد الفعل» وقلت لـ (دافيد روكفلر) ما معناه: إن ذلك (الجو) الذي يحيط به وبغيره من أقراه يثير سحباً كثيفة من الشكوك والريب تصل أحياناً، إلى درجة سوء الظن وحتى الكراهية، وكان رده مختصراً: «إن الكلمات لا تقتل أحداً» وحين قلت له: إن كلامه يذكرني بمثل مأثور في الأدب العربي يقول: «إذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب» ارتفعت درجة حماسه ومد يده إلى ورقة وقلم وكتب ترجمة القول العربي المأثور قائلاً لي: «إنه سوف يطلب من سكرتارته أن يحضروه له على لوحة صغيرة من الفضة يضعها على مكتبه».

## التخفيف أمر نسبي

٨٨٥

جاء في كتاب (مختصر زاد المعاد) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في صلاة الظهر يطيل قراءتها أحياناً، حتى قال أبو سعيد: كانت صلاة الظهر تقام، فيذهب الذهاب إلى البقيع، فيقضي حاجته، ثم يأتي أهله، فيتوضأ، ويدرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الركعة الأولى مما يطيلها<sup>(١)</sup>. وكان يقرأ فيها تارة بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وتارة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ﴾، وأما العصر فعلى النصف من قراءة الظهر إذا طالت، وبقدرها إذا قصرت. وأما المغرب فكان هديه فيها خلاف عمل الناس اليوم، فإنه صلاها مرة بـ (الأعراف) في الركعتين ومرة بـ (الطور) ومرة بـ (المرسلات). وأما المداومة على قراءة قصار المفصل فيها فهو من فعل مروان، ولهذا أنكر عليه زيد بن

(١) أخرجه مسلم (١/٣٣٥ رقم ٤٥٤).

ثابت، قال ابن عبد البر: روي عنه أنه قرأ في المغرب (المص) وب (الصفات) وب (الدخان) و﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وب (التين) وب (المعوذتين) وب (المرسلات).

وأنه كان يقرأ فيها بقصار المفصل: وكلها آثار صحاح مشهورة. وأما العشاء الآخرة فقرأ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها ب (التين) ووقت لمعاذ فيها: ب (الشمس وضحاها) وب ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ونحوها. وأنكر عليه قراءته فيها ب (البقرة) وقال: «أفتان أنت يا معاذ؟»<sup>(١)</sup> فتعلق النقادون بهذه الكلمة، ولم يلتفتوا إلى ما قبلها ولا ما بعدها. وأما الجمعة فكان يقرأ فيها بسورتي (الجمعة) و(المنافقون) وسورتي (سبح والغازية) وأما الأعياد فتارة يقرأ ب (ق) و(اقتربت) كاملتين وتارة ب (سبح) و(الغازية) وهذا الهدي الذي استمر عليه إلى أن لقي الله عزَّجَلَّ ولهذا أخذ به الخلفاء، فقرأ أبو بكر (سورة البقرة) حتى سلم قريباً من طلوع الشمس، وكان بعده عمر يقرأ ب (يوسف) و(النحل) و(هود) و(بني إسرائيل) ونحوها. وأما قوله: «أَيْكُمُ أم الناس فليخفف» فالتخفيف أمر نسبي يرجع فيه إلى ما فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا إلى شهوات المأمومين.

نقول:

هذه النادرة أخذناها من (مختصر زاد المعاد) للإمام ابن القيم تأليف الإمام محمد بن عبد الوهاب، وهي تهمة إخواننا الكرام أئمة المساجد وفقهم الله.

قال الإمام ابن القيم: صح عنه «الرؤيا الصالحة من الله، والرؤيا السوء من الشيطان، فمن رأى رؤيا يكره منها شيئاً فلينبث عن يساره، وليتعوذ بالله من الشيطان، فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحداً، فإن رأى رؤيا حسنة

(١) أخرجه البخاري (١٤٢/١) رقم (٧٠٥)، ومسلم (٢٣٩/١) رقم (٤٦٥).

فليبشر، ولا يخبر بها إلا من يحب»<sup>(١)</sup> وأمر من رأى ما يكره أن يتحول من جنبه الذي كان عليه، وأمره أن يصلى. فأمره بخمسة أشياء: أن ينفث عن يساره، وأن يستعيز بالله من الشيطان، ولا يخبر بها أحداً، وأن يتحول عن جنبه الذي كان عليه، وأن يقوم يصلي. وقال: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت، ولا يقصها إلا على واد أو ذي رأي»<sup>(٢)</sup>، ويذكر عنه أنه كان يقول للرأي: «خيراً رأيت»<sup>(٣)</sup>، ثم يعبرها.

### دعوة الإخوان في نظر زعيمها الثالث

٨٨٧

المسلم لا يرضى أن يظلمه أحد، فمن تمام إسلامه ألا يظلم أحداً، فإذا تسلل هذا المعنى في طبقات الأمة وفتاتها حتى وصل إلى الحاكم، فلن تجد حاكماً مسلماً يظلم؛ لأنه لا يجب أن يظلم، ولا تجد حاكماً مسلماً يؤمم ما يملكه الناس؛ لأنه لا يجب أن يؤمم ملكيته أحد، ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده»<sup>(٤)</sup> فاستمسكاً من المسلم بتعاليم دينه لا يبطش ولا يشتم، والحاكم مسلم، فعليه ألا يبطش، ولا يشتم، فإن فعل فعلى المسلمين جميعاً حمله على ترك البطش والسفه بكل الوسائل التي سنّها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تغيير المنكر باليد، فمن لم يستطع فباللسان، فمن لم يستطع فبالقلب وليس وراء ذلك ذرة من إسلام أو إيمان أو إحسان. فالإخوان المسلمون يدعون إلى كل ذلك بكونه عنصراً أو جانباً من تعاليم دينهم لا على أنه سياسة بالمفهوم الدارج لهذه الكلمة

(١) أخرجه البخاري (١٢٥/٤-١٢٦) رقم (٣٢٩٢)، ومسلم (١٧٧٢/٤) رقم (٢٢٦١)، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٤/٤) رقم (٥٠٢٢)، وابن ماجه (١٢٨٨/٢) رقم (٣٩١٤)، وصححه ابن حبان في صحيحه (٤١٥/١٣) رقم (٦٠٥٠)، وحسنه شعيب الأرنؤوط. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٨٤٨).

(٣) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه (٢٧/٢٥) رقم (٤٢)، من حديث أم الفضل: أنها رأت كأن قطعة من جسد النبي قطعت ووضعت في حجرها، فقال لها النبي: «خيراً رأيت، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً، فيكون في حجرك»، فولدت فاطمة حسناً، فكان في حجرها، قال ابن الملقن في البدر المنير (٥٤٣/١): إسناده جيد.

(٤) أخرجه البخاري (١١/١) رقم (٩)، ومسلم (٦٥/١) رقم (٤١).

في هذه الأيام. لا يقومون بهذا على أنه تخصص أو ممارسة، ولكنهم يقومون به تلقائياً كما يدخل الهواء أنوفهم لإصلاح رئاتهم وتنقية لدمائهم دون أن يكون لهم دخل إرادي في هذا، أو كما تتحرك حراشيف المعدة انقباضاً وانبساطاً لتعضم ما فيها من غذاء، دون أن يطلب الواحد منهم عناء في هذا المجهود. وإذا كان شرع الله الذي يطالبون بتطبيقه قد تحدث عن العدل والحرية والإنصاف من يوم أن نزل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإذا كان الإخوان المسلمون من دعاة هذا الدين فهم بدهياً لم يدخلوا على مناهجهم شيئاً جديداً بالحذف أو بالإضافة، ولكن هذا هو طريقهم الذي تخيروه لأنفسهم من أول يوم قامت فيه دعوتهم، ونادى على رؤوس الأشهاد مرشدهم الإمام حسن البنا رضوان الله عليه أنهم ليسوا ذوي أطماع في حكم، ولكنهم ذوو سعي في سبيل إصلاح كل حكم، إنهم ليسوا ذوي رغبة في مكانة أو جاه، فإنهم بدعوتهم وبتمسكهم والعمل من أجلها والتضحية في سبيلها أعلى الناس قدراً وأوسعهم جاهاً وأهنأ حياة، إنهم أغنى من على ظهر الأرض باستغنائهم عما في أيدي الناس بما أفاءه الله لهم من رزق، إنهم لا يسألون الناس شيئاً لأنفسهم، ومن لا يسأل الناس فإنه الغني حقاً وصدقاً. فهل أن للناس أن يفهموا هذا أم يريدون أن يبقوا على جهالتهم بتعاليم هذا الدين؟ وسواء أصر بعضهم على ألا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، أو أخذوا بمفهوم الإخوان النابع من كتاب الله وسنة رسوله من أن الإسلام دين ودولة، سواء أفهم الناس هذا أو ذلك فليس هذا بمغير شيئاً من مناهجهم وعملهم حتى يلقوا الله معذورين، فليرح خصوم دعوة الإخوان أنفسهم أو العاطفون المحبون للإخوان، ليريحوا جميعاً أنفسهم من اللجاج في هذا الأمر؛ لأن الإخوان المسلمين إذا صحبوا الناس بأبدانهم فإن نظرتهم وتطلعهم وأملهم متعلق بالله عَزَّجَلَّ بمن أحصى كل شيء عدداً، فهو المطمح، وهو المرجى، وهو المقصود، وهو المعبود بحق، وهو العليم بالنيات، وما تخفي الصدور، أما النشء فلا دراية لهم إلا بالظاهر من الأمور ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

جَسْمِي مَعِي غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمْ      فَالْجِسْمُ فِي غَرْبِةٍ وَالرُّوحُ فِي الْوَطَنِ

من أجل ذلك سيظل الإخوان المسلمون أحياء بدعوتهم؛ لأنهم حملة هذه الدعوة إلى الناس، وإنهم أحياء ولو انتقلوا إلى جوار ربهم، في حين أن خصومهم أموات، ولو كانوا يسيرون على أقدامهم. كم من ظالم أو متزلف من طاغية آذى الإخوان، ثم ذهب، واختفت آثاره وذكراه، أما الإخوان المسلمون فلا يزالون يحملون هذه الدعوة مسلماً عن مسلم، ويملؤون طباق الأرض هتافاً بأن الله غايتهم ويا لها من غاية، والقرآن دستورهم دون دساتير الأرض مجتمعة، وأن الرسول زعيمهم مهما تعلق الناس بقيادة وزعماء غيره، والجهاد سبيلهم لا ينظرون إلى سواه، ولا يظن الناس أن الجهاد طلقة مدفع أو أزيز نفثاته فحسب، ولكن ما عليه الإخوان المسلمون من دعوة ومثابرة وإعداد واستهانة بكل قوى الأرض واحتساب، فإنه جهاد وفي صميم الجهاد، بل ومن دونه لن يكون جهاد. إن الإخوان لا يخافون مخلوقاً أياً كان موقعه، إذ ليس من دنياهم ما يخافون عليه من أحد، فالرزق ليس على الأرض: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] والأجل هو الدرع الحقيقية التي يدرعون بها إذا هدهم الطغاة والظالمون: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] كذلك ليس عند الظالم من شؤون الآخرة ما يرجوه الإخوان له. فما الذي يخيفنا من الناس أو ما الذي يطمعنا فيهم؟ فليربح خصوم الإخوان على أنفسهم، فالموقف قد تحدد والأمر قد استبان. إن مكة بلد الله الحرام، وإن رمضان شهر الله دون حرمة الآدمي ودمه عند الله. هذه هي الموازين القسط التي يجب أن يلجأ المنصفون إليها إذا ما أرادوا وزن أي أمر من الأمور أو إنسان من الأناسي. أما وصف امتهان خلق الله وانتهاك حرمت المسلمين بأنها سلبيات فوصف خادع مخادع وتهرب من إعطاء المسميات أسماءها الصحيحة التي علمنا الله إياهم. ومع كل ما أصابني، وأصاب الإخوان معي فمحتسب عند الله. وأطلب المغفرة لمن اجترحه وجناه، فالنتيجة الكبرى والمطلب الأسمى أن ننجو يوم الحساب مما جنيناه من عمد أو خطأ، وأما غيرنا فليس لنا معه إلا أن نردّد قول

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] اللهم، تقبل، وارحم، وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته أجمعين ومن اتبع هداه إلى يوم الدين. كلمة قالها أفقر الفقراء إلى الله رب العالمين عمر عبد الفتاح التلمساني في (١٠) من رمضان سنة ١٤٠٣هـ في مجلة (الدعوة).

نقول: عمر هذا أشهر من أن يعرف زهداً وورعاً، وذكر في مذكراته أن الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ رشحه للقضاء، واعتذر.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِأَصْرَادٍ﴾ [الفجر: ١٤].

ذكرت صحيفة (الثورة) اليمنية أن نزاعاً شبَّ بين أخ وأخيه على ملكية أرض زراعية انتهى إلى قتل أحدهما للآخر، فعندما التقيا على نفس الأرض البعيدة قليلاً عن قريتهما ثارت بينهما الخصومة ما جعلهما يتبادلان إطلاق النار على بعضهما من بندقيتهما، حتى أُردى واحد منها قتيلاً، وفر الآخر تاركاً جثة أخيه مضرجة بالدماء بعد أن فارق الحياة، ومكث القاتل بعد الحادثة مختبئاً في منطقة أخرى مدة شهرين حتى ضاق من أمره، وقرر أن يبحث عن مكان آخر، فعزم على الرحيل في أثناء الليل، وبينما هو يمر في بقعة مليئة بالحشائش فوجئ بحية تعضه في رجله، ودار بينها وبينه قتال، وشاء الله ألا تطلقه الحية إلا بعد أن مزقها بخنجره، وانطلق القاتل إلى أقرب مستوصف لينقذ نفسه، بينما كان رأس الحية لا يزال عالقاً في رجله، وتم إنقاذه والتعرف إليه، ثم سلم إلى يد العدالة؛ كي تقتص منه جزاء فعلته النكراء. ذلك كله يجسد لنا حكمة الله ومشيئته؛ حيث سلط عليه ما يكون سبباً في تلقيه الجزاء الدنيوي قبل جزاء الآخرة.

أقول:

هذا العمل نتيجة لقلّة الدين، وعدم الخوف من الله، وثمرّة الغضب التي هي من الشيطان، وإن المرء ليعجب أشدّ العجب من رجال من بلادنا وفي غيرها من البلاد، ويصرف في بعض الأيام الآلاف، ولا يهتم بها، ويقتل أخاه أو جاره على شبر من أرض أو دينار أو درهم. نسأل الله الرشاد للجميع.

### رسول الذي يجيب المضطر

٨٨٩

ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي الصوفي: قال هذا الرجل: كنت أكاري على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني، فركب معي ذات مرة رجل، فمررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة. فقال لي: خذ في هذه؛ فإنها أقرب، فقلت: لا خبرة لي فيها، فقال: بل هي أقرب، فسلكناهما، فانتهينا إلى مكان وعروود عميق وفيه قتلى كثيرة، فقال لي: أمسك رأس البغل حتى أنزل، فنزل، وتشمر، وجمع عليه ثيابه، وسل سكيناً معه وقصدني، ففرت من بين يديه، وتبعني: فناشدته الله، فقلت: خذ البغل وما عليه، فقال: هولاي، وإنما أريد قتلك، فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل، فاستسلمت بين يديه، وقلت: إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين، فقال: عجل، فقامت أصلي فارتج علي القرآن، فلم يحضرني منه حرف واحد، فبقيت واقفاً حائراً، وهو يقول: هيا افرغ، فأجرى الله على لساني قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢] فإذا بفارس قد أقبل من فم الوادي ويده حربة، فرمى بها الرجل، فما أخطأت فؤاده، فخرّ صريعاً، فتعلقت بالفارس، وقلت: بالله من أنت؟ فقال: أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، قال: فأخذت البغل والحمل، ورجعت سالمًا.

أقول:

إنها قصص مواعظ وعبر، وما أكثرها في تاريخنا الإسلامي الحافل

بالقصص الحقيقية والواقعية التي ليست من نسج الخيال، وقد نقلتها من مختصر تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي آخر تفسير سورة النمل، وبالله التوفيق.

### المسافر وما يلزمه

٨٩٠

قال لقمان لابنه: يا بني، إذا سافرت فلا تتم على راحتك، وإذا نزلت بها أرضاً مكلاة فأعطيها حظها من الكلاً، وابدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك، وإذا أردت النزول فلا تنزل على قارعة الطريق، فإنها مملأ بالحيات والسباع، ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لوناً وأحسنها تربة، وسافر بسيفك وقوسك وجميع سلاحك، وخفك وعمامتك وإبرتك، وكن لأصحابك موافقاً في كل شيء يقربك إلى الله، ويباعدك من معصيته، وأكثر التبسم في وجوههم، وكن كريماً على زادك بينهم، وإذا دعوك فأجبهم، وإذا استعانوك فأعنهم، وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم، واجهد رأيك، وإذا رأيتهم يمشون فامش معهم، أو يعملون فاعمل معهم، واستمع لمن هو أكبر منك، وإن تحيرت في طريق فانزلوا، وإن شككتهم في القصد فتثبتوا وتشاوروا، وإذا رأيتهم خيالاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم، فإن الشخص الواحد في الفلاة هو الذي يحرركم، واحذروا الشخصين أيضاً إلا أن تروا ما أرى، فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وإن العاقل إذا أبصر شيئاً بعينيه عرف الحق بقلبه.

أقول:

الراحلة اليوم هي السيارة وإكرام السيارة فحصها وملاحظة زيوتها وشحومها وجميع محركاتها، ويا ليت المسؤولين خففوا على الناس رسم الفحص الدوري إلى عشرة ريالاً مثلاً، فهم أهل للرفق.

### مع سيف الله خالد

٨٩١

لما كتب الخليفة أبوبكر الصديق إلى قائده في العراق خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشام قائداً على جيوش المسلمين مكان أبي عبيدة بن الجراح، أخذ

خالد صحراء السماوة بين العراق والشام حتى انتهى إلى قراقر، فقطعها في خمس ليال، ولكنه لم يكن يعرف هذا الطريق حتى دلوه على رافع بن عميرة الطائي، فكان دليلاً خريماً بارعاً، فقال لخالد: خَلَّف الأثقال، واسلك هذه المفازة إن كنت فاعلاً، فكره خالد أن يخلف أحداً، وقال له: «لا بد أن نكون جميعاً» فقال له رافع: والله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفسه، وما يسلكها إلا مغرر مخاطر بنفسه، فكيف أنت بمن معك؟ فقال خالد: «لا بد من ذلك» فقال: ابغني عشرين جزوراً من الإبل، فحبسهن عن الماء حتى ظمئن، ثم سقاهن حتى روين، ثم قطع مشافرهن وكعمهن حتى يمنعها الاجترار، ثم قال خالد: سرّ بالخيول والأثقال، فكلما نزلت منزلاً نحرت من تلك الجزر أربعاً، ثم أخذت باقي بطونها من الماء، فسقيته الخيل، وشرب الناس. فلما صاروا إلى آخر المفازة جهد الناس، وعطشت دوابهم، فقال له خالد: ويحك ما عندك؟ قال رافع: أدركت أمري إن شاء الله، انظروا هل تجدون شجرة عوسج على ظهر الطريق؟ فنظروا، فوجدوا أصلها تكاد تطمره الرمال، فقال: احفروا في أصلها، فحفروا، فوجدوا عيناً، فشربوا، وتزودوا، فقال رافع: والله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة واحدة مع أبي وأنا غلام.

عاشق شهم شجاع

١٩٢

كان خالد بن عبد الله القسري ممن تولوا حكم البصرة أيام الأمويين، ولاه عليها هشام بن عبد الملك الأموي، ثم عزله عنها. حدث يوماً أن كان خالد في مجلس حكمه بالبصرة، فجاءه رهط قد أمسكوا بشاب ذي جمال وكمال وأدب ظاهر، ووجه زاهر حسن الصورة والملبس، طيب الرائحة، عليه سكينة ووقار، فقدموه إلى خالد، فلما سألهم عن قصته؟ قالوا: هذا لص أصبناه البارحة في منازلنا. فنظر إليه خالد، فأعجبه حسن هيئته ونظافته وسكينة نفسه ووقار حركاته، فقال: خلوا عنه، ثم أدناه منه، وسأله عن قصته؟ قائلاً له: ما حملك على ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة؟ قال: حملني عليه الشر في الدنيا،

وبهذا قضى الله سبحانه وتعالى، فصاح فيه خالد: ثكلتك أمك أما كان لك في جمال وجهك ورجاحة عقلك وحسن أدبك ما يزعرك عن السرقة؟ فأجابته في سكون وأدب: دَعُ هذا عنك أيها الأمير، وأنفذ ما أمرك به الله تعالى، فذلك جزائي على ما اكتسبته يداي، وما الله بظلام للعبيد، فتحير خالد، وصمت يفكر في أمر الفتى وغبابة مبادرته إلى الاعتراف، ثم أدناه منه، وقال له: اعترفك على رؤوس الأشهاد قد رايتني في أمرك، وما أظنك سارقاً، وإن لك قصة غير السرقة، فأخبرني بها، قال: أيها الأمير، لا يقع في نفسك إلا ما اعترفت به عندك، وليس لي قصة أشرحها لك إلا أنني دخلت دار هؤلاء، فسرقتم منها مالاً، فأدركوني، وأخذوه مني، وحملوني. فأمر خالد بحبسه، وأمر منادياً ينادي في البصرة: من أحب أن ينظر إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر في الغد، فلما استقر الفتى في الحبس، ووضعت رجلاه في الحديد تنفس الصعداء، ثم أنشد:

هَدَدَنِي خَالِدٌ بِقَطْعِ يَدِي      إِنَّ لَمْ أَبْحُ عِنْدَهُ بِقِصَّتِهَا  
فَقُلْتُ: هِيَ هَاتِ أَنْ أَبُوحَ بِمَا      تَضْمَنَ الْقَلْبُ مِنْ مَحَبَّتِهَا  
قَطْعُ يَدِي بِالَّذِي اعْتَرَفْتُ بِهِ      أَهْوَنُ لِلْقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِهَا

فسمعه الموكلون به، فأتوا، وأخبروه بذلك، فلما جن الليل أمر بإحضاره عنده، فلما حضر استنطقه، فوجده أديباً ظريفاً، فأعجب به، وأمر له بطعام، فأكلها معاً، ثم تحدثا ساعة، ثم قال له خالد: قد علمت أن لك قصة غير السرقة، فإذا كان الغد، وحضر الناس والقضاء، وسألتك عن السرقة، فأنكرها، واذكر فيها شبهة تدرأ عنك القطع، فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ادْرؤوا الحدود بالشبهات»<sup>(١)</sup>، ثم أمر به إلى السجن، فبات هناك، فلما تنفس الصبح بدأ الناس يتوافدون أرسالاً إلى الساحة التي سيعاقب فيها الفتى ليروا عقوبته، فلما كانت الغداة ركب خالد ومعه وجوه البصرة وغيرهم، ثم دعا بالقضاة، وأمر بإحضار

(١) ضعفه الألباني في إرواء الغليل (٧/٣٤٣ رقم ٢٣١٦).

الفتى، فأقبل يحجل في قيوده، ولم تبقَ واحدة من النساء إلا بكت عليه، وارتفعت أصواتهن بالعويل والنحيب، فأمر بتسكين الناس وإسكاتهم، ثم التقت إلى الفتى قائلاً: إن هؤلاء القوم يدعون أنك دخلت دارهم، وأخذت مالهم فما تقول؟ قال: صدقوا أيها الأمير، دخلت دارهم، وسرقت مالهم، فأمسكوني به. فسأله: لعلك شريك القوم في شيء منه، فأجاب: بل المال كله لهم، ولا حق لي في شيء منه، عندئذ غضب خالد؛ لأنه كلما فتح له باباً للخلاص أصر على سده في عناد، فقام بنفسه، وضربه بالسوط، وقال متمثلاً:

يَريِدُ المرءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ

ثم دعا الجلاد ليقطع يده، فحضر، وأخرج السكين، وقبض على يد الفتى، وشهر السكين لقطعها، فإذا جارية من صف النساء تخرج وعليها إزار وسخ، فصرخت، ورمت بنفسها عليه، ثم أسفرت عن وجه وضاح كأنه البدر في تمامه، وضج الناس لذلك ضجة منكرة، وكادت تقع فتنة، ثم نادى الفتاة بأعلى صوتها: رويداً أيها الأمير، ناشدتك الله ألا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة، فلما فض خالد الرقعة وجد فيها هذه الأبيات:

أخالدُ هذا مستهامٌ متيمٌ	رمتُه لحاظي عن قسيِّ الحمايقِ
فأصماه سهمُ اللحظِ مني فقلبه	حليفُ الجوى من دائه غيرُ فائقِ
أقر بما لم يقرفه كأنه	رأى ذلك خيراً من هتيكة عاشقِ
فأشفق على الصبِّ الكئيبِ فإنه	كريمُ السجاياءِ في الورى غيرُ سارقِ

فلما قرأ الأبيات تنحى عن الناس، وأحضر الفتاة، ثم سألها عن القصة، فأخبرته أن هذا الفتى عاشق لها، وهي له عاشقة، وأنه أراد زيارتها، فلما بلغ الدار تسلقها حتى استوى على السقف، وأراد أن يعلمها مكانه، فرمى بحجر إلى الدار، فسمع وقعها أبوها وإخوتها، فصعدوا إليه، فلما أحس بهم يحاصرنه بادر

بجمع ما تيسر له من قماش البيت، وجعله صرة، فأخذوه على هذه الهيئة، وقالوا: هذا سارق، ثم أتوا به إليك، فاعترف بالسرقة، أصر على ذلك؛ حتى لا يفضحني بين أهلي، وهان عليه قطع يده ليستر علي كل ذلك لمرءته وكرم نفسه، فقال خالد: إنه خليق بذلك، ثم استدعى الفتى إليه، وقبّل ما بين عينيه، وأحضر أبا الفتاة، وقال له: إني عزمت على قطع يد هذا الفتى حدًّا، وإن الله أنقذه، وأنقذني من الخطأ، وأمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانة شرفكم، وأمرت لابنتك بمثل ذلك، وأنا أسألك أن تأذن لي في تزويجها منه، فقال والدها: رضيت وشكرت، ثم إن خالدًا حمد الله، وخطب خطبة حسنة، ثم قال: زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة بإذنها ورضاها وإذن أبيها ورضاه على عشرة آلاف درهم، فقال الفتى: قبلت هذا التزويج، ثم قال الفتى هذين البيتين مشيرًا إلى خالد:

لقد جدت يا ابن الأكرمين بنعمة      جمعت بها بين المحبين في ستر  
فلا زلت للإحسان كهفًا وملجأ      وقد جل ما كان منك عن الشكر

### أمانة النصارى السورية

٨٩٣

ألقي القبض أمس على أكثر من (٢٠) موظفًا في قسم الأمتعة التابعة لشركة (بريتش أيرويز) إثر عملية كبرى للشرطة في مطار هيثرو الدولي. ويتوقع أن توجه لهؤلاء الموظفين خلال (٢٤) ساعة تهمة التآمر على السرقة من حقائب الركاب في المطار.

وقال البوليس: إنه قام بعملية تمشيط شاملة في المطار وفي منازل موظفي الشركة بعد عملية مراقبة استمرت أسابيع عدة، وامتنع البوليس عن كشف أي رقم لقيمة المسروقات، واكتفى بالقول: إن جرائم سرقات حقائب الركاب وأمتعتهم كانت مشكلة كبيرة في مطار هيثرو مدة سنوات عدة (عن جريدة الرياض يوم ٣/١٠/١٤٠٧هـ).

سجلناها في كتابنا، وهي مهداة مني ومن كل مسلم إلى من افتتوا بمدح الغرب والشرق بالأمانة والصدق والخط من قدر الإسلام والمسلمين والعرب، ولو أن هذا حصل في مطار إسلامي أو عربي لأقاموا الدنيا، وأقعدوها، ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل.

### الشعبي يصف شعر الأعشى

٨٩٤

قال الإمام الشعبي: الأعشى أغزل الناس في بيت، وأخنث الناس في بيت، وأشجع الناس في بيت، فأما أغزل بيت فهو:

غراءُ فرعاءُ مصقولُ عوارضها      تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحلُ

وأما أخنث بيت فقولته:

قالت هريرة لما جئت زائرَها      ويلى عليك وويلى منك يا رجلُ

وأما أشجع بيت فقولته:

فتى لا يريد العزَّ إلا من التقى      ولا المالَ إلا من قنى وسيوفِ

### سماحة أهل حائل

٨٩٥

حدثني أحد الأصدقاء من شمر قال: كان لي جار في مدينة الدمام، وذات يوم دخل عليّ مهموماً قائلاً: المشورة يا جاري، قلت له: ما الأمر؟ قال: صدر الأمر بنقلي من عملي إلى مدينة حائل، وأنا أصلي من المنطقة الجنوبية، وعشت هنا، وأحببت البلد، ولا أريد الذهاب إلى هناك، حتى لو استقلت من عملي. قلت له: مهلاً، لا تتعجل، فالبلد الذي نقلت إليه أحسن جواً من الدمام، قال: لا بد من الاستقالة، قلت له: والله إن نقلت إلى حائل ولو شهراً واحداً فسترغب، وتطلب الاستمرار بها، وكان عسكرياً في رتبة كبيرة، واعتذر عن الذهاب، وقدم

استقالته إلى المسؤولين، وقدم الأعدار المقبولة، فقال له المسؤول بعد الاطلاع على ملفه، وأنه من الأكفاء: لا، لن تقبل استقالتك وعليك التنفيذ. وفعلاً نفذ الأمر، وذهب، وبعد أشهر عدة جاء إليّ يسلم، فقلت له: ماذا صنع الله بك، وما أخبارك مع شمرك؟ قال ضاحكاً: شهادتك في أهل حائل مجروحة، حيث إنهم أبناء عمك شمرك، قلت له: ماذا لقيت؟ قال: لقيت فوق ما تقول فيهم بكثير، وها أنذا سأستقر هناك، وسأرحل، ولماذا لا أرحل إلى بلدة تجمع بين نظافة البيئة، وبرودة الجو واعتداله وبشر الوجوه وكرم الأخلاق، حيث إن أسوأ كلمة تقال لي هناك: يا بعد حيي.

أقول:

حائل هي بلد حاتم الطائي الذي قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابنته سفانة: «لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه»<sup>(١)</sup>. وهي بلد زيد الخيل الذي سماه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد الخير<sup>(٢)</sup>.

### هيكل يبكي أمام عبدالناصر

٨٩٦

قال محرر الوفد في مقابلة مع صلاح نصر في يوم ١٣/١٠/١٤٠٧هـ، وأسجل أنه كان يتحدث بعد أن قضى في السجن سبع سنوات استطرد يروي لكبار الكتاب والصحفيين:

هيكل أقرب المقربين إلى عبدالناصر، وكان عبدالناصر يصف هيكل بالكذاب، قال لنا عبدالناصر مرة: لم أسمع بواحد قط كان زميلاً لهيكل في أثناء الدراسة بالجامعة الأمريكية كما يدعي، بينما هناك من زامله في العمل موظفاً لدى قيادات الإنجليز في معسكرات القناة، وكان عبدالناصر يضع أمام هيكل كل

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤٣٣/٥ رقم ٢٠٨٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٨/١١-٣٥٩).  
(٢) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه (٢٠٢/١٠ رقم ١٠٤٦٤)، وأبونعيم في معرفة الصحابة (١١٩٨/٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤٣١/٥ رقم ٢٠٨٥)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٩٨/٧ رقم ١١٨١٤).

أسراره التي يخفيها، فيبكي هيكل أمامه، وهي أسرار تريق ماء الوجه، وحرص عبد الناصر أن يطلب من سامي شرف أو من حسن عيش وكيل المخابرات العامة أن يجند كبار الكتاب المصريين ليعدوا له تقارير المعلومات عن أصدقائهم وزملائهم ورحلاتهم في الخارج مقابل أجور ضخمة قبل أن يسند إليهم المناصب الرئاسية في دور الصحف، وكان بعضهم يتقدم متطوعاً لأداء هذه المهمة تقريباً من السلطة، فإذا ما سمع عبد الناصر بلقاء أحدهم فاتحه في بداية اللقاء بأسراره الشخصية المشينة، فيتلاشى هذا الكاتب أو ذلك أمامه، ويبقى طوال اللقاء ذليلاً أسيراً، فكيف يستطيع أحد بعد ذلك أن ينقد أو يصلح؟ هذا الكلام لصالح نصر صاحب مخابرات عبد الناصر حتى عام (١٩٦٧م) عام الهزيمة الكبرى التي سماها هيكل وبقية المطبلين (نكسة) وهي هزيمة عسكرية وسياسية ودينية وأدبية لم يجر على العرب والإسلام أعظم منها بعد غزو التتار وخروج المسلمين من الأندلس، هذه هي الثلاث هزائم للعرب والمسلمين، وقد تكون أكبر الهزائم في هذه الفترة.

والغريب أن هذا الدجال؛ وأقصد هيكل لا يزال يكذب على الناس في كتبه، ولا يزال يصف عبد الناصر بالبطل المنتصر، ولا يزال هذا العلماني يحاول قلب الحق باطلاً، ولكن يعزينا قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

قد أثبتت الدراسات الميدانية في الغرب والشرق أن التدين يخفف كثيراً من قلق الموت ورهبته، وثبت أن هناك فارقاً واضحاً بين معنى الموت ومواجهته بين المتدين وغير المتدين، ولحظات الوفاة تسجيل دقيق لنتائج أعمال الإنسان في الدنيا، فالمؤمن الصالح مرحب للموت فرح بقاء الله. أما الكافر فهو على العكس تماماً.

وأعتقد أن اللحظات التي سبقت وفاة ستالين الزعيم الروسي هي نموذج لوفاة غير المؤمن، وقد سجلتها ابنته سفيتلانا في مذكراتها، فتقول: كان موت أبي مأساة حقيقية، مأساة صعبة، إن الله لا يمنح الموت السهل إلا للمؤمنين. إن النزيف الداخلي امتد رويداً رويداً إلى بقية المخ، وإذا كان قلب أبي قوياً، فإن النزيف غزا بالتدريج مركز التنفس، وانتهى بالاختناق، كان أبي يعاني نقصاً حاداً في الأكسجين، وكان وجهه ترتسم عليه أمارات الفزع، وكان متقلصاً، واسودت شفاته، وأصبحت تقاطيع وجهه غريبة، وكانت الساعات الأخيرة احتضاراً رهيباً، وكان أبي يخفق بدمائه تحت أنظارنا، وفي اللحظة التي باتت وكأنها الذروة في احتضاره فتح عينيه فجأة، وشمل جميع ممن حوله بنظرة رهيبة، نظرة معتوه أو نظرة خوف من الموت أو من الوجوه الغريبة للأطباء الذين كانوا بجواره، ثم وقع شيء مخيف وغير مفهوم لن أنساه مدى الحياة، ولم أفهمه حتى اليوم، فقد رفع أبي فجأة يده اليسرى، وكأنه يشير إلى شيء، ثم أسقطها إلى جانبه، وكأنه يلعننا جميعاً، وكانت تلك الإيماءة التمهيدية بلا تفسير، ولم يستطع أحد أن يقول إلى من أو إلى ماذا كانت موجة.

وشهادتها لا تحتاج إلى شرح أو تعليق أو توضيح، فهي نهاية رجل لم يؤمن تنطبق عليه الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] إن اللحظة التي رأى فيها ستالين كل شيء، وفهم كل شيء هي اللحظة التي بدأ فيها رحلة الذهاب إلى حيث لا رجوع.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]

كانت الأحداث تتوالى بسرعة. كاد الرئيس السادات يفقد صوابه تجاه العلماء ورجال الدين تدريجياً، وفي يوم (٤) سبتمبر ١٩٨١م اعتقل الشيخ، وذهب به إلى سجن التجربة، وهو أسوأ السجون المصرية على الإطلاق، ومخصص

لكبار المجرمين والخطيرين، ووقف السادات يخطب في الأمة مزهواً في يوم (٥) سبتمبر بأن الشيخ البذوي (يقصد الشيخ أحمد المحلاوي) ملقى في السجن كالكلب. كانت الأوامر تقضي بمعاملة الشيخ أسوأ معاملة، ولكن الله كان هناك، كان في هذا السجن شخص يقضي عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة بتهمة الاتجار في المخدرات يتمتع بنفوذ كبير داخل السجن بفضل ما يدفعه من رشاً وإتاوات وشراء للذمم، كانت أفخم الأطعمة تأتي إليه ساخنة أو باردة من أكبر المحال في القاهرة، وبنخوة مصري بسيط قرر هذا الرجل أن يشرك المحلاوي معه في طعامه أو شرابه، بل لقد أرسل في طلب ملابس للشيخ، وجاءته على وجه السرعة، بل إن ذلك الرجل قرّر أن يصلي حتى يقبل الشيخ مشاركته في الطعام على أساس أنه ربما لا يقبل أن يشاركه بدعوة أنه لا يصلي، وكانت مفاجأة للشيخ أن يجد أمامه طعاماً لم يذقه في حياته، وملابس فخمة وعدداً كبيراً من الحراس رهن إشارته بحكم أموال ذلك الرجل التي تدفع لهم، ويذهب السادات، ويخرج الشيخ من السجن، والله غالب على أمره. عن كتاب (قصتي مع السادات) الذي كتبه د. محمود مورو، مع تحفظنا على ما جاء في الكتاب من عبارات من عند المؤلف لا تمت للإسلام بصلة.

قال الشيخ عبد الحميد كشك - وهو من أشهر خطباء الجمعة في مصر - في مقابلة مع جريدة (المسلمون) يوم (٧/١١/١٤٠٧هـ) ما يلي: إنه في يوم الجمعة الثامن والعشرين من أغسطس ١٩٨١م صعدت المنبر، وكنت أشعر وأنا أصعد درجة بسخونة الأحداث وارتفاع درجة حرارتها، فقد كان كل شيء ينذر بوقوع أشياء جسيمة وخطيرة، ورأيتني في مقدمة الخطبة أصرخ بأعلى صوتي قائلاً: اتق الله أيها الظالم، فالليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال فلا بد من دخول القبر؛ وظلت أردد كلمات فيها الوعيد للظالمين، وبالفعل، ففي ليلة الثاني من سبتمبر ١٩٨١م انتزعني الحراس من بين أطفال السبعة،

وعلمت بعد ذلك أن المصلين في مسجد عين الحياة قاموا بمظاهرات بعد صلاة الجمعة لما علموا أنني قد تم إلقاء القبض عليّ. كان مواعي مع التحقيق يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر سبتمبر، ففي صبيحة هذا اليوم جيء بقافلة من السيارات، وفي موكب مسلح تتقدمه الدراجات البخارية التي تمرق مروق السهم من الرمية، وقد انطلقت الصفارات تفسح الطريق لسيارتنا التي حشرنا فيها حشراً، حتى استقر بنا المقام أمام المبنى الذي سيحقق معنا فيه، ودخلت على المحقق، ووجه أسئلته، وكان أكثرها يدور حول الخطب، ومن الأسئلة التي مازلت أذكرها هذا السؤال الخالد: لماذا تهاجم نيللي؟ وكأن هذه قد أصبحت ذاتها مصونة لا تمس، ومن أرادها بسوء قصمه الله، وكأنها كنانة الله في أرضه أو مبعوثة العناية الإلهية، فقلت: إنما كنت أطالب بتأخير فوازيرها حتى نصلي القيام، فقد صرفت الناس عن صلاة القيام في رمضان، ثم قلت: لقد صارت كالهلال نصوم لفوازيرها، ونفطر لفوازيرها، وسأل: لماذا تهاجم الكرة؟ قلت: لأنها تحولت إلى رياضة مذمومة، وأصبح ضررها كالخمر والميسر.

### الاشتراكية واردة من البيت الأبيض

٩٠٠

قال الداعية الإسلامي والمحاضر في جامعة الملك عبدالعزيز الأستاذ/ محمد قطب، وهو شقيق الشهيد سيد قطب صاحب الموقف المشرف أمام مستورد الشيوعية لأرض الكنانة (عبد الناصر)، يقول رَحِمَهُ اللهُ في كتابه (واقفنا المعاصر) ص ٣٥٢:

يظن كثير من الطيبين أن الاشتراكية التي استخدمت في المنطقة كانت واردة من روسيا، ويستدلون على ذلك بلا شك بالتوغل الذي توغلته روسيا في المنطقة في وقت من الأوقات.

وقد كانت (اللعبة) متقنة في الحقيقة لتؤدي إلى هذا الاعتقاد عن الناس  
لأمر يراد.

هناك كتاب كان مقررًا على طلبة البكالوريوس في كلية التجارة بجامعة  
القاهرة فترة من الوقت يحمل عنوان (مراحل التنمية الاقتصادية في البلاد  
المتخلفة) من تأليف (ولت روستو)، وهو أحد أخوين يهوديين يعملان في البيت  
الأبيض الأمريكي، يقول فيه ما خلاصته: إن المنطقة- يقصد ما يسمى منطقة  
الشرق الأوسط- معرضة للشيوعية بسبب فساد الحكم فيها والفوارق الضخمة  
بين الطبقات وانخفاض مستوى الدخل، ولا بد لعلاج هذا الأمر من رفع مستوى  
المعيشة، وتقريب فوارق الطبقات، وإزالة الفساد الضارب أطنابه في الحكم، ولا  
يمكن رفع الدخل القومي إلا عن طريق التصنيع الثقيل، ولكن التصنيع الثقيل في  
البلاد المتخلفة لا يمكن أن يقوم به رأس المال الفردي؛ لأنه لا يحقق أرباحًا سريعة،  
وقد يظل يحقق خسائر مدة عشر سنوات أو خمس عشرة سنة مما لا يتحملة  
رأس المال الفردي؛ لذلك ينبغي أن تقوم به الدولة، وذلك بإنشاء قطاع عام يظل  
يتسع تدريجيًا حتى يحتوي القطاع الخاص في داخله، ولا بد في الوقت نفسه من  
إنشاء زعامات محلية قوية تلتف حولها الجماهير؛ لكي لا تتجه ببصرها إلى  
روسيا، وبعد أن يرتفع الدخل القومي، وتقرب فوارق الطبقات يمكن الرجوع على  
نشاط رأس المال الفردي الحر مرة أخرى، بينما تكون شعوب المنطقة قد كرهت  
الشيوعية تحت وطأة التجربة الاشتراكية المخففة، ثم يضيف الشيخ محمد  
قطب قائلاً:

هل بقي شيء من الصورة يختلف عن الواقع الذي طبق بالفعل؟!!

نعم، هناك شيء واحد لم يكن في بال (والث روستو) وهو يصدر الاشتراكية  
إلى شعوب المنطقة من داخل البيت الأبيض؛ لأنه لم يكن يعيش هناك، وكان  
يتصور الأمر من وراء مكتبه لا من المشاهدة الميدانية.

لقد جاء التأميم إلى مصر، فأممت المصانع الحيوية والمؤسسات، فتحول من فيها من العمال إلى موظفين في الدولة على ذات النسق نفسه الذي كان قائماً في دواوين الحكومة من قبل، فضلاً على ما يحدث في الاشتراكية دائماً من وجود طبقة من العاملين لا تعمل في الحقيقة إنما ينصرف همها إلى التقرب إلى المباحث والمخابرات بالتجسس على إخوانهم وكتابة التقارير. وهكذا لم يرتفع الدخل القومي بالتجربة الاشتراكية، ولم يصلح الفساد، بل انهار الاقتصاد، ووصل حد الإفلاس، وعولج في كل مرة بالقروض التي تؤدي في النهاية إلى مزيد من الانهيار.

ثم يضيف الشيخ محمد قطب قائلاً: المهم لدينا في سياقتنا هذا أن التحول الاشتراكي العظيم كان توجيهاً من البيت الأبيض، ولم يكن توجهاً حقيقياً إلى الاشتراكية. لقد كان الهدف أخطر من ذلك بكثير، وهو حرب الإسلام.

## أنواع الصبر

٩٠١

قال حجة الإسلام الغزالي: إن الصبر تختلف أسماؤه باختلاف ما يصبر عليه المرء منه، فإن كان صبراً عن شهوة البطن والفرج سمي عفة، وإن كان في احتمال مكروه سمي صبراً وضده الجزع، وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وضده البطر، وإن كان في الحرب سمي شجاعة وضده الجبن، وإن كان في كظم الغيظ سمي حلمًا وضده التذمر، وإن كان في نائبة مضجرة سمي سعة الصدر، وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السر، وإن كان في فضول العيش سمي زهداً، وإن كان على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة، والصبر عن المحظور فرض، وعن المكروه نفل، وعن أذى الناس فضيلة.

قال بعض العلماء: إن الذهب والفضة إذا خرجا من معدنهما صارا كالزرع المحصورة والأنعام المذبوحة لا يسوغ غير أكلها وإنفاقها، وكذلك هذا المال ليس له بعد الاستتباط غير الطبع عيناً وورقاً وترديده في الأيدي، لهذا السبب تروى حكمة تحريم الأواني الذهبية؛ لأنها تصير غير منتفع بها في الوقت الذي جعلت من أجل تسهيل التبادل في المصالح البشرية.

تقول جيهان السادات زوجة الرئيس المصري الراحل أنور السادات: إنها لن تنسى أبداً أصوات المدافع الرشاشة التي أنهت حياة زوجها عام ١٩٨١ م. وتصف السيدة جيهان السادات في كتاب عنوانه (سيدة من مصر) تروي فيه سيرتها الذاتية، وما تشع به من ذكريات مرعبة عن قتل زوجها بأيدي جماعة إسلامية، بينما كان يشاهد عرضاً عسكرياً في القاهرة. وتقول أيضاً: سأظل أسمع ما حبيت صوت البنادق الآلية التي أنهت حياة زوجي وتسعة أشخاص آخرين، وسأظل أرى دماء أنور، وهي تسيل على المقاعد الخشبية المبعثرة على منصة العرض.

وقالت أيضاً: إنها ستظل طوال حياتها تبكي عندما تذكر أحفادها الصغار وهم يصرخون هلعاً، بينما حطم الرصاص النوافذ فوق المنصة، وارتطم بالحائط الأسمنتي الذي كنا نختبئ خلفه. ومضت تقول: ستمر خمسة أعوام لكي يستطيع أحفادي النوم دون كوابيس، ولن أعرف أبداً طعم النوم الهادئ مرة أخرى.

هذا ما ذكرته جريدة الجزيرة يوم ١٨/١٢/١٤٠٧هـ ونسبته لوكالة رويتر،  
ونسجله هنا ليعتبر أولو الألباب، وليعلم أن السعادة هي بتنفيذ تعاليم رسول  
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ما عناه الإمام الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقوله:

وَلَا تَأْسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى فَائِتٍ وَعِنْدَكَ الْإِسْلَامُ وَالْعَافِيَةُ

وللعلم، فهذه المرأة أمرها عجيب، فهي في غاية الدهاء، وهي مسترجلة،  
وتحمل الجنسية البريطانية والأمريكية، وتسلطت على كثير من الأموال العامة  
المصرية باسم جمعيات الوفاء والأمل.

وفي الفترة الأخيرة قامت بجمع التبرعات لجماعات إسرائيلية، ولكن ربك  
بالمرصداً، فمع كل هذه الشهرة والأموال حرّمها الله السعادة والنوم.

وصدق الله العظيم، حيث يقول ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً  
ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤] فهذه والله المعيشة الضنك.

## انتهاك حرّمات البشر

٩٠٤

قالت جيهان السادات زوجة الرئيس المصري أنور السادات في مذكراتها في  
جريدة (الوفد) عدد يوم ٢١/١/١٤٠٨هـ:

همس أحد زعماء قرية ميت أبوالكوم في أذني، وأنا في زيارة إلى هناك في  
صيف ١٩٦٩م: مدام إن ما يحدث في قرية كشيخ شيء غير إنساني، لقد دخل  
ضباط البوليس أمس، وأخرجوا عميد عائلة النقي من منزله، وربطوا حبلاً في  
رقبته، وطلبوا منه أن يركع على يديه وركبتيه مثل الحمار، وأخذوه إلى شوارع  
القرية، وطلبوا من الفلاحين أن يبصقوا عليه. وتقول جيهان: وانتهكت حرّمات  
البشر، وأصبح منظرًا مألوفًا أن يقتحم رجال الأمن منزل أحد المشتبه فيهم في  
أثناء الفجر، ويؤخذ الرجال من وسط أطفالهم دون أي سبب.

أقول:

هذا كلام سيده شاركت زوجها الحكم بمعنى الكلمة، وتدخلت في كل صغيرة وكبيرة، وهي تكتب هذا الكلام لينشر باللغات الغربية من إنجليزية وفرنسية وغيرها، وقد سمت مذكراتها أو كتابها هذا (سيده من مصر) ونشر في صحف عدة عربية، ولا شك أن هذه المرأة في منتهى الذكاء والدهاء، وتُدْرَس في جامعات أمريكية عدة.

أقول:

وماذا يقول عن العرب والمسلمين من يقرأ هذا الكلام؟ لا شك أنه سيصاب بالدهشة! كيف يحدث هذا العمل الشنيع من حاكم لمواطنيه؟ وسيكون سبة عار إذا علم أن الرئيس الأمريكي كنيدي قتل، ولم يعتقل أحد، والرئيس الأمريكي ريجان جرح ولم يعتقل إلا واحد، ورئيسة الوزراء الإنجليزية تاتشر فجر الفندق وهي بداخله ولم يعتقل إلا اثنان، هل يعرفون عنا أن ديننا وإسلامنا يأمر بنص القرآن بأن: ﴿وَلَا تُزْرُ وَأَزْرَةٌ وَزَرْ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] وأن الخليفة عمر قال لنائبه على مصر: «متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»، وأمر المصري بأن يقتص من الحاكم الإداري، ولكن الله المستعان، وله الأمر من قبل ومن بعد.

من مذكرات مدرس

٩٠٥

يقول أحد المدرسين: علبة العصير التي غيرت حياتي. هذه السنة الثانية لي في التدريس، ومدير المدرسة يستدعيني في مكتبه: أستاذ راشد! هذه السنة جدولك سيكون في الصفين الثاني والثالث الأدبي! مفاجأة لم أحسب حسابها! فأنا ما زلت شاباً صغيراً، عمري لم يتجاوز الرابعة والعشرين بعد! حاولت معه ليتركني أستمري في تدريس الصف الأول، لكن هيهات! فخرجت من عنده، وأنا أتذكر ما يردده بعض زملاء عن طلاب الأدبي: فهم الأسوأ، وهم كبار السن

الذين لا يرغبون في شيء اسمه دراسة، فعشت ساعات في قلق، فماذا أفعل لم يتبقَّ على بداية العام إلا أقل من أسبوعين؟ فذهبت إلى المستودع، وأخذت كتب هذين الصنفين، وقرأتها حتى حفظت كل ما فيها.

لا، لا، هذه لا تكفي، فتوجهت إلى مكتبة الرشد، واشترت كتباً ومراجع لكل ما يتعلق بالمواد التي سوف أدرسها، ولا سيما كتب التحليل الأدبي وشروح ديوان المتنبي وأبي تمام، وغداً أول أيام العام الدراسي، فإذا بي أردد بيت امرئ القيس:  
ألا أيُّها الليل الطويل ألا أنجلي .....

وكعادة الشعراء يشكون جراحهم في الليل، ففيه الهدوء، أما أنا فكنت أنتظر الصباح لأرى هل أنجح مع هؤلاء الطلاب، وأكسب قلوبهم؟ رن الجرس معلناً بداية الحصة الثانية. نعم، أتذكر تلك الحصة بكل تفاصيلها! فاتجهت للصف الثاني الأدبي، ودخلت الفصل بكل هدوء، وعرفتهم بنفسي وبالمواد الكثيرة التي سوف أدرسها لهم، وطلبت أن يعرفنا كل طالب باسمه، والتفت إلى السبورة، وكتبت المادة: (أدب) الدرس: (تاريخ الأدب العباسي). وبينما أكتب على السبورة عنوان الدرس، فإذا بي أسمع انفجاراً مدوياً داخل الفصل، مفاجأة مرعبة! أحد الطلاب قذف علبة (عصير الربيع) بكل قوة في اتجاه السبورة، وأثار العصير أصابت جزءاً من ثوبي! مفاجأة وأي مفاجأة؟! لكنني حسبت حسابها قبل حدوثها، والحمد لله أنها حدثت في بداية العام! فالتفت إلى الطلاب، فكأن على رؤوسهم الطير، صمت رهيب يخيم على الفصل، وبحسبة بسيطة عرفت أن الذي رمى علبة العصير يجلس في الخلف، فلم أتكلم مدة دقيقة! بعدها انطلقت قائلاً: أنا أستطيع أن أخبر الإدارة، وهم يخرجون الطالب، ويعاقبونه، لكنني متأكد أن الطالب الذي رمى علبة العصير كان يقصد أن يضعها في سلة المهملات أسفل السبورة، وأن الذي رمى العلبة رجل سيكون من أحسن الطلاب، وأنه سيعتذر؛ لأنني سامحته، وبذلك أحسسته بأنني انتصرت، لكن ماذا بشأن بقية طلاب الفصل؟ فقد رأيت في أعين بعضهم الأسف، فقلت لهم: هل أخطأت؟

إن كنت أخطأت على أحد منكم فأنا أستحق هذه الإهانة أو أكثر، أنا سأدرسكم، وسأقف معكم، وسأكون صديقاً لكم، أنتم مظلومون، هل تعلمون أن أكثر الوزراء من خريجي القسم الأدبي؟ فألقيت عليهم المقطوعة الشعرية، وهي قصيدة المقنع الكندي، فهزت مشاعرهم، وظهر الندم عليهم مشوباً بالإعجاب بالأستاذ الجديد، ورنّ الجرس، فتوجهت إلى المكتبة، حيث يوجد مكتبي، فلاحقني الطالب، وهو في قمة الحرج والحياء قائلاً: آسف، فقلت له: تعال معي، اجلس. جلس، وبكى ذلك الطالب الفتوة الذي طالما أزعج المدرسة والمدرسين، فقدمت له الشاي، فلم يصدق أن مدرساً يصب له الشاي، فأخذ رأسي وقبله، وتغير هذا الطالب، وأصبح يسلم خافضاً رأسه حياءً واحتراماً، فاستبشر المعلمون، وصار ذلك الطالب من أحسن الطلاب، وتمر السنون، ويتخرج في الثانوية، ويلتحق بـ (كلية الملك خالد العسكرية)، ويتخرج ضابطاً، ويستمر تواصله معي، ويدعوني لحضور زواجه، فشكرته على حلاوة أخلاقه، حيث ذكر قصة علبة العصير لوالده، فضحك الوالد، ودعا لي بظاهر الغيب.

أقول:

عالجوا أيها المدرسون، جموح المراهقين وعنفوانهم بهذا الأسلوب الجميل.

رئيس أمريكا رجعي

٩٠٦

قال الرئيس الأمريكي ريجان في خطاب له في واشنطن يوم ٣٠/١/١٩٨٤هـ: إن الإنجيل يضم كل الإجابات على قضايا العصر وكل الأسئلة الحاضرة، وقال: إن أمريكا أقامها رجال آمنوا بأنه لا عاصم إلا الله إلهنا، وإذا كنت أعترف بأننا يجب أن نكون على حذر في ادعاء أن الله معنا، فإنه من الضروري أن نتساءل دائماً: هل نحن مع الله؟ وأضاف يقول: إن الأموال التي تنفقها في محاربة المخدرات والخمر والأمراض يمكن توفيرها لو حاولنا جميعاً أن نعيش وفق

الوصايا العشر، لقد أخبروني أنه منذ بداية الحضارة سنّت ملايين القوانين، ولكنها جميعاً لم تصل إلى مستوى قانون الله في الوصايا العشر (عن مجلة أكتوبر ١٢/٢/١٩٨٤هـ).

وتعليقنا: ماذا نتوقع أن يقول الأمريكيون لزعيمهم؟ هل وصفوه بالرجعية والتأخر؟ هل وصفوه بالجمود؟ هل تعالت الصيحات من كل مقهى وملعب رياضة: اسكت يا رجل، نحن في عصر الصاروخ والذرة وأنت تدعو إلى نظام القرن الأول الميلادي ونحن في نهاية القرن العشرين؟!

نعم، نعم، هذا ما لاقاه دعاة الإسلام في بلاد العرب والمسلمين، فحين قامت المملكة بنشر الإسلام والدعوة إليه وتطبيق الحدود لاقى زعماءها الأمرين من كل ذنب من أذنان الشرق والغرب، طبعاً خارج المملكة ولله الحمد، وعند قيام الجماعات الإسلامية في بعض أقطار العرب والمسلمين في الدعوة والرجوع إلى تطبيق القرآن والسنة لاقوا من العنت والاستهزاء والتعذيب ما لا يعلم إلا الله شدته، فنقول لهم: هل رئيس أمريكا رجعي؟ هل الأمريكيون جهلة؟ هل الذرة وعصرها الذي تتبجحون بذكرها عندما تذكرون بسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل هي من صنعكم أم من صنع قوم ريجان؟ هل الصواريخ من صنعكم أم من صنع قوم ريجان؟ هل غزو الفضاء من عملكم أم من عمل ريجان؟ هل الضبط والربط الإداري والضببط الصناعي من عندكم أم من عند ريجان وقومه؟ لماذا لا يخجل الرجل من ذكر تعاليم دينه والدعوة إليه، وتخجلون أنتم من ذكر دينكم وشعائره؟ ولكنها نتيجة الجهل والهزيمة والنسيان، لكم من الله حيث نسيتم الله، فأنساكم أنفسكم.

انتبهوا لأطفالكم

٩٠٧

جاء في جريدة (الشرق الأوسط) يوم الأحد ٢/٤/١٤٠٨هـ:

أفاق السكان في منطقة قليبية التونسية على صراخ أم يمزق سكون المكان، خرج الجيران لاستيضاح الأمر، فوجدوا صبياً في الرابعة عشرة من العمر يتدلى

من حبل ربط في كوة بجدار. اعتبرت السلطات الحادث انتحاراً، وأمرت بفتح تحقيق لمعرفة ملابساته، وباستجواب الأم أفادت أن ابنها القتل كان مدللاً، وكان يعامل معاملة حسنة للغاية، لكنه اعتاد أن يتخاصم بين حين وحين مع شقيقته الصغرى لأسباب تافهة. ومضت تقول: إنها في يوم الحادث صرخت فيه بسبب مشاجرة وقعت بينه وبين شقيقته، وأنها أنبته على ما فعله، فصدرت منه تهديدات لم تأخذها الأم على محمل الجد، واستطردت الأم في محضر التحقيق قائلة: إن خمس دقائق مرت على هذه الواقعة، وإذا بإحدى جاراتها تبلفها بوجود الصبي معلقاً من رقبته يتدلى من كوة الجدار، وقد اتضح أن الصبي أتى بقضيب حديدي، وثبته في الكوة التي تبعد أمتاراً عن المنزل، ثم لفّ الحبل حول رقبته، وربط طرفه الآخر في القضيب، ووقف فوق صناديق طماطم، ثم دفعها بقدميه لينزل مشنوقاً على النحو الذي شاهده الجيران، وأكدت الأم أن ابنها أدمن مشاهدة الأفلام البوليسية، ولا سيما تلك التي تبثها من حين لآخر القناة الإيطالية، وكان يحرص في كل مرة على سرد ما يشاهد من مغامرات على مسامع أصدقائه الأطفال من أبناء الجيران.

نقول:

هذا ما جناه الإعلام الغربي الخبيث على المجتمع.

تفسير آية

٩٠٨

قال العلماء في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] سأل فيها أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان الإمام الجليل عبد الله بن عباس عليهم جميعاً رضوان الله؟ فقال: يا ابن عباس، كنت أقرأ كتاب الله، فعلتني موجة في بحر القرآن كادت تغرقني، قال ابن عباس: وما تلك يا أمير المؤمنين، قال: قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] قال ابن عباس: هي من القدر (بفتح القاف وإسكان

الذال) أي فظن أن لن نصيق عليه، فلما ترك قومه مغاضباً كان جزاؤه أن التقمه الحوت، وهو مكان ضيق: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٢﴾ لَلِثِّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

### من ابتلي بأربع فلا ينسى أربعاً

٩٠٩

قال الإمام جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عجبت لمن ابتلي بأربع كيف ينسى أربعاً، عجبت لمن ابتلي بالخوف كيف ينسى قوله تعالى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤] وعجبت لمن ابتلي بالضرر كيف ينسى قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤]، وعجبت لمن ابتلي بالغم كيف ينسى قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقد قال الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] وعجبت لمن ابتلي بمكر الأعداء كيف ينسى قوله تعالى: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] وقد قال الله تعالى: ﴿فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِإِثْمَالِهِمْ فِرْعَوْنُ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥].

### الليث يستمع للقرآن

٩١٠

حبس أحمد بن طولون أحد حكام مصر الأقدمين العالم الجليل القدر أبا الحسن أحمد بن بنان، وقد دخل العالم على الحاكم، فأمره ونهاه، فغضب الحاكم

على العالم متجاهلاً قول الصادق المعصوم صلوات ربي وسلامه عليه: «اثنان إذا صلحا صلحت الأمة، وإذا فسدا فسدت الأمة: العلماء والأمرء»<sup>(١)</sup>. غضب الحاكم ولم يبق في قوس صبره منزع، وبلغ من غضبه بعدما غلى مرجل غيظه، وانفجر أنه قال لجنده: خذوا هذا، وادفعوا به إلى أسد جائع، وأغلقوا عليهما قفصاً حتى لا يبقى من عظامه ولحمه، ولا يذر. وانفرد الأسد بالعالم الجليل، وفي صبيحة اليوم اللاحق نظر الحراس، فوجدوا العالم يجلس في وقار وجلال يذكر آيات الله، ويتلو آياته المباركات، ووجدوا الأسد الرئبال مطأطئ الرأس في سكينة وتواضع يستمع إلى أي الذكر الحكيم، وكيف لا وهو كلام الله جل جلاله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِثْقَالَ نَسْعَةٍ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، ثم كيف لا؟ ومنزل الكتاب سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

## خمس خصال

٩١١

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر المهاجرين، خصال خمس إذا ابتليتم بهن نزلن بكم، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم. ولم يمنعوا زكاة مالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، وما لم يحكموا بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم، ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم»<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكره الجبرتي في عجائب الآثار (١٨/١)، من قول سفيان الثوري رحمه الله.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٣٢٢/٢ رقم ٤٠١٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٥٧/٢ رقم ١٧٦١).

قال الشيخ الجليل عبد الحميد كشك رَحِمَهُ اللهُ فِي مذكراته: جاءني الشيخ عبد المقصود حجر، وقال لي: ألا تدري ماذا يحدث لي في السجن الحربي على يدي شمس بدران؟ قلت له: قل يا أخي، فإني أسمع، وكان الحديث بيننا همساً، قال: لما دخلت السجن الحربي نودي عليّ، وذلك من قبل شمس بدران، وبعد سؤال وجواب قال لي: إن لم تعترف الآن بالمعروف فسوف أعرفك كيف تعترف، سأنتزع الاعتراف من رأسك بالطريقة التي أراها. ولم يكن عندي ما أقوله، فليس هناك تهمة ولا ذنب، فبماذا أتعرف؟ ولكنهم قوم لوزعت قسوة قلوبهم على أهل الأرض ما بقي للرحمة سبيل إلى قلب واحد من أهل الأرض، ولما لم يجد مني أي اعتراف أمر زبانيته أن يأخذوني ويغلوني، ورأيت نفسي أمام بئر آبار المجاري، وإذا به يصدر الأمر أن أنزل في هذا البئر المليء بالقاذورات والفضلات، وكان يوماً شديد الحر، كأن شمس خرجت من بين الرمال، ولم تشرق من بين السحب، لقد سال من الشمس لعاب كالمهل يشوي الوجوه، أمرهم أن يخلعوا ثيابي كيوم ولدتني أمي، وامتثالاً لأمر الطاغية نزلت في البئر، وصلت القاذورات إلى عنقي، فقال لي الطاغية: اغمس رأسك يا ابن كذا وكذا، وإلا حطمت رأسك بحدائي هذا، قال الشيخ وهو من حملة القرآن الكريم: فوضعت يدي على وجهي، وغمست رأسي، فلما رفعته قال لي بصوته المفزع: هل ستعترف؟ فأقسمت بالله أن ليس عندي ما أعترف به، هذا وقد اشتعل جسمي لهيباً، وكان هناك من الحشرات ما يلسع، ويقرض، ويلدغ كلها كأنها قد اجتمعت علي فضلاً على الرائحة التي تزكم الأنوف، وتطيش لها العقول، ثم قال: أخرجوه، وحسبت أنني سأذهب إلى دورة المياه لأغسل ما علق بجسمي من تلك النجاسات المركزة، ولكنني فوجئت بهم يأخذوني عارياً ملوثاً إلى مكان تركز الشمس حرارتها عليّ، فاجتمع عليّ قيظ الهواجر ولهيب ما علق بجسمي من قاذورات وما زكم من أنفي من خبيث الرائحة، وظللت هكذا ساعات وساعات.

سجل التغريب في المرحلة البورقيلية لا يشرف حاكماً مسلماً لبلد مسلم، وهو ما تمثل في ذلك الانحياز المدهش لكل ما هو فرنسي بصورة تكاد توحي بأن فرنسة المجتمع التونسي وثبتت التبعية الثقافية والحضارية للغرب ظلًا ضمن المحاور الإستراتيجية التي التزم بها النظام خلال السنوات الثلاثين التي أعقبت التحرير الأول، في هذا الإطار صدر قانون الأحوال الشخصية الذي لا يحاسب الزوج إذا زنى، ولكن يحاكمه، ويسجنه إذا تزوج بأخرى، وثمة قضية شهيرة هزت تونس في آخر السبعينيات، وخلاصتها أن رجلاً ضبط متلبساً بارتكاب جريمة التعدد، وعندما قدم إلى المحاكمة كانت نقطة الدفاع الأساسية التي أثارها محاميه هي أن علاقة الرجل بالمرأة الثانية لم تكن زواجاً، والعياذ بالله، ولكن المرأة كانت خليلية له، الأمر الذي أراد به المحامي أن يثبت أن موكله مارس عملاً مشروعاً يحميه القانون، ولا يجرمه، وقد فشل المحامي في أن يثبت للمحكمة أن المسألة لم تخرج عن حدود العشق والزنا المباح، ما رجح لدى المحكمة وفي ضمير قاضيهما أن المتهم قارف جريمة الزواج، فحكمت بسجنه حتى يرتدع، ويكون عبرة لغيره، في هذا الإطار أيضاً دعا الرئيس بورقيبة إلى الإفطار في رمضان؛ حتى لا تتعطل الأعمال، وكان هو شخصياً في مقدمة المفطرين، وزعم أن إفطاره قد يكون مبرراً بحكم سنه أو مرضه إلا أنه كان يقيم حفلات الغداء لضيوفه علناً في شهر رمضان، ويدعو وزراءه وكبار رجال الدولة بطبيعة الحال إلى مثل هذه المناسبات. وفي شهر رمضان الفائت أقام غداءً من هذا النوع لرئيس الوزراء الفرنسي جاك شيراك حضره الوزراء وبعض أكابر القوم من التونسيين، ونقل التلفزيون التونسي مآدبة الغداء التي شاهدها ملايين الصائمين، وقيل وقتذاك: إن الوفد الفرنسي هو الذي أبدى رغبة في تأجيل الغداء وتحويله إلى عشاء مثلاً، ولكن الرئيس بورقيبة أصر على إقامة الغداء إكراماً لضيوفه الذين يعتز بهم

للاغاية، في الوقت نفسه، فإن بورقيبة لم يكف عن تسفيه المتدينين وتحقيرهم في كل مناسبة، فلم يكن يذكر المتدينين والعلماء خاصة إلا ويقترن ذكرهم بصفات مثل الرجعية والتحجر والتخلف، وفي العام الماضي أقيم الاحتفال السنوي الذي يضاف فيه الرئيس أوائل الكليات الجامعية، وتنقله الإذاعة والتلفزيون على الهواء مباشرة، وعندما تقدم إليه الأول على كلية الشريعة وبّخه الرئيس قائلاً: إن البلد ليس في حاجة إلى مأذونين جدد، ثم تفرس في هيئته، وسأله عن القذارة التي في وجهه؟ فقال له الطالب: إنها لحيته أطلقها اقتداءً بالنبي عليه الصلاة والسلام (عن جريدة الوطن) ١٤٠٨/٣/٢٠ هـ الكويتية.

## وسع الكون

٩١٤

أسفرت بحوث علمية قام بها ثلاثة من علماء الفلك الأمريكيين في المرصد الوطني بولاية أريزونا وعالم من المعهد الفلكي البريطاني في كامبريدج عن اكتشاف أبعد نجم في الكون تم اكتشافه حتى الآن، حيث قدروا أنه يبعد عن الأرض بمسافة واحد وثمانين بليون تريلون ميل، وقد أثبت تحليل الضوء الصادر عن النجم المكتشف أنه أبعد شيء معروف للبشر حتى الآن، حيث يُقدّر بعده عن الأرض بمسافة ثلاثة عشر بليون سنة ضوئية.

وقال العلماء الفلكيون: إن اكتشاف النجوم القصية في الكون يعطي دفعة قوية للبحوث العلمية التي تهدف إلى معرفة حجم الكون وعمره. (جريدة الرياض ١٧/٤/١٤٠٨ هـ).

أقول:

صدق الله العظيم، إذ يقول: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] ويقول سبحانه: ﴿فَلَا أُفْسِرُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿ [الواقعة: ٧٥-٧٦] نعم، إن قريشاً في ذلك الوقت لم يكونوا يعلمون عن النجوم وأبعادها كثير علم، ولكن في عصرنا هذا علم الناس عن النجوم الشيء الكثير، وبقي الشيء

الأكثر الذي لم يعلموه، حيث قال الله في آية أخرى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ نَبَأُ بَعْدِ هَٰئِهِ﴾ [ص: ٨٨] نعم، إن من قرأ بنفس مجردة من الهوى سيؤمن بأنه من عند الله، وأنه معجزة من المعجزات.

### الانضباط العسكري

٩١٥

أصدر نابليون أمراً لجنده ألا يوقد أحد شيئاً في الليل، وفي أثناء تفقده جنده رأى ضوءاً خافتاً، فأتجه إليه، فوجد جندياً بجواره، فسأله عن سبب مخالفته الأمر؟ فقال: يا سيدي، لي أم عجوز، وقد تركتها منذ زمن، ولا تعلم عني شيئاً، فأردت أن أكتب لها رسالة أطمئنها عليّ، فقال له: إذن اكتب في آخر الرسالة أنك ستعدم غداً رمياً بالرصاص، وفي الصباح أعدمه.

### ليتهم انتحروا

٩١٦

جاء في كتاب الدكتور جابر الحاج (فشل حركة أكتوبر): يحدثنا عبد اللطيف البغدادي في مذكراته عن هزيمة ما أسموه الاعتداء الثلاثي: في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م قامت إسرائيل بالاعتداء على الجيش المصري، وأسقطت بعض جنود المظلات عند ممر (متلا) بصحراء سيناء، وقررنا مقابلة هذا العدوان بالقوة، ورأينا من الضروري استخدام قواتنا الجوية في الليلة نفسها لقذف قوات العدو التي أنزلت عند الممر، وحضر محمد صدقي رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية، وظهر عليه الاضطراب والارتباك، وأبدى أن هناك بعض الصعوبات التي تعترض قيام الطائرات القاذفة بعملياتها فوراً بحجة عدم توافر الوقود اللازم لها، وطلب جمال البغدادي مساعدة عبد الحكيم في الإشراف على القوات الجوية، وذهب البغدادي لعبد الحكيم، وأبلغه رغبة جمال، فلم يوافق، وقال له: اعمل على أنك رأيت أن تمرّ عليهم بالقوات الجوية كزيارة لهم عند ذهابك إلى منزلك، ويقول:

لاحظت أن عبد الحكيم يدير المعركة بحالة عصبية، ويتولى إصدار الأوامر في كل صغيرة وكبيرة، والقادة في الميدان لا يملكون التصرف إلا بعد الرجوع إليه، وفي مساء اليوم نفسه في أثناء اجتماع مجلس الوزراء أبلغنا بإنذار بريطاني فرنسي يطالب مصر وإسرائيل بإيقاف القتال برًّا وبحرًا وجوًّا، وسحب كل منهما قواته بعيدًا عن قناة السويس وبمسافة عشرة أميال غرب القناة، وإن لم ينفذ هذا خلال ١٢ ساعة فإنهما سيضطران إلى التدخل العسكري، ولم يأخذ عبد الناصر الإنذار مأخذ الجدّ، وتقرر رفض الإنذار وعدم قبوله، وأبدى صلاح رغبته في الانسحاب، ورفض جمال؛ لأنه كان لا يزال يُعدّ أن الإنذار غير جدّي، وفي السابعة مساء أعلنت غارة جوية قام بها السلاح الجوي البريطاني، واشترك سلاح الطيران الفرنسي في عمليات سيناء، وأصبح واضحًا أمامنا الهدف من اشتراك إسرائيل معهما، وذلك بغرض دفع جيشنا إلى سيناء، ثم تقومان بتدميره والقضاء عليه، وعلى هذا التصور نوقش سحب الجيش كله من سيناء وغزة ورفح وشرم الشيخ، وفي الساعة الحادية عشرة كانت قد أعلنت غارة جوية ثانية على القاهرة، ونزلنا إلى المخبأ الموجود بمبنى القيادة، ثم أبلغنا أن هناك عملية إنزال جنود مظلات معادية في أرض السباق بمصر الجديدة القريبة من مبنى القيادة العسكرية ومن منزل جمال أيضًا، وحدث على أثر سماع هذا الخبر ما لا كنت أتوقعه من الانفعال والعصبية، وتكلم عبد الحكيم قائلاً: اختفوا جميعاً، واركبوني مع الجيش، واضطرب جمال، وفكر في أولاده، وطلب العمل على نقلهم فوراً إلى القناطر الخيرية، ولكنه عاد بعد فترة، وطلب نقلهم إلى منزل في وسط القاهرة؛ خوفاً من كلام الناس، وأما صلاح سالم فإنه كان يصرّ على قيامنا فوراً بمغادرة مبنى القيادة والاختفاء بعيداً عن الخطر، وذكريا تكلم عن ثلاث شقق كان سبق تجهيزها لاستخدامها عند الطوارئ تحت أي ظرف من الظروف، وكان السؤال الذي يدور في ذهن كل منا: هل نستمر في المعركة نتحمل نتائج التخريب والتدمير، أم نجنب البلاد هذا الدمار بالاستسلام والاختباء لمقاومة هذا الاحتلال الذي سيفرض علينا، وذلك عن طريق المقاومة السرية؟

وكان الاتجاه الغالب الاختفاء والقتال، وأما جمال فكان مضطرباً، ولكنه لم يبدِ رأيه فوراً، ولم يظهر اتجاهه، وتبين له أن ليس هناك أي قوات بالقاهرة غير الكتيبة (١٣) المكلفة بحراسة منزل جمال عبد الناصر.

وفي يوم الخميس أول نوفمبر صحوت مبكراً على صوت انفجار قنابل الطائرات المهاجمة لمطاري المأظلة ومصر الجديدة القرييين من منزلي، وغادرت منزلي إلى منزل جمال، وطلب مني أن أظل معه بالمنزل، وبتنا معاً في منزله، ولم تكن أسرته بالمنزل، وكانت قد نقلت إلى مسكن آخر بوسط المدينة، وفي يوم الجمعة ٢ نوفمبر صحونا على أصوات الانفجارات الناتجة عن غارة جوية وأصوات المدافع المضادة للطائرات، ودعا عبد الحكيم، وطلب إليه الذهاب لزيارة الوحدات العسكرية بالقناة؛ حتى يجدد في نفسه روح القتال، وحتى يراه الجنود بينهم، فترتفع روحهم المعنوية، ووافق عبد الحكيم أن يقوم بتلك الزيارة بعد يومين، وذهبت لرؤية أولادي في المنزل الذي كانوا قد نقلوا إليه بالدقي، ولكن بعد وصولي بدقائق اتصل بي جمال، وطلب مني الذهاب إليه، فوجدته مع عبد الحكيم الذي قال: إن الاستمرار في المعركة سيترتب عليه تدمير البلاد وقتل كثير من المدنيين، والشعب سيكره النظام والقائمين عليه، وأنه يفضل تقادياً لهذا التدمير أن نطلب إيقاف القتال، وقلت: إننا سنخسر المعركة، ولكن لا بد لنا أن نخسرها بشرف، ورأى زكريا أن نستمر ولو إلى حين، وجاء صلاح، وقال: إننا يجب أن نجنب البلاد ويلات التدمير والتخريب، ونقوم بتسليم أنفسنا للسفير الإنجليزي، فرددت عليه: إنني أرى أنه أشرف لي يا صلاح، أن أنتحر قبل أن أقوم بمثل هذا العمل، وطلب من زكريا إحضار عدد من زجاجات السم (سيانور البوتاسيوم) تكفي لعددنا لاستخدامها عند اللزوم، وفي يوم ٤ نوفمبر دخلت على جمال، وقلت له: كيف الحال اليوم؟ فردّ عليّ بأنه لم ينم طوال الليل، وصرح لي بأنه قد بكى على ما يظهر، فقد أضع البلد.

أقول:

هؤلاء هم الذين تسمو بالأحرار، وكل يوم يفضح بعضهم بعضاً في كتاباتهم.

جاء في جريدة (الشرق الأوسط) ٢٤/٤/١٤٠٨هـ: لقي زوجان مصرعهما تحت عجلات سيارة نقل بعد إنقاذهما من الغرق بدقائق معدودة، حيث انقلبت السيارة في التربة، وهي تسير على طريق دمياط وبداخلها رجل، وزوجته، وأولادهما، وسائق السيارة، وهبّ الأهالي لنجدتهم، وتمكنوا من انتشالهم وإنقاذهم من الغرق، فجلس الرجل وزوجته على الطريق لتجفيف ملابسهما، وفجأة جاءت سيارة نقل مسرعة، وصدمتها، فلقيا مصرعهما في الحال.

أقول:

إن الأجل كان فيه بقية، وهذه البقية هي الدقائق التي بين الحادثتين.

جاء في جريدة (الوطن الكويتية) يوم الثلاثاء ٢٥/٤/١٤٠٨هـ ما يلي: كان أحد الشباب المتدينين من بنها، واسمه محمد السيد عبد الخالق قرر أن يعلم بعض الصبيان بين العاشرة والثانية عشرة كيفية تلاوة القرآن الكريم حسبةً لله سبحانه وتعالى، فوجه الدعوة إلى من يعرف، وعقد لهؤلاء الصبية جلسة أسبوعية للتلاوة في المسجد في العلن وعلى رؤوس الأشهاد، ولما اكتشف أمره استدعاه مسؤول الأمن يطلب منه أن يكف عن هذا العلم، فرفض الشاب، وقال: إنه عمل مشروع، وليس فيه ما يعكر الأمن من شيء، فما كان منه إلا أنه استدعى أباه، وهدده باحتجاز ابنه واعتقاله إذا لم يوقف نشاطه، لكن الابن لم يستجب لدعوة أبيه، فبعث مسؤول الأمن باثنين من المخبرين إلى أهالي الصبية، ونقلوا إليهم تهديدًا بأنه إذا لم يتوقف الأولاد عن أخذ دروس التلاوة في المسجد فسيتعرضون بدورهم للاعتقال، وفي النهاية سارع الأهالي إلى منع أبنائهم من الذهاب إلى المسجد، سواء للصلاة أو لتلاوة القرآن، زيادة في الاحتياط وابتعادًا عن الشبهات.

ونقول: إنها فتن كقطع الليل المظلم بدأت في اليوم الذي مُنِع الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الصلاة في المسجد وإلى يوم الناس هذا، وهي تختفي تارة، وتظهر تارة، داعين الله أن يخفف على المسلمين هذا البلاء.

## رئيسة وزراء كالتلميذة

٩١٩

قال محرر جريدة الشرق الأوسط يوم الخميس ٤/٥/٢٠١٤هـ:

شهدنا كما شهدت ملايين غيرنا ذات مساء، مذيع نشرة الأخبار الرئيسية في محطة التلفزيون البريطانية، يقدم لنا مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية، ثم يعلن المذيع أنه سيبقيها حتى تنتهي نشرة الأخبار ليسألها مجموعة أسئلة محرجة عن صحة الناس وعلاجهم؟ قدم المذيع الأخبار، ودار فينا إلى الجريمة، ثم إلى السياسة، ثم إلى فلسطين، ثم إلى الفتاتين اليمينيتين، ثم إلى الفلبين، ثم انعطف إلى لعبة الكريكت، ورئيسة سبعة وخمسين مليوناً من البشر تنتظر بلا ملل حتى جاء دورها، فقدمها المذيع، وسألها ما شاء من الأسئلة، ثم طلب منها كما يطلب من التلميذة بلطف شديد مغادرة المشاهدين، ففعلت بابتسامة لم تفارق شفيتها، وهي (المرأة الحديدية). لقطعة مهداة للصحفي العربي الذي يلاقي معاملة مختلفة من مسؤولي الدرجة الرابعة أو الخامسة، وربما السادسة في محيطنا العربي، لقطعة تعني أن واحداً مسؤولاً عن هذه المعاملة في عالمين تجمعهما قرية واحدة اسمها الأرض أهو المسؤول الذي لم يعد يحترم الصحفي أم الصحفي الذي لا يحترم مهمته؟

أقول:

كلُّ لا يحترم الآخر إلا من رحم ربي، وقليل ما هم، والأمر لا يقتصر على عالم السياسة بالنسبة إلى العالم الثالث، وهو في الغالب ديار العرب والمسلمين، ونقول للأخ المحرر: يوم كانوا متقدمين كان المسؤول يُعَدُّ نفسه مكلفاً ببتغي الأجر من الله والشكر من الناس، أما الآن فيُعَدُّ المنصب مغنماً، ويتلقون التهاني

والتبريكات، ويجب أو يستحب أن يقال للمسلم عندما يتسلم منصباً، أو يُعيّن في منصب: أعانك الله على حمل هذه الأمانة وهذه المسؤولية.

## كل العصافير بيدها

٩٢٠

قال أحد التجار: تفتعل أمريكا هبوط الدولار، وتصنعه صنعا لتضرب به التجارة اليابانية والتجارة الأوروبية، وتنافس بالسعر الأرخص في كل المنتجات، كما تسرق نصف قيمة المليارات التي أودعها العرب ودول البترول في البنوك الأمريكية بطريقة ذكية ومشروعة، كما تخفض قيمة العائدات النفطية إلى النصف، كما تخفض قيمة ديونها، وتعالج العجز في ميزانيتها، وهكذا تضرب جميع العصافير بحجر واحد، [الواقعة: ٧٥-٧٦] يزيد سعرها على سعر السيارة الأمريكية كبيرة الحجم جيدة الصنع؟ إنه عمل مقصود!

## دوران الأرض

٩٢١

قال الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ في سلسلة كتابه (هذا هو الإسلام) ج ١، ص ١٨٢: لا يزال كثير من الناس إلى الآن لا يصدقون هذه الحكاية، تقول له: لماذا؟ يقول لأنني أراها ثابتة، تقول له: والله عجيب! كيف تعرف حركة المتحرك؟ لا نعرف حركة المتحرك إلا إذا قيس إلى ثابت، ولا يمكن أن نعرف أن هذا الشيء متحرك إلا إذا قستة إلى ثابت، الإنسان والسفينة كيف يعرف أنها سائرة؟ إذا رأى الجبل أمامه وبعد ذلك رأى الجبل الثابت على الشاطئ الآخر بعد أن كان بينه وبينه خط عمودي أصبح بينه وبينه خط مائل، وبعد ذلك كلما تبتعد الخط المائل يزيد، أنا أعرف نفسي أنني متحرك، عندما قست نفسي بثابت، لكن إذا كانت الأرض متحركة بما عليها فما هو الثابت الذي يمكن أن تقيس به حركة الأرض لا يمكن، هب أننا في غرفة، والغرفة مغلقة، وبعد ذلك هذه الغرفة

موضوعة هندسيًا على شكل آلة تدور كالرحى، إذا كانت الغرفة مقفلة ونحن جالسون فإننا لا ندرك هذه الحركة، فمواقفنا لأنفسنا لا تتغير، هذا أمامي وهذا خلفي، وإذا فتحنا نافذة في الغرفة رأينا شجرة، ورأينا الشجرة تبدو مرة، ثم تختفي عرفنا أننا نتحرك، إذاً لا نعرف حركة المتحرك إلا إذا قيس إلى ثابت.

فما دامت الأرض تتحرك بما عليها، فلا يمكن أن تعرف الحركة، ولكن ثبت أنها متحركة. يتعرض القرآن لمثل هذه القضية، ويمسها مسًا لا يخدش العقل المعاصر، ولكنه يعطي العقل المعاصر زاده أيضًا، فيأتي الحق سبحانه وتعالى، ويمرّ على المسائل مر الكرام، ويقول: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

ثم يقول الشعراوي: المِيدَان هو الاضطراب؛ لأن الأرض مخلوقة على هيئة الثبوت، ما الذي يعرضها أن تميد أو تتحرك، ما دام حتى لا تميد فهي مخلوقة على هيئة الحركة والجبال مجعولة مثقلات فيها، ولكن كيف عرفت؟ فيأتي نيوتن بقوانين الحركة (القانون الثاني) مثلًا: الجسم المتماثل في الكثافة حول محور لا يميد، ولا يضطرب إذا دار حول هذا المحور، ويأتي كل جسم متحرك لا يتغير لا في اتجاهه ولا في مقداره إلا بما يغير من هذا الاتجاه والمقدار في قوة أخرى!! إذن الأرض تدور بشكل منتظم بدليل الزمان ترتبه على هذه الدورة، فيكون مضبوطًا، إذن فمعنى هذا يعطينا نظريتين: النظرية الأولى: أن كتلة الأرض في أي قطاع من قطاعاتها مساو للآخر، يعني إن جئت، وبنيت عمارة ٢٠ مليون طن، فإنك إن وجدت ثقلاً في مكان، فتأتي بتعويض يعوض هذا الثقل، فيحف شيء من هنا، ويقل شيء من هناك، وتسمى القوة الطاردة، لو لم تكن كذلك لحين دارت، وأي شيء يزيد على الكثافة يطرح خارجًا، إذا أتيت بشيء كالكرة، ووضعت عليه شيئاً آخر مخالفًا لكثافته، وتديره يندفع للخارج، كانت العماير لو لم تكن هذه القضية ثابتة قد طارت من على الأرض!! إذن هذه المسألة مسّها الله سبحانه وتعالى أين؟ ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] وجاء في آية أخرى،

فقال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] إذن مرّ الجبال كمر السحاب، هل السحاب يتحرك بذاته؟ لا يتحرك إلا بالرياح، إذن حركة السحاب حركة ثابتة كالأوتاد في الأرض إذن لا بد أن تكون حركة الجبال تابعة لحركة الأرض، فيحضر واحد، ويقول: هذا يوم القيامة، نقول له: افهم النص هكذا: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨] وهل يوم القيامة يكون حساباً أم يقيناً؟ بل يقال: تحسبها بظن أنها على هذه الحالة، إذن يوم القيامة يكون يقيناً، هل يوم القيامة امتنان بصنعة الله، الامتنان بصنعة الله إنما يأتي من أجل الاعتبار في الإيمان. يقول لك: سياق الآية يدل على أنه يوم القيامة، كيف هذا؟ يقول: يا أخي، الآية تقول: ﴿وَيَوْمَ تَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءُ وَقَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمْنَا مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴿ [النمل: ٨٣-٨٦] نقول له: تكلم عن القيامة، ثم نقلنا من القيامة إلى أمور دنيوية؛ لأن كون الليل ناسكناً فيه والنهار مبصراً هذه الآية، ولكن الحق أراد في آية أن يأتي لنا بالهول الذي يأتي يوم القيامة يقول لك: تنبه له جيداً، وبعد ذلك يأتيك إلى آية إيمانية، وبعد ذلك قال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿ [النمل: ٨٨].

### أقول:

الشيخ الشعراوي من الراسخين في العلم، وعلى الإخوة طلبة العلم، ألا يتسرعوا عندما يسأل أحدهم عن مثل هذه الأمور بالنفي؛ أي نفي الدوران، فالإفتاء مسؤولية جسيمة، ولا يقدم عليها إلا من يثق بنفسه وعلمه، وقد قرأت لبعض الإخوان في بعض الصحف نفي الدوران دون أن يكلفوا أنفسهم البحث والتقصي، وقد قال السلف: «نصف العلم كلمة لا أدري»، وهذه العلوم لسنا متعبدين بها، ولا يضرنا الجهل بها، فخير لطالب العلم أن يعتذر عن الإجابة، ولا يجيب، وهو يعلم.

ولا ننسى أن سورة (عم) فيها آية: ﴿وَسِرَّتِ الْجِبَالُ كَسْرَابًا﴾ [النبا: ٢٠] في وصف يوم الفصل يوم القيامة.

## يعاقب المتكلم وينجو المتهم

٩٢٢

كتب الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ فِي جريدة (المسلمون) يوم ٢٠٨/٦/٢٠١٤ هـ يقول: هل نحن متخلفون علمياً أم خلقياً؟ إننا في ميدان الإنتاج الصناعي والزراعي ضعفاء، وفي آفاق الثقافة والحضارة أتباع نخطو حيناً، ونكبو أحياناً، قلت: أعزّي النفس، لعل أخلاقنا أزكى، ثم قرأت هذا الخبر الآتي من الصين:

فقد السيد (شان تو) عضويته في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني لماذا؟ لأنه وهو مدير عام للطيران المدني سعى للحصول على تذاكر سفر مجانية لأولاده، إنه لهذه المحاباة فصل من عمله ومن الحزب معاً، قلت: ما أكثر الذين يستغلون نفوذهم عندنا لنفع أقاربهم وأصدقائهم، ولا ينالون أذى!

وقرأت كيف رفض مجلس الشيوخ الأمريكي اقتراح رئيس الجمهورية مستر ريجان تعيين أحد القضاة في منصب خال بالمحكمة العليا، وسبب الرفض أن القاضي اتهم في شبابه بتدخين الماريجوانا، قلت: إن لدينا من شرب الخمر، ودخن الحشيش، وتولى أعلى المناصب، وعلم الناس، ولم يعترضوا، ولو وقع اعتراض لعوقب المتكلم ونجا المتهم، قال صديق: على أي حال نحن من الناحية الجنسية أشرف أخلاقاً وأنقى أعراضاً، فسكت، وتملكتني حيرة، فقلت: نعم، الأعراض هناك مستباحة على نحو منكر، بيد أنني أتساءل: لماذا انسحب مرشح الحزب الديمقراطي من الانتخابات لرئاسة الجمهورية عندما اتهم بعلاقة مريبة مع إحدى الفواني؟ لماذا استقال وزير الحربية في إنجلترا لعلاقته السيئة بسكرتيرته؟ إن شؤون هؤلاء الناس تبدو غامضة أمامي، مبادلهم شائعة،

وضوابط الحياة العامة صارمة، وأهواء الأفراد تحترق أمام المطالب القومية والمصالح الوطنية.

كتبت جريدة المسلمون في عددها (١٨١) تاريخ ٨ من ذي الحجة ١٤٠٨هـ ما يلي: تنفرد المسلمون بنشر قصة إنسانية واقعية بطلها طبيب سوري مرض بالسرطان، وعالجه بالصدقة. قال الطبيب السوري عيسى مرزوقي: أصيب بالسرطان بشهادة كبار أطباء دمشق، وشفيت منه عن طريق الصدقة. أثارت الحالة جدلاً طبياً واسعاً. وعاد الطبيب إلى عمله بعد أن كان زملاؤه قد فقدوا الأمل في شفائه، بينما انشغلوا بالبحث عن السر. رفضت خطيبة الطبيب المريض فسخ خطوبتها، وانتظرت معه الموت، فجاءها الفرج. قدم الطبيب السوري شهادة طبية موثقة تفيد بوجود السرطان في إبطه اليسرى، ثم اختفاء الحالة على الرغم من توقعات الأطباء المعالجين بوفاته خلال أيام. قال الطبيب: إنه تمثل قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «داووا مرضاكم بالصدقة»<sup>(١)</sup> وجعله حبل النجاة حتى هداه الله لبيت أسرة فقدت عائلها منذ بضع سنوات، فحمل مبلغاً زهيداً من المال هو كل ما يملكه في ذلك الوقت، وقدمه للأسرة عن طريق صديق له. أخبر صديقه أفراد الأسرة بأن الشخص صاحب المال مصاب بمرض خبيث وخطير وهو يسعى للتداوي بالصدقة؛ التجاء منه إلى الله، وكان ما كان، واكتملت القصة بشفاء أذهل كبار أطباء سوريا. أوضح أنه اختار هذا العلاج مهتدياً بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأكد أنه لم يعرض عن العلاج الطبي مطلقاً، وإنما وجد نفسه مطمئناً لنوع خاص من أنواع العلاج. قال: إنه يؤمن بالقدر، وهذا الإيمان لا يعني الإعراض عن الأطباء وعدم الأخذ بالأسباب.

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٣٥٨).

سئل الشعبي عن مسألة؟ فقال: لا أدري، ف قيل له: ألا تستحي من قولك: لا أدري وأنت فقيه أهل العراق؟! فقال: لكن الملائكة لم تستح حين قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢] وقال بعض أهل العلم: تعلم لا أدري، فإنك إن قلت لا أدري علموك حتى تدري، وإن قلت: أدري سألوك حتى لا تدري. وقال عقبه بن مسلم: صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهراً، فكان كثيراً ما يُسأل، فيقول: لا أدري، وكان سعيد بن المسيب لا يكاد يفتي فتياً لا يقول شيئاً إلا قال: اللهم، سلمني وسلم مني. وسئل الشافعي عن مسألة؟ فسكت، ف قيل: ألا تجيب؟ فقال: حتى أدري الفضل في سكوتي أو في الجواب. وقال ابن أبي ليلى: أدركت مئة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسأل أحدهم عن المسألة فيردها إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول، وما منهم من أحد يحدث بحديث أو يسأل عن شيء إلا ودَّ أن أخاه كفاه، وقال أبو الحسين الأزدي: إن أحدهم ليفتي في المسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لجمع لها أهل بدر. وسئل القاسم بن محمد عن شيء؟ فقال: إني لا أحسنه، فقال له السائل: إني جئتك لا أعرف غيرك. فقال له القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي والله ما أحسنه، فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي، الزمها فوالله ما رأيناك في مجلس أنبل منك اليوم، فقال القاسم: والله لأن يُقطع لساني أحب إلي من أن أتكلم بما لا علم لي به، وكتب سلمان إلى أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وكان بينهما مؤاخاة: بلغني أنك قعدت طبيباً، فاحذر أن يكون متطبباً أو تقتل مسلماً، فكان ربما جاءه الخصمان، فيحكم بينهما، ثم يقول: ردوهما على متطبب، والله أعيذوا عليّ قضيتكما.

أقول:

في عصرنا هذا كثر الروبيضة في كل مجلة وجريدة، والروبيضة هو الذي يفتي بغير علم.

جاء في كتاب (إعلام الموقعين) لابن قيم الجوزية: ص (٢٨٦) ما يلي:  
سئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لأي شيء فضلت يوم الجمعة؟ فقال: «لأن فيها طبعت طينة أبيك آدم، وفيها الصعقة، وفيها البطشة، وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له»<sup>(١)</sup>. وسئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، أخبرنا عن يوم الجمعة ما فيه من الخير؟ فقال: «فيه خمس خلال: فيه خلق آدم، فيه أهبط آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل إثماً أو قطيعة رحم، وفيه تقوم الساعة، فما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا حجر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة»<sup>(٢)</sup>. ذكره أحمد والشافعي.

أقول:

ما رأي إخواننا بعض الشباب المسلمين وبعض شيوخهم الذين لا يقيمون ليوم الجمعة وزناً، ويخرجون للتنزه والفسح ليلتها ويومها، وبعضهم لا يبحث عن مسجد لحضور الصلاة، هذا هو الخسران المبين.

استفتاه عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشكا إليه وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال: «ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل: باسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»<sup>(٣)</sup>. ذكره مسلم.

(١) ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (١٠٩/١ رقم ٤٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٢/٣٧ رقم ٢٢٤٥٧)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٠٥/١ رقم ١٣٦٣).  
والحديث أصله في صحيح مسلم مختصراً، بلفظ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق

آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة» (٥٨٥/٢ رقم ٨٥٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٢٨/٤ رقم ٢٢٠٢).

وحتى عندما كنت أرتكب خطأ، وكثيراً ما وقعت في أخطاء، كانوا يشعرون بأنها معجزات ملكية، وفي مثل تلك السن كان من الطبيعي أن أتأثر بهذا الكلام، وأنت تعرف أن تلك الفترة في حياة الناسي يكون لها تأثير سلبي في حياته كلها فيما بعد. لقد كانوا يقبلون يدي، وكنت على يقين من أنهم يفعلون ذلك منافقين، كان كل واحد منهم يشي بزملائه معتقداً أن هذا هو طريق التقرب إلي، فجرني ذلك إلى التلهي بضرب واحداهم بالآخر. لقد أخطأت بلا جدال، ولكنها أخطاء كل حاكم، ومرجعها الأول يعود إلى صغر سني، قلة خبرتي وإلى الحاشية السيئة التي كانت محيطة بي.

من حديث للملك فاروق آخر ملوك مصر ذكرها في كتابه نذير فتنة السياسي السوري المعروف أيام حسني الزعيم.

أقول:

البطانة السيئة هي آفة كل مسؤول، كبيراً كان أم صغيراً في كل عصر ومصر، وجاء في الحديث: «إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه. وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه»<sup>(١)</sup>.

كشف خبير مصري في الاستثمار الدولي النقاب عن أن خسائر انهيار بورصة الأوراق المالية في نيويورك في أكتوبر (١٩٨٨ م) بلغت قيمتها (٧٥٠) مليار دولار،

(١) أخرجه أبو داود (٩٣/٢ رقم ٢٩٣٤)، وقال النووي في رياض الصالحين (١/٣٨٣): رواه أبو داود بإسناد جيد على شرط مسلم.

منها (٥٠٠) مليار دولار في يوم الإثنين الأسود وحده، مشيراً إلى أن خسائر الدول العربية بلغت (١٦٥) مليار دولار، وذلك وفقاً لما جاء في تقرير رسمي مقدم إلى الرئيس الأمريكي رونالد ريغان عرف باسم تقرير (نيكولاس برادلي). وأشار المستشار محمد كمال فراج الذي عمل في المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة سنوات عدة إلى أن هذه الخسائر كانت كافية لتكون معجلاً للاستثمار في جميع الدول النامية بلا استثناء، موضحاً أن ألمانيا الاتحادية واليابان استطاعتا تعويض خسائرها خلال سبعة أشهر فقط، في الوقت الذي عجزت فيه الدول الأعضاء في منظمة الأقطار المصدرة للنقط (أوبك) عن ذلك.

أقول:

لا نتوقع أن يصل العرب والمسلمون إلى مستوى ألمانيا، ولكن نأمل أن يكون درساً كافياً لكي يعودوا برؤوس الأموال إلى بلاد هي في أشد الحاجة إليها، وأراضيها بكر لم تستثمر، مثل أراضي السودان وأراضي كثير من البلاد الإسلامية والعربية، ويكون سمنهم في دقيقتهم، ولا بد من التضحية، حيث إن بعض الأنظمة في بعض هذه الدول ليست بمستوى موثوق من أصحاب رؤوس الأموال، ورأس المال جبان كما يقولون، ولكن هذا أقل بكثير من خسارة اليوم الأسود في سوق اليهود والنصارى.

أذئاب الماسونية

٩٢٩

ما أهم عمل تعتقد أنك قمت به في حياتك؟ التخلي عن العبادة وخروج المرأة كما تخرج الآن. لأنني كنت أعتبر هذه القماشة السوداء أداة تخلف ورمزاً للاستعمار. هذا السؤال طرح على لولوة القطامي في جريدة (القبس) يوم (١٧/١٢/١٤٠٨هـ) من الكويت. كذبت وربّ الكعبة، هذا رمز كرامة المرأة، وأمر

اللَّهُ ورسوله لها، ونسأل الله الهداية لك وأمثالك، وإن كان في علمه جل شأنه غير ذلك أن ينظف ديار العرب والمسلمين من هذه النماذج.

## مصير أولاد الكفار

٩٣٠

إن حكم من مات من أولاد الكفار قد اختلف العلماء فيهم على أربعة أقوال: أحدها، أنهم في الجنة، واحتج من رأى ذلك بما رواه أحمد في مسنده أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «المولود في الجنة»<sup>(١)</sup>. وبما رواه البخاري أن رسول الله رأى في المنام مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أولاد المسلمين وأولاد المشركين. اختلف بعد ذلك أيكونون خدماً لأهل الجنة، أم يكونون مثل غيرهم؟ القول الثاني، إنهم مع آبائهم في النار، لما رواه أحمد في مسنده أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «هم تبع لآبائهم» أو «هم مع آبائهم»<sup>(٢)</sup>. القول الثالث، التوقف في تحديد مصيرهم؛ لما في الصحيحين أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن أطفال المشركين؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»<sup>(٣)</sup>. القول الرابع، إنهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، وطريقة الامتحان كما جاء في أحاديث عدة أنه يؤتى بنار يوم القيامة، ويؤمرون بدخولها، فمن دخلها نجا، ومن نكل عنها هلك.

## الإسلام هو الحل

٩٣١

أعلن منذ أيام رجل الاقتصاد البريطاني (أحمد كريستوفر شامونت) أنه دخل في الإسلام، قال: لقد وجدت في الإسلام ما كنت أبحث عنه، فأني مشكلة

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤١٨/٦ رقم ٨٧٣٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٦/١) رقم ٢٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٩٥/٤١ رقم ٢٤٥٤٥)، والطبراني في الكبير (١٦/١١ رقم ١٠٨٩٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٧٠/٥ رقم ٩٦٠٨): رواه الطبراني وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، وثقه أحمد وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠/٢ رقم ١٣٨٣)، ومسلم (٢٠٤٨/٤ رقم ٢٦٥٨).

يعانيها المرء في حياته سوف يجد حلها في القرآن الكريم. ثم يقول أشهر اقتصادي إنجليزي: إن الإسلام يخاطب العقل الإنساني، ويضعه على مشارف الطريق الحق، ويضمن له سعادة الدنيا والآخرة. ويقول: إنني حتى الآن قرأت ست سور من القرآن الكريم، وقد شعرت بأن الإسلام يملك أسباب التقدم الحضاري والتفوق العلمي، ولكن المسلمين متوقعون يعيشون بعيداً عن هدي دينهم، وهو ما جعل غيرهم من الشعوب يسبقهم، ويرجح عليهم، ولم يكن المسلمون الأوائل على هذا النحو السيئ، لقد كانوا أول سالك لطريق الحضارة والتقدم في شتى الميادين العلمية والاجتماعية والاقتصادية. عن جريدة (الشرق الأوسط) يوم ١٤٠٨/١٢/٢٤هـ.

أقول:

إن في الغرب رجالاً لهم عقول كبيرة، ولهم نفوس لا تزال على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والمسؤولية هنا تقع على حملة هذا الدين، وهو الماء الذي لا تحيا البشرية إلا بوجوده، وحملته هم الفقهاء، ومن نزل القرآن بلسانهم عليهم واجب التفقه في هذا الدين، وحسن عرضه على الناس باللغات الأخرى وبالأسلوب النبوي الكريم.

بِرِّ الْوَالِدِينَ

٩٣٢

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] وعن علي رضي الله تعالى عنه: لو علم الله شيئاً في العقوق أدنى من أفٍ لحرمه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار. يعني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن البار، وإن كان على شيء من المعاصي، فإن رضا الوالدين يدرك له حسن الختام والتوبة، وأن العاق، وإن كان على شيء من الطاعة يدركه سوء مصير العقوق، ويختم له بسوء. والله أعلم.

في صحيح مسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أحب أسمائكم إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة»<sup>(١)</sup>.

يروى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، وهو عندهم أعذب من الماء، وأرفع من السماء، وأحلى من الشهد، وأزكى من الرد، خطؤه صواب، وسيئاته حسنات، وقوله مقبول، يرفع مجلسه، ولا يمل حديثه. والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب، وأثقل من الرصاص، لا يُسَلَّمُ عليه إن قدم، ولا يسأل عنه إن غاب، إن حضر ازدروه، وإن غاب شتموه، وإن غضب صفعوه. مصافحته تنقض الوضوء.

اجتمع مالك بن الريب وأبو حردبة وشظاظ يوماً، فقالوا: تعالوا نتحدث بأعجب ما علمنا في سقرتنا، ثم قال الشظاظ: أخبرنا أنت بأعجب ما أخذ في لصوصيتك، ورأيت فيها. فقال: نعم، كان فلان رجل من أهل البصرة له ابنة عم ذات مال كثير وهو وليها، وكانت له نسوة، فأبى أن تتزوج، فحلف ألا يزوجه من أحد ضراراً لها، وكان يخطبها رجل غني من أهل البصرة، فأبى أن يزوجه منه، ثم إن ولي الأمر حج، حتى إذ كان بالدومات، فدفن برابية،

(١) أخرجه أحمد (٣٧٧/٣١) رقم ١٩٠٣٢، وأبو داود (٤٤٣/٤) رقم ٤٩٥٢، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (رقم ٦٢٩).

وشيد على قبره، فتزوجت الرجل الذي كان يخطبها. قال شظاظ: وخرجت رفقة من البصرة معهم برّ ومتاع، فتبصرتهم وما معهم، واتبعتهم حتى نزلوا، فلما ناموا بيبتهم، وأخذت من متاعهم، ثم إن القوم أخذوني، وضربوني ضرباً شديداً، وجردوني، وذلك في ليلة قرّة، وسلبوني كل قليل وكثير، وتركوني عرياناً، وتماوت لهم، وارتحل القوم، فقلت: كيف أصنع؟ ثم ذكرت قبر الرجل، فأتيته، فنزعت لوحاً، ثم احتفرت فيه سرباً، فدخلت فيه، ثم سدّدت عليّ باللوح، وقلت: لعلي الآن أدفأ، فأتبعهم. مرّ الرجل الذي تزوج بالمرأة في الرفقة، فمرّ بالقبر الذي أنا فيه، فوقف عليه، وقال لرفيقه: والله لأنزلنّ إلى قبر فلان حتى أنظر هل يحيى الآن فلانة؟ قال شظاظ: فعرفت صوته، فقلعت اللوح، ثم خرجت عليه بالسيف من القبر، وقلت: بل ورب الكعبة لأحمينّها، فوقع والله مغشياً عليه لا يتحرك، ولا يعقل، فجلست عليها، وعليها كل أداة وثياب ونقد كان معه، ثم وجهتها قصد مطلع الشمس هارباً من الناس، فنجوت بها، فكنت بعد ذلك أسمع يحدث الناس بالبصرة، ويحلف لهم إن الميت الذي كان منعه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره، والناس يعجبون منه! فعاقلهم يكذبه، والأحمق منهم يصدقه، وأنا أعرف القصة، فأضحك منهم كالمتعجب.

علاج

٩٣٦

كان أحد الصالحين إذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعلس، واستوهب من مهر أهله شيئاً، وكان يقول: قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾ [ق: ٩] وقال تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] وقال عليه الصلاة والسلام: «ماء زمزم لما شرب له»<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ طَبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤] فمن جمع بين ما بورك فيه، وبين ما فيه شفاء، وبين الهني والمر يوشك أن يلقي العافية.

(١) أخرجه أحمد (٢٣/١٤٠ رقم ١٤٨٤٩)، وابن ماجه (٢/١٠١٨ رقم ٣٠٦٢)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٤/٣٢٠ رقم ١١٢٣).

دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان، فوجده يتأوه، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب، وبياسطك استرحت، فقال: لست بصاحب لهو، فقال: ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين؟ قال: هاج بي عرق النساء في ليلتي هذه، فبلغ مني ما ترى، فقال: إن بديحاً مولاي أرقى الخلق منه، فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه قال عبد الملك: يا بديح، ارقِ رجلي، فقال: يا مولاي، أنا أرقى الناس لها. ثم وضع يده عليها، وجعل يقول ما لا يسمع، فقال عبد الملك: قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة؟ اتتوني بها تكتبها لثلاث يهيج بي الوجع بالليل، فقال بديح: الطلاق يلزمه ما أكتبها إلا بتعجيل جائزتي، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين، الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تُحمل جائزتي إلى بيتي، قال: تُحمل، فحملت، فقال: يا أمير المؤمنين، الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك إلا بمباسة بقول نصيب، حيث قال:

أَلَا إِنَّ لَيْلِي الْعَامِرِيَّةَ أَصْبَحْتُ عَلَى الْبَعْدِ مِنِّي ذَنْبٌ غَيْرِي تَنْقُمُ

فقال: وبيك! ما تقول؟ فقال: الطلاق يلزمه ما رقيتك إلا بها، فقال: اكتبها عليّ، فقال: كيف؟ وقد سارت بها الركبان إلى أخيك بمصر؟ فضحك حتى أعجبه هذا البسط.

قال الشاعر أحمد الصافي النجفي:

أفكر في السفساف في الحياة وأحسبها حقائق راهنات  
فيقطع لي سلاسل ترهاتي دعاء مؤذن: الله أكبر

وَأَسَى لِلتَّفَكُّرِ فِي اغْتِرَابِي      عَنْ الْأَهْلِينَ نَاءً عَنْ صِحَابِي  
 أَصِيحُ: إِلَى مَتَى؟ فَإِذَا جَوَابِي      هَتَافُ مَوْذَنٍ: اللَّهُ أَكْبَرُ  
 وَأَضْرَبُ سَادِرًا بَيْنَ الْهَمُومِ      وَأَسْعَى لِلْوَصُولِ إِلَى النَّعِيمِ  
 فَيَدْعُونِي إِلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ      نِدَاءً مَوْذَنٍ: اللَّهُ أَكْبَرُ  
 وَأُفْنِي فِي الرُّقَادِ ثَمِينِ عُمْرِي      كَأَنِّي مَيِّتٌ فِي جَوْفِ قَبْرِ  
 فَأَسْمَعُ صَوْتَ (حَيِّ عَلَى الصَّلَاةِ)      فَأَنْهَضُ صَائِحًا: اللَّهُ أَكْبَرُ

كلمة الله أكبر إن تأملناها في الجانب الروحي وجدناها في الأذان دعوة، وهي مفتاح الشروع في الصلاة، وفاتحة لكل أعمال الصلاة من ركوع وسجود وقيام وجلوس، وهي في الذكر: دعاء الله أكبر كبيراً، وفي الجانب الآخر نجدها في حياة المؤمن شعراً به يحيا وعليه يموت، وفي الجهاد سلاح، ما هتف مجاهد باسم: الله أكبر لإفتح الله عليه بالنصر، وأزره بالتأييد.

تميرات ابن موسى

٩٣٩

ابن موسى هذا من شعراء الربيعية، وكان له دكان يبيع فيه التمر على البادية، وقف عليه أعرابي ليشتري منه تمراً، وإذا التمر قليل في الزنبيل، وهو ملتصق بعضه ببعض على شكل كتل كبيرة، فأخذ الأعرابي كتلة كبيرة من الزنبيل، وأخذ يأكل منها، وقال لابن موسى: زَنْ لِي يَا حَضْرِي، تَمْرًا، فرفع أبو موسى إليه طرفه قائلاً: أعد التميرات إلى مكانها حتى أزن لك منها. وكان رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حُبًّا لِبَلَدَتِنَا الرَّبِيعِيَّةِ، ويقول: هناك بلدة الزلفي شرقيها ضلع، وغربيها نفود إلا الربيعية. وذهب للحج مرة مع بعض رفاقه ورجع من منتصف الطريق ولهاً عليها.

في معركة الشعبية التي وقعت عام (١٢٣٧هـ) بين جنود الملك عبدالعزيز وقبيلة شمر، وكان من بينهم رجل من الويبار يقال له: حداد بن مجلوب قال: كنت من النفر الذين أصيبوا في تلك المعركة إصابات قاتلة عدة، ولكن أنجاني الله على الرغم من أن الأعداء لم يتركوني إلا وهم يعتقدون أنني في حساب القتلى. والواقع أنني بقيت أياماً في وسط القتلى كواحد منهم بلا شعور ولا إحساس، اللهم إلا شعوراً نسبياً لا أستطيع أن أعبر عنه إلا أن أقول: إنه شعور أكمل من شعور النائم، وأقل من شعور الإنسان عندما يكون في يقظته الكاملة، وعندما أبلغ هذه الدرجة التي بين النوم واليقظة أشعر كأن إنساناً يحلب ناقتي التي لا أنكرها، فإذا انتهى منها ناولني حليبها الذي لا أذكر في الدنيا طعماً أذ منه، بقيت تلك المرة أنعم بهذا الغذاء إلى أن عاد إلي إحساسي وشعوري وكامل صحتي، فوجدت نفسي أشبه ما يكون بالمرء الذي استيقظ بعد رقاد طويل، وعند ذلك ذهبت أفكر في سر حليب هذه الناقة التي كنت أسقى حليبها عندما كنت في تلك الحالة الخطرة، وإذا بي أذكر أنها ناقتي التي وهبتها أيتاماً توفى والدهم وهو لا يملك من حطام الدنيا درهماً، فذهبت ووهبتهم هذه الناقة، فظلوا يشربون حليبها، وهكذا زاد إيماني بالله بأنه لا يضيع أحر المحسنين. ومن تلك الحادثة إلى يومنا هذا آليت على نفسي ألا أدخر وسعاً من فعل الخير ما استطعت إليه سبيلاً. عن كتاب (من شيم العرب) للأستاذ/ فهد المارك رَحِمَهُ اللهُ (ص ٢٩٢).

نقول:

صدق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث يقول في الحديث المأثور: «صنائع

المعروف تقي مصارع السوء»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/٢٦١ رقم ٨٠١٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٧٩٧).

ذكرت جريدة (الرياض) يوم (٧/١/١٤٠٩هـ) أن الجنرال ميرزا إسلام بيح الذي خلف الرئيس ضياء الحق في قيادة الجيش الباكستاني كان أحد شهود عيان حادث انفجار الطائرة العسكرية الذي أودي بحياة الرئيس ضياء الحق وبقية ركاب الطائرة، ونسبت صحيفة (جانغ تودي) عن الجنرال إسلام بيح قال: إنه شاهد الكارثة من الطائرة الصغيرة التي كان يستقلها في أثناء وقوع الحادث. وطبقاً لما ذكرته الصحيفة، فإن الجنرال إسلام بيح أبلغ اجتماعاً طارئاً لمجلس الوزراء الباكستاني الليلة قبل الماضية أنه كان ذاهباً إلى بهلايور في طائرة الرئيس نفسها، لكن في طريق العودة اضطر إلى الذهاب إلى مناطق أخرى، وهناك استقل طائرة صغيرة أخرى، وطلب من قائدها الإبقاء على اتصال الرادار مع طائرة الرئيس، لكن فجأة انقطع الاتصال مع الطائرة، وهنا طلب من قائد الطائرة العودة إلى مطار بهلايور، وأشار إلى أنه في طريق العودة شاهدت طائرة الرئيس تتناثر إلى قطع ملتهبة في الجو.

حقاً الأعمار بيد الله، ورئيس باكستان رَحِمَهُ اللهُ رجل له مواقف طيبة جداً مع الجهاد الإسلامي الأفغاني.

كان بشار من أشد الناس تبرماً بالناس، وقالوا: كان بشار جباناً رعيدياً جشعاً نهماً شهوانياً فاحشاً ماجناً مستهتراً، أفسد بغزله نساء البصرة وشبانها، فهذا مالك بن دينار يقول فيه: «ما شيء أدعى أهل المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى»، وقال واصل بن عطاء فيه: «إن من أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد»، ومر رجل من الكوفة على بشار، وهو منبطح في دهاليز، وقال له ألت القائل:

فِي حُلَّتِي جِسْمُ فَتَى نَاحِلٍ      لَو هَبَّتِ الرِّيحُ بِهِ طَاحَا

قال بشار: نعم، قال الرجل: لو بعث الله الريح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حركتك من مكانك! فبهت بشار، ولم يقل شيئاً.

أقول:

كم شاعر وفاسق في هذا العصر ممن تنشر الجرائد السيارة فسقهم وفجورهم.

### المتردية والنطيحة

٩٤٣

قال الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه (تأملات في الدين والحياة):  
هذه قصة شهدت وقائعها ولم أعجب لها لطول ما رأيت من أمثالها، وأحسست  
من آثارها. كان لرجل ثري ولد مريض البصر، عاث الرمد في عينيه على الرغم  
من جهود الأطباء المتوالية، حتى كاد يأتي عليهما لولا بقية من ضياء يعرف بها  
الولد ألوان الحياة. وجلس الأب يوماً، فقال لأصحابه: أنا وهبت ابني لله، وسوف  
أدخله الأزهر بعد أن يحفظ القرآن، ما هي إلا أيام حتى كان الولد يرتل الآيات،  
ويستظهر الصفحات على يد فقيه أعمى معروف بالمهارة، ولكن القدر العجيب لم  
يشأ أن يترك المسألة على هذا النحو، فإن الولد الذي حار الطبيب في عينيه بدأ  
يصح، وكلما مرت الأيام ازداد بصره حدة، وازدادت أجزانه نضارة وإشراقاً،  
وحار الوالد وجاشت في نفسه شتى الخواطر، لقد وهب ابنه للأزهر على أساس  
أنه أعمى أو شبه أعمى، وذلك ما يجعله يقفه على التعليم الديني من باب قول  
الله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [النحل: ٦٢] أما الآن فماذا يصنع؟ لم يطل  
تردده، فما هي إلا أيام حتى كان الفقيه الأعمى طريداً، والولد ملتحقاً بإحدى  
المدارس المدنية. ذلك مبلغ عناية المسلمين بدينهم، لا يهبون لتعليمه إلا طوائف  
من الناس فيها العمياء والعوراء والمتردية والنطيحة وما أكل السبع. أما أصحاب  
المواهب العريقة والخصائص الدقيقة والوجوه الصبيحة والأجسام المكتملة

فليس من البر أن يظفر بها دين الله. أخشى أن يرتفع المستوى الصحي في الأمة فلا نجد من يتعلم الإسلام.

### رد ابن تيمية على زعيم الشيعة

٩٤٤

قد زعم زعيم الشيعة ومدلسهم الحسن بن المظهر الحلي في كتابه (منهاج الكرامة) أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولى أمر المسلمين من لا يصلح للولاية، فأجابه شيخ الإسلام ابن تيمية في (منهاج السنة) (١٧٣-١٧٦) أن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولى زياد ابن أبي سفيان، وولى الأشتر النخعي، وولى محمد بن أبي بكر، وأمثال هؤلاء، ولا يشك عاقل أن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان خيراً من هؤلاء كلهم. قال: ومن العجب أن الشيعة ينكرون على عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه ولى أقاربه من بني أمية، ومعلوم أن علياً ولى أقاربه من قبل أبيه وأمه، فولى عبيد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على اليمن، وولى على مكة والطائف قثم بن العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأما المدينة ف قيل: إنه ولى عليها سهل بن حنيف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقيل: ثمامة بن العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأما البصرة فولى عليها عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وولى على مصر ربيبته محمد بن أبي بكر الذي رباه في حجره (لأنه تزوج أمه بعد وفاة أبي بكر، وكان محمد صغيراً). ثم إن الإمامية تدعي أن علياً نص على أولاده في الخلافة أو على ولده وولده على ولده الآخر وهلم جراً. ومن المعلوم إن كانت تولية الأقربين منكرًا فتولية الخلافة العظمى أعظم من إمارة بعض العمال، وإذا قال القائل: لعلني حجة فيما فعله قيل له: وحجة عثمان فيما فعله أعظم، وإذا ادعى لعلني العصمة ونحوها مما يقطع عنه السنة الطاعنين كان ما يدعي لعثمان الاجتهاد الذي يقطع السنة الطاعنين أقرب إلى المعقول والمنقول.

أقول:

من أعجب العجب أن النصارى واليهود لا يطعنون في أصحاب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وحوارييه، واليهود لا يطعنون في أصحاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أما

الشيعة فلم يسلم من الصحابة إلا أربعة فقط! أين العقول؟ أين التفكير؟ أو أن بعض الناس كالأنعام، بل هم أضل؟

### القاضي الشجاع

٩٤٥

حضر الفضل بن الربيع وزير هارون الرشيد عند القاضي أبي يوسف يوماً ليشهد في قضية، ولكن أبا يوسف رد شهادته، ولم يقبلها، فعاتبه الخليفة، فقال أبو يوسف: «لأنني سمعته يوماً يقول لك: أنا عبدك، فإن كان صادقاً فلا شهادة للعبد، وإن كان كاذباً فكذلك؛ لأنه إذا لم يبال بالكذب في مجلسك، فلا يبال به في مجلسي».

أقول:

كم هم الذين يقولون دون ذلك ليل نهار، وما أقل من يستطيع رد شهادتهم!

### استخرج الشكر لله

٩٤٦

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، أما القلب فهو أن يقصد الخير، ويضمرة للخلق كافة، وأما اللسان فهو إظهار الشكر لله بالتحميد، وأما بالجوارح فهو استعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، فمن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه، فهذا يدخل في جملة شكر هذه الأعضاء، والشكر باللسان إظهار الرضا عن الله تعالى، وهو أمور به. روي أن رجلاً سلم على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فردَّ عليه، ثم قال عمر: ذاك الذي أردت. وقد كان السلف يتساءلون ومرادهم استخراج الشكر لله، فيكون الشاكر مطيعاً والمستنطق مطيعاً.

قال الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في جريدة (الشرق الأوسط)  
(١٤٠٩/١/٢٧هـ):

حدثني أستاذ أنه كان يتكلم عن المرأة المسلمة في إحدى محاضراته في أمريكا، ويذكر أن لها الاستقلال في شؤون المال، لا ولاية عليها في مالها لزوجها ولا أبيها، وأنها إن كانت معسرة كلف بنفقتها أبوها أو أخوها، فإن لم يكن لها أب أو أخ فأى واحد من أقربائها الذين يرثونها، ولو كان ابن عم عمها، وأن هذه النفقة تستمر إلى أن تتزوج، أو يكون لها مال، وأنها إذا تزوجت كلف زوجها بنفقتها، ولو كانت تملك مليوناً، ولو كان عاملاً لا يملك شيئاً. إلى غير ذلك مما نعرفه نحن، ويجهلونه هم عنا؛ فقامت سيدة أمريكية من الأدبيات المشهورات، فقالت: إذا كانت المرأة عندكم كما تقول فخذي أعيش عندكم ستة أشهر، ثم اقتلوني! وعجب من مقالها، وسأل عن حالها، فشرحت له حالها وحال البنات هناك، فإذا المرأة الأمريكية تبدو حرة وهي مقيدة، وتُرى معززة وهي مهانة، إنهم يعظمونها في التوافه، ويحقرونها في جسيمات الأمور، يمسكون بيدها عند النزول من السيارة، ويقدمونها قبلهم عند الدخول للزيارة، وربما قاموا لها في الترام لتتعد أو فسحوا لها في الطريق لتمر، ولكنهم في مقابلة ذلك يسيئون إليها إساءات لا تحتمل، إذا بلغت البنت هناك سن الرشد قبض أبوها يده عنها، وسد باب داره في وجهها، وقال لها: اذهبي فتكسبي وكلي، فلا شيء لك عندي بعد اليوم. فتذهب المسكينة تخوض غمرة الحياة وحدها لا يبالون أعاشت بجدها أم بجسدها، ولا يسألون هل أكلت خبزها بيديها أم بثديها؟، وليس هذا في أمريكا وحدها، بل هو شأن القوم في ديارهم كلها.

ذكر أبو الفرج بن الجوزي في (عيون الحكايات) قال الأصمعي: خرجت أنا وصديق لي إلى البادية فضلنا الطريق، فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق، فقصدناها، فسلمنا فإذا امرأة ترد علينا السلام قالت: ما أنتم؟ قلنا: قوم ضالون عن الطريق أتيناكم، فأنسنا بكم، فقالت: يا هؤلاء، ولوا وجوهكم عني حتى أقضي من حقكم ما أنتم له أهل، ففعلنا، فألقت لنا مسحاً، فقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني. ثم جعلت ترفع طرف الخيمة، وتردها إلى أن رفعتها، فقالت: أسأل الله بركة المقبل، أما البعير فبعير ابني، وأما الراكب فليس بابني، فوقف الراكب عليها، فقال: يا أم عقيل، أعظم الله أجرك في عقيل، قالت: ويحك! مات ابني؟ قال: نعم، فقالت: وما سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل، فرمت به في البئر، فقالت: انزل فاقض ذمام قوم. ودفعت إليه كبشاً، فذبحه، وأصلحه، وقرب إلينا الطعام، فجعلنا نأكل، ونتعجب من صبرها، فلما فرغنا خرجت إلينا، وقد تكورت، فقالت: يا هؤلاء، هل فيكم من أحد يحسن من كتاب الله شيئاً؟ قلت: نعم، قالت: اقرأ علي من كتاب الله آيات أتعزى بها، قلت: يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤-١٥٧].

قالت: الله إنها لفي كتاب الله هكذا؟ قلت: الله إنها لفي كتاب الله هكذا، قالت: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، عند الله أحسب عقيلاً، تقول ذلك ثلاثاً: اللهم، إني فعلت ما أمرتني به، فأنجز لي ما وعدتني.

قال فضيلة الشيخ الطنطاوي رحمه الله: لا تظنوا أن ما تعطونه يذهب بالمجان، لا والله، إنكم تقبضون الثمن أضعافاً، تقبضونه في الدنيا قبل الآخرة، ولقد جربت

ذلك بنفسني، أنا أعمل، وأكسب، وأنفق على أهلي منذ أكثر من ثلاثين سنة، وليس لي من أبواب الخير والعبادة إلا أني أبذل في سبيل الله إذا كان في يدي مال، ولم أدخر في عمري شيئاً، وكانت زوجتي تقول لي دائماً: يا رجل، وفر، واتخذ لبناتك داراً على الأقل، فأقول: خليها على الله، أتدرون ماذا كان؟ لقد حسب الله لي ما أنفقه في سبيله، وادخره لي في بنك الحسنات الذي يعطي أرباحاً سنوية قدرها سبعون ألفاً في المئة، نعم: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] وهناك زيادات تبلغ ضعف الريح: ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] فأرسل الله صديقاً لي سيداً كريماً من أعيان دمشق، فأقرضني ثمن الدار، وأرسل أصدقاء آخرين من المتفضلين، فبنوا الدار حتى كملت، وأنا والله لا أعلم من أمرها إلا ما يعرفه المارة عليها من الطريق، ثم أعان الله برزق حلال لم يكن محتسباً، فوفيت ديونها جميعاً، ومن شاء ذكرت له التفاصيل، وسميت له الأسماء، وما وقعت والله في ضيق إلا فرّجه الله عني، ولا احتجت إلى شيء إلا جاءني، وكلما زاد عندي شيء، وأحببت أن أحفظه وضعته في هذا البنك، فهل في الدنيا عاقل يعامل بنك المخلوق الذي يعطي ٥ ٪ ربحاً قدره سبعون ألفاً، وهو مؤمن عليه عند رب العالمين، فلا يفلس، ولا يحترق، ولا يأكل أموال الناس؟ فلا تحسبوا أن الذي تعطونه يذهب هدرًا، إن الله يخلفه في الدنيا قبل الآخرة، وأنا لا أحب أن أسوق لكم الأمثلة، فإن كل واحد منكم يحفظ مما رأى أو سمع كثيرًا منها، إنما أسوق لكم مثلًا واحدًا: قصة الشيخ سليم المسوتي رَحِمَهُ اللهُ وقد كان شيخ أبي، وكان على فقره لا يردُّ سائلاً قط، ولطالما لبس الجبة أو الفروة، فلقي بردان يرتجف، فنزعها فدفعها إليه، وعاد إلى البيت بالإزار، وطالما أخذ السفارة من أمام عياله، فأعطاها السائل، وكان يوماً في رمضان، وقد وضعت المائدة انتظاراً للمدفع، فجاء سائل يقسم إنه وعياله بلا طعام، فابتغى الشيخ غفلة من امرأته ولولت عليه، وصاحت، وأقسمت إنها لا تقعد عنده وهو ساكت، فلم تمر نصف ساعة حتى قرع الباب، وجاء من يحمل الأطباق فيها ألوان الطعام والحلوى والفاكهة، فسألوا: ما الخبر؟ وإذا

الخبر أن سعيد باشا شموين كان قد دعا بعض الكبار، فاعتذروا، فغضب، وحلف ألا يأكل من الطعام، وأمر بحمله كله إلى دار الشيخ سليم المسوتي.

## نبي الله في السجن

٩٥٠

جاء في كتاب (روح المعاني) للآلوسي: روى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أوحى الله تعالى إلى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: من استنقذك من القتل حين هم إخوتك أن يقتلوك؟ قال: أنت يا رب. قال: فمن استنقذك من الجب إذا ألقيت فيه؟ قال: أنت يا رب، قال: فمن استنقذك من المرأة إذ همت بك؟ قال: أنت يا رب. قال: فما بالك نسيتني، وذكرت آدمياً؟ قال: يا رب، كلمة تكلم بها لساني، قال: وعزتي وجلالي لأخذلنك في السجن بضع سنين.

نقول: نعم، هذه الدنيا هي دار الاختبار، وهي سجن المؤمن وجنة الكافر.

## وفد تميم

٩٥١

لما قدم وفد تميم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناداه رجل منهم من وراء الجدار: يا محمد، اخرج إلينا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] وفي قراءة ابن مسعود: (بنو تميم أكثرهم لا يعقلون) وأنزل الله في ذلك: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

## التقوى

٩٥٢

ودع ابن عون رجلاً، فقال: عليك بتقوى الله، فإن المتقي ليست عليه وحشة، وقال زيد بن أسلم: كان يقال: من اتقى الله أحبه الناس، وإن كرهوا، وقال الثوري

لابن أبي ذئب: إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وقال سليمان بن داود: أوتينا مما أوتي الناس، ومما لم يؤتوا، وعلمنا مما علم الناس، ومما لم يعلموا، فلم نجد شيئاً أفضل من تقوى الله في السر والعلانية، والعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وفي الزهد للإمام أحمد أثر إلهي: «ما من مخلوق اعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من دونه، فإن سألتني لم أعطه، وإن دعاني لم أجبه، وإن استغفرتني لم أغفر له، وما من مخلوق اعتصم بي دون خلقي إلا ضمنت السماوات والأرض رزقه، فإن سألتني أعطيته، وإن دعاني أجبته، وإن استغفرتني غفرت له».

أقول:

هذا شيء مجرب ومشاهد، ولو استعرضت من تعرف من الناس لوجدت هذا في غاية السعادة، وهو قليل المال، وهذا في غاية التعب والهم، وينام في خفية من كثرة المشاغل، وفي غاية الشقاء، وهو كثير المال.

### جولة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرسمية

٩٥٣

هذا ما رواه ابن كثير عن هذه الرحلة يقول: قدم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجابية على طريق إيليا على جمل أورك، تلوح صلته للشمس، ليس عليه قانسوة ولا عمامة، تصطفق رجلاه بين شعبي الرحل بلا ركاب، وطاؤه كساء أنبجاني ذو صوف، هو وطاؤه إذا ركب وفراشه إذا نزل، حقيبته نمره أو شملة محشوة ليفاً، هي حقيبته إذا ركب، وسادته إذا نزل، وعليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جنبه، فقال: ادعوا لي رأس القوم، فدعوا له الجلومس، فقال: اغسلوا قميصي، وخيطوه، وأعيروا لي ثوباً أو قميصاً، فأتي بقميص كتان، فقال: ما هذا؟ قالوا: كتان، قال: وما الكتان؟ فأخبروه، فنزع قميصه، فغسل، ورفع، وأتى به، فنزع قميصهم، وليس قميصه، فقال له الجلوس: أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شيئاً غير هذا، وركبت برذواناً لكان ذلك أعظم

في أعين الروم، فقال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلاً، فأتى بيرزون، فطرح عليه قطيفته بلا سرج ولا رحل، فركبه بها، فقال: احبسوا احبسوا، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا، فأتى بجمله، فركبه.

قال ابن القيم في كتابه القيم (الفوائد): سبحان الله! في النفس كبر إبليس، وحسد قابيل، وعتوّ عاد، وطغيان ثمود، وجرأة نمرود، واستطالة فرعون، وبغي قارون، وقحة هامان، وهوى بلعام، وحيل أصحاب السبت، وتمرد الوليد، وجهل أبي جهل، وفيها من أخلاق البهائم، حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجعل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولة الأسد، وفسق الفأرة، وخبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ونوم الضبع، غير أن الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك، فمن استرسل مع طبعه، فهو من هذا الجند، ولا تصلح سلعته لعقد: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] فما اشترى سلعة إلا هذبها الإيمان، فخرجت من طبعها إلى بلد سكانه التائبون العابدون، سلم المبيع قبل أن يتلف في يدك، فلا يقبله المشتري، قد علم المشتري بعيب السلعة قبل أن يشتريها، فسلمها، ولك الأمان من الرد.

نقول: صدق الشيخ، ذكر التاريخ شخصيات قبل الإسلام كانوا طغاة بغاة، ثم أصبحوا أئمة ودعاة.

قال سفيان بن عيينة: لا تأتون بمثل مشهور للعرب إلا جئتمكم به من القرآن الكريم، فقال له قائل: فأين في القرآن «أعط أخاك تمرة، فإن لم يقبل فأعطه

جمرة»، فقال: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

## المفتاح

٩٥٦

قال الفقهاء: أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه، فتشكره عليها، وتتضرع إليه ألا يقطعها عنك، وأن السيئات من خذلاته وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك، وقد أجمع العارفون على أن كل خير أصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر أصله خذلانه لعبد، وأجمعوا أن التوفيق ألا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير أصله التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجوء والرغبة والرغبة إليه، فمتى أعطي العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن هذا المفتاح بقي باب الخير مُرْتَجًّا دونه.

## إذا رأيتم الحريق فكبروا

٩٥٧

يذكر من حديث عمرو بن شعيب مرفوعاً: «إذا رأيتم الحريق فكبروا فإن التكبير يطفئه»<sup>(١)</sup>. لما كان الحريق سببه النار، وهي مادة الشيطان التي خلق منها، وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله، وكان للشيطان إعانة عليه وتنفيذ له، وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد، وهذان الأمران وهما العلو في الأرض والفساد هما هدي الشيطان وإيهما يدعو وبهما يهلك بني آدم، فالنار والشيطان كلُّ منهما يريد العلو في الأرض والفساد، كبرياء الرب عزَّجَلَّ تقمع الشيطان، فإذا كبرَّ المسلم ربه طفئ الحريق، وقد جربنا نحن وغيرنا، فوجدنا ذلك. عن كتاب (زاد المعاد).

(١) ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٥٠٤).

فسّر الشيخ الشعراوي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: التنوين هنا معناها: يوم تأتي من كل أمة بشهيد على أنه بلغ، ويشهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هؤلاء في هذا اليوم، يودّ الذين كفروا، وكذبوا بالرسول أن تسوى بهم الأرض؛ وذلك لأنهم فوجئوا بعملية كانوا يكذبونها، وكان يعتقدون أن المسألة مجرد كلام فقط، ومعنى: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي يكونون هم والأرض قطعة واحدة غير منفصلة، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ معنى الكتم: محاولة منع الشيء من الخروج بطبيعته بالقوة، وكلمة: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾ دليل على أن الحديث مندفع، ولا يقدر على منعه.

والسؤال الآن: لماذا يكتُمون الحديث؟ والجواب: أن ذلك راجع إلى ذاتية المنطق، وليس في أداة المنطق باللسان، واللسان سوف يشهد، والجلود كذلك، واليدين وكل الجوارح، والمسألة خرجت من يد الإنسان، فهناك ما يسمى ولاية الاقتدار، يوجد قادر ومقدور عليه، ولنضرب لذلك مثلاً يقرب المسألة، يوجد هناك كتيبة من الجيش مثلاً وعليها قائد برتبة عقيد، لو أنها قامت بمهمة فالقانون العام يجعل لهذا العقيد قدرية الأوامر، أما الباقون فعليهم الطاعة، ولا يقدرّون على مخالفة الأوامر العسكرية، لكن هب أنهم جاؤوا إلى القائد الأعلى فماذا يكون الموقف؟ تنتقل قدرية الأوامر إليه، فكذلك الحق سبحانه وتعالى حينما خلق الإنسان خلق جوارحه منفصلة لإرادته، الإرادة الخاصة به كيفية بأي شيء، إرادة الطائع إطاعة أمر واجتناب نهي، وإرادة العاصي على العكس من ذلك لا يطيع الأمر، ولا يمتثل للنهي، فلو أنه أراد شرب الخمر مثلاً فرجله مشت إلى هناك، ولسانه نطق للرجل الذي أعطاه الكأس، ويده امتدت، وأخذت الكأس، وشرب، الجوارح التي تفعل ذلك هي مقدورة لقادري إرادته؛ لأن الله سبحانه

وتعالى خلقها كذلك، ولكن حين تذهب إلى من دبر الأمر في الآخرة تقول له: يا رب فعل بي كذا أو كذا، لماذا؟ لأن قادية الإرادة للإنسان امتعت هنا تمامًا، وليست له إرادة في هذا اليوم؛ لأن الملك اليوم لله الواحد القهار، ولو سألت الجوارح: وأين كنت حين فعل ذلك؟ تقول: يا رب كنت مقهورة لقادية إرادته التي جعلتها له، وهذا واضح حينما تريد أن تضرب إنساناً بيدك توافقك يدك، وحينما تريد للسانك أن يشتم واحداً يشتمه، وعندما تريده أن يمدحه يمدحه، هذه كلها ولاية القادية من الإرادة على المقدوريات من الجوارح؛ أي إن الجوارح حين تصنع غير مرادات الله سبحانه وتعالى بحكم أنها خاضعة للمريد وهو غير طائع تكون كارهة لذلك، فإذا ما وجدت الفرصة، وأن إرادة المريد انحلت عنها تقول على ما حدث تفصيلياً، فيدهش الجميع. عن جريدة (المسلمون) ١٧/٣/١٤٠٩هـ.

### فتوى من شيخ وليست من شويخ

٩٥٩

قال ابن خلكان في (وفيات الأعيان): إن الأمير عبدالرحمن بن الحكم صاحب الأندلس كتب إلى الفقهاء يوماً يستدعيهم إليه، وكان ابن الحكم قد نظر في شهر رمضان إلى جارية له كان يحبها حباً شديداً، فبعث بها، ولم يملك نفسه أن وقع عليها، ثم ندم بعد ذلك ندماً شديداً، فلما أتاه الفقهاء سألهم عن توبته من ذلك وكفارته، فقال يحيى بن يحيى الليثي: يكفر ذلك بصوم شهرين متتابعين، فلما بدر يحيى بهذه الفتوى سكت باقي الفقهاء حتى خرجوا من عند الأمير قالوا ليحيى: ما لك لم تفتته بمذهب الإمام مالك، فعنده أنه مخير بين العتق والطعام (أي إطعام المساكين) والصيام، فقال يحيى: لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يظأ كل يوم، ويعتق رقبة، ولكن حملته على أصعب الأمور؛ لئلا يعود.

نقول: هذا الشيخ يريد وجه الله والدار الآخرة، وليس شويحًا يريد الدينار والدرهم.

## الشبيلي حاتم عصره

٩٦٠

قال الأخ الأستاذ تركي السديري في جريدة (الرياض) يوم ٢٠/٣/١٤٠٩هـ: الرجل في سخائه ورجولة مواقفه تجاوز الواقع إلى حدود الخرافة والأسطورة، فأقصى مراحل الكرم العربي عند الخلفاء والقادة والولاة هي تلك التي يطيب فيها أن (يتقي الله سائله) أي إن جزالة العطاء في الكرم إنما تأتي جواباً لمن يبذلون السؤال من المحتاجين، أو تدفعهم ظروف التعامل ليكونوا في رعاية الكرم. الشبيلي رجل مختلف تماماً، فهو لا ينتظر السؤال من المحتاج، ولكنه يذهب بكرمه إلى كل الناس معتبراً أنهم ضيوفه، وظروف المسؤولية أو المكانة الاجتماعية ليس هو ما يملئ عليه تقدير الآخرين، ولكنه في كرمه وتقديره ورجولة مواقفه يفعل ذلك مع كل الناس، حتى أصبح كل سعودي يحل في بلد هو سفير فيه يُعدّ ضيفاً عليه، وذهب الرجل إلى حد تقصي الفنادق؛ لئلا يوجد بها من يتلهف على استضافته، ولكنه لا يدري عنه، كرمه لم يقف عند حدود أن (يتقي الله سائله)، ولكنه تجاوز ذلك إلى أن يتقي الله معارفه والسامعون عنه بإراحته من عناء ضيافتهم ورعايتهم، فما كانوا يطلعونه على وجودهم في بلد يعمل فيه إلا حين يقترب موعد الذهاب للمطار عائدين، فيذهبون للسلام عليه، إنه نبل نادر في هذا العصر، رجل من مثاليات فريدة، يروى تدليلاً على سعة صلته وشمول علاقاته أن السفير الكوبي في الهند في أثناء عمله هناك كان يعتمد عليه في اختيار يليق بحفلاته الشرقية، وبقدر ما يعني هذا شمول علاقاته الدبلوماسية، فإنه يعني أيضاً صلته الاجتماعية الوثيقة بالمجتمع الهندي، وإذا كان من يبذلون جهوداً محدودة في أي عمل جيد يعدونها مناسبة للإعلان عن أنفسهم، أو يجمعون الأموال والمناصب لفعل الظهور الإعلاني، فقد كان الشبيلي وثير الصلات

والتبرعات والجهود مع الجمعيات والشخصيات الإسلامية والأخرى الوطنية في مواقعها دون أن يعلن ذلك لأحد، يروون حكاية في مثل سحر الأساطير عن إنسانيته وكرمه من أن رجلاً من أسرته كان يبتاع في أحد أسواق لندن المركزية، وحين أراد توقيع شيك بالمبلغ لمحاسب المكان لاحظ البائع الاسم، فرفض تسلم الشيك؛ مؤكداً أنه ليس في حاجة لتسديد الفاتورة، ودخلاً في جدال طويل أنهاء البائع بقوله: لقد دفع حسابك الشيخ محمد الشبيلي! فردّ المشتري: لكن فكرة الشراء هذه لم تخامرني إلا منذ ساعة، فكيف عرف الشيخ محمد الشبيلي بذلك وهو على بعد آلاف الأميال ليدفع حسابي؟ وكيف دفعه وهو على مثل ذلك البعد؟ وعاداً إلى الجدل، فاضطر البائع الهندي الأصل إلى أن يروي له قصة مثيرة حدثت قبل أعوام طويلة، ودفعته لأن يقول له: إن حسابه قد دفعه الشيخ محمد الشبيلي، وموجزها أنه قبل أعوام عدة كان شاب فقير يسكن في دلهي، وقبيل الفجر داهمت الولادة زوجته، فقد كانت الأعراض تتطلب تدخلاً جراحياً، وأسقط في يده! فهو على أطراف مدينة معظم سكانها من الفقراء ومعظم بيوتها من القش، كيف سيذهب إلى المستشفى، وكيف سيدفع تكاليف العلاج؟ ويضيف: لقد وجدت غير بعيد من منزلي أضواء تأتي من منزل كبير، فتوقعت أن يكون لأحد القادرين على مساعدتي بأي شكل، وإن كان ذلك شبه مستحيل في مثل تلك الساعة من الليل، ذهبت إلى هناك، فقرعت الباب، وشرحت الأمر للحارس الذي فوجئت بأنه لم ينهربي أو يطردني، بل اختفى دقائق، ثم عاد ومعه رجل آخر قال: إنه سائق سيأخذني إلى المستشفى، وفعلاً امتطيت أنا وزوجتي السيارة إلى المستشفى الذي كان مفاجأتي كبيرة أن أجد عند بابة من موظفيه من هو في انتظارنا، لم يسألني أحد عن أي شيء؟ أخذوا الزوجة، وأجريت لها الفحوص، ثم عملية ولادة قيصرية، ثم غرفة أنيقة. وفي الصباح فوجئت بحقيبة تصل إلى غرفة زوجتي وبدخلها ملابس للطفل ومستلزمات أخرى لرعايته، ورجل يقول: يرجو محمد الشبيلي أن تقبل هديته لطفلك واستضافتكم في المستشفى على نفقته، إذ دفع فعلاً أجرة العملية والغرفة وكل مصروفات العلاج حتى تاريخ

الخروج. ويواصل الهندي: لقد عرفت أن ذلك المنزل كان بيت السفير السعودي، وأن سيارته هي التي أقلت زوجتي إلى المستشفى، وأنه هو الذي دفع كل التكاليف التي كنت عاجزاً عن القيام بها. فأقسمت ألا ألتقي أحداً يمت إليه بأي صلة إلا كان ضيفي. إنها حكاية أسطورة وخرافة، لكنها شيء قليل، قليل جداً من سيرة رجل نادر اسمه محمد الحمد الشبيلي رَحِمَهُ اللهُ.

نقول:

هذا والله من العجب، وهو نموذج يشرف كل عربي ومسلم. أُخبرت أن أحد الأقارب من قريننا الربيعية كان يقول لجلسائه: الحمد لله أن الله لم يخلقني امرأة، قيل له: ولماذا؟ قال: أخشى أن أزني! والله ما سئلت شيئاً قط في كل حياتي، وقلت: لا.

رحمه الله رحمة واسعة، كنت أتحدث مع العم الكريم الداعية الموفق الشيخ يوسف المطلق، وأقول له: يا ليتني التقيت هذا الرجل النبيل لأقبل جبينه، كيف لا نعرف هؤلاء إلا بعد موتهم، ووالدي رَحِمَهُ اللهُ يمزح مع الشيخ علي المطلق رحمهما الله ويقول له: يا شيخ، إذا رأيتك فرحت أنك ابن عمي شمري، وكان الشيخ علي رَحِمَهُ اللهُ في مثل أخلاق الشبيلي وكذلك يوسف حفظه الله.

## من الغرب السلاح ومن الشرق الرجال

٩٦١

قالت جريدة (القبس) الكويتية يوم ٢٠/٣/١٤٠٩هـ: ما هو موقف الاتحاد السوفييتي من الانتفاضة الفلسطينية؟ جاءت الإجابة عن هذا السؤال في (القبس): جسر جوي ينقل اليهود السوفييت إلى تل أبيب، حيث كشف مصدر دبلوماسي عربي لمراسل (القبس) في بروكسل أن صديق العرب الرئيس شاوشيسكوزار الاتحاد السوفييتي أخيراً، وأشرف بنفسه على ترتيب جسر جوي من ٥ إلى ٨ طائرات تنقل آلافاً من اليهود السوفييت يومياً إلى تل أبيب،

ويسعى شاوشيسكو لتهدئة الانتفاضة الفلسطينية، وقد حاول بعض السفراء العرب في بوخارست عاصمة رومانيا الاستفسار عن هذه الهجرة إلى فلسطين المحتلة ودور نيكولاوي شاوشيسكو، فجاءهم الرد جافاً، وأن هذا شأن روماني لا دخل للعرب فيه، وطلبوا عدم تكرار طرح الأسئلة، ولم يشمل الرد طلب تفسير دور زيارة شمعون بيريز الأخيرة في هذا الجسر الجوي، علماً أن بيريز أجنبي، وليس رومانياً. علّق المصدر الدبلوماسي على عملية الجسر الجوي بأنها جزء من استحقاقات يدفعها الرئيس غورباتشوف لتطبيع علاقات موسكو بالغرب، التي بدأت نتائجها في الظهور، حيث حصل الاتحاد السوفييتي على قرض من بريطانيا بألف مليون جنيه إسترليني، مع وعد من المستثمرين الألمان الغربيين بالإسهام في تنشيط الاقتصاد السوفييتي.

يقول الدبلوماسي العربي: تجاوز سلبية الاتحاد السوفييتي وموقفه من الانتفاضة الصمت الرسمي إلى الدعم العلني والعملي للسياسة الإسرائيلية عبر هذا الجسر الجوي، الذي ينقل ما معدله ألف يهودي في اليوم، يتقاطرون من أطراف الأرض لمواجهة الانتفاضة. إن الأخطر من الدعم الأمريكي لإسرائيل بسلاح يقتل شعبنا الأعزل هو تلك الأيدي التي تطلق النيران، وتصفع الكرامة التي هي أثمان عند إسرائيل من السلاح، وأن أي صمت من جانب أصدقاء الاتحاد السوفييتي في الكويت والعالم العربي يُعدّ رضاً وإقراراً بهذا الجسر الفتاك الذي تجرأت عليه موسكو لأسباب عدة، منها اطمئنانها إلى ردّ الفعل الناعم من أصدقائها في الخليج والوطن العربي كله. وإذا كنا نردد عبارة لا نستطيع مساعدة الفلسطينيين في انتفاضتهم وهم وراء الحدود، فهل نعجز عن استنكار ورفض إمداد إسرائيل بالطاقات البشرية والاستنكار؟ يا قوم، هو أضعف الإيمان، وليس وراءه حبة خردل من إحساس بالانتفاضة.

هذا ما كتبه الأستاذ فيصل الزامل جزاه الله كل خير.

أقول:

من شكك في عداوة الغرب النصراني أو الشرق الملحد للعرب والمسلمين فهو إما جاهل مغرور أو خبيث مأجور، ولا عليك أيها الكاتب الكريم، فاجتماع اليهود في بيت المقدس في آخر الزمان لأمر يريد به الله، وقد أشار الله سبحانه في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ٤ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ٦ إِنَّ أَحْسَنَهُ أَحْسَنَتْهُ لِنَفْسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلِمْتُمْ نَفِيرًا ﴿[الإسراء: ٤-٧] ومن أراد الزيادة فليراجع ما كتبه المفسر الجليل الإمام ابن كثير في تفسيره لسورة الإسراء، وكذلك ما كتبه الشهيد سيد قطب في (ظلال القرآن) حول هذا الموضوع العجيب.

## ظلم الإنسان لأخيه الإنسان

٩٦٢

اكتشف تلاميذ إحدى المدارس في ضاحية مدينة (مينسك) السوفيتية في جمهورية روسيا البيضاء مقبرة جماعية ربما يكون في جوفها رفات نحو ٢٥٠ ألف شخص، وتحمل اسم مقبرة ( كورباتي) وليس الرقم المذكور أعلاه رقما تحريفيًا تورده المعارضة؛ لأنه جاء في نشرة الشبيبة الشيوعية في الجمهورية طبقًا للمصادر المعنية أن نحو ربع مليون رجل وامرأة قد دفنوا في هذه المقبرة ما بين ١٩٢٧ و١٩٤١م بعد إعدامهم رميًا بالرصاص على يد عناصر الاستخبارات السوفيتية قبل أن تحمل هذه الاستخبارات اسم (كي. جي. بي)، ولم يكن عدد سكان جمهورية روسيا البيضاء في تلك الآونة أكثر من ثمانية ملايين نسمة، وبحسب نشرة سوفياتسكي مولودج الصادرة في ليتوانيا، فإن مقبرة كورباتي تضم ٥١٠ حفر جماعية بطول ١٠ أمتار للحفرة الواحدة، وعمق ثلاثة أمتار

فوق مساحة من الأرض تزيد على ١٥ هكتاراً، ثم لم تلبث أن ظهرت ٤٠٠ مقبرة  
جماعية جديدة خلال عمليات الحفر لبناء خط لنقل الغاز في الغابة التي يتنزه  
فيها أبناء مدينة مينسك عادة في نقطة غير بعيدة عن الحفر الأولى. يقول  
الكاتب السوفييتي (أليس آداموفيتشي) وهو من روسيا البيضاء: كان يتم تجميع  
الضحايا في صفوف، ثم يلقون مصرعهم بإطلاق النار عليهم في الرأس وجهاً  
لوجه، وكان مطلقو النار يحرسون على قتل اثنين من المتهمين برصاصة واحدة،  
وعندما كانت الحفرة تمتلئ بالجثث يهيل الجنود الرمل فوقها، ويسوون بها  
الأرض، أفراد الحرس ومجموعات الإعدام كانوا يلبسون ثياب الاستخبارات  
التي كان اسمها (كي. في. دي) وبسبب هول المسألة شكلت الحكومة المحلية لجنة  
تحقيق رسمية في الموضوع، فأثار الجثث كانت تظهر من وقت لآخر بسبب تحلل  
الأجسام وانخفاض مستوى الأرض في حفر الإعدام.

وفي إحدى المرات انكشف بسهولة خمسون جثة مصفوفة صفاً واحداً، وقد  
أضيفت صور هذه الجثث إلى الملف الذي تعده اللجنة الحكومية المكلفة بالتحقيق،  
والسؤال المطروح هو: هل كل هذه الجثث ترجع إلى مرحلة القمع الداخلي التي  
قام بها جوزيف ستالين؟ عن جريدة (الوطن الكويتية) في ٢١/٣/١٤٠٦هـ.

إنه والله الظلم كل الظلم من الإنسان لأخيه الإنسان.

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين مرّ بالحجر بديار ثمود قال: «لا تشربوا  
من مائها، ولا تتوضؤوا منها، وما كان من عجين فاعلفوه الإبل، ولا يخرجن  
أحد منكم إلا ومعه صاحب له» ففعلوا إلا رجلين من بني ساعدة خرج  
أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعيره، فخنق الذي خرج لحاجته على  
مذهبه، وحملت الريح طالب البعير، حتى ألقته في جبلي طيء، فقال رسول

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألم أنهكم»<sup>(١)</sup>، ثم دعا للذي خنق فشفي، وأهدت الآخر طيء لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قدم المدينة. قال الزهري: لما مرَّ بالحجر سجد ثوبه على وجهه، واستحثَّ راحلته، ثم قال: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون؛ خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم»<sup>(٢)</sup>. هذا ما جاء في مختصر زاد المعاد للإمام ابن القيم تأليف الإمام محمد بن عبد الوهاب، وتعليقنا هو لسياح المسلمين ألا يدخلوها، وإن دخلوا فليكونوا باكين حزينين، وعلى العلماء أن يبينوا ذلك للناس.

### سبحان من قتل الأمير وفك الأسير!

٩٦٤

لما وجّه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد إلى العراق ليطلق أهل السجون، ويقسم الأموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم، فلما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم إفريقية، وكان محمد بن يزيد والياً عليها، فاستخفى محمد بن يزيد، فطلبه يزيد بن أبي مسلم، وشدّد في طلبه، فأتي به إليه في شهر رمضان عند المغرب، وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب، فقال لمحمد بن يزيد حين رآه: يا محمد بن يزيد، قال: نعم، قال: طالما سألت الله أن يمكنني منك، فقال: وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرني منك، فقال: والله ما أجارك، ولا أعاذك، وإن سبقني ملك الموت إلى قبض روحك سبقته، والله لا أكل هذه الحبة من العنب حتى أقتلك، ثم أمر به، فكتف، ووضع في النطع، وقام السيف، فأقيمت الصلاة، فوضع العنقود من يده، وتقدم ليصلي، وكان أهل إفريقية قد أجمعوا على قتله، فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله، وقيل لمحمد بن يزيد: اذهب حيث شئت، فسبحان من قتل الأمير، وفك الأسير!

(١) ذكر هذه القصة ابن كثير في البداية والنهاية (١٥/١٦-١٦)، والنويري في نهاية الأرب في فنون الأدب (٢٥٣/١٧-٢٥٤).

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون (٢٣/٢)، ونهاية الأرب (٢٥٣/١٧-٢٥٤).

قال عبد الله باجبير في جريدة (الشرق الأوسط) يوم (١٤٠٩/٤/١هـ):  
 آخر خبر مشير، أن رجلاً هندياً اسمه رام سنج استطاع بعد تدريب استمر أربع  
 سنوات كاملة التحكم في جسده حتى أمكن كما يقول التعبير العلمي (تخطي  
 المراكز الفكرية) وقد أعلن الرجل أنه في إمكانه البقاء أربعة أسابيع في قبر تحت  
 الأرض والخروج حياً بعد ذلك، وقد طلب أن يجلس عدد من الأشخاص فوق  
 القبر العميق؛ حتى لا يكون هناك أي احتمال للخداع، وقد تمت التجربة، ووضع  
 رام سنج في صندوق مصمت من الخشب، ثم أنزل في قبر على مسافة أربعة أمتار  
 من سطح الأرض، وقام بالتناوب لمدة الأسابيع الأربعة، وأمام عدسات التلفاز،  
 قام العلماء، ورفعوا الزهور عن القبر، ثم أزاخوا التراب، ثم حضروا حتى وصلوا  
 إلى الصندوق، وأخرجوه، ثم نزعوا المسامير، ورفعوا ألواح الخشب، وخرج رام  
 سنج حياً وهو يبتسم أمام العلماء المدهوشين وأمام عدسات التلفاز!

قال بعض العلماء: إن في الطيب من الخاصة أن الملائكة تحبه، والشياطين  
 تفر منه، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة، والأرواح الخبيثة تحب الرائحة  
 الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها، والخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات،  
 والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات، وهذا وإن كان في الرجال والنساء فإنه  
 يتناول الأعمال والأقوال والمطاعم والمشارب والملابس والروائح، إما بعموم لفظه،  
 وإما بعموم معناه.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»<sup>(١)</sup>، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعمموا تزدادوا جمالا»<sup>(٢)</sup>، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العمائم تيجان العرب»<sup>(٣)</sup>، وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء، فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفراء، وبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل، فتخلف عن الجيش، وأتى إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه عمامة سوداء من خز، فنقضها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعممه بيده، وأسدلها بين كتفيه قدر شبر، وقال: هكذا اعتم يا ابن عوف. وبعث ملك الروم إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبة ديباج، فلبسها، ثم كساها عثمان. وكان سعيد بن المسيب سيد التابعين يلبس الحلة بألف درهم، ويدخل المسجد، فقيل له في ذلك؟ فقال: إني أجالس ربي. وقيل: المروة الظاهرة الثياب الطاهرة.

نقول: ما رأي إخواننا الذين يحضرون صلاة الجمعة في بعض الأحيان والجماعة في كثير من الأحيان بملابس النوم ألا يخافون من مخالفة أمر الله في كتابه الكريم؟ وكذلك بعض أصحاب الملايين الذين يرتدون الخلاقين، وينتعلون الشبشب أبو ريالين، ويركبون سيارة خردة.

قال القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي في كتاب (الفرج بعد الشدة): إن منارة صاحب الخلفاء قال: رُفِعَ إلى هارون الرشيد أن رجلاً بدمشق من بقايا

(١) أخرجه أحمد (٤٦٨/١٣ رقم ٨١٠٧)، والترمذي (١٢٣/٥ رقم ٢٨١٩)، وحسنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٧١٢).

(٢) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٥٥/٢ رقم ٣٢١٣)، وضعفه العجلوني في كشف الخفاء (٧٢/٢).

(٣) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٥٥/٢ رقم ٣٢١٣)، وضعفه العجلوني في كشف الخفاء (٧٢/٢).

بني أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع، له في البلدان جماعة وأولاد وممالك وموالٍ يركبون الخيول، ويحملون السلاح، ويغزون الروم، وأنه سمح جواد كثير البذل والضيافة، وأنه لا يؤمن منه. قال منارة: وكان وقوف الرشيد على هذا، وهو بالكوفة في بعض حججه في سنة مئة وست وثمانين، وقد عاد من الموسم، وبايع للأمين المأمون والمؤتمن أولاده، فدعاني وهو خالٍ، وقال: إني دعوتك لأمر يهمني، وقد منعني النوم، فانظر كيف تعمل، ثم قص علي خبر الأموي، وقال: اخرج الساعة، فقد أعددت لك الجائزة والنفقة والآلة، ويضم إليك مئة غلام، واسلك البرية، وهذا كتابي إلى أمير دمشق، وهذه قيود فادخل فابدأ بالرجل، فإن سمع وأطاع فقيده، وجئني به، وإن عصى فتوكل به أنت ومن معك، وانفذ هذا الكتاب إلى نائب الشام ليركب في جيشه، ويقبضوا عليه وجئني به، وقد أجلتك لذهابك ستاً ولجئتك ستاً، وهذا محمل تجعله في شقه إذا قيدته، وتعد أنت في الشق الآخر، ولا تكل حفظه إلى غيرك حتى تأتيني به في اليوم الثالث عشر من خروجك، فإذا دخلت داره فتفقدوها وجميع ما فيها وأهله وولده وحشمه وغلماؤه، وقدر النعمة والحال والمحل، واحفظ ما يقوله الرجل حرفاً بحرف من ألفاظه من حين وقوع طرفك عليه إلى أن تأتيني به، وإياك أن يشذ عنك شيء من أمره، انطلق. قال منارة: فودعته، وخرجت، وركبت الإبل، وسرت أطوي المنازل أسير الليل والنهار، ولا أنزل إلا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس النفس قليلاً إلى أن وصلت دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة، فكرهت الدخول ليلاً، فتمت بظاهر البلد إلى أن فُتح الباب، فدخلت على هيئتي حتى أتيت دار الرجل وعليها صف عظيم وحاشية كثيرة، فلم أستأذن ودخلت بغير إذن، فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض غلماني؟ فقالوا: هذا منارة رسول أمير المؤمنين إلى صاحبكم، فلما صرت في صحن الدار أنزلت، ودخلت مجلساً رأيت فيه قومًا جلوسًا، فظننت أن الرجل فيهم، فقاموا، ورحبوا بي، فقلت: فيكم فلان؟ قالوا: لا، نحن أولاده وهو في الحمام، فقلت: استعجلوه، فمضى بعضهم يستعجله، وأنا أتفقد الدار والأحوال والحاشية، فوجدتها قد ماجت بأهلها موجاً شديداً، فلم

أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن أطال، واستربت به، واشتد قلقي وخوفي من أن يتوارى، إلى أن رأيت شيخاً بزيّ الحمام يمشي في الصحن وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان وهم أولاده وغلمانه، فعلمت أنه الرجل، فجاء حتى جلس، فسلم عليّ سلاماً خفياً، وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته؟ فأخبرته كما وجب، وما قضى كلامه حتى جاؤوا بأطباق فاكهة، فقال: تقدم يا منارة، فكلّ معنا، فقلت: ما لي إلى ذلك من حاجة، فلم يعاودني، وأقبل يأكل هو ومن عنده، ثم غسل يديه، ودعا بالطعام، فجاؤوا بمائدة عظيمة لم أر مثلاً إلا للخليفة، فقال: تقدم يا منارة، فساعدنا على الأكل، لا يزيدني على أن يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة، فامتعت عليه فما عاودني، وأكل هو ومن عنده، وكانوا تسعة من أولاده، فتأملت أكله في نفسه، فوجدته أكل الملوكة، ووجدت جأشة رابطة، وذلك الاضطراب الذي في داره قد سكن، وقد كان غلمانه أخذوا لما نزلت الدار جمالي وجميع غلماني بالمنع من الدخول، فما أطاقوا ممانعتهم، وبقيت وحدي ليس بين يدي إلا خمسة غلمان أو ستة وقوف على رأسي، فقلت في نفسي: هذا جبار عنيد، وإن امتنع عليّ من الشخصوس لم أطلق إشخاصه بنفسي ولا بمن معي، ولا أطيق حفظه إلى أن يلحقني أمير البلد، فجزعت جزعاً شديداً، ورأيتني منه استخفافه في الأكل، ولا يسألني عما جئت به، ويأكل مطمئناً، وأنا مفكر في ذلك، فلما فرغ من أكله، وغسل يديه دعا ببخور، فتبخر، وقام إلى الصلاة، فصلّى الظهر، وأكثر من الدعاء والابتهال، فرأيت صلواته حسنة، فلما انتقل من المحراب أقبل عليّ، وقال: ما أقدمك يا منارة؟ فقلت: أمر لك من أمير المؤمنين. وأخرجت الكتاب، ودفعته إليه فقراه، فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته، فاجتمع منهم خلق كثير، فلم أشك أنه يريد أن يوقع بي، فلما تكاملوا ابتداءً فحلف أيماناً غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج، وأمرهم أن ينصرفوا، ويدخلوا منازلهم، ولا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد، ولا يظهروا إلى أن يظهر لهم أمر يعملون عليه، وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالتوجه إليه، ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة، فاستوصوا بمن ورائي من الحرم خيراً، وما

بي حاجة من أن يصحبنى غلام. هات قيودك يا منارة، فدعوت بها، وكانت في سفت، فأحضر حداداً فمد ساقيه، فقيده، وأمرت غلماني بحمله في المحمل، وركب في الشق الآخر، وسرت من وقتي، ولم ألق أمير البلد ولا غيره، فسرت بالرجل ليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر دمشق، فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطة، فقال لي: ترى هذا؟ قلت: نعم، قال: إنه لي، وقال: إن فيه من غرائب الأشجار كيت وكيت، ثم انتهى إلى آخر، فقال مثل ذلك، ثم انتهى إلى مزارع حسان وقرى، وقال: هذه لي، واشتد غيظي منه، فقلت له: اعلم أني شديد العجب! قال: ولم تعجب؟ قلت: أليس تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمله أمرك حتى أرسل إليك من أنتزعك من بين أهلك ومالك وولديك، وأخرجك فريداً مقيداً ما تدري ما يصنع بك وأنت فارغ القلب من هذا تصف بساتينك؟ فقال لي مجيباً: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخطأت فراستي فيك، ظننتك رجلاً كامل العقل، وأنت ما حللت من الخلفاء هذا المحل إلا بعد أن عرفوك بذلك، فأنا والله رأيت عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهم والله المستعان، أما قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه وإخراجه إياي وإلى بابه على صورتني هذه، فإني على ثقة من الله عزَّجَلَّ الذي بيده ناصيتي، ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً إلا بإذن الله ومشيئته، ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه، وبعد فإذا عرف أمري، وعلم سلامتي وصلاحي وبعد ناحيتي، وأن الحسدة والأعداء رموني عنده بما ليس في، وتقولوا عليَّ الأباطيل الكاذبة، لم يستحل دمي، وتحلل من أذاي وإزعاجي، فردَّني مكرماً، وأقامني ببابه معظماً، وإن كان سبق في علم الله عزَّجَلَّ أنه يبدر إلي منه بادرة سوء، وقد حضر أجلي، وكان سفك دمي على يده، فلو اجتمعت الإنس والجن والملائكة وأهل الأرض وأهل السماء على صرف ذلك عني ما استطاعوه، فلم أتعجل الغم، وأتلف الفكر فيما قد فرغ الله منه؟ وإني حسن الظن بالله عزَّجَلَّ الذي خلق ورزق، وأحيا وأمات، وأحسن وأجمل، وإن الصبر والرضا والتفويض والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة أولى، وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا، فإذا قد عرفت مبلغ فهمك، فإني لا أكلمك بكلمة

واحدة حتى تفرق حضرة أمير المؤمنين بيننا إن شاء الله تعالى. قال: ثم أعرض عني، فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو حاجة أو ما يجري مجراها، حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجم قد استقبلتني على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري، فحين رأوني رجعوا عني بالخبر إلى أمير المؤمنين، فانتبهينا إلى الباب في آخر النهار، فحططت، ودخلت على الرشيد، فقبلت الأرض بين يديه، ووقفت، فقال: هات ما عندك يا منارة، وإياك أن تغفل منه لفظة واحدة، فسقت الحديث من أوله إلى آخره حتى انتهيت إلى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة، وما حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجه الرشيد، ويتزايد حتى انتهيت إلى فراغ الأموي ودفعي الكتاب إليه ومبادرته إلى إحضار ولده وأهله، وحلفه عليهم ألا يتبعه أحد منهم، وصرفه إياهم، ومد رجليه حتى قيدته، فما زال وجه الرشيد يسفر حتى انتهيت إلى ما خاطبني به عند توبيخه إياي لما ركبنا المحمل، قال: صدق الله ما هذا إلا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه، ولعمري لقد أزعجناه، وأذينا، وروعنا أهله، فبادر بنزع قيوده عنه، وأثنتي به، قال: فخرجت فنزعت قيوده، وأدخلته إلى الرشيد، فما هو إلا أن رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد، فسأله عن حاله، ثم قال: بلغنا عن فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك، ونسمع كلامك، ونحسن إليك فاذا ذكر حاجتك، فأجاب الأموي جواباً جميلاً شكر ودعا، فقال: ما لي إلا حاجة واحدة، قال: مقضية ما هي؟ قال: يا أمير المؤمنين، تردني إلى بلدي وأهلي وولدي، قال: نحن نفعل ذلك إن شاء الله تعالى، ولكن سل ما تحتاج إليه في مصالح جاهك ومعاشك، فإن مثلك لا يخلو أن يحتاج إلى شيء من هذا، فقال: عمال أمير المؤمنين منصفون، وقد استغنيت بعدله عن مسألته، فأموري منتظمة وأحوالي مستقيمة وكذلك أمور أهل بلدي بالعدل الشامل في ظل أمير المؤمنين، فقال الرشيد: انصرف محفوظاً إلى بلدك، واكتب إلينا بأمر إن عرض لك، فودعه، فلما ولى خارجاً قال الرشيد: يا منارة، احمله من وقتك، وسر به راجعاً إلى أهله كما جئت به.

أقول:

حدث ما يشبه هذه القصة مع المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان، فقد حدثني الشيخ علي المطلق رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قال: حين دخل الإخوان الطائف، وحصل منهم ما حصل مما هو مسجل في التاريخ، قام المرحوم محمد سرور الصبان خطيباً في أحد الجوامع، وأنكر بعض الأعمال، وقال كلمة الحق، ولكن بعض الأشرار نقل للملك غير الذي قال الشيخ، وزادوا عليه، وغضب عليه الملك، وأرسل له سرية، وأمرهم بأسره وإركابه معهم إلى الرياض ومراقبته وحفظ كل ما يصدر عنه، وإذا هو رَحِمَهُ اللهُ رابط الجأش منبسط الأسارير كأنه ذاهب إلى رحلة قنص لا إلى سلطان حازم، وقال له المرافق: عجب أمرك يا محمد! كيف انبساطك معنا وأنت لا تدري ماذا يفعل بك الملك؟ قال: إنني ما قمت إلا لله لا أنكر شيئاً إلا أعلم أن ابن سعود ينكره ولا يقبله، وناصيتي وناصية الملك بيد الله. فلما وصل الملك أخبروه بما كان منه، فردَّه رَحِمَهُ اللهُ مكرماً، وجعل منه الرجل المقدم في الحجاز.

### أهمية صلاة الجماعة

٩٦٩

قال حاتم الأصم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: فاتتني صلاة الجماعة مرة، فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف؛ لأن مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا، وكان السلف رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى، وسبعاً إذا فاتتهم الجماعة. وقال ابن عباس رَحِمَهُ اللهُ مَنَّمَا: «ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه»<sup>(١)</sup>، وأنشد بعضهم:

خسرَ الذي ترك الصلاةَ وخابا      وأبى معاداً صالحاً ومآباً  
إن كانَ يجحدُها فحسبُك أنه      أضحى برّبك كافراً مُرتاباً

(١) ذكر هذا الأثر أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين (٢٩٤/١) (٨٩/٧).

أَوْ كَانَ يَتْرُكُهَا لِنَوْعِ تَكَاسُلٍ      غَطَّى عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ حِجَابًا  
فَالشَّافِعِيُّ وَمَالِكٌ رَأْيَا لَهُ      إِنْ لَمْ يَتَّبِ حُدَّ الْحَسَامِ عِقَابًا  
وَالرَّأْيُ عِنْدِي لِلْإِمَامِ عَذَابُهُ      بِجَمِيعِ تَأْدِيبٍ يَرَاهُ صَوَابًا

نقول:

اللَّهُ يَرْحَمُ حَالَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ وَاللَّهُ الرَّجَالُ الْمَذْكُورُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِهِمْ تَحْرُجُهُ وَلَا يُبْعَثُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ [النور: ٢٧].

### حتى صاحب الدواة والقلم

٩٧٠

قال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراد أن يوليه القضاء: ما كنت لألي هذا بعدما حدثني إبراهيم، قال: ما حدثك إبراهيم؟ قال: حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٌ: أَيُّنَ الظُّلْمَةِ، وَأَعْوَانَ الظُّلْمَةِ، وَأَشْيَاعَ الظُّلْمَةِ حَتَّىٰ مَنْ بَرَىٰ لَهُمْ قَلَمًا أَوْ لَاقَ لَهُمْ دَوَاةً، فَيَجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ مِنْ حَدِيدٍ، ثُمَّ يَرْمِي بِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»<sup>(١)</sup>.

أقول:

أصحاب الدواة والقلم في هذا العصر كثيرون جداً، مثل الصحفي المنافق والمذيع المنافع، ومن يقبلون الحق باطلاً في كل عصر وفي كل مصر.

### رؤية ابن عمر لجهنم

٩٧١

في الصحيحين - واللفظ للبخاري - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيت في المنام جاني ملكان، في يد كل واحد منهما مقمعة من حديد، قالوا: لن ترع، نعم الرجل

(١) ضعفه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢٨/٣ رقم ٩٣٤).

أنت لو تكثرت الصلاة في الليل، فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر، لها قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد، وإذا فيها رجال معلقون بالسلاسل رؤوسهم أسفلهم، وعرفت رجالاً من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمن، فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «إن عبد الله رجل صالح»<sup>(١)</sup>.

### أصغر أم في العالم

٩٧٢

طفلة كولومبية تدعى مارتا، تبلغ من العمر تسع سنوات، أنجبت طفلة تزن خمسة أرطال على إثر إجراء عملية قيصرية لها، وقال الأطباء: إن الأم الطفلة جاءها الحيض في سن الثالثة، واضطر الأطباء إلى تقديم لعبة للأم عندما كانت تبكي قبل الولادة، وقالت المريضة إن الأم الصغيرة تنام واللعبة بيدها جريدة (القبس) الكويتية ٢٦/٥/١٩٨٩م.

نقول:

هذا أمر عجيب جداً، ولدنا في جنوب المملكة تتزوج البنات في سن الحادية عشرة والثانية عشرة، وكذلك في مناطق اليمن، أما الولادة دون العاشرة فأمر نادر جداً.

### الأمير الشهر

٩٧٣

أدرك لبيد بن ربيعة الجاهلية والإسلام، وكان ألزم نفسه في الجاهلية بإطعام الناس إذا هبت ريح الصبا، ثم أدام ذلك في الإسلام، ونزل لبيد الكوفة وأميرها الوليد بن عقبة، وخطب الأمير يوم الجمعة، وهبت الصبا، فقال في خطبته وهو على المنبر: أيها الناس، قد علمتم حال أخيكم أبي عقيل لبيد، وهذا يوم من أيام إطعامه فأعينوه، وأنا أول من يفعل. وبعد الصلاة أرسل بمجموعة من الإبل، ومعها هذه الأبيات:

(١) أخرجه البخاري (٩/٤٠ رقم ٧٠٢٨، ٧٠٢٩). وانظر: التخويف من النار، لابن رجب (ص ١٨).

أرى الجزارَ يشحذُ شفرتَيْهِ      إذا هبَّتْ رياحُ أبي عقيلِ  
أشْمُ الأنفِ أُصِيدُ عامريُّ      طويلُ الباعِ كالسيفِ الصقيلِ

فلما وصلت الهدية إلى ليبيد، وكان طاعناً في السن قال لابنته: إنني تركت الشعر منذ قرأت القرآن، فأجيبه، فقالت:

إذا هبَّتْ رياحُ أبي عقيلِ      دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا  
أشْمُ الأنفِ أُصِيدُ عَبْشَمِيًّا      أَعَانَ عَلَى مَرْوَعِهِ لَبِيدَا  
أبا وهبِ جزاك اللهُ خيراً      وَظَنِّي بَابِنِ أَرَوَى أَنْ يَعُودَا

قال لها أبوها: أحسنت لولا أنك سألت في شعرك، فقالت: هو أمير، وليس بسوقة، ولا بأس بسؤاله، ولو كان غيره ما سألتناه.

أقول:

هؤلاء الكرام لا يزال في عصرنا الحاضر أمثال لهم، ولو أنهم قلة، والناس أقل حاجة لوجود المطاعم والفنادق، ولكن ما يلفت النظر في هذه النادرة أن الحاكم الإداري يناقش أمور المجتمع الاجتماعية بهذه الصورة الجميلة من التعاون على الكرم والنبيل والشهامة، وهذا ما حصل في القرن الأول أفضل القرون بلا شك، وهذا من التلاحم بين المواطن والمسؤول ومكانة المرأة الرفيعة عند سلفنا الصالح، وكيف ورثت عن أبيها الأدب والشعر، وكيف ردت على انتقاد أبيها لبيتها الأخير بقولها بجواز سؤال الأمير ومن في حكمه؛ لأن سؤاله شيئاً من المال ليس من مال أبيه أو أمه، وإنما من بيت المال العام، وفي هذا بعض الآثار الدالة على جواز ذلك بحدوده المعروفة. ما أجمل أن يتبادل المواطن والأمير آيات المحبة والشهامة والنبيل، وأن يكون الأمير أو المسؤول هو الذي يبدأ بالبذل والسخاء والعطاء بغير منة ولا أذى، فيحفظ على المسلمين كرامتهم، ويجلب مودتهم واحترامهم، وإلا فما الفائدة من المال إذا كان بيد ممسكة وبقلب قاسٍ

لا يهمله إلا عدّه وخزنه، فهذا الصنف يملكهم المال، ولا يملكونه. ويقول جاري الأستاذ علي بن سعد بن علي بن سرحان السرحان، وهو يراجع الكتاب، وكتب تعليقاً على هذه النادرة: هذا يا الزمام من بني عامر بن صعصعة بن هوازن من أجدادنا؛ يعني عتيبي، قلت: أشكرك على جهدك الطيب معي في الكتاب والنعم بالعتبان ذكرناهم في نوادر سابقة. وكل القبائل والنعم كما يقول والدي: «انتبه لا تنتقص حق أحد، فكل أخذ نصيبه بالمراجل والناس كالإبل بها رأس وسانم وذنّب».

### الرجل الأول في التاريخ كله

٩٧٤

ألف عالم الفضاء الأمريكي الدكتور مايكل هارت كتاباً سماه (المئة الأوائل في التاريخ) من عظماء العالم وعباقرته، وتاركي أعظم الأثر في هذا العالم، ورأى بمقاييسه العقلية المجردة أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي الإسلام هو طليعة هؤلاء المئة وقمتهم الشامخة، وأنه يستحيل أن يتقدمه أحد.

وجاء في الكتاب أسماء أنبياء الله إبراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم السلام، وجاء اسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وجاء اسم الخليفة العثماني محمد الفاتح، وجاء اسم المخترع أديسون، وعالم النسبية أينشتاين، ونحن نقول صدق الله العظيم، إذ يقول له ربه في سورة الانشراح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ١-٤]. هل جعل هذا العالم الأمريكي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مقدمة رجال البشرية كلهم محض مصادفة؟ لا، وألف لا، بل هو تصديق لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤] نعم، هو صفوة الله من خلقه أجمعين!

### أسماء أولاد إبليس

٩٧٥

قال عبد الله بن محمد بن عبيد: حدثنا بشر بن الوليد الكندي، حدثنا محمد ابن طلحة، عن زيد عن مجاهد قال: لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد

منهم على شيء من أمره، ثم سماهم، فذكر: ثبر، والأعور، ومسؤوط، ودامس، وزلبنور. فأما ثبر: فهو صاحب المصيبات الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب، ولطم الخدود ودعوى الجاهلية. وأما الأعور، فهو صاحب الزنا الذي يأمر به، ويزينه. وأما مسؤوط فهو صاحب الكذب الذي يسمع، فيلقى الرجل، فيخبره بالخبر، فيذهب الرجل إلى القوم، فيقول لهم: قد رأيت رجلاً أعرف وجهه، وما أدري ما اسمه حدثي بكذا وكذا، وأما داسم فهو الذي يدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم، ويغضبه عليهم.

وأما زلبنور فهو صاحب السوق الذي يركز رايته في السوق، والله أعلم.  
نقول: نسمع العامة تطلق أسماء أخرى مثل المدحور وقريح، وأبزنة.

أميرداهية

٩٧٦

ورد في كتاب (الأذكياء) لابن الجوزي رَحْمَةُ اللَّهِ قَوْلُهُ: إن تاجرًا من أهل المشرق كان في بغداد، وأراد الحج زمن الخليفة عضد الدولة، وكان معه ألفا دينار لا يحتاج إليها، فقال: إن حملتها إلى الحج خاطرت بها، وإن أودعتها خفت جحد المودع. فمضى إلى الصحراء، ورأى شجرة خروج كبيرة، فحفر تحتها، ودفنها، ولم يره أحد.

وبعد عودته من الحج بحث عنها، فلم يجدها، فأخذ يلطم خديه، ويولول، فقيل له: اذهب إلى عضد الدولة، فإن عنده لمثلك حلولا، فقال: أيعلم الغيب؟

فما زالوا يلحون عليه حتى قصده، فقصص عليه قصته وطمانأه، وجمع الأطباء، وسأل عمّن داوى منهم مريضاً بعروق الخروع؟ فقال أحدهم: نعم، قال: من جاءك به؟

قال: فلان، قال عضد الدولة: علي به؟

فسأله: من أي شجرة أخذت تلك العروق؟

فدلهم على الشجرة، فإذا هي شجرة صاحب الدنانير، فدعاه عضد الدولة لإخراج المال، وأنكر وجوده، فتوعده، فأخرجه بعد إلحاح.

نقول: المسؤول في الإسلام يجب عليه أن يلم بطرف من كل علم، فهذا الخليفة لم يمنعه كثرة المشاغل من معرفة أن شجرة الخروج تصلح للعلاج، ونقول أيضاً: إن من يوكل إليهم مباشرة أمور الناس من الأمراء والقضاء يجب عليهم أن يتحققوا ممن يأتي إليهم بشكوى، وألا يصرفوه، ويعتذروا عن مساعدته، وكثير من المسؤولين الكبار لا يقصرون في حث المسؤولين الصغر على مضاعفة الجهد، ولكن هذه الأوامر كثيراً ما تتبخر بسبب الروتين، رأيت كيف اشتهر هذا المسؤول الكبير عند العامة بأنه سيجد للرجل حلاً، وفعلاً حاول، ونجح؛ لكن بعد السؤال والمتابعة والاستنتاج؟

وروى لي والدي رَحِمَهُ اللهُ أن عامل الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ على المدينة المنورة عبد العزيز بن إبراهيم دخل عليه أعرابي يشتكي من سرقة إبل له، وكان ابن إبراهيم يرى المارة من شباك في مجلسه يطل على الشارع، فقال للأعرابي: انتظر حتى ننظر في أمرك. ثم أنهى بعض الأعمال، والتفت إلى الشارع، وإذا رجل معه إبل يسوقها، فصاح ابن إبراهيم ببعض الخويا من حوله: اطلبوا لي صاحب الإبل الذي بالشارع يسوقهن. فطلبوه، وأمر الرجل الآخر بالنظر إلى الإبل، وإذا هي إبل الشاكي، فقيل لابن إبراهيم ما هذا؟ هي المصادفة؟ قال: لا، قيل له: ما الأمر؟ قال: رأيت الإبل من النوع الطيب جداً الذي يستبعد أن يبيعه من يملكها إلا للضرورة لندرة نوعها، وقلت: ربما يكون هذا هو السارق، فكان هو كما توسمت.

قالت إذاعة (دبي) بالإمارات العربية المتحدة يوم (٢١/٥/١٤٠٩ هـ) في برنامج (عالم الغد): إن العالم عائض بن سعيد بن عبيد أمي لا يقرأ ولا يكتب، ومولده في مدينة العلا في المملكة العربية السعودية.

هذا الرجل استطاع بما حياه الله من ذكاء خارق تحدي علماء الجيولوجيا في أرقى جامعات العالم، ويُعدّه العلماء الأوربيون عالماً بلا منازع، فقد استطاع أن يحدد ثلاثة آلاف بئر للماء في المنطقة الجنوبية لم يخطئ مرة واحدة، حيث شهد له الجميع بذلك، وقد اختلف هو وعلماء غربيون على تحديد بعض آبار المياه في الجنوب من المملكة، في النهاية اتضح أنه على حق، وهم على خطأ.

ومنذ ذلك اليوم وهو حديث الصحافة الأوروبية.

أقول:

لو كان هذا الرجل إنتاجه في قدمه، وليس في فكره ورأسه لرأيت إخواننا في الصحافة يقيمون له الدنيا، ويقعدونها، ولو كان إنتاجه في حنجرته لرأيت مثل ذلك، ولسمعت الألقاب الكبيرة، مثل بطل ونجم، وتجد الصبي لم يتجاوز عمره ثماني سنوات يعرف عن اللاعبين حركاتهم وأسماءهم وتاريخهم، ونحن لسنا ضد الرياضة ولا ضد اللعب، ولكن يجب إنزال الناس منازلهم، ويجب ألا يقدم المهم على الأهم، نسأل الله الهداية للجميع.

وأحب الإشارة إلى أنني قرأت بعد كتابة هذه النادرة بنحو شهر كلمة جيدة في جريدة (الجزيرة) يوم (٩/٧/١٤٠٩ هـ) بقلم الأخت الشاعرة والأديبة الأستاذة سلطنة عبدالعزيز السديري حول هذا الموضوع. فجزاها الله خيراً.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي (زاد المعاد) ج ١ ص ٨٤-٨٦ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وكان يبكي أحياناً في صلاة الليل، والبكاء أنواع: أحدها بكاء الرحمة والرفقة، والثاني بكاء الخوف والخشية، والثالث بكاء المحبة والشوق، والرابع بكاء الفرح والسرور، والخامس بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله، والسادس بكاء الحزن.

والفرق بين بكاء الحزن وبكاء الخوف، أن بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب، وبكاء الخوف يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك، ودمعة السرور باردة والقلب فرحان، ودمعة الحزن حارة والقلب حزين، ولهذا يقال لما يُفرح به: هو قرّة عين، وأقر الله به عينه، ولما يُحزن: هو سخينة العين، وأسّخن الله عينه به.

والسابع بكاء الخور والضعف، والثامن بكاء النفاق، وهو أن تدمع العين والقلب قال، فيظن الخشوع وصاحبه من أقسى الناس قلباً، والتاسع البكاء المستعار والمستأجر عليه، كبكاء النائحة بالأجرة، فإنه كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تبيع عيونها، وتبكي شجون غيرها»، والعاشر بكاء الموافقة، وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لسبب لا يعلمه، فيبكي.

يروى عن الخليفة المنصور وفطنته أنه كان جالساً ذات يوم في إحدى قباب المدينة، ورأى رجلاً ملهوفاً يجول في الطرقات على غير هدى، هاتماً على وجهه لا يكاد يدري بما حوله، فطلبه، فأتاه وسأله، فأخبره أنه خرج مسافراً في تجارة وعاد، وقد أفاد منها رزقاً وفيراً، واستودع المال زوجته، وذهب لشأن من شؤونه،

ولما رجع لم يجد المال، وأخبرته زوجته أن المال قد سرق، وعابن المنزل، فلم يجد به نقباً ولا مسلماً، فحار في أمره، وسأله المنصور عن هيئة ماله وصفته؟ فأوضح له ذلك، ثم سأله: أتزوجتها بكرة أم ثيباً؟ قال: ثيباً، فسأله: شابة أم مسنة؟ قال: بل هي شابة في ريعان الصبا، فأضمر المنصور أمراً، وهدأ من روع الرجل، وأهداه قارورة من طيب نادر لا يتطيب به في المدينة أحد غير الخليفة نفسه، وقال له: تطيب بهذا الطيب، فإنه يذهب همك إن شاء الله. أما الرجل فقد ذهب إلى بيته، ودفع الطيب إلى زوجته قائلاً: هذا طيب أهدانيه أمير المؤمنين، ففرحت به أيما فرح! وأما المنصور فقد أرسل لصاحب شرطته ونقبائه كي يقعدوا بأبواب المدينة وأسواقها يتشممون الرائح والغادي، وأمرهم باقتياد من يتشممون فيه طيب أمير المؤمنين، وإن هي إلا سويغات حتى اقتاد أحد النقباء شاباً تفوح منه رائحة الطيب، فسأله المنصور عن مصدر الطيب، فتلعثم وتلجلج، فأمر المنصور صاحب الشرطة أن ينزع عن الشاب ملابسه، ويضربه ألف سوط، أو يحضر الشاب ملاً وصفه المنصور حسبما وصفه له الرجل من قبل، وارتعدت فرائص الشاب خوفاً من الألف سوط، فأحضر من فوره المال كهيئته التي وصفها الرجل للمنصور، ولما عرض المال على صاحبه عرفه، فقال له المنصور: إن رددت عليك مالك أتحكمني من امرأتك؟ قال: نعم، فقال له المنصور: هاك مالك فخذ، وقد طلقت امرأتك منك؛ لأنها كانت على علاقة بشاب أعطته مالك، وطيبته بطيبنا، فكشفنا أمرهما.

قال الأستاذ فيصل الزامل في جريدة (القبس) الكويتية يوم (١٩/٨/١٤٠٩هـ): خافت الأم الأريترية على ولدها خليفة، عندما أحست بالسيارات تدخل القرية، فقالت: «اجريا خليفة، اجريا بني، اهرب منهم سيأخذونك، ويعلمونك كيف تقتل أخاك». يقول خليفة: جريت، وكنت ألث من

التعب، وعندما اقتربت من مدينة (كسلا) قررت العودة لأرى أمي، فوصلت البيت، وناديتها: أمي، أنا خليفة، قومي افتحي! لم ترد علي، ذهبت إلى بيت خالتي، فناداني زوج خالتي قائلاً: تعال يا خليفة، ربنا معك، لقد خطفوا أمك.

في أريتريا تخطف النساء، وتبقى مدة تسعة أشهر في خطة لتكوين جيل جديد يتم إنجابه سفاهاً من المخطوفات، وقد تم حتى الآن إنجاب (١٢٠٠٠) طفل، وذلك بعد اختطاف (٦) آلاف فتاة أريترية مسلمة كشف الصحفي العربي شريف قنديل هذه الحقيقة المرة بعد أن تجول مدة سبعة أيام بين تلك القرى المنكوبة المحيطة بمدينة (كسلا) الأريترية، فقد قررت (الجبهة الشعبية) هناك أن تشكل قوات (الكوكب الأحمر)، حيث تجلب الأمهات والفتيات القادرات على الإنجاب لمجموعة من الجنود الذين وصفتهم إحدى العائدات من قرية عد مجادري، وهي ترتجف قائلة: هؤلاء يشربون الخمر، وتخرج من أفواههم رغاو تشبه ما يصدر عن الجمل، ثم يهجمون على الفتيات المسلمات و... و... وبعد أن تحمل الفتاة، وتجب وهي تعرف مصير ما ستنتجه يتركونها ترضع المولود نحو شهرين، ثم يأخذونه إلى معسكر (بذور الثورة)، حيث توجد مرضعات وخادמות ودايات، وفي سن الرابعة يبدأ تعليمه كل شيء ليكون من أبناء الثورة. لقد تابعت التحقيق الصحفي المنشور في إحدى الصحف العربية بألم لما وصلت إليه أحوال الإنسان، حيث انتشر خطف الأمهات بمعدل (٢٥) فتاة أو امرأة في الشهر، وقد تضمن التحقيق أسماء فتيات التقى الصحفي العربي أسرهن من قرية عرا، وقرية هبردا، وقرية حبيب دامر، وقرية رقة، وقرية هارون، وقرية ذلك جنوب أغوردات... ولك أن تتخيل الدمار النفسي لأم تعود إلى أبنائها وزوجها بعد أن تترك مولود السفاح، بأي وجه تلقاهم. محمد إبراهيم لا يترك زوجته، تخرج من البيت، ويعود من طلب الرزق كل يوم وهو يتوقع ألا يجدها، فقد سمعت زوجته أحد رجال (الجبهة الشعبية) يقول لها: الدور عليك، وبالفعل رجع ذات يوم، فلم يجد ليلي، فاتجه إليهم يركض، ويصرخ، فلم تمهله رشاشاتهم، فتناثرت أشلاؤه، ولم

يستطع رجال القرية أن يعرفوا وجهه؛ لكثرة الرصاص، إنها مأساة أن يحدث كل هذا، ومن بيننا من له كلمة مسموعة عند هذه الشعبية، وألا تخرج من فمه كلمة تنقذ فتيات أريتريا من هذه البهيمية. إذا كانت هذه الكلمة والاستنكار لا يستحقه شعبنا العربي الأريتري فلن نطلب أكثر من عدم مباركة هذه الأعمال أيها الإخوة.

نقول:

لا نطلب أكثر من هذا، نطلب ألا ينسوا حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتشبيهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المجتمع الإسلامي بركاب السفينة الذين في أسفلها يقولون: «لو خرقتنا خرقتنا وأخذنا الماء، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم يخرقونها هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً»<sup>(١)</sup>، أو كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب على الدول الإسلامية الكبيرة أن تقف موقفاً شجاعاً، ويكون لوجه الله، وتردع الدول الصغيرة التي يندس في محيطها كل كافر ومنافق من أذئاب الصليبية الغربية والشيوعية الشرقية، ولو حدث مثل هذا في الغرب النصراني لأقام الرأي العام الدنيا، وأقعدها، ولكن المسلمين كغثاء السيل. ونقول: بارك الله في هذا الكاتب الأخ الزامل الذي يتابع أموراً ذات بال في كتاباته القيمة التي هي واجب كل قادر على الكتابة، فهذا جهاد بالقلم، وإن شاء الله سيكتب له ولأمثاله الأجر إذا حسنت النية، وهذا هو الظن به وبكل مسلم.

قدوة لكل رجل أمن

٩٨١

روى المؤرخون أن صاحب الشرطة في زمن الرشيد ببغداد يقال له: ابن النسوي، كانت له سطوة وهيبة، دخل عليه أحد العلماء وبين يديه صحن فيه قطائف، فدعاه أن يأكل معه، فامتنع، فقال له ابن النسوي: كأنك تقول: ومن

(١) أخرجه البخاري (٣/١٣٩ رقم ٢٤٩٣).

أين لابن النسوي شيء حلال، ولكن كل، فما أكلت شيئاً أحل من هذا فلما تردد العالم قال ابن النسوي: اسمع، كنت جالساً منذ أيام، فدخلت امرأة، وأكبت على يدي تقبلها، وهي تبكي، فسألتها عن حاجتها؟ فقالت: لي زوج وابنتان، وله زوجة أخرى وقد هجرنا وابنتاي تطلبانه، فيضيق صدري من أجلهما، وأريده أن يعدل، فسألتها: ما صناعته؟ فقالت: صبار، قلت: وأين دكانه؟ قالت: بالكرخ، واسمه فلان ابن فلان، فسألتها عن اسمها وأسماء بناتها؟ ثم قلت: أنا أردت إليك إن شاء الله، فأعطتني شقة غزلتها مع بناتها - قطعة من صوف دافئ - فقلت: خذي شقتك، ثم بعثتُ إليه اثنين، فأحضراه، فجاء وقد طار صوابه، وارتعد خوفاً، فقلت: لا بأس عليك، إنما استدعيتك لأعطيك كيل طعام تصنعه للرحالة الجنود، فما عمالتك؛ أي أجرتك؟ فقال: ما أريد عمالة، قلت: بلى، صديق مخسر عدو مبين، أنت مني والي، كيف هي زوجتك فلانة؟ تلك بنت عمي، وكيف بناتها فلانة وفلانة؟ فقال: بخير. قلت: الله الله، لا أحتاج إلى أن أوصيك بها، لا تضيق صدرها، فقبل يدي، فقلت: امضِ إلى دكانك، فإن كانت لك حاجة فإنك تعرف مكاني، فلما كان أمس جاءت المرأة ومعها هذا الصحن وفيه هذه القطائف، وأقسمت ألا أردّها، وقالت: قد جمعت شملي وشمل أولادي، وهذا والله من ثمن غزلي، فبالله لا تردّه، فقبلته، فلما فرغ ابن النسوي من حديثه سأل العالم رأيه عن هذا الطعام: هل هو حلال؟ فقال العالم: والله ما في الدنيا أحلّ من هذا، فقال: كلّ إذن، فأكل.

نقول: يا ليت إخواننا المسؤولين عن الأمن من رجال الشرطة وغيرهم يتحلون بهذه الأخلاق، ولا شك أن الكثير منهم على خلق ودين وهم مؤتمنون على أسرار كثيرة من إخوانهم المواطنين، والكلام هنا ليس لرجال الأمن في بلاد الأمن والأمان، بلاد الحرمين الشريفين، ولكن الكلام موجه لكل رجل أمن في ديار العرب والمسلمين، فكثير من المشكلات يمكن حلها بكثير من الحكمة وبعد النظر وخوف الله أولاً وآخراً، وأن يجعل العسكري نفسه في مكان أخيه المواطن

ويعامله معاملة الطبيب للمريض، ومعاملة الأخ الشقيق، ويكون له بهذه الحالة أجر المرابط والمجاهد في سبيل الله، وإذا كان عكس ذلك يأخذه بالجبوت والظلم فعقابه ورد في القرآن الكريم، حيث ذكر مصير فرعون وجنوده بنص القرآن في أكثر من موضع، والعياذ بالله.

## الصراع بين الحق والباطل

٩٨٢

سألت مجلة (المجتمع) يوم (١٣/٩/١٤٠٩هـ) الشيخ عمر بن عبدالرحمن أحد علماء المسلمين المجاهدين في مصر الذي سبق له العمل في التعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية السؤال الآتي: قصة الصراع بين الجماعات الإسلامية والأنظمة قصة مريرة ومؤلة، ترى هل لهذا الصراع من نهاية وإلى متى؟

فقال الدكتور عمر: ما دام هناك حق وباطل وعلى امتداد الزمان وجد الصراع بين الحق والباطل، وسؤال كهذا يريد أن يوقف هذا الصراع، إن الصراع جاء منذ جاء آدم الأرض، ومنذ اختلف ولداه جاء الصراع، وسيستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومحاولة إيقافه مخالفة لسنة الله، والصراع هذا باقٍ مهما اختلف الأسلوب، وتنوعت الأشكال، فالصراع قائم، والحركات التي تضرب لا يكون ذلك إجهاضاً لها، فالصراع وما يجره من ذيول سلبية ظاهرة على تلك الحركات لا يُعدّ كذلك، إن ذلك مرحلة تمحيص ومرحلة بناء لقواعد التضحية والإخلاص، وبمفهومى فإن أي عمل إسلامي لا يمكن أن يجهض مطلقاً استمرار العمل أو توقف؛ لأن لكل مرحلة فوائدها وآثارها التي يحسها الجميع، من يقول مثلاً: إن سيد قطب قد أدى إعدامه إلى إجهاض الحركة؟ لو بقي سيد على حياته لما عرفه الناس إلا قليلاً، ولكنه لما أؤذي في الله دخل تاريخ الأمة المسلمة من أوسع الأبواب، وانتشرت أفكاره وكتبه. إن استشهاد الحسين أعظم ألف مرة من بقائه على قيد الحياة.

ثم استطرد قائلاً: إن أهل الباطل يفقدون العشرات والمئات في الدفاع عن باطلهم، أفلا يكون جديرًا بأهل الحق أن يستمروا في الدفاع عن الحق، وإن سقطت منهم الضحايا؟! لماذا لا نُعِدُّ الضحايا جسراً لانتصار الحق؟! إننا مقصرون، وكان يجب أن يتضاعف جهدنا وعددنا، وليكن منا الضحايا والقتلى، أعرف شيوعياً سجن لشيوعيته ١٣ مرة، وهو يستقبل السجن بصدر رحب على الرغم من أنه يدافع عن عقيدة باطلة؛ فلماذا لا يدافع أهل الحق عن حقهم وإن سجنوا أو قتلوا؟! إن الدعوة إلى الحق تقتضي تكاليف ومتاعب، وهذا طريق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرسول من قبله الذين قتلوا في سبيل دعوتهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبِرْتُمْ فَفَرِّقَبَا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

أقول:

القرآن الكريم يؤيد ما ذهب إليه هذا الفقيه الذي سجن وعذب في الله وصبر، وقصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه أكبر الشواهد، حيث لبث معهم ألف سنة إلا خمسين عاماً بنص القرآن الكريم، ولم يسلم معه إلا القليل، هل يقال عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنه لم ينجح؟! وحديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في الإسراء والمعراج، حيث ذكر أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى النبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي وليس معه أحد، وموقف أسماء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مع الحجاج حين صلب ابنها البطل عبد الله بن الزبير، وقول الحجاج لها: إن الله نصرني على ولدك، هذا دليل على أنني خير منه، قالت: لو أن نصر الله في الدنيا دليل على حبه لما شربت الخمر بغي من بني إسرائيل في قحف نبي الله يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ أما قتل سيدنا الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فإنه له شهادة وهو وأخوه الحسن سيدي شباب أهل الجنة، وقتله شر وليس خيراً، ومصيبة جرّت المصائب، وما فعله شقيقه الحسن هو الأولى وهو ترك القتال، ورسول الله خيره الله بين الدنيا والآخرة، واختار الآخرة وهما جزء منه.

أجاب صلاح خلف الرجل الثاني في (فتح) في مقابلة مع مجلة (الوطن العربي) يوم ١٧/٩/١٤٠٩هـ على السؤال الآتي:

س/ نحن البعيدون عن الانتفاضة نتساءل: كيف استمرت كل هذا الوقت؟ ونساءل بتخوف: كيف يمكن أن تستمروا وإلى متى؟

ج/ إذا حللنا الانتفاضة تاريخياً نجد أن صراع الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة ضد قوات الاحتلال كان صراعاً يدوم أحياناً أسبوعين أو ثلاثة، وذلك منذ عام ١٩٦٦م وإلى عام ١٩٨٨م تاريخ أول يوم في الانتفاضة. في هذه الفترة نشأ جيل جديد هو في الحقيقة لا يعرف الخوف، وليس عنده العقد التي عشناها في العالم العربي، ولم يمر على المخدرات، هذا الجيل عاش في ظل احتلال وفي كنف الثورة، وتعلم التنظيم الدقيق من الاحتلال نفسه، هذا ربما ما كان ينقصنا نحن. لقد اعتقل الإسرائيليون ألوف القيادات أو من كانوا يتصورون أنهم القيادات، ومع ذلك الانتفاضة مستمرة والقيادات الموحدة كذلك، على الرغم من وجود ما بين ٢٠ و٣٠ ألف معتقل لم يتوصل الإسرائيليون حتى الآن إلى قائد واحد حقيقي من قيادات الانتفاضة، ونقول هذا بفخر، لماذا؟ لأن القيادات هذه المرة ليست أفراداً، بل تنظيمات بكاملها، مثلاً الجبهة الشعبية لم تضع لها ممثلاً واحداً في القيادة الموحدة، وكذلك (فتح)، بل إن (فتح) كلها بتسلسلها التنظيمي في القيادة الموحدة، وكذلك مهما اعتقلوا من الوسط أو من تحت أو من فوق يبقى التسلسل ماشياً مستمراً، لم تعد القيادة قضية أفراد، وهذا يعني لو أنهم أمسكوا بخمسة مثلاً، أي بأبوعمار، وأبوإياد وأبوللطف، وجورج حبش، وغيرهم، فذلك لا يعني أنهم أمسكوا بالانتفاضة.

روى لي أحدهم مرة هذه الحادثة الواقعية، وهي شديدة الإيحاء، فقد حضر أحدهم إلى منزل شخصية فلسطينية بارزة في نابلس، وطلب مقابلتها، ولاحظت

الشخصية الفلسطينية أن طالب المقابلة فتى لا يتجاوز عمره ١٣ سنة، فسأله: من أنت؟ وماذا تريد؟ قال الفتى: أنا قائد تنظيم (فتح) في مخيم بلاطة، فقال له: أين الآخرون؟ كان يأتيني قبلك خالد ومحمد عثمان أين هما؟ أجابه: هؤلاء اعتقلوا ونحن نتحمل المسؤولية بالتسلسل، وإذا اعتقلت أنا، فهناك آخرون بعدي، وسيحضرون إليك دون تأخير.

أقول:

هذه هي البداية الحقيقية لتحرير فلسطين، كل فلسطين، قبة الإسلام الأولى وثالث الحرمين الشريفين من أولاد القردة والخنازير اليهود والنصارى، هؤلاء الصغار أعماراً وأجساماً والكبار عقولاً وإرادة، نعم، هؤلاء جيل التحرير بإذن الله، جيل الجهاد بإذن الله، هؤلاء ولدوا بعد حرب ١٩٦٧م التي سماها هيكل نكسة، وهي والله فاجعة لا تقل عن خروج الإسلام من الأندلس، وهزيمة لا يمحوا أثرها إلا الجهاد في سبيل الله، وإنه قادم بإذن الله على يد هؤلاء الأبطال الصغار أعماراً والكبار أعمالاً.

### ما قيل في التعزية

٩٨٤

تعزية المصاب في موت حبيب من السنة، والموت من أعظم المصائب، حيث ثبت ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [المائدة: ١٠٦].

فسمى الله سبحانه وتعالى الموت مصيبة، وثبت أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعزي أصحابه عندما يموت لهم ميت، حيث جاء في حديث أم سلمة يوم موت أبي سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما من مسلم يموت له ميت أو يصاب بمصيبة فيقول: اللهم، أجرني في مصيبتى واخلفني خيراً منها إلا أخلفه الله خيراً منها»<sup>(١)</sup> أو كما قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقول أم سلمة:

(١) أخرجه مسلم (٦٣١/٢) رقم (٩١٨).

قلت في نفسي: من خير من أبي سلمة؟! ولكن حين قلت ذلك أخلفني الله خيراً من أبي سلمة، رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ليس العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة، الموت أهون ما قبله، وأشد ما بعده، اذكروا فقط رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تصغر مصيبتكم، وعظم الله أجركم، وكان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا عزى قال: إن تجزع فأهل الرحم (الميت يستحق الحزن) وإن تصبر ففي الله عوض من كل فائت، وصلى الله على محمد، وعظم الله أجركم. وقال أبو بكر بن عبد الله لقوم عادوه، فأطالوا البقاء عنده: «المريض يعاد، والصحيح يزار». وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول إذا ودع رجلاً: «استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وآخر عمرك»<sup>(١)</sup> قال عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ثلاثة من قريش أحسنها أخلاقاً وأصبحها وجوهاً وأشدّها حياءً، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم بحق أو باطل لم يكذبوك: أبو بكر الصديق، وأبو عبيدة بن الجراح، وعثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

ويقول المتنبى في وفاة جدته:

هَبِينِي أَخَذْتُ الثَّارَ فَيْكِ مِنَ الْعَدَى      فَكَيْفَ بِأَخَذِ الثَّارِ فَيْكِ مِنَ الْحَمَى

ويقول في استصغار شأن الحياة:

كثِيرُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا      يَزُولُ وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ

وقال أبو الدرداء: معاتبة الأخ خير من فقده. وقال أحد الصالحين لولده: يا بني، إن صبرت جرى عليك القدر، وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر، وأنت مأزور.

(١) أخرجه أحمد (١١٩/٨ رقم ٤٥٢٤)، وأبو داود (٣٣٩/٣ رقم ٢٦٠٢)، والترمذي (٤٩٩/٥ رقم ٣٤٤٣)، وقال: حسن صحيح غريب.

رجل من بلدتنا الربيعية ذهبت كلمته مثلاً عند كل من بلغته، وهي باللهجة العامية: «ويش خانت الكويت» ومعروف أن ارتباط أهل نجد والقصيم بالكويت ارتباط قوي جداً منذ عشرات السنين، وأهل القصيم كثيرو التردد للتجارة والتنقل وطلب الرزق في البلد الذي استقر الكثير منهم فيه، وسكنه. صاحبنا هذا شاب ذهب لطلب الرزق مع رفقة سالحة، وكانوا يحرسون على أداء الصلاة في وقتها في البلدة وحين السفر، وهذا الشاب صابر، ولم يقل لهم شيئاً، وعند وصولهم الكويت كان متعباً، ونام، وقاموا لأداء صلاة الفجر، وقالوا له: قم يا فلان، للصلاة فلم يقم، وألح عليه أحدهم بقوله: قم للصلاة، فرفع رأسه قائلاً: «ويش خانت الكويت». يعني أنهم لا يتشددون بالأل يكرهوا أحداً على الصلاة.

للدراويش نواذر مليحة وللمغفلين مثل ذلك قديماً وحديثاً. حدثني صديقنا الشيخ عبد الله السليمان المطلق عن أحد هؤلاء قال: في السنة التي يسمونها (سنة الرحمة)، وهي التي مات فيها خلق كثير من بلاد نجد بسبب الطاعون، وهي تقارب عام ١٣٣٧ هـ كثير في بريدة الموت، وتضرع الناس إلى الله، ولزموا المساجد يبكون، ويدعون الله أن يرفع عنهم ما بهم، وفي أحد المساجد دخل مغفل، ووجد الناس يرفعون أصواتهم: يا الله، يا الله، سلم سلم، يا الله، احفظ علينا أنفسنا وأولادنا وأهلنا وذرائبنا، فصاح المغفل من خلف الصفوف قائلاً بلهجته العامية: «وأنا يا رب، أبي حماري، ضاع حماري يا رب، احفظ حماري». فضحك الناس وهم في أشد البلاء. وشر البلية ما يضحك!!

أقول:

تساءل بعض الكتاب عندما يذكرون (عام الرحمة) ولماذا سمي هذا العام أو هذه السنة بسنة الرحمة، وفيها وقع الطاعون والموت؟! وأذكر من هؤلاء الكتاب المرحوم فهد المارك في كتابه (من شيم العرب) والأستاذ محمد حسين زيدان في جريدة (الرياض)، وخطر ببالي تفسير لهذه التسمية وأنا أكتب هذه النادرة أرجو أن أكون قد أصبت في هذا، وهو أن الموت بالطاعون شهادة للمسلم، كما ورد في الحديث، والشهادة تُعدّ مية شريفة ورحمة من الله؛ لذا سموا هذه السنة سنة الرحمة، والله أعلم.

تيس أبي زيد

٩٨٧

أبوزيد هو محمد الطيار صديق والدي رَحِمَهُ اللهُ وهو رجل خفيف الظل سريع النكتة جهوري الصوت، يقول أخي فهد - مدّ الله في عمره -: حلّ في ضيافة أبي زيد قبل عشرين سنة رجل ذو هيبة وملبس وكبير السن، ورحب به أبوزيد، وصاح بزيد: يا زيد، الحق براعي الغنم، واجلب لنا منه خروفاً، وكان لأبي زيد غنم مع راعي الغنم بالبلدة، ثم أخذ أبوزيد يحادث الرجل، وتبين له أن مخبره دون منظره، فقال لابنه: يا زيد، اترك الخروف ولا تذبحه، اذبح التيس وفيه البركة، وأرجع زيد الخروف، وأخذ التيس، وفي أثناء الحديث تبين لأبي زيد أن الرجل دون ذلك، وربما كان شحاذاً، فخرج ينادي على ابنه: يا زيد، يا زيد، اترك التيس، مرقوق وفيه البركة، ثم ضرب على ظهر التيس، وقال: ارع يا ريشان، كدت أتخذك عند ربي فرطاً، ومات أبوزيد رَحِمَهُ اللهُ وكان باراً بأهله وقرابته، يقول ابنه عبدالعزيز: كنت معه في المستشفى، فقال لي: يا عبد العزيز، قلت: لبيك، قال: لا تروح عني اليوم، قلت: أبشر، قال: سأموت اليوم وتولّ أنت تغسيلي، قلت: بعد عمر طويل، قال: واحرص على كذا وكذا، وبعد ساعتين يقول عبد العزيز: مات، وهو رافع سبابته بالتشهد.

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَفْيَانَ، مِنْ فِيهِ إِلَى يَوْمِنَا، قَالَ: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فبينما أنا بالشام، إذ جيء بكتاب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل. قال: وكان دحية الكلبي جاء به، فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم كسرى إلى هرقل. قال: فقال هرقل: هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقالوا: نعم، قال: فدعيت في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: قلت أنا. فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي. ثم دعا بترجمانه، فقال: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذبتني فكذبوه. قال أبو سفيان وايم الله! لولا أن يؤثروا عليّ الكذب لكذبت. ثم قال لترجمانه: سلّه كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب. قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قال: قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: أيتبعه أشرف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت: ضعفاؤهم. قال: يزيدون أم ينقصون؟ قال: قلت: لا، بل يزيدون. قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ قال: قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قال: قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالاً يصيب منا، ونصيب منه. قال: فهل يغدر؟ قال: قلت: لا، ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع فيها. قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا. ثم قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه فيكم؟ فزعمت أنه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث من أحساب قومها، وسألتك هل كان من آبائه ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت: يطلب ملك آبائه. وسألتك عن أتباعه ضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل، وسألتك هل كنتم تتهمونه

بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب، فيكذب على الله، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، فكذلك الإيمان متى يتم، وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجلاً، ينال منكم، وتناولون منه، وكذلك الرسل تبلى، ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال أحد هذا القول قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله قلت رجل أثم يقول بقول من قبله، قال: ثم قال بَمَ يأمركم؟ قال: قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلاة والعفاف. قال: إن يك ما تقول فيه حقاً فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم. ولو أني أعلم أي أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلته عن قدميه، وليلبغن ملكه ما تحت قدمي، قال: ثم دعا بكتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقرأه، فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتِك اللهُ أجرَك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].»

فما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللغط، وأمر بنا، فأخرجنا. قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد بلغ أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقناً بأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام<sup>(١)</sup>. (أخرجه البخاري) والحديث مدون في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

(١) أخرجه البخاري (١٠٨/١-٧) رقم ٧، ومسلم (٣/١٢٩٣-١٢٩٦) رقم ١٧٧٣.

أقول:

الحديث في أعلى درجات الصحة، وهو في الصحيحين، وإن المرء ليعجب من زعيم قريش أبوسفیان كيف شمع بنفسه عن الكذب حقاً، إنه زعيم كفاء للقيادة والزعامة. نعم، لا يكذب وهو في الجاهلية، فما أحوج الشعوب إلى زعماء لا يكذبون، فالكذب من أسوأ الخصال: وما الهزائم والخسائر على الأفراد والدول إلا بالكذب.

### نصف الأدوية السويسرية غير صالحة

٩٨٩

أشارت دراسة أجراها الطبيب الألماني العامل في الولايات المتحدة (روبرت هارتوج) إلى أن قرابة نصف الأدوية التي تنتجها المصانع السويسرية ثالث مصدر للأدوية في العالم، وتباع في العالم الثالث لا تستوفي المواصفات الطبية والصيدلية، وبعضها خطر في حين أن بعضها غير مفيد، وأكد (هارتوج) الذي أذاع دراسته في برن أن (٤٨) في المئة من الأدوية السويسرية المصدرة إلى (٥١) بلداً من العالم لا تستوفي المواصفات الطبية التي تسمح ببيعها في الأسواق، إضافة إلى أن (٣١) في المئة منها ليست أولم تعد مسجلة من قبل المكتب الفيدرالي لمراقبة الأدوية السويسرية، وأشار الطبيب إلى أن بعض أدوية الفئة الأخيرة خطر، وإلى أن (١٧) في المئة فقط من الأدوية السويسرية المصدرة إلى العالم الثالث واردة على لائحة الأدوية الأساسية التي وضعتها منظمة الصحة العالمية، وأضاف أن فاعلية هذه الأدوية غير مثبتة، وأن بعضها يؤدي إلى تفاعلات ثانوية مهمة. هذا ما ورد في جريدة (الشرق الأوسط) يوم ١٣/٢/١٤١٠هـ.

أقول:

ما حكَ جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرِك

نعم، هو المتوقع من دول الغرب والشرق.

وعلى المسؤولين عندنا والمسؤولين في وزارة الصحة خاصة أن يقرؤوا هذا الكلام، ويعينوا رجالاً مؤتمنين ليتقصوا الحقائق، ويمنعوا مثل هذه الحرب الخفية، فالمواطن من الناحية الصحية أمانة في رقبة ولاة الأمور في وزارة الصحة، وأمانة في جميع أموره الأخرى في رقبة ولاة الأمور، فمطلوب منهم شرعاً المحافظة عليه كما يحافظ الراعي على رعيته من الذئب، ولولاة الأمور حق على الرعية في الطاعة بالمعروف والنصح لهم وتبيين الخطأ بطريق مهذب ومؤدب؛ لأنهم مواطنون ومسلمون، والرفق واللين مطلوب مع الكافر، وجاء الأمر بالكريم من الرب الكريم إلى الرسول الكريم: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا نَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

نعم! إذا رأيت الخطأ من الملك أو الرئيس أو الوزير أو الأمير أو أي مسؤول ممن ولاه الله أمرك، فبين له الخطأ بالطريقة الإسلامية الكريمة، بكل أدب واحترام؛ لأن المسلمين كلهم مسؤولون، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلكم راع وكلكم ومسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>.

سأل محرر (الأنباء الكويتية) يوم ٢٧/١٢/١٤٠٩ هـ الشيخ عبد الحميد كشك رَحِمَهُ اللَّهُ السُّؤَالَ الآتِي:

المعروف عنك ابتعادك عن السلطة وصدامك الدائم معها، ولكن عبد الناصر منحك جائزة في عيد العلم، فماذا يعني ذلك؟ ولماذا رفضت دعوة السادات لمقابلته في الإسماعيلية؟ فأجاب الشيخ: صلة العالم بالحاكم صلة إرشاد وتوجيه ونصح مع الابتعاد عن الانغماس في المناصب، فإذا رأيتم العالم يتردد على باب الأمير فاتهموه في دينه، ولقد أعطاني عبد الناصر جائزة التفوق في عيد العلم في

(١) أخرجه البخاري (٥/٢ رقم ٨٩٣)، ومسلم (٣/١٤٥٩ رقم ١٨٢٩).

ديسمبر (١٩٦١م) ثم كان بيني وبينه موقف! عندما أرسل المشير عبدالحكيم عامر بعض رجاله يقولون لي: إن المشير يأمرك بأن تكون خطبة الجمعة غداً حول تحليل دم سيد قطب، وكان ذلك قبل أن يشنق بعام واحد، وقالوا لي: إنك إذا نفذت فستفتح أمامك أبواب الترقيات والمناصب والحياة الرغدة. قلت: وإذا لم أنفذ، قالوا: أنت تعلم أن السجون قد فغرت أفواهاها تلقف كل شيء. فلم أنفذ الأمر. وفي الأسبوع المقبل شددوا الأمر، فلم أنفذ؛ لأنني أعلم أنني إذا نفذت كنت من أصحاب الجحيم، و«من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمته الله»<sup>(١)</sup>.

أقول:

الشيخ صادق في قوله، ولا يلحق به الشك، وهذه مواقف تشرف علماء العصر الحاضر، وتذكرنا بسلفنا الصالح، فنسأل الله ألا يخلي الأرض منهم، وختم الله له بخير، حيث مات وهو ساجد لله تعالى.

## الإسلام قبل الثورة الفرنسية

٩٩١

سئلت رئيسة الوزراء البريطانية تاتشر في التلفاز الفرنسي، وهي قادمة لحضور احتفالات فرنسا بثورتها ومرور مئتي عام عليها، وذلك عام ١٤٠٩هـ، فقالت لمذيع التلفاز الفرنسي: رأيي في الثورة أنها بدأت بعصر الإرهاب، وانتهت بنابليون الذي غزا أوروبا كلها، وحاول الاستيلاء عليها، وقال لها المذيع: إن الثورة قدمت أول وثيقة لحقوق الإنسان، فردت بقولها: إنجلترا عندها أقدم وثيقة وهي (الماجنا كارتا) التي عقدت بين الشعب والملك. ورد عليها: وفكرة الديمقراطية في الحكم؟ قالت: الإغريق بدؤوا ذلك في اليونان منذ آلاف السنين.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/٨٧٤ رقم ٢٦٢٠)، ضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/١٢٢)، والألباني في ضعيف الجامع (رقم ٥٤٤٦).

أقول:

هي امرأة شجاعة، ويسمونها المرأة الحديدية، وهذا رأي شجاع، ولكن مع أنها أشهر امرأة في العالم المعاصر، حيث تولت الوزارة البريطانية للمرة الثالثة على التوالي، فهي لا تعرف أن الإسلام نادى بحقوق الإنسان قبل ثورة الماسونية واليهود في فرنسا، وهل حقوق الإنسان محترمة من قبلهم؟ نعم، ربما في ديارهم وحدهم يحترمون حقوق الإنسان، ولكن لماذا لا يحترمون حقوق الإنسان خارج أوروبا وأمريكا؟ وهل حورب الإنسان، وأوذي في كثير من بلاد العرب والمسلمين في فلسطين والجزائر ولبنان إلا على أيدي هؤلاء القوم، ومن تربى في أحضانهم من أولاد العرب والمسلمين؟ والغريب أن هذا السؤال لو وُجّه إلى أحد وفود العرب أو دراويشهم من الذين حضروا الاحتفال لأشاد بالثورة ومدحها، ولو كانت فرنسا وثورتها جاثمة على بلدانهم قرونًا من الزمان، كما في بلاد المغرب العربي وبلاد الشام.

نصيحة ابن تيمية لتلميذه ابن القيم

٩٩٢

لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها، ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليه صار ممرًا للشبهات، واعلم أن من قواعد الشرع والحكمة أيضًا أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل له ما لا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث.

أقول:

ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فحل من فحول الرجال، وإمام من أعظم الفقهاء في الإسلام، هو والعز بن عبد السلام، وأسد بن الفرات. هؤلاء جمع الله لهم

شجاعة اللسان وشجاعة الجنان، فجاهدوا أعداء الإسلام بالقلم والسيف،  
ودخلوا المعارك، وركبوا الخيول، وتقدموا الناس بالفعل قبل القول. نسأل الله أن  
يبسر للخلف مثل هؤلاء السلف.

## منتهى الوفاء

٩٩٣

روى المؤرخون أن للمنذر بن ماء السماء يومين في العام: يوم مسرة، ويوم  
بؤس، فمن جاءه في يوم مسرته أسعده، ومن جاءه في يوم بؤسه كان له بؤساً. وقد  
شاء الله أن يفد حنظلة على المنذر بن ماء السماء يوم بؤسه، ولم يعلم بذلك حتى  
كان بين يديه، فقال له المنذر: إنه يوم بؤسك أيضاً، وإني لقاتلك. قال حنظلة  
وقد علم أنه مقتول: لقد جئتك زائراً، ولأهلي من بحرك مائراً، فلا تجعل آمالهم  
تخيب بقتلي. أمهلني عاماً واحداً أدبر لهم فيه حاجتهم، وأعود إليك. قال المنذر:  
من يكفلك عندي؟ فالتفت حنظلة، وأخذ ينظر في وجوه القوم، فعرف شريك  
بن عمرو، فناشده أن يكفله. فوثب شريك، وقال للمنذر: يدي بيده، ودمي بدمه  
إن لم يعد بعد عام. قالوا: فأطلق سراحه المنذر ليعود بعد عام، وحلّ بعد عام  
يوم بؤس المنذر، وجلسوا ينظرون قدوم حنظلة، حتى إذا انتصف النهار أمر  
المنذر بإحضار شريك ليحل محله، وإذا هم يدبرون لذلك طلع عليهم حنظلة،  
وقال لهم: فكوا وثاق الرجل، فما أنذا أتيت. قال المنذر، وقد تعجب من وفائه: ما  
حملك على ذلك؟ قال حنظلة: وفاء دين هذا الرجل ورداً لجميل نجدته، وإني لا  
أعدر بكفيل. قيل: فعفا المنذر عنهما.

أقول:

كم حنظلة يوجد اليوم؟ إنهم قليل، وكم كفيل مال، لا كفيل دم وضع في  
السجن، والمكفول يسرح ويمرح، وكأن شيئاً لم يكن.

«القتل أنفى للقتل» هذا مثل عربي سائر بين الناس قبل الإسلام، ثم جاء الإسلام، وأقر قتل القاتل حدًّا، وقتل المفسد في الأرض تعزيرًا، وثبت ذلك قطعياً من القرآن الكريم والحديث الشريف، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ [المائدة: ٣٣] سجلت هذه النادرة بعد تنفيذ الحكم الشرعي من قبل وزارة الداخلية على المجرمين الذين روعوا الحجاج في تفجيراتهم في حج عام ١٤٠٩ هـ وقد أثلج هذا البيان صدر كل مسلم، وقد دخل علي جاري عبد الله آل محمود، وأنا جالس في حديقة منزلي بالرياض مع الأخ الصديق عبد الرحمن العلي السعيد، ثم بدأ الحديث عن قتل هؤلاء، وأن في قتلهم صلاحاً وراحة للناس في الداخل والحجاج في الخارج، وقال الأخ عبد الله آل محمود: والله إنني اليوم صافحت من أخبرني، وشددت على يديه مباركاً هذا العمل الحازم من ولاة الأمر، وذلك بشكل لا شعوري بل وعفوي، وذلك من شدة الفرح، ثم قال الأخ عبد الرحمن: أيحسبون أن قومي هنا سيحيلونهم إلى القانون الإنجليزي أو الفرنسي المطبق مع الأسف في بعض بلاد العرب والمسلمين، ويحكم على مثل هؤلاء بالسجن ليعلفوهم كما تعلق الدواب؟ كلا، كلا!

قال أنيس منصور: تجربتي هي تجربة شخص درس مذاهب فلسفية كثيرة، درسها وتعرض لما تعرض له الذين مرغوا بين النظريات الفلسفية المختلفة بين الحيرة والشك، فهو لا يدري ما هو الصحيح، وما هو الخطأ، وما هو المنهج، وما هو الطريق، وفي الوقت نفسه أحسست أن عقلي لا يزيد على كفي؛ أي لا يزيد على

شبر، وأنتي أحاول أن أقيس السماء بهذا الشبر، فعقلي المحدود يحاول أن يحيط بما ليس محدوداً، فأنا أريد، وصعب أن أبدي رأيي في قضية كما لو أحضرت طفلاً صغيراً، وأجلسته على مقعد السكرتير العام للأمم المتحدة، وتطلب منه أن يفصل في قضايا الشعوب. أول شيء يجب أن يفعله إن كان عنده وعي أن ينحي نفسه عن النظر في هذه القضية أو تنحيه الناس؛ لأنه غير مؤهل للحكم فيها لصغره ولقلة معلوماته ولعجزه ولقصر الوسائل التي يستطيع أن يعبر بها، كما لو أردت أن تعبئ البحر في زجاجة كوكاكولا، أنا عقلي في حجم الزجاجة، وما لا أعرفه في حجم البحر، فهذه الحياة وهذا الخوف والعجز عن الفهم وعدم القدرة على الاستيعاب والتعرض لقضايا أنت غير مؤهل للنظر فيها، فمن أنت حتى تتساءل من هو الله؟ كيف؟ أو ما هو البعث؟ أو ما هو النشور؟ أو ما هي الحياة بعد الموت؟ من حكمك أو من أعطاك هذا الحق لكي تفصل في قضية يعجز عنها العقل؟ كيف تحسبها أنت؟ فهذا الشعور بالعجز جعلني أحس أن العقل غير قادر على أن يفصل في قضية بهذا الحجم، وهنا فقط لا بد أن تلجأ إلى شيء غير محتاج إلى منطق، وهو الحس المباشر والوجدان، وعندما وقفت أمام الكعبة لم يكن لي سلطان على نفسي، فتساقطت الدموع وأنا لا أستطيع أن أعرف لماذا، فلا أنا حزين، ولا أنا مصدوم، من أين هذا البكاء؟ وماذا يبكي داخلي؟ وعلى أي شيء يبكي؟ هل عقلي يبكي على قلبي؟ لا أدري، كل ما أحسست به هو شعور بالضالة أمام حسن مباشر، وهو الله، فأنا قد اهتديت، إيماني صحيح تماماً عن طريق القلب أو الوجدان أو الحدس بالمعنى الفرنسي، أو الشعور المباشر أو على الأصح بتجربة ومعاناة صفية، ولا تسألني كيف! لأنني كنت أعلم الطلاب كيف أكتشف أن هذا ليس له معنى، ليس له نظير. عن جريدة (الهدف الكويتية) ١٢/٥/١٠هـ.

أقول:

كلام أنيس منصور جيد، ولكن يكفي عن هذا كله إذا قرأت سورة الإخلاص، ففيها الجواب: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ (٣) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ (٤)﴾

﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿﴾ [الإخلاص: ١-٤]، ونسأل الله الهداية لكل الناس، خاصة لهذا الرجل الذي يدرس الفلسفة في الجامعة، واشتهر باعتناقه المذهب الوجودي، وضلل الكثير من شباب العرب والمسلمين بكثرة كتبه، فهو يجيد سبع لغات: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والعربية، واللاتينية، وهو من بطانة السادات الخسيسية، مع زميله النصراني الخبيث موسى صبري، وهم الذين كانوا يقولون له: لو دخلت الانتخابات الأمريكية لفزت على المرشح الأمريكي. وأنيس هو الذي يقول: حصول نجيب محفوظ على نوبل يشبه حرب أكتوبر. ونوبل وجائزته، و محفوظ وخرافاته وكذباته، لا تساوي نقطة من دم شهيد مصري واحد في حرب أكتوبر، ومنح الجائزة كما قال أصحابه: لقصته (أولاد حارتنا) وهذه القصة منعها الأزهر من الصدور؛ لكفره الصريح فيها باستهزائه برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والفضل بعد الله في كشف زيفها ومنعها لفضيلة الداعية الجليل محمد الغزالي. نرجع إلى أنيس، ونقول: لم ننقل كلامه إلا من باب خذ الحكمة من أي وعاء خرجت، فالحكمة ضالة المؤمن، ولسنا من قرائه، ولا من المحبين له ولكتاباته، ولدينا ولله الحمد من المصادر الإسلامية الشريفة ما يغنينا ويزيد، ونسجله هنا لعله يُقرأ من قبل الشباب المعجب بهذا الرجل، وخاصة من الفئة التي أفسد عقولها هو وأمثاله، ونقول: لعل الله يهديه، ويرجع إلى الحق، فيرجع معه خلق كثير من قرائه. هدايا الله وإياهم وجميع الناس إلى الحق وإلى طريقه المستقيم.

إياك والدم الحرام

٩٩٦

روي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: «قاتل العمد لا توبة له» وروي أن سفيان قال: سكان أهل العلم إذا سئلوا عن القاتل المتعمد قالوا: لا توبة له، ولكن روي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أيضاً أنه كان إذا جاء إليه رجل لم يقترف جريمة القتل، وهو

ينويها، وسأله هل للقاتل توبة؟ أجابه: لا توبة له تخويفاً وتحذيراً، وإذا جاءه من اقتترف جريمة القتل نادماً خائفاً: هل للقاتل توبة؟ أجابه: لك توبة تيسيراً وتخفيفاً.

**أقول:** لو أن حكام العالم الثالث ومعظمهم من المسلمين يقرؤون هذا الوعيد، لما هُدمت المدن على رؤوس أصحابها كما حصل في (حماة)، ولما ملئت السجون من الأبرياء، ولكن الله يمهل ولا يهمل، فالظلم ظلمات يوم القيامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

### أحسنوا عرض الإسلام على الناس

٩٩٧

قال فضيلة الشيخ عبدالعزيز المسند لجريدة (المسلمون) يوم ٢٤/٥/١٤١٠هـ: من الأمور الطريفة، أن من عادة الوفد الذي كنا معه أنهم إذا صلوا الصبح يبدأ سماحة الشيخ محمد الحركان بدرس، ويترك لبعض الإخوة أن يتموا الحديث وعلى حسب كثرة المجتمعين ونشاطهم، ففي يوم من الأيام كنا مجتمعين، وعندما انتهى الشيخ محمد من الصلاة قام رجل من المسلمين، وكان الحضور يضم رجالاً ونساءً، فسأله: ما ترى في مصافحة المرأة؟ فتحدث الشيخ بأسلوبه الهادئ واللطيف والمقبول، وقال: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يصافح امرأة قط، وبدأ يتكلم عن سر ذلك، وبدأ يعرج على بعض الأمور التي تتعلق بالنساء والرجال، ثم قال بعد ذلك: إنني أترك إكمال الحديث للأخ عبدالعزيز المسند، فأنا عرفت ما يعنيه، ثم بدأت أتحدث والشيخ جالس، والإخوان كلهم يسمعون، فقلت بعد مقدمة طويلة: إن مصافحة المرأة إذا أمنت الفتنة ليس فيها شيء، وهي جائزة، ولا إشكال فيها، فقام خطيب منهم، وقال: الله أكبر، والله لو قلت: إن مصافحة المرأة حرام لخرجنا جميعاً رجالاً ونساءً، ودليل ذلك أنني من بلجيكا نمارس ديننا بكل رغبة لا أحد يلزمننا، ولكن الرغبة فيما عند الله وفي دين محمد صلوات الله وسلامه عليه، أسلمت امرأة بلجيكية، وحسن إسلامها، فرأى

الإخوة من المسلمين هناك أن يبحثوا لها عن زوج صالح حتى يبقى دينها؛ لأن أهلها أبعدها، فوجد راغب فيها، واتفقت المرأة وإياه على الزواج، وذهبنا إلى المسجد، وكانت إحدى الدول العربية قد بعثت شاباً حنفياً ليكون إماماً للمسجد، وكان هو الذي يعقد الأنكحة، ذهبنا إليه، وسلم الرجال، وتقدمت المرأة ومعها نساء من نساتنا لتسلم، فكفّ الرجل يده، ولم يسلم عليها، فوقفتم مبهوتة، وكانت متعلمة، وقالت: ما له؟ فسأله أحد الحاضرين؟ فأجابه بقوله: إن مصافحة المرأة حرام، يبدو أن المترجم لم يقدر الوضع؛ لأن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فترجم ذلك حرفياً، ولم يلفه، فقامت المرأة، وقالت: إن ديناً يهين المرأة إلى هذه الدرجة لا أقبله أن يكون ديناً لي، وارتدت عن الإسلام، ورفضت الزواج، ولو أن هذا الرجل الذي يتزعم المسلمين في تلك المنطقة، وهو إمام لهم عرف الإسلام حقيقةً لاقتدى بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه كما تعلمون صلوات الله وسلامه عليه بقي ١٣ عاماً في مكة لم يدعُ الناس إلا إلى العقيدة، ولم يفرض عليهم إلا الصلاة، وعندما أذن له بالهجرة إلى المدينة تنزلت الفروض والتشريعات منجمة بسهولة ويسر تعالج النفوس، وتجعلها مقبولة للناس حتى قبلوا الدين الإسلامي، وتعرفون أمثال ذلك، وكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلطَفَ الناس، وأطيب الناس، وأكثر الناس رأفة ورحمة بهم، فلم يُؤتِ الإسلام إلا من جهل أهله، ومن جهل المنتسبين إليه بكل أسف، وإلا فإن الإسلام دين اليسر ودين السهولة.

أقول:

إن الإسلام يحتاج إلى دعاة على مستوى رفيع يحسنون عرضه على الناس، وهذه المرأة التي ارتدت لم يتمكن الإسلام من قلبها، وتشدد إمام المسجد زاد الطين بلة، ويجب على الداعية أن يكون كما كان أبطال الإسلام الذين اهتموا برسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأضاءوا الدنيا صلاحاً وعلماً.

سُئِلَ الشَّيْخُ الشُّعْرَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ  
إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾  
[الرحمن: ٣٣] هل هذه الآية الكريمة تحمل معنى احتمال أن ينفذ الجن والإنس من  
أقطار السماوات والأرض؟

فأجاب: لا، فإنه بعد ذلك قال سبحانه: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابُ مِّنْ نَّارٍ وَمُهَاسٌ فَلَا  
تَنْصَرِفَانِ﴾ [الرحمن: ٣٣] لقد تصور الناس عندما وصلوا إلى القمر، أو اقتربوا من  
المريخ أنهم قد وصلوا.

ونقول لهم: أين القمر والمريخ من أقطار السماوات والأرض، وما هو القطر  
أولاً؟ القطر: هو الخط الواصل بين نقطتين على المحيط ماراً بالمركز، إذن:  
فأقطار السماوات والأرض كرة، فإن لها محيطات لا تنتهي، ولو كانت سطحاً  
مستديراً لكان للأرض محيط واحد، وكذلك فإن الكرة الأرضية تحيطها السماء  
من كل جانب، إذن فالأرض محاطة بدائرة من السماء، فعندما يقف الإنسان  
على سطح الأرض، ويمد بصره إلى آخره، يجد حوله دائرة تلتقي في نهايتها  
الأرض بالسماء، وهو ما نسميه الأفق، إذن فالكون كله عبارة عن دوائر متداخلة،  
ويحيط الكون كله سماء، ثم سماء ثانية في دائرة أوسع وهكذا، وبذلك فهناك  
أقطار لهذه الدوائر، وهنا يقول الحق سبحانه: إنكم لن تستطيعوا أن تنفذوا من  
أقطار السماوات والأرض، ولنترجم ذلك إلى أرقام، فلقد أمضى من وصل إلى  
القمر في ستة أيام عدد ثانيتين ضوئيتين، وهي المسافة بيننا وبين القمر في مئة  
وسنة وثمانين ألف ميل، وهي قيمة الثانية الضوئية، إذن: فقد استغرقت الثانية  
الضوئية مدة ثلاثة أيام، وبيننا وبين الشمس ثمانين دقيقة ضوئية في ستين ثانية،  
في ثلاثة أيام، فتكون محتاجين إلى ثلاث سنوات وخمسة وأربعين يوماً لنصل إلى  
الشمس، ثم إذا انتقلنا إلى كوكب المشتري الذي يبعد عنا بمسافة أربع عشرة سنة

ضوئية في ثلاث مئة وخمسة وستين يوماً في أربع وعشرين ساعة في ستين دقيقة في ستين ثانية في ثلاثة أيام، فإذا أردنا أن نصل إلى هناك فما هو عدد الأجيال التي تستغرقها الرحلة؟ ملايين الأجيال، ثم أي سفينة فضاء هذه التي تستطيع أن تحمل ما يكفيها من وقود وطعام لهذه المدة حتى تصل بعد ملايين السنين؟ وبعد المشتري نجد (المجرة المسلسلة) التي تبعد عنا مئة سنة ضوئية، ثم طريق اللبني يبعد عنا بمليون سنة ضوئية، وبه مليون مجموعة شمسية، هذا ما يقوله علماء الفلك غير المسلمين، وهؤلاء العلماء يقولون: اذهب إلى شواطئ العالم، واجمع رمالها، ثم أحصها فستجد كواكب بعدد الرمال، وبذلك نجد أنه من المستحيل حساباً أن تصل إلى السماء الدنيا، هذا إلى جانب النيازك الموجودة في الفضاء، ثم نتساءل: لماذا جاء الحق سبحانه وتعالى بالاستثناء في الآية، وهو ما يحمل معنى إخراج من الممنوع؟ نقول: إن ذلك الاستثناء جاء في الآية لاستثناء معراج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعندما يقول الحق: إلا بسلطان، فليس ذلك سلطان العلم لاستحالاته كما رأينا، ولكنه سلطان العلي القدير بأن نتجاوز، أو لا نتجاوز.

أقول:

الكل أخذ يفسر وصولهم إلى القمر بأنهم استطاعوا أن ينفذوا من أقطار السماوات، وهذا بعيد وفوق إمكانات ابن آدم الذي لم يؤتِ الله من العلم إلا قليلاً.

أشد ما يؤلم النفس

٩٩٩

لعل من أشد ما يؤلم النفس أن تعقد المقارنات في الصحافة بين نظام شاوشيسكو وأكثر من نظام عربي، وأنها مثله في البطش والإرهاب والإذلال، وأن ينصح أحد شامير بالمرونة في ظل النظام العالمي الجديد الجانح إلى الحريات، فيقول: اطمئنوا، فما زالت رياح الحرية والديموقراطية بعيدة عن خصومنا

بعداً كافياً، ويكتب أحدهم، فيقول عن شعوب منا: إنها لو حاولت التخلص من جلادها، فستكون النتيجة ما حدث في الصين لها، لا ما حدث في رومانيا، بل لو أن الجلاد قدّم استقالته فقد تقوم المظاهرات تطالب باستمراره في الحكم، هذا بعض ما يقال، فمن الصالح أن يكون على دراية به، والجواب عليه ليس اللعن والسب، وليس اليأس والتخاذل، ولكن أن نتحرك كما يتحرك الناس، فيرون حركاتنا، ونتكلم كما يتكلمون، فيسمعون كلامنا، فتحن الذين نصنع صورتنا بأنفسنا، والصورة التي نرسمها لأنفسنا اليوم هي التي تحدد موقعنا في عالم الغد، إن الزمان يتغير، والذين لا يعيشون زمانهم فليس لهم فيه دور، بل ليس لهم فيه مكان.

أقول:

هذا ما كتبه الأخ الدكتور حسان تحوت في (القبس) يوم ١٦/٦/١٠٤١٠هـ، وحسان هذا خيرة رجال مصر، وهو أستاذ في الطب، وأستاذ في الكلمة، وذو قلم إسلامي مشرف، ودرّس الطب في جامعة الكويت سنين عدداً، ثم استقال، وتفرغ للدعوة إلى الله في العالم الجديد أمريكا، نسأل الله له القبول والتوفيق، ونقرر هنا أن التاريخ العربي الحديث شهد صدق قوله بخروج تظاهرات يوم قدّم الجلاد العربي استقالته عام ١٩٦٧م / ١٣٨٧هـ.

### فضل الإقامة في المدينة المنورة

١٠٠٠

قال بعض الفقهاء:

الإقامة في المدينة المنورة أحب من الإقامة في غيرها، ولو كانت مكة؛ لأنها مهاجر المسلمين، يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تفتح اليمن فيأتي قوم يُبْسُون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم، ولو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قوم يُبْسُون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم،

وإن كانوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتي قوم يُبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم، ولو كانوا يعلمون»<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري في فضائل المدينة، ومسلم في الحج باب الترغيب في المدينة المنورة، ومالك في الموطأ.

### من تلبس إبليس على السلاطين

١٠٠١

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: قد لبس إبليس عليهم من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها: فالوجه الأول أنه يريد أن الله عزَّجَلَّ يحبهم، ولولا ذلك ما ولاهم سلطانه، ولا جعلهم نواباً عنه في عبادته، وينكشف هذا التلبس بأنهم إن كانوا نواباً عنه في الحقيقة، فليحكموا بشرعه، وليتبعوا مرضيه، فحينئذ يحبهم لطاعته، فأما صورة الملك والسلطنة، فإنه قد أعطاها خلقاً ممن يبغضه، وقد بسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر إليه. وسلط جماعة من أولئك على الأولياء والصالحين، فقتلوهم، وقهروهم، فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم.

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: إنه يحسن لهم الانبساط في الأموال ظانين أنها بحكمهم، وهذا تلبس يكشفه وجوب الحجر على المفرط في مال نفسه، فكيف بالمستأجر في حفظ مال غيره؟ وإنما له من المال بقدر عمله، فلا وجه للانبساط. قال ابن عقيل: وقد روي عن حماد الراوية، أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتاً، فأعطاها خمسين ألفاً وجاريتين. قال: وهذا مما يروى على وجه المدح لهم، وهو غاية القبح فيهم؛ لأنه تذيير في بيت مال المسلمين.

وقد يزين لبعضهم منع المستحقين، وهو نظير التبذير. والسابع أنه يحسن لهم الانبساط في المعاصي، ويلبس عليهم أن حفظكم للسبيل، وأمن البلاد بكم يمنع عنكم العقاب. وجواب هذا أن يقال: إنما وليتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا

(١) أخرجه البخاري (٢١/٣ رقم ١٨٧٥)، ومسلم (١٠٠٩/٢ رقم ١٢٨٨).

السبل، وهذا واجب عليهم، وما انبسطوا فيه من المعاصي منهي عنه، فلا يرفع هذا ذلك، والثامن: أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الأحوال مستقيمة. ولو حقق النظر لرأى اختلافاً كثيراً.

أقول:

إن ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ كتب وصنف في الإسلام ما لم يستطع أحد من علماء العصر الحاضر أن يأتي بعشر مصنفات هذا العالم، وهو من علماء الإسلام المبارك لهم في أوقاتهم وأعمارهم، وإلا كيف يتسنى لهم هذا الكم الهائل من التأليف والبحث والإنتاج والإمكانات الطباعية والمالية بدائية؟

## الشیطان والأبوان الکریمان

١٠٠٢

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: وأول كيد ومكره أنه كاد الأبوين بالأيمان الكاذبة أنه ناصح لهما، وأنه إنما يردّ خلودهما في الجنة، قال تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهَا مَا وُورِيَ عَنْهَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِقُرْورٍ﴾ [الأعراف: ٢٠-٢٢].

فالوسوسة: حديث النفس، والصوت الخفي، وبه سمي صوت الحلي وسواساً، ورجل موسوس بكسر الواو، ولا يفتح، وإنما قيل له: موسوس؛ لأن نفسه توسوس إليه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْسُوسًا بِهِ نَفْسُهُ. وَخَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وعلم عدو الله أنهما إذا أكلا من الشجرة بدت لهما عوراتهما، فإنها معصية، والمعصية تهتك ستر ما بين الله وبين العبد، فلما عصيا انتهك ذلك الستر، فبدت لهما سوءاتهما، فالمعصية تبدي السوءة الباطنة والظاهرة، ولهذا رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رؤياه الزناة والزواني عراة بادية سوءاتهم،

وهكذا إذا رُئي الرجل أو المرأة في منامه مكشوف السوأة، فإنه يدل على فساد في دينه، قال الشاعر:

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ      وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ النَّاسِ عَرِيَانَا

فإن الله سبحانه وتعالى أنزل لباسين: لباساً ظاهراً يوارى العورة ويسترها، ولباساً باطنياً من التقوى، يجمل العبد ويستره، فإذا أزال عنه هذا اللباس انكشفت عورته الباطنية، كما تنكشف عورته الظاهرة بنزع ما يسترها.

ثم قال: ﴿مَا نَهَنُكُمْ رَبُّكُمْ عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مَلَكَيْنِ﴾ [الأعراف: ٢٠] أي: إلا كراهة أن تكونا ملكين، وكراهة أن تخلدا في الجنة، ومن ههنا دخل عليهما لما عرف أنهما يريدان الخلود فيها، وهذا باب كيده الأعظم يدخل منه على ابن آدم، فإنه يجري منه مجرى الدم حتى يصادف نفسه، ويخالطها، ويسألها عما تحبه ويصادف نفسه، ويخالطها، ويسألها عما تحبه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها على العبد، ودخل عليه من هذا الباب، وذلك علم إخوانه وأوليائه من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه، ويهووناه، فإنه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره فالباب عليه مسدود، وهو عن طريق مقصده مسدود.

فشام عدو الله الأبوين، فأحس منهما إيناساً وركوناً إلى الخلد في تلك الدار في النعيم المقيم، فعلم أنه لا يدخل عليهما من غير هذا الباب، فقاسمهما بالله إنه لهما من الناصحين، وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو من الخالدين.

وكان عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقرؤها ملكين بكسر اللام، ويقول: لم يطمعا أن يكونا من الملائكة، ولكن استشرفاً أن يكونا ملكين فأتاهما من جهة الملك، ويدل على هذه القراءة قوله في الآية الأخرى: ﴿قَالَ يَتَدَأْمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠].

وأما على القراءة المشهورة فيقال: كيف أطمع عدو الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يكون بأكله من الشجرة من الملائكة، وهو يرى الملائكة لا تأكل، ولا تشرب، وكان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أعلم بالله وبأنفسه وبالملائكة من أن يطمع أن يكون منهم بأكله، ولا سيما مما نهاه الله عَزَّجَلَّ عنه؟

فالجواب: إن آدم وحواء عليهما السلام لم يطمعا في ذلك أصلاً، وإنما كذبهما عدو الله، وغرهما، وخدعهما بأن تلك الشجرة شجرة الخلد، فهذا أول المكر والكيد، ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بأسماء تحب النفوس مسمياتها، فسموا الخمر: أم الأقرح وسموا أخاها لقيحة الراحة، وسموا المكوس الحقوق السلطانية، وسموا الربا المعاملة، وسموا أقبح الظلم وأفحشه شرع الديوان، وسموا أبلغ الكفر، وهو هجر صفات الرب، تنزيهاً، وسموا مجالس الفسوق مجالس الطيبة، فلما سماها شجرة الخلد قال: ما نهاكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تأكلا منها، فتخلدا في الجنة، ولا تموتا، فتكونان مثل الملائكة الذين لا يموتون، ولم يكن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد علم أنه يموت بعد، واشتهى الخلود في الجنة، وحصلت الشبهة من قول العدو وإقسامه بالله جهد أيمانه، إنه ناصح لهما، فاجتمعت الشبهة والشهرة، وساعد القدر، فأخذتهما سنة الغفوة، واستيقظ لهما العدو، كما قيل:

واستيقظوا وأراد الله غفلتهم  
لينفذ القدر المحتوم في الأزل

أقول:

تغيرت الأسماء في هذا العصر، المكوس: جمارك، والربا: فوائد، والخمر: مشروبات روحية، ثم العلمانية... إلخ. الأسماء الشيطانية.

سأل بعض الناس الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن القضاء والقدر وصلتته بالجزاء؟ فأجابته علي بما يزيل الشبهة من غير خوض، ثم ختم كلامه بقوله: إن الله أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، وكلف تيسيراً، ولم يُعص مغلوباً، ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثاً ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

أقول:

هذا والله هو الدر المنثور الذي لا يعلو عليه إلا كلام الله ورسوله.

قال الدكتور حسين شوقي في كتابه (سوبر باشوات) ص ٢٠٣: العامل المصري الذي يتمسك بما يسميه المكاسب الاشتراكية في مصر، هو العامل نفسه الذي يهرب منها إلى بلد هو قمة الرأسمالية مثل السعودية أو الكويت، ويعمل هناك، ويكسب؛ لأن صاحب العمل هناك إذا كان في حاجة إلى خمسة عمال فليس هناك قانون يلزمه بأن يأخذ خمسين، وليس هناك قانون يلزمه بأن يدفع أجر العامل المتمارض، أو عامل يترك العمل ليزور أخته، والمصنع الكبير هناك يُدار بعشرة عمال مصريين بيدوون في الثامنة صباحاً لا يفرغون منه إلا في السادسة مساءً، والعامل الواحد هناك يأخذ أجر عشرة عمال في مصر، ولهذا فهو يتفانى في عمله، ويستغنى عن سراب المكاسب الاشتراكية.

أقول:

الطريق هو الإسلام، ليست الاشتراكية الشرقية، والرأسمالية الغربية، والإسلام نظام مُنزل من اللطيف الخبير، صانع الإنسان، والصانع أدرى بحاجة المصنوع.

نشرت الصحف المصرية يوم ٦/٦/١٤١٠ هـ تقول: رفض العقيد محمد حسام الدين بديوي قائد مخابرات حرس الحدود بالقناة وشمال سيناء مليون جنيه رشوة من تجار المخدرات، مقابل تسهيله دخول شحنة مخدرات لمصر حجمها (٣) أطنان، وقد أبى عليه ضميره أن يقبل هذه الرشوة؛ لذلك ساير العصابة حتى قبض عليهم، يوم ٢٥ مارس الماضي، ورفض الرائد محمد الباسل قائد مكتب المخابرات وأمن حرس الحدود، في رشيد رشوة مقدارها ٦٠٠ ألف جنيه وسيارة بيجو جديدة، بسلسلة مفاتيح ذهب مقابل تسهيل دخول شحنة مخدرات مقدارها ١١٤ طرداً، وفي الموعد المحدد لتنفيذ العملية قبض على العصابة، وعندما سئل الضابط الشاب عن شعوره بعد القبض على العصابة؟ قال: لقد وضعني الله في لحظة اختبار، ونجحت، فالمال لا يصنع السعادة، وشرف الإنسان لا يتجزأ.

أقول:

نعم، في مصر (رجال وأي رجال!) ولا تحفظ الأوطان إلا بمثل هؤلاء الرجال الصادقين، ويجب ذكرهم وشكرهم ورفع مراتبهم، فالناس وخاصة في مصر العزيزة يعرفون عن (شريهان) و(عدوية) أكثر مما يعرفون عن هؤلاء، وهذا مما يؤسف له! وإن كاتباً مصرياً طلب أن يكافؤوا بنصف الكمية التي ضبطوها، وهم أهل لهذا الإكرام، تعففوا وهم في بلد فقير مادياً، وغني معنوياً بإذن الله، وأذكر وأشكر لموظفين عندنا بالرياض تعفوا عن الرشوة، وأمر ولاة الأمور بإعطائهما كل المبالغ التي رفضوها حراماً، وأراد الله أن تصلهم حلالاً، وهذا دليل على حسن نيتهم، فالرجل الأول هو الأخ محمود طيبة محافظ المؤسسة العامة للكهرباء، والمبلغ مليون ريال، والرجل الثاني الأخ المهندس محمد القويحص مدير

عام المشروعات بوزارة الصحة، والمبلغ ٣٠٠.٠٠٠ ثلاث مئة ألف ريال، ونحن هنا نذكرهم، ونشكرهم، ونرجو الله أن يكون هذا من عاجل بشرى المؤمن للحديث الشريف: «الذكر الحسن عاجل بشرى المؤمن»<sup>(١)</sup> أو كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكما جاء في الآية الكريمة: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤].

### الأعرابي وثوبه

١٠٠٦

عن أبي عثمان المازني أنه قال: قدم أعرابي على بعض أقاربه بالبصرة، فدفعوا له ثوباً ليقطع منه قميصاً، فدفع الثوب إلى الخياط، فقدر عليه، ثم خرق منه، فقال: لم خرقت ثوبي؟ قال: لا يجوز خياطته إلا بتخريقه، وكان مع الأعرابي هراوة من أرزن، فشجّ بها الخياط، فرمى بالثوب، وهرب، فتبعه الأعرابي، وأنشد يقول:

ما إن رأيت ولا سمعتُ بمثله	فيما مضى من سالفِ الأحقابِ
من فعلٍ علجٍ جئتُه ليخيطَ لي	ثوباً فخرقَه كفعلِ مُصابِ
فعلوثُه بهراوةٍ كانتُ معي	فَسَعَى وأدبرَ هارباً للبابِ
أيشقُ ثوبي ثمَّ يقعدُ أمناً	كألاً ومنزلِ سورةِ الأحزابِ

### الشیطان والإنسان

١٠٠٧

يقول شقيق البلخي (أحد العلماء الأعلام)، مبيناً بعض الشبهات التي يقذفها الشيطان في نفس الإنسان: ما من صباح إلا قعد لي شيطان على أربعة مراصد: من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فيقول: لا تخف، فإن الله غفور رحيم، فأقرأ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على من أخلفه، فأقرأ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٢٤ رقم ٢٦٤٢).

الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴿٦﴾ [هود:٦] ومن قِبَلِ يَمِينِي، يَأْتِينِي مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ، فَأَقْرَأُ:  
﴿وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

## اشتغال علماء الدين بالسياسة

١٠٠٨

سأل محرر المجتمع الكويتية يوم ٢٦/٦/١٤١٠هـ فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبوغدة رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: هناك من قال: إن علماء الدين يجب أن يبقوا مرشدين عامين للأمة، والأيدخلوا معترك العمل السياسي؛ لئلا ينشغل عالم الدين عن مهمته الأساسية، هل يمكن أن يوجد نموذج يقحم كل علماء الأمة في السياسة؟

قال الشيخ: الأصل في هذه المسألة أن سياسة الأمة تتعلق بمسؤولها الأول، رئيسًا، ملكًا، سلطانًا، أميرًا، كيفما سميناه أو سماه أصحابه، فهي تتعلق به، فإذا كان يرفع أمور الناس وسياسة المسلمين، فلا حاجة للعلماء أن يشتغلوا بالسياسة، وهم بلا شك يرسمون الحلال والحرام بهدي الشارع، فعليهم أن يبينوا وعليه أن يستتير بهم فيما يحل ويحرم، والأصل في الحاكم في نظر الإسلام أن يكون من المجتهدين في الشرع، فعمربن عبدالعزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُعَدُّ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كَانَ مُجْتَهِدًا مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ، فحينما يحتاج الأمر إلى معرفة حكم الشارع، وليس عنده اجتهاد فيه أو لم تتضح له الرؤية يستشير أهل العلم، ويشاورهم، ويذاكرهم بما عنده حتى تظهر القضية، وتتكشف الحقيقة بأجلى ما يمكن، أما إذا تخلى الحاكم عن سياسة المسلمين بهذه الروح الإسلامية، وكان فوضويًا، أو لم يكن قائمًا بشريعة الله عَزَّجَلَّ فعلى العلماء أن يبينوا وينصحوا بالحكمة والموعظة الحسنة دون إثارة أو فتنة. فكل حالة من أحوال الناس في نظر الشارع لها لغة خطاب، فالصغير له لغة يخاطب بها غير لغة خطاب الكبير، والمرأة لغة الخطاب لها غير لغة خطاب الرجل، والمتعلم غير العالم، وخطاب الحاكم ليس كسائر الناس، وهذا ما أرشدنا إليه الشارع الكريم، فالله عَزَّجَلَّ قَالَ فِي فِرْعَوْنَ لَمَّا أَمَرَ سَيِّدَنَا مُوسَى وَسَيِّدَنَا هَارُونَ أَنْ يذْهَبَا إِلَيْهِ: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِنَا

لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿طه: ٤٤﴾ فمن هذه الزاوية هناك لغة يخاطب بها الحاكم دون تزلف أو تملق، ولكن فيها الأدب والإبلاغ، فإذا لم يجيبوا حينئذ تكون المسؤولية عليهم، فالعالم يراقب المسؤولين عن سياسة الأمة، ديننا هذا موقعه من السياسة، هو موجه ليقود السفينة حينما ينصرف عنها ربانها المسؤول، فلو كنا نمشي في سفينة، وغفل أو مرض أو ضعف أو كفّ بصره، فنقول له: قف! وينبغي أن يأخذ السفينة منه بصير عليم خبير، ويقودها حتى تحافظ على وجودها وسلامتها، فما شأن العلماء إذا لم يأخذوا على يد الظالمين.

وَمَنْ يُثْنِي الْأَصَاغَرَ عَنِ مَرَادٍ إِذَا جَلَسَ الْأَكْبَارُ فِي الزُّوَايَا  
إِذَا اسْتَوَتْ الْأَسَافِلُ وَالْأَعَالِي فَقَدْ طَابَتْ مُنَادِمَةُ الْمَنَايَا

هذان البيتان حضرائي في هذا الموضوع، فالأصل في العالم أنه معلم ومتعلم، ولكن إذا انحرف أهل الحق عن الحق أو المسؤولون عن الحق فهناك موضع التنبيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كان يسمى سياسة فنعم السياسة. هذه هي السياسة التي فيها صلاح الراعي والرعية.

أقول:

التفرقة بين الدين والسياسة وردت من فرنسا، بعد الخلاف بين الكنيسة ورجال الحكم؛ لأن رجال الدين بالكنيسة وقفوا ضد كل إصلاح، وحرّموا كل شيء، وهو خطأ من الرجال، وليس من الدين المسيحي.

أما في الإسلام فالأمر يختلف، فالإسلام نظام حياة كامل من المهد إلى اللحد يبين كيف يستقبل المولود، وكيف يدفن الميت، وكل حركات المسلم بين الولادة والوفاة منظمة في الإسلام، ففي القرآن الكريم والسنة الشريفة بيان كيف يصنع بالمولود، وكيف يسمى؟ وفي الإسلام تتعلم كيف سلوكك وأنت تدخل الحمام، وتقضي حاجتك؟ وفي الإسلام تتعلم كيف تعبد ربك؟ وفي الإسلام كيف

تعامل والدك وخادمك؟ بل دابتك. نعم، لا حياء في الدين، وفي الإسلام يبايع ولي الأمر في المسجد البيعة العظمى للخلافة الكبرى، ومن المسجد تجيش الجيوش، ومن المسجد يتلى البيان العام في كل جمعة، وفي الإسلام لا تفريق بين دنيا ودين، في الدنيا الزرع وهناك الحصاد، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفاؤه الراشدون تولوا أمور الناس السياسية، والدينية والدينية، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رئيس الدولة، والمرجع الأول في السياسة والدين، ولا ينكر هذا إلا اثنان لا ثالث لهما: إما جاهل أو منافق.

### حماية المدينة ومكة من الدجال

١٠٠٩

يقصد الدجال المدينة، فلا يستطيع دخولها، ذلك أن الله حمى مكة والمدينة من الدجال والطاعون، ووكل حفظها إلى ملائكته، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يرفعه: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»<sup>(١)</sup>، وروى البخاري أيضاً عن أنس يرفعه: «لا يدخل المدينة رعب المسيح، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان»<sup>(٢)</sup>.

أقول:

لعظمتها كثرت أسماؤها، فهي المدينة، وهي طيبة الطيبة، وهي دار الهجرة، ومن يتهيا له الإقامة فيها فهو ذو حظ عظيم، رزقنا الله جواره في الدنيا والآخرة.

### أهل الجنة

١٠١٠

يدخل أهل الجنة على أكمل صورة وأجملها، على صورة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فلا أكمل ولا أتم من تلك الصورة والخلقة التي خلق الله عليها أبا البشر آدم، فقد خلقه الله تعالى بيده فآتم خلقه، وأحسن تصويره، وكل من يدخل الجنة

(١) أخرجه البخاري (٢٢/٣ رقم ١٨٨٠)، ومسلم (١٠٠٥/٢ رقم ١٣٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢/٣ رقم ١٨٧٩).

يكون على صورة آدم وخلقته، وقد خلقه الله طويلاً كالنخلة السحوق، طوله في السماء ستون ذراعاً، فصي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خلق الله عزَّ وجلَّ آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده»<sup>(١)</sup>، رواه الإمام مسلم.

أقول:

نسأل الله أن يجعلنا وإخواننا المسلمين منهم، فهذه هي السلعة الغالية والصيد الثمين.

### تفسير آية من كتاب الله

١٠١١

دخل رجل على عالم، فوجده مأخوذاً بنشوة الفرح والسرور، فقال: ما هذا؟ فقال العالم: قرأت آية من كتاب الله تبارك وتعالى، ووجدت فيها خبرين ونهيين وأمريين وبشارتين، فقال الرجل: ما هي؟ قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] فالخبران: ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ و﴿خِفْتِ﴾ والأمران: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ و﴿فَأَلْقِيهِ﴾ والنهيان: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ والبشارتان: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

### ابن آدم والملائكة

١٠١٢

ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد ابن العاص: أنه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة، فقال عمر: ما

(١) أخرجه البخاري (٥٠/٨ رقم ٦٢٢٧)، ومسلم (٢١٨٣/٤ رقم ٢٨٤١).

أحد أكرم على الله من كريم بني آدم، واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧] ووافقته على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد، فقال عرام بن مالك: ما أحد أكرم على الله من ملائكته، هم خدمة داريه، ورسله إلى أنبيائه، واستدل بقوله تعالى: ﴿مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠] فقال عمر بن عبدالعزيز لمحمد ابن كعب القرظي: ما تقول أنت يا أبا حمزة؟ فقال: قد أكرم الله آدم، فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وجعل من ذريته الأنبياء، والرسل ومن يزوره الملائكة، فوافق عمر بن عبدالعزيز في الحكم، واستدل بغير دليhle.

أقول:

إن آدم حملله الأمانه، كما نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢] فهو مخير والملائكة مسيرون يفعلون ما يؤمرون، فالناجح في الامتحان أفضل حتى من الكعبة المشرفة، كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

من عجائب النحل

١٠١٣

أول ما يبني في الخلية، مقعد الملكة وبيتها، فيبني لها بيت مربع يشبه السرير والتخت فتجلس عليه، ويستدير حوله طائفة من النحل تشبه الأمراء والخدم والخواص لا يفارقنها، ويجعل النحل بين يديه شيئاً يشبه الحوض يصب فيه من العسل أصفى ما يقدر عليه، ويُملاً من الحوض يكون ذلك طعاماً للملك وخواصه، ثم يأخذن في ابتناء البيوت على خطوط متساوية كأنها سكك ومحال، لا يدخل بين بيوته رؤوس الإبر، فتبارك الذي ألهمها أن تبني بيوتها من أشكال موصوفة بصفتين: إحداها إلا تكون زواياها ضيقة حتى لا يبقى الموضع الضيق

معطلاً، والثانية أن تكون تلك البيوت مشكلة بأشكال إذا انضم بعضها إلى بعض، وامتلات العرصة منها فلا يبقى منها ضائعا، ثم إنها علمت أن الشكل الموصوف بهاتين الصفتين هو المسدس فقط، فإن المثلثات والمربعات، وإن أمكن امتلا العرصة منها، بل يبقى فيما بينها مروج خالية ضائعة، وأما المسدس فهو موصوف بهاتين الصفتين، فهدها سبحانه إلى بناء بيوتها على هذا الشكل من غير مسطرة ولا آلة ولا مثال يحتذى عليه، وأصنع بني آدم لا يقدر على بناء البيت المسدس إلا بالآلات الكبيرة، فتبارك الذي هدها سبحانه أن تسلك سبل مراعيها على قوتها وتأتيها ذللاً لا تستعصي عليها، ولا تضل عنها، وأن تجتني أطيب ما في المرعى وألطفه، وأن تعود إلى بيوتها الخالية، فتصب فيها شراباً، مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.

أقول:

النحل خصها الله بسورة من القرآن هي (سورة النحل).

الموتتان

١٠١٤

النوم شبه الموت، ولذلك يسميه علماءنا الوفاة الصغرى، فالنوم وفاة، والقيام من النوم بعث ونشور: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠] وفي النوم تقبض أرواح العباد، ومن شاء بقاءها ردها الأجل الذي حدده الحق، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] فقد أخبر الحق أن كلاً من النفسين المسكة والمرسلة توفيتا وفاة النوم، وأما التي توفيت وفاة الموت فتلك قسم ثالث، وهي التي قدمها بقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] فإن الله ذكر توفيتين: توفيت الموت، وتوفيت النوم، وذكر إمساك المتوفاة، وإرسال الأخرى.

ومعلوم أنه يمسك كل مية، سواء ماتت في النوم أو قبل ذلك، ويرسل من لم تمت، وقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] يتناول ما ماتت في اليقظة، وما ماتت في النوم، فلما ذكر المتوفيتين ذكر أنه يمسكها في إحدى المتوفيتين، ويرسلها في الأخرى، وهذا ظاهر اللفظ بلا تكلف.

## حرب النمل

١٠١٥

يقول العالم البريطاني (جيمس جربي): النمل والإنسان هما المخلوقان الوحيدان اللذان يمارسان الحرب المنظمة، ففي عالم النمل تجري الحروب الإقليمية والعالمية بأساليب قد تفوق ما يستخدمه أرقى المخلوقات، وهو الإنسان، ويصف عالم أمريكي معركة (خلية) شاهدها بنفسه، وقدم تقريراً مثيراً في الاجتماع السنوي للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم.

يقول البروفيسور (برتلون) في تقريره: «لقد كانت الحرب ضارية، الجيشان المتقاتلان يستريحان ليلاً، ويستأنفان الحرب عند الشروق، لم يستطع أحدهما هزيمة الآخر، ثم اتفقا في النهاية على إقامة منطقة محايدة بينهما، لا يقترب منها أي فرد من الجماعتين المتقاتلتين.

وهذه الحرب كانت تدور بين جماعتين من النمل الإفريقي، ويرسم العالم الأمريكي صورة دقيقة لخطط الحرب وأساليبها، فيقول: لقد استطاع أحد أنواع النمل أن يستخدم الجسور في أثناء الحرب، وهي جسور تتكون من أجسام النمل، وتمتد عبر غصون الأشجار الغنية بالغذاء؛ أي احتلال منطقة حيوية تحقق إمداد للجيش، ثم يعلن الحرب الخاطفة ضد النمل الذي يستوطن هذه الأشجار الجسور من أجسام النمل تتفق فوقها الجيوش الغازية لتحتل المناطق، وتدمر قلاع خصومها، ومن غرائب اكتشاف جماعات مسالمة تعتمد على عرقها في الحصول على الغذاء، واكتشاف جماعات عدوانية تعتمد على الغزو الخاطف والتوسع والعدوان.

أقول:

النمل من الأمم، كما في الحديث الشريف، وخصّها الله في القرآن بصورة النمل، وأخبر عنها جل جلاله أنها تتكلم أخذاً من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] وسمع الله نبيه كلامها، وأفهمه إياه، والدليل قوله تعالى: ﴿فَنَبَسَمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩] ولكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا ربه دعاء الشاكر، وردّ الفضل لربه بقوله: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [النمل: ١٩] فهذا واجب كل حاكم مسلم في رد كل شيء إلى الله، وليس للمخلوق شيء في فعل السبب فقط.

### الدجال في خبر تميم الداري

١٠١٦

روى مسلم في صحيحه عن فاطمة بنت قيس، أخت الضحاك بن قيس أنها سمعت منادي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينادي: «الصلاة جامعة»، فخرجت إلى المسجد، قالت: فصليت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله صلواته، جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: «يلزم كل إنسان مصلاه»، ثم فقال: «أتدرون لم جمعتمكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إني والله جمعتمكم لا لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتمكم، لأن تميماً الداري، كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال».

حدثني: «أنه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقبهم دابة أهل بكثيرة الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك! ما

أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم، انظروا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سمعت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعاً، حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشدّه وثاقاً، مجموعةً يده إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويل! ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر، لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك! ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة، قال: فأخبروني عن نخل بيسان، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا: نعم، قال: أما إنه يوشك ألا يثمر، قال: أخبروني عن بحيرة طبرية؟ قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: ما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغر؟ قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل العين فيها ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قلنا: قد خرج من مكة، ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه قد ظهر على من يليه من العرب، وأطاعوه، قال لهم: كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطها في أربعين ليلة، إلا مكة وطيبة، فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحد منهما، استقبلني ملك بيده السيف صلتاً، يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطعن بمخصرته في المنبر: «هذه طيبة، هذه طيبة» يعني المدينة، «ألا هل حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق»<sup>(١)</sup> وأوماً بيده إلى المشرق، قالت: فحفظت هذا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أقول:

هذا الحديث ورد في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ، وصحيح مسلم أصح كتاب في الحديث بعد البخاري، والدجال لغة: هو الكذاب، ودجاجة هذا العصر الحديث كثيرون جداً، فالصحيفة الكاذبة دجال، والمجلة الفاجرة دجال، والإذاعة المرئية والمسموعة إذا استعملت في معصية الله فهي دجال.

## الروبيضة

١٠١٧

أخبرنا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المقاييس التي يقوم بها الدجال تختل قبل قيام الساعة، فيقول الكذبة ويصدق، ويرد الصادق خبره، ويؤتمن الخونة على الأموال والأعراض، ويخون الأمانة ويتهمون، ويتكلم التافهون من الرجال في القضايا التي تهمة عامة الناس، فلا يقدمون إلا الآراء الفجة، ولا يهدون إلا للأمر المعوجة، فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الروبيضة» قيل: وما الروبيضة؟ قال: «الرجل التافه، يتكلم في أمور العامة»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٢٦١/٤-٢٢٦٣ رقم ٢٩٤٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٩/٢ رقم ٤٠٣٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٠٨/٤ رقم ١٨٨٧).

أقول:

ما أكثر روبيصات هذا العصر! وهو الرجل الجاهل في الأحكام الفقهية والإسلامية بوجه عام، ومع ذلك يفتي بغير علم، فيُضِلُّ ويَضِلُّ، ومع الأسف أن كل علم له أهله لا يدخل فيه غير المتخصص، مثل الطبيب لا يسمح له بمزاولة العمل دون شهادة، والهندسة كذلك، وفي جميع التخصصات، إلا الفقه الإسلامي فهو مفتوح لمن هبَّ ودبَّ، وخاصة في خارج هذه البلاد المقدسة شرَّفها الله.

## كِنِ الرَّجُلِ الثَّانِي

١٠١٨

قال العالم المجاهد سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ: أردت أن أكون الرجل الثاني المسلم الملتزم، وأراد الله أن يمتحنني: هل أنا صادق فيما اتجهت إليه، أم هو مجرد خاطرة؟

كان ابتلاء الله له، بعد دقائق من اختياره، طريق الإسلام، إذ ما إن دخل غرفته حتى كان الباب يقرع، وفتحت، فإذا أنا بفتاة هيفاء جميلة فارعة الطول شبه عارية يبدو من مفاتن جسمها كل ما يغري، وبدأتني بالإنجليزية: هل يسمح لي سيدي بأن أكون ضيفة عليه هذه الليلة؟ فاعتذرت؛ لأن الغرفة معدة لسرير واحد، وكذا السرير لشخص واحد! فقالت: وكثيراً ما يتسع السرير الواحد لشخصين!! واضطرت أمام وقاحتها، ومحاولة الدخول عنوة إلى أن أدفع الباب في وجهها لتصبح خارج الغرفة، وسمعت صوت ارتطامها بالأرض الخشبية في الممر، فقد كانت مخمورة.

بعد نجاحه في الابتلاء الأول قال: الحمد لله هذا أول ابتلاء، وشعرت باعتزاز ونشوة، إذ انتصرت على نفسي، وبدأت تسير في الطريق الذي رسمته لها. عن كتاب (أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب) للدكتور عبد الفتاح الخالدي.

أقول:

لقد نجح الرجل المجاهد، وأعاد لعصره صورة الجيل الأول من رجالات الإسلام من الصحابة والتابعين، بموقفه الشامخ من الحاكم الفاجر، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ولا أخلى البلاد من أمثاله.

### الفنجان بيد الحسناء

١٠١٩

اجتمع مرة في منزل إحدى نساء آل معلوف بالبرازيل أربعة شعراء من آل معلوف، هم: فوزي معلوف، وأخوه شفيق، وخالهما ميشال وشاهين معلوف، وبينما كانت ربة الدار تحتسي القهوة معهم سقط الفنجان من يدها، فأرادت تسجيل هذا الموقف بين أفراد أسرتها الشعراء الأربعة، وجعلت جائزة للمبرز بينهم، فقال شاهين:

ثَمَلُ الْفَنجَانِ لَمَّا لَمَسَ      شَفَتَاهُ شَفَتَيْهَا فَاسْتَعْرُ  
فَتَلَطَّتْ مِنْ لُظَاهِ يَدُهَا      وَهُوَ لَوْ يَدْرِي بِمَا يَجْنِي اعْتَذُرُ  
وَضَعْتَهُ عِنْدَ ذَا مَنْ كَفَّهَا      يَتَلَوَّى قَلْقًا أَنَّى اسْتَقْرُ  
وَارْتَمَى مِنْ وَجْدِهِ مُسْتَعْطَفًا      قَدَمَيْهَا وَهُوَ يَبْكِي مَا انْكَسُرُ  
ثم تلاه أخوه ميشال، فقال:

عَاشَرَ يَهَوَاهَا وَلَكِنْ      فِي هَوَاهَا يَتَكْتَمُ  
كَلَّمَا أَدْنَتْهُ مِنْهَا      لَازِمَ الثَّغْرِ وَتَمْتَمُ  
دَائِبُهُ التَّقْبِيلُ لَا      يَنْفُكُ حَتَّى يَتَحَطَّمُ

وجاء دور شفيق، فقال:

إن هوى الفنجان لا تعجب وقد      ظفر الحزن على مسميها  
كل جزء طار من فنجانها      كان ذكرى قبلة من فمها

وهؤلاء الثلاثة جعلوا الفنجان يتحطم، وعندما جاء دور فوزي أبقاه سليماً،

فقال:

ما هوى الفنجان مختاراً ولو      خيروه لم يضارق شفتيها  
هي ألقته وذا حظ الذي      يعتدي يوماً بتقبيل عليها  
لا ولا حطمه اليأس فما هو      يبكي شاكية منها إليها  
والذي أبقاه حياً سالمًا      أمل العودة يوماً ليديها

وهذا الشاعر هو الذي فاز بالجائزة.

أقول:

ما أجمل هذا الشعر! فيه وصف وتشبيب، ولكن بشكل مؤدب لا يجرح الحياء، ولا كرامة المرأة والرجل، وهذا هو الغزل العفيف، وفي الأدب العربي، والأدب الشعبي بالذات الكثير من أمثال ذلك.

### قذف الله بالحق على الباطل فدمغه

١٠٢٠

قال الطنطاوي: دخلت أحد مساجد حلب بسوريا، فوجدت شاباً يصلي، فقلت: سبحان الله! إن هذا الشاب من أكثر الناس فساداً، يشرب الخمر، ويفعل الزنا، ويأكل الربا، وهو عاق لوالديه، وقد طرده من البيت، فما الذي جاء به إلى المسجد؟ فاقتربت منه، وسألته: أنت فلان؟ قال: نعم، قلت: الحمد لله على هدايتك، أخبرني كيف هداك الله؟ قال: هدايتي كانت على يد شيخ وعظنا في مرقص، فقلت مستغرباً: في مرقص؟ قال: نعم، في مرقص، قلت: كيف ذلك؟ قال: هذه القصة؟ فأخذ يرويها، فقال:

كان في حارتنا مسجد صغير يؤم الناس شيخ كبير السن، وذات يوم التفت الشيخ إلى المصلين، وقال لهم: أين الناس؟ ما بال أكثر الناس، وخاصة الشباب لا يقربون المسجد، ولا يعرفونه؟ فأجابه المصلون: إنهم في المراقص والملاهي، قال الشيخ: وما هي المراقص والملاهي؟ رد عليه أحد المصلين: المرقص صالة كبيرة في خشبة مرتفعة تصعد عليها الفتيات العاريات يرقصن، والناس حولهن ينظرون إليهن، فقال الشيخ: والذين ينظرون إليهن من المسلمين؟ قالوا: نعم، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، هيا بنا إلى تلك المراقص ننصح الناس، قالوا له: يا شيخ، أين أنت؟ تعظ الناس، وتتصحهم في المرقص؟ قال: نعم، حاولوا أن يثبته عن عزمه، وأخبروه بأنهم سيواجهون بالسخرية والاستهزاء، وسينالهم الأذى، فقال: هل نكون خيرًا من محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وأمسك الشيخ بيد أحد المصلين ليده على المرقص، وعندما وصلوا إليه سألهم صاحب المرقص: ماذا تريدون؟ قال الشيخ: نريد أن ننصح من في المرقص، تعجب صاحب المرقص، وأخذ يمعن النظر فيهم، ورفض السماح لهم، فأخذوا يساومونه ليأذن لهم حتى دفعوا له مبلغًا من المال يعادل دخله اليومي.

وافق صاحب المرقص، وطلب منهم أن يحضروا في الغد عند بدء العرض اليومي، فقال الشاب: فلما كان الغد كنت موجودًا في المرقص، فبدأ الرقص من إحدى الفتيات، ولما انتهى أسدل الستار، ثم فتح، فإذا بشيخ وقور يجلس على كرسي، فبدأ بالبسملة، وحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم بدأ في وعظ الناس الذين أخذتهم الدهشة، وتملكهم العجب، وظنوا أن ما يرونه فقرة فكاوية، فلما عرفوا أنه شيخ يعظهم أخذوا يسخرون منه، حتى قام أحد الحضور، وأمرهم بالسكوت حتى يسمعوا ما يقوله الشيخ.

قال الشاب: فبدأ السكوت والهدوء يخيم على أنحاء المرقص، حتى أصبحنا لا نسمع إلا صوت الشيخ، فقال كلامًا ما سمعناه من قبل، تلا علينا آيات من القرآن الكريم، وأحاديث نبوية شريفة وقصصًا لتوبة بعض الصالحين.

قال الشاب: فبكى الناس جميعاً، وخرج الشيخ من المرقص، وخرج الجميع وراءه، وكانت توبتهم على يده، حتى صاحب المرقص ندم، وتاب على ما كان منه.

أقول:

هذا الداعية ذهب إلى الناس يدعوهم إلى الهداية والحق، ولم ينتظر الناس حتى يأتوا إليه ليسمعوا منه، فواجب الدعاة أن يذهبوا إلى الناس، وهذه سبيل كل داعية مخلص لله ولرسوله وللمسلمين.

يا سلام سَلِّمِ الْعَالَمَ عَلَى كَفِّ عَفْرِيتِ!

١٠٢١

قال خبير عسكري غربي كبير: الحرب النووية في حال نشوبها ستختلف اختلافاً جذرياً عن كل الحروب التي عرفتها البشرية منذ فجر تاريخها؛ لأنها ستكون سريعة وخاطفة ومدمرة بشكل مرعب، ولن تدوم سوى ساعات محدودة، وما يقرب إلى أذهاننا مقدار الدمار النووي الذي أحدثته قنبلة هيروشيما النووية! فقد تجاوز عدد ضحايا اللحظة الأولى لهذه القنبلة ٨٥ ألف نسمة، ووصل عدد الجرحى من أثرها ١٧٥ ألف شخص مات معظمهم فيما بعد، وما علينا إلا أن نقارن القوة التدميرية لقنبلة هيروشيما النووية التي تبلغ ٢٠ كيلوطناً، بالقوة التدميرية لصاروخ (إم إكس) الحامل لعشرة رؤوس نووية قوتها ٧٠٠٠ كيلوطن، مع العلم أن هذا الصاروخ يبلغ مداه ٨٠٠٠ كيلو متر، لنذكر حجم الكارثة لإطلاق صاروخ واحد من هذه الصواريخ العابرة للقارات، فكيف لنا أن نتصور ما يحدثه انفجار رؤوس نووية بعدد كبير من هذه الصواريخ؟ وإذا عرفنا أن مخزون الأسلحة النووية في العالم يحتوي على أكثر من ١٥٠٠ رأس نووي، وأن هذا العدد في ازدياد مستمر، وأن ٢٦٠٠ مليار دولار ينفقها العالم سنوياً على التسلح، وأن الإنتاج اليومي من القنابل الذرية يتجاوز خمس قنابل في مختلف أنحاء العالم، فإنه ليس من الغريب أن نسمع علماء معروفين بدقتهم في التعبير

وعدم إلقاء الكلام جزافاً يتحدثون عن احتمال كبير لفناء البشرية كلها من جراء مواجهة نووية، ومن ثمَّ لن يكون هناك منتصر ومهزوم في هذه المواجهة، بل حتى الذين ليس لهم ناقة أو جمل فيها سيطولهم شرها ودمارها، ويقول هؤلاء العلماء: إن كل الدلائل المستقراة من التفجيرات النووية تشير إلى أن أي حرب نووية لن تبقى أي أثر للحياة البشرية والحيوانية والنباتية على سطح الكرة الأرضية.

تنافس القوى العظمى على تطور الصواريخ العابرة للقارات والطائرات العملاقة والسريعة، وبذلك فإن اللحظات الأولى لأي مواجهة نووية هي لحظات مصيرية بالنسبة إليها، ولكن كيف يكون الحديث على مصير هذه القوى، ومصير البشرية قاطبة على كف عفريت؟ لا شك أن الدول الكبرى ستكون في مقدمة الضحايا لأي حرب نووية؛ لأنها ستتلقى الضربات الأولى، ولكن من لم يمت خارج هذه الدول من أثر الضربة الأولى، سيقضي نحبه في لحظات من جراء الإصابة بأمراض خبيثة متأتية من الانفجارات النووية، وبسبب القضاء على الحياة النباتية والحيوانية، يقول مسؤولون في الأمم المتحدة: «إن أي حرب نووية شاملة سوف تقضي في لحظات على مئات الملايين من الناس والحيوانات، ويذهب بعض الخبراء إلى القول: إن ملياري نسمة ستقضي عليهم الضربات النووية الأولى» ويقول خبراء إستراتيجيون: إن صاروخاً واحداً من طراز (إم إكس) ذي العشرة رؤوس نووية كافٍ للقضاء الشامل على مدينة تضم عشرين مليون نسمة، ويقولون: إن قنبلة نووية بقوة ميغا طن، إذا ألقيت فوق باريس، فإن وهج ضوئها يبدو بشكل واضح في مدينة مرسيليا الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، وإن درجة الحرارة في مركز انفجار هذه القنبلة يصل إلى عشرة ملايين درجة، وعندئذ يتحول كل شيء إلى بخار في دائرة شعاعها خمسة كيلومترات، ويسبب هذا الانفجار تلوثاً قاتلاً، إذ تحمل الرياح القوية كميات كبيرة من الملوثات التي تظل تتساقط على مدى أيام وعلى بعد مئات الكيلومترات لتصيب الإنسان والحيوان والنبات بأمراض قاتلة.

وفي ديسمبر عام ١٩٨٣ م أعلن أول تقرير عالمي رسمي عن نظرية الشتاء النووي قدمه لفييف من العلماء الروس والأمريكان بعد بحوث دامت ثلاث سنوات، وقد تعززت هذه النظرية اليوم بكثير من البحوث العلمية الأخرى، ما جعلها في حكم المؤكدة، وآخر ما جدد تعزيز هذه النظرية، دراسة للأمم المتحدة قام بها خبراء من دول العالم، حذرت من الآثار المناخية والفيزيائية المحتملة لأي حرب نووية، وهو ما اصطلح على تسميته بالشتاء النووي، ومن يقول: (شتاء) يقول: نزول درجة الحرارة، فالعلماء والخبراء في شؤون الذرة يؤكدون أنه سيعقب أي حرب نووية انخفاض في درجة الحرارة عند خط الاستواء إلى ما دون التجمد، وهذا يعني أن الصقيع سيلف الأرض كلها، وهكذا ينعدم أثر الحياة النباتية والحيوانية والبشرية، ويرافقه الفترة الجليدية التي ستدوم بحسب افتراضاتهم نحو سنة، ونقص كبير في الأمطار، ونزول أمطار حمضية وزيادة الأشعة فوق البنفسجية وتآكل طبقة الأوزون، ما سيحدث خللاً كبيراً في توازن البيئة والمناخ، ولا يمكن أن تستمر الحياة الطبيعية للإنسان، ويفسر خبراء الذرة الشتاء النووي بأن الحرائق الكبرى الناتجة عن الانفجارات النووية ستبعث منها سحب ضخمة من الدخان الأسود، تحتوي جزيئات من المواد المشعة السامة، وأن هذه السحب الضخمة، ستمتص الضوء، وتحجب الشمس، فتغرق الكرة الأرضية في ظلام، ويانقطع ضوء الشمس عن الأرض تحدث تبدلات جيولوجية ومناخية، ومهما كانت بحوث هؤلاء الخبراء والعلماء دقيقة، فإنها لا تعبر عن حقيقة ما سيحدث نتيجة أي حرب نووية؛ لأن التصور والخيال يبقيان دون الواقع؛ ولا سيما إذا عرفنا أن تفجير ١٠٪ فقط من مخزون القنابل الذرية كافٍ لإحداث الشتاء النووي.

إن خطر الأسلحة النووية هو حقاً لعنة هذا العصر، وهو اجس الجيل الحالي؛ لأن الإنسان صار أسير ما صنع من أدوات الدمار، وأحاط بهواجس الرعب والدمار التي لا يمكن أن تفارقه ما دام يجلس على مخزون ذري رهيب،

إذا تحدثنا بإعجاب عن التقدم العلمي وعن الحضارة الإنسانية فلا يجب أن ننسى الجانب القاتم من هذه الحضارة، فبموازاة الذكاء الإنساني، والبراعة الإنسانية، والسمو الإنساني، هناك الجنون الإنساني والحمق الإنساني، فكيف تقبل هذه الإنسانية أن تستنزف الطاقات البشرية والموارد المادية على التسلح وتكديس وسائل الدمار الشامل في حين يعاني مئات الملايين من البشر الفاقة والعوز والمرض والجهل؟ لقد قال أحد رواد الفضاء الذين كانوا في مركبة أبولو في أثناء رحلتهم التاريخية إلى القمر عام ١٩٦٩ م: «إن الكون على اتساعه الرهيب لا يوجد فيه مكان صغير يمكن أن يلجأ إليه الإنسان، ويعيش فيه سوى كوكبنا الصغير، ومن الجنون أننا نسعى لتدميره».

لا بد أن يعي سكان العالم، ولا سيما سكان الدول النووية أنهم معنيون مباشرة بالحرب النووية، لكن ما يؤسف له حقاً، وما يبعث على الخوف، أن مليارات البشر لا يدركون خطورة ما يقوم به أباطرة الصناعات العسكرية الذرية الذين يجنون الفوائد المادية بأنانية مفرطة وحمق، وفي الوقت نفسه إن الأسلحة الذرية الفتاكة هي اليوم أخطر وأبشع إفرازات الحضارة البشرية العلمية والتكنولوجية، ويخشى أن يكون في هذه الإفرازات نقض هذه الحضارة نفسها، ولكن الأخطر من هذا كله استسلام مليارات البشر وعدم تحريك ساكن لوقف هذا الجنون، وكأن هذه المليارات غير قادرة على تغيير مجريات الأحداث أو التأثير فيها، مع أنها ستكون وقود هذه الحرب في صورة اندلاعها.

والسؤال الذي لا بد أن نطرحه هو: هل يكفي أن نعلق الأمل على اتفاقات نزع السلاح؟ طبعاً هذه الاتفاقات تمثل نجاحاً نسبياً على طريق السلام العالمي، ولكن هاجس الحرب الذرية المفاجئ يظل قائماً ما دام الوضع العالمي مهتزاً، والأنانية مهيمنة، والعدالة الاجتماعية لجميع سكان الأرض مفقودة، فالتعاون الدولي اسم بلا مسمى، والعنصرية سائدة، فكيف نطمئن وأمم العالم غارقة في هذه التناقضات؟ انتهى قول الخبراء العسكريين.

أقول:

يا سلام، سلّم ما أردت بنقل هذا الحديث تكدير الخواطر، ولكن عندما قرأته سجلته لأعلق عليه بما يسر إن شاء الله، وهو أنه فيما حفظناه من كتاب الله وحديث رسوله إشارات أن البشرية لن تهلك بساعات أو دقائق كما هو قولهم عندما يحدث التفجير النووي الرهيب، ونهاية العالم سيسبقها أحداث جسام، مثل: خروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وهذا بنص قرآني، وبقية الأحداث العظام: طلوع الشمس من المغرب، والدجال، والنار، ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، ذكرت وتواترت في السنة النبوية الشريفة.

مَنح الله للناس هذا العلم البشري في تفجير الذرة، وهل سيكون هذا العلم سبباً لهلاكهم؟ الله أعلم.. أو يفتح الله للناس من رحمته علماً يصاد هذه العلوم، وينهي شرها ووبالها، أو يهلك الناس ويأتي بآخرين، وإن كانوا يقولون: ما بعد الشتاء النووي حياة، ونحن نقول: هذا أمره إلى الله، نسأله أن يلفظ بعباده، ويحفظ الإسلام والمسلمين، ويجنب الإنسانية هذه الأهوال وهو قيوم السماوات والأرض.

### الخوارج وبطل القادسية

١٠٢٢

روى ابن مردويه أن رجلاً من الخوارج نظر إلى سعد بن أبي وقاص، وقال: هذا من أئمة الكفر، فقال له سعد: كذبت أنا قاتلت أئمة الكفر، وإذا آخر يقول: هذا من الأخسرين أعمالاً، قال له سعد: كذبت، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه.

أقول:

صدقتم يا صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذبوا، وصدقتم يا خال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذبوا، وصدقتم يا من رمى بأول سهم في سبيل الله، وكذبوا.

وصدقت يا بطل القادسية، وكذبوا، وأشهد أنهم آذوك، وآذوا أقرانك من الصحابة، ومن أذاكم آذى الله ورسوله والمؤمنين، والغريب أن هذه العينات لم تنقطع منذ ذلك العصر وإلى يوم الناس هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله أن يردهم إلى الحق، وإن كان في سابق علمه ضلالهم أن يجعلهم تحت الأقدام أبداً.

ما أحسن ذا إذا تم ذا!

١٠٢٣

قال العالم الفاضل الفضيل بن عياض للعالم الفاضل عبد الله بن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام كيف ذا؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علي، إنما أفعل ذا لأصون به وجهي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، ولا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به، فقال له الفضيل: ما أحسن ذا إذا تم ذا!

وأقول:

هذان العالمان طبقت شهرتهما الآفاق، وهما من أفتق خلق الله في دين الإسلام، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعمر بن العاص في الصحيح: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»<sup>(١)</sup>، فهذا القول النبوي الكريم أبلغ من قول الفضيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومصيبة المسلمين اليوم في بعض الدراويش المتبطلين، وهم يحسبون الزهد والعبادة بترك العمل لدينهم.

فلسطين والجيران

١٠٢٤

قال الشيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الفلسطيني لمجلة (المجتمع)

يوم ٨/٩/١٤١٠هـ:

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٤٦ رقم ١١٩٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/٣٥٥ رقم ٢٧٥٦).

دعني أذكر لك هذه الحادثة: كارتر الرئيس الأمريكي الأسبق حينما كان في الحكم، وكانوا يراجعونه في دولة فلسطينية كان يقول: أنا قابلت بعض القادة، ولم يقل لي أحد أن أعطي الفلسطينيين دولة، فلما خرج من الحكم جاء إلى عمان، واجتمع ببعض الشخصيات، وأنا لست منهم، وإنما حكى لي ذلك بعض الشخصيات الفلسطينية، قال لهم هذا، وقال لهم أكثر من هذا قال لهم: أنا أقول لكم: إن بعض القادة العرب والدول العربية طلبوا مني صراحة ألا أوافق على دولة فلسطينية، ماذا يعني هذا؟ يعني هذا أن بعض الدول العربية يشعرون بأن بقاءهم ونظامهم مضمون في ظل حكومة إسرائيل أكثر من وجود دولة فلسطينية أليس كذلك؟! هذا تحليله.

## صفيح لا صواريخ

١٠٢٥

قال الفريق حسن التهامي في (الشرق الأوسط) يوم ٢٠/١٠/١٤١٠هـ: وقف عبدالناصر يخطب في الجماهير في ذكرى ثورة ٢٣ يوليو، ويعلن قائلاً: «إننا نجحنا في مصر في تصنيع كل ما نريده من الإبرة إلى الصاروخ»، وهذه المقولة مشهورة ومعروفة لدى الجميع، وكان يقصد بذلك طمأننة المصريين إزاء إسرائيل إذا حاولت تهديد مصر، وظهر في العرض سيارات كبيرة تحمل صواريخ، ولعل المصريين من كبار السن يتذكرون أن هذه السيارات كانت تحمل نوعين من الصواريخ: الظاهر، والقاهر. وكلاهما كان بإمكانه الوصول إلى عمق إسرائيل، وقد اتضح فيما بعد أن هذه الصواريخ، التي كانت تحملها السيارات كانت من الصفيح المدهون بالطلاء الملون، ولم تكن صواريخ حقيقية، ولم يكن لمصر في ذلك الوقت صاروخ يصل مداه إلى خمسة كيلومترات، إنما كانت المسألة كلها عملية إعلامية ودعائية زائفة، وبعد اكتشاف تلك الخدعة بعام، ثار الرأي العام على مستوى عالٍ من المسؤولين في الدولة؛ ما أدى إلى ضرورة تصفية مجموعة الخبراء الألمان، وكل ما فعله هؤلاء الخبراء لا يخرج عن إطار البحوث، واستنفدوا ميزانيات ضخمة، ولم يصلوا إلى نتائج محددة ومفيدة (انتهى).

أقول:

الفريق التهامي متهم بالكذب، إلا في هذا الموضوع ربما يكون صادقاً، وأمره عجيب، وكان أحد ضباط الثورة المصريين، وكان محل ثقة عبدالناصر، والسادات، وعمل أميناً عاماً للمؤتمر الإسلامي، ثم تبين فيما بعد أنه هو الذي رتب لزيارة السادات المشؤومة إلى القدس، التي كان يجتمع فيها التهامي وديان، يجتمعان في المغرب سرّاً، ومن كذبه أنه ادعى في إحدى مقابلاته الصحفية أنه قال لديان وزير العدو الصهيوني: سأفقد عينك الأخرى. ونسوق هذه النادرة للفتكه والتندر على ما وصلت إليه أوضاعنا نحن العرب، ونحمد الله الذي لا يحمده على مكروهه سواه.

الدريهمات إلى أين؟!

١٠٢٦

قال الدكتور عبد الله الناصر الفوزان في الإمامة يوم ١٤/١٠/١٤١٠هـ: من المؤكد أن تعليمات (مؤسسة النقد العربي السعودي) تجيز للبنوك والشركات المصرفية المحلية ترحيل كامل موجوداتها خارج المملكة، ولو لم يكن الأمر كذلك لما سمحت المؤسسة لـ (شركة الراجحي) بإخراج (١٣,٨٤٦,١١٧,٠٠٠) مليار عشر ألف مليون ريال وثمانمئة وستة وأربعين مليون، وهو ما يمثل ٨٣٪ من موجوداتها البالغة ١٦,٧٠٠ ستة عشر مليوناً وسبع مئة ألف تقريباً.

صحيح أن ما سلكته (شركة الراجحي) ليس أمراً جديداً، وأن جميع بنوكنا المحلية ترحل بعض موجوداتها من النقود للخارج لاستثمارها هناك، وصحيح أن الشركة ليست هي الجهة الوحيدة التي تغطي مصروفاتها من الداخل بأرباحها من الخارج، وأن جميع البنوك المحلية تفعل هذا، ولكن من جهة أولى، فإن تلك البنوك لا ترحل موجوداتها بكثافة كبيرة، كما تفعل (شركة الراجحي)، ف (البنك العربي) لم يرحل للخارج في العام الماضي إلا ٧,٨٧٨,٠٠٠ مليار من الموجودات البالغة ١٥,٢٣٧,٠٠٠ مليار ريال.

و(السعودي الأمريكي) رَحَّل ١٢,٣٤٧,٧٦١,٠٠٠ مليار من موجوداته البالغة ٢٦,٥٤٤,٧٨٣,٠٠٠ مليار، و(البنك السعودي الفرنسي) رَحَّل ٩ مليارات تقريباً من موجوداته البالغة ١٨ ملياراً تقريباً، و(البنك السعودي الهولندي) رَحَّل ٥ مليارات ريال من موجوداته البالغة ١٠ مليارات تقريباً؛ أي النسبة التقريبية للمبالغ التي ترحلها البنوك من كامل موجوداتها في حدود ٥٠٪ وليس ٨٣٪ كما فعلت الشركة، ومن جهة أخرى فإن المبادئ والمنطلقات الكريمة التي قامت عليها (شركة الراجحي) تجعلنا نتشره عليها أكثر من غيرها، وتجعل نظرتنا لها أكثر فاعلية من نظرنا لغيرها. انتهى.

### أقول:

عسى ألا يكون مؤكداً أن نظام (مؤسسة النقد) يجيز هذا الترحيل كله، هذا ما نقوله لخبراء الاقتصاد بوزارة الاقتصاد، ولو كانوا أعلم بمثل هذه الأمور منا، وأما ما نقوله للكاتب فجزاك الله خيراً وأكثر من أمثالك، فالمواطن في حاجة إلى من يتلمس مواجعه وأحاسيسه، ويداوي عله، ومثل هذه الموضوعات يجب أن تأخذ نسبة ٢٠٪ على الأقل من الموضوعات المشغولة في الصحف بأخبار الفن والرياضة، وقال اللاعب فلان، وقال المغني علان، وقال الشاعر فلان، والمتشاعر فلان، وقال نزار قباني، وقال أدونيس، وأما قولنا لتجارنا جميعاً في هذه الشركة، ولا سيما أن أصحابها من أهل الخير، وغيرها، ف: اتقوا الله، اتقوا الله، اتقوا الله، ولا تقولوا ما لا تفعلون، أديروا أموال المسلمين في بلاد المسلمين الفقيرة في الزراعة والصناعة، واكتفوا بربح ١٠٪ سنوياً حلال بدل ٩٠٪ أو ٥٠٪ مشبوه، ولا يعجبكم كثرة الخبيث، فمضيره إلى النار والعار، وفي الماضي عبرة لمن اعتبر، والغريب يا (مؤسسة النقد)، أنني يوم الأحد ٢١/١٠/١٤٣٥هـ طلبت كشف حساب من (شركة الراجحي) ولم يسلموني الكشف إلا بعد شرطهم حسم ٢٥ ريالاً، علماً أنني من يضع عندهم مئات الآلاف، وقطعاً هم ونحن لا نرابي، فلماذا لا يقدمون هذه الخدمة الواجبة واللازمة التي لا تتم إلا بأجر؟ إني والله مشفق على هذه الشركة من هذا البخل المعيب!



من الأرض، فذهبت غير بعيد، ثم جاءت معها بجماعة من النمل... قال: فرفعتُ ذلك الشق من الأرض (أخفاه عن النمل)، فلما وصلت النملة برفقتها النمل إلى مكانه دارت حوله، ودُرِن معها فلم يجدن شيئاً، فرجعن، فوضعتُهُ (أعاده مرة أخرى)، ثم جاءت فصادفته فلم تطق رفعه، فذهبت غير بعيد، ثم جاءت بهن.... فرفعتُهُ (أخفاه للمرة الثانية) فدرن حول مكانه فلم يجدن شيئاً، فذهبن..... فوضعتُهُ (أعاده للمرة الثانية) فعادت فجاءت بهن فرفعتُهُ (أخفاه للمرة الثالثة)، فدُرِن حول المكان فلمَّا لم يجدن شيئاً تحلّقن حلقةً، وجعلن تلك النملة في وسطها، ثم تحاملن عليها فقططنها عضواً عضواً...<sup>(١)</sup> إنها نهاية نملة كذّابة... سبحان الله الخالق!

أقول:

هذا لا يستبعد وقوعه؛ لثبوت كلام النمل في القرآن، وثبوت أنه من الأمم في الحديث الشريف.

اللغة العربية

١٠٢٩

سأل محرر جريدة (المسلمون) الدكتور غازي القصيبي:

هل أنتم راضون عن وضع اللغة العربية، وأن هناك شكوى مستمرة من قواعد اللغة العربية، وهناك ضعف شامل في هذا المجال؟ فأجاب الدكتور: عندما أقرأ كتاباً مثل فقه اللغة للثعالبي، وأرى عشرات المصطلحات الدقيقة في كل موضوع تحدث عنه أسلافنا، وأرى فقر لغتنا اليوم أكاد أشرق بالدموع، عندما قرر الصهاينة اليوم إنشاء دولة لهم كانت اللغة العبرية لغة ميتة بعثوها بعثاً من المناجم، واستخدموا مفرداتها، حتى أصبحت لغة حية، أما نحن فقد ورثنا أكثر اللغات حياة، فبذلنا أعظم الجهد لقتلها، هل من المعقول أن يتخرج طالب في

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية (١/٢٤٣).

الجامعة دون أن يفتح المعجم مرة واحدة في حياته؟! أنا أعرف أناً حصلوا على درجة الدكتوراه في الأدب دون أن يكون في بيوتهم معجم واحد، والخطوة الأولى إذن هي أن نضع في يد كل طالب قاموساً يبدأ صغيراً مع المرحلة الابتدائية، ويتدرج مع تقدم الطالب، وأن تخصص ضمن مواد اللغة العربية مادة المعجم، ليكتشف كل طالب غنى لغته المذهل، الخطوة الثانية: هي تغيير طريقة تدريس القواعد، ولا أقول القواعد نفسها، نحن ندرس المهم مع غير المهم، فتختلط الأمور، ويختلط الحابل بالنابل، ولقد وجدت من تجربتي الخاصة أن بوسع المرء أن يكتب بلغة صحيحة وسليمة إذا أتقن عدداً محدوداً من قواعد اللغة العربية، الفاعل، والمفعول به، والمبتدأ والخبر، وإن وكان وأخواتهما، والجار والمجرور. هذه القواعد! تكفي لأن أكتب كتابة صحيحة بنسبة ٩٠٪ فماذا نفع الآن في تدريس القواعد؟ ندرس المفعول معه، والمفعول من أجله، وحتى التي مات جدنا اللغوي العظيم وفي نفسه شيء منها، فيضيع الطالب بين الأساسيات والفروع، لو كنت المسؤول عن تدريس القواعد لاكتفيت بهذه الأسس التي أشرت إليها، وخصصت سنة كاملة للمبتدأ والخبر، ولا شيء غيرهما، وسنة أخرى للجار والمجرور، وسنة ثالثة للفاعل والمفعول، وهكذا أفعل هذا، وأضمن لك أنك لن تجد كما تجد اليوم بين خريجي الجامعات من يقول لك: «انقسم الناس إلى فئتان» أو «جاء الرجال المسلمين»، حبذا لو جربت مدرسة واحدة، واحدة فقط هذه التجربة، يقيني أنها ستجد النتائج الرائعة، هذا لا يعني بطبيعة الحال إهمال بقية القواعد، كل ما يعنيه هو تحويل دراستها من فرض عين واجبة على الجميع، إلى فرض كفاية للمتخصص في اللغة العربية.

أقول:

القصيبي كان مسؤولاً وإدارياً ناجحاً ولا شك، وضعف الطلبة ليس في اللغة وحدها، بل في علوم كثيرة، وبعضهم - أي حاملي الشهادة الجامعية - لا يستطيع إعداد خطاب (يعني المعروض) يكتبه له من يفتersh الرصيف ليكتب للعجائز.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي (زاد المعاد):

ولما كان العاطس قد حصلت له بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المحترقة في دماغه التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواء عسرة، شرع له حمد الله على هذه النعمة مع بقاء أعضائه على التئامها وهيئتها بعد هذه الزلزلة التي هي للبدن كزلزلة الأرض لها، ولهذا يقال: سَمَّتْ، وشَمَّتْ بالسین والشين، فقيل: هما بمعنى واحد، قاله أبو عبيدة وغيره قال: وكل داعٍ بخير فهو مشمَّتٌ ومسمَّتٌ، وقيل: بالمهملة دعاء له بحسن السميت وبعودة إلى حالته من السكون والدعة، فإن العطاس يحدث في الأعضاء حركة وانزعاجاً، وبالمعجمة: دعاء له بأن يصرف الله عنه ما يُشمت به أعداءه، فشَمَّتَه: إذا أزال عنه الشماتة كقرد البعير: إذا أزال قراده عنه، وقيل: هو دعاء له بباته على قوائمه في طاعة الله مأخوذ من الشوامت، وهي القوائم<sup>(١)</sup>.

أقول:

ما أعظم دين الإسلام وما أشمله! حتى العطاس علمنا حكمه والقول فيه، حيث لم يترك محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طائراً يطير بجناحيه إلا أعطانا منه علماً، كما روي عن حبر الأمة ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وتقول العامة: «من عطس ما فطس».

لقد وقع بين المنصور وزوجه الحرّة شقاق بسبب ميله عنها، وطلبت العدل منه، فقال لها: بمن ترضين في الحكومة بيني وبينك؟ قالت: بأبي حنيفة، فرضي

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (٢/٤٣٨-٤٣٩).

هو به أيضًا، أحضره وقال له: يا أبا حنيفة، الحررة تخاصمني، فأنصفني منها، قال أبوحنيفة: ليتكلم أمير المؤمنين، قال: يا أبا حنيفة، كم يحل للرجل أن يتزوج من الناس، فيجمع بينهن؟ قال: أربع. قال: وكم يحل له من الإماء؟ قال: ما شاء ليس لهن من عدد، قال: هل يجوز لأحد أن يقول خلاف ذلك؟ قال: لا. فقال أبوجعفر: قد سمعت، فقال أبوحنيفة: قد أحل الله هذا لأهل العدل، فإن لم يعدل أو خاف ألا يعدل فينبغي ألا يجاوز الواحدة، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣] فينبغي لنا أن نتأدب بأدب الله، ونتعظ بمواعظه، فسكت أبوجعفر، وطال سكوته، فقام أبوحنيفة وخرج، فلما بلغ منزله أرسلت إليه خادمًا ومعه مال وثياب وجارية وحمار مصري، فردّها، وقال للخادم: أقرئها سلامي، وقل لها: إنما ناضلت عن ديني، وقمت ذلك المقام لله، لم أرد بذلك تقربًا إلى أحد، ولا التمسست به دنيا.

أقول:

بعض الرجال تكفيه واحدة، وعساه يتحملها، وبعضهم لا بد له من التعدد لعدله وقوة شخصيته ومقدرته الجسمية والمالية، وفي الصحابة الكرام له قدوة.

### إياك وشتم الصحابة

١٠٣٢

محمد الباقر من أئمة الشيعة الإمامية، اتفق على إمامته الإثنا عشرية، والإسماعيلية، وهما أشهر فرق الإمامية، وقد لقب بالباقر لأنه بقر بالعلم، وقد كان - مع أنه من آل البيت - لا يذكر الخلفاء الثلاثة بسوء، يروى أنه ذكر بحضرته أبو بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من بعض أهل العراق بسوء، فغضب، وقال مؤنبًا: أنتم من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم؟ قالوا: لا، قال: أنتم من الذين تبوءوا الدار والإيمان؟ قالوا: لا، قال: ولستم من الذين جاؤوا من بعدهم

يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] قوموا  
عني لا قرب الله داركم تقرّون بالإسلام، ولستم من أهله!

أقول:

لعل شيعة هذا العصر الذين يطلبون الحق أن يقرّوا مثل هذا الحق،  
فيكفّون عن سب الأخيار من السلف والخلف.

### أقسام العلم

١٠٣٣

قال الفقهاء: العلم طبقات: الأولى، الكتاب والسنة، والثانية، الإجماع فيما  
ليس كتاباً ولا سنة، والثالثة، أن يقول الصحابي فلا يعلم له مخالف، والرابعة،  
اختلاف الصحابة، والخامسة، القياس.

### هذا هو الدهاء

١٠٣٤

كان المهلب بن أبي صفرة الذي كان في العصر الأموي ترساً للجماعة  
الإسلامية يقيها مهن، يتخذ الخلاف بينهم ذريعة لتفريقهم، وخضد شوكتهم  
والفل من حدتهم، وإذا لم يجدهم مختلفين دفع إليهم من يثير الاختلاف بينهم،  
يحكي ابن أبي الحديد أن حداداً من الأزارقة كان يصنع نصالاً مسمومة، فيرمي  
بها أصحاب المهلب، فرفع ذلك إلى المهلب، فقال: أنا أكفيكموه إن شاء الله،  
فوجه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطري بن الفجاءة قائد  
الخوارج، فقال له: ألق هذا الكتاب في العسكر والدراهم، واحذر على نفسك،  
فمضى الرجل، وكان في الكتاب: أما بعد، فإن نصالك قد وصلت إلي، وقد وجهت  
إليك بألف درهم، فاقبضها، وزدنا من النصال، فرفع الكتاب إلى قطري، فدعا  
الحداد، فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: لا أدري، قال: وهذه الدراهم؟ قال: لا أعلم

بها، فأمر به فقتل، فجاء عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة، فقال: قتلت رجلاً على غير ثقة وتبين! قال قطري: إن قتل رجل في صلاح الناس غير منكر، وللإمام أن يحكم بما يراه صالحاً، وليس للرعية أن تعترض عليه، فتنكر له عبد ربه في جماعة معه، ولم يفارقوه، وبلغ ذلك المهلب، فدس إليهم رجلاً نصرانياً جعل له جعلاً يرغب في مثله، وقال: إذا رأيت قطرياً فاسجد له، فإذا نهاك، فقل: إنما سجدت لك، ففعل ذلك النصراني، فقال قطري: إنما السجود لله تعالى، فقال ما سجدت إلا لك، فقال رجل من الخوارج: إنه عبدك من دون الله، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. فقال قطري: إن النصراني قد عبدوا عيسى ابن مريم، فما ضر عيسى ذلك شيئاً، فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله، فأنكر قطري ذلك عليه، وأنكر قوم من الخوارج إنكاره، وبلغ المهلب ذلك، فوجه إليهم رجلاً يسألهم، فأتاهم الرجل، فقال: رأيتم رجلين مهاجرين إليكم، فمات أحدهما في الطريق، وبلغ الآخر إليكم، فامتحنتموه، فلم يجز المحنة، ما تقولون فيهما؟ فقال بعضهم: أما الميت فمن أهل الجنة، وأما الذي لم يجز المحنة فكافر حتى يجيز المحنة، وقال قوم آخرون: هما كافران، فكثير الخلاف واشتد، وخرج قطري بن الفجاءة إلى حدود إصطخر، فأقام شهراً القوم ما زالوا في خلافهم!

### الجنس اللطيف والحرب

١٠٣٥

قال الفريق يوسف عفيفي في مذكراته وهو أحد أبطال حرب رمضان ١٩٧٣م: في إحدى المرات زارت الفرقة مجموعة من نساء المجتمع لرفع الروح المعنوية للجند، بصراحة خفت من هذه الزيارة؛ لأنه من المفترض أن يذهبن إلى القرى لزيارة أهالي المقاتلين، وأردت أن ألقنهن درساً، فقامت بإعداد بيان عملي لهن يوضح تعاون الدبابات مع المشاة، وأجلستهن في مهب الريح (تحت الريح)

وبدأ تحرك الدبابات، وفوقها جنود المشاة أمامهن، وبدأ قفز أفراد المشاة أمام الدبابات المثيرة للغبار والدخان الكثيف مع صوت المتفجرات والطلقات لتصوير جو المعركة، ففسدت ملابسهن ووجوههن، واختلطت كل الألوان، وقام بعضهن بالصراخ، فقال: هل جئتن إلى هنا لرفع معنويات الجنود، أو لتصرخن لمجرد وجود دخان وتراب وأصوات الانفجارات؟ هل جئتن لرفع معنويات الجنود، أم لخفضها؟ إن مكانك هناك عند أهالي المقاتلين، ومن يومها لم يزرن المعسكرات مرة ثانية.

أقول:

عفيضي هذا، ذكر أنه يصيبه النعاس في الحرب، وفي الحديث الشريف: النعاس في الحرب رحمه من الله بنص الآية الكريمة في سورة الأنفال: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ [الأنفال: ١١]، وفي الصلاة من الشيطان، وقد أحسن هذا العسكري الحازم صنعاً مع جيهان وحزبها المترجل، وأعلمها أن مكان المرأة وجهادها في بيتها ومحيطها، وهو عمل لا يقل شرفاً عن عمل الرجل، وفي الوقت نفسه لا يستطيع الرجل القيام به، ولم يهيئه الله له، ولا يمط أحد شفتيه، ويقول: الزمام رجعي، فأقول له: جرب، واجلس مع الأطفال ساعة، وسترى ما أقول، هذا عدا الحمل والولادة، فالنساء فيما يسره الله لهن بطولات مثل بطولة الرجال، وإياك أن ترفع صوتك، وتحك فروة رأسك، وتذكر بعض نساء الإسلام، وأنهن شاركن الرجال في بعض المعارك، كعائشة أم المؤمنين، والمازنية، وبنات الأزور، وشجرة الدر، ومن غير الإسلاميات: غاندي، ومائير، وتاتشر. ونردّ عليك بأن هذا نادر، والنادر لا حكم له، فالإسلام حدد مكان المرأة ومجال عملها، وهو البيت وشؤونه، وتدرّيس بنات جنسها وتطبيبهن، ومن خالف ذلك فهو ظالم لنفسه وظالم للمرأة.

هي طائرة رئيس أمريكا أمر بتجهيزها ريجان عام ١٤٠٨هـ، ركبها خلفه بوش ١٤١٠هـ بوينج ٧٤٧، بها غرفة نوم بسريرين، وحمام بدش خاص بالرئيس، ومكتب به كرسي دوار وطاولة، ومزودة بوحدة طبية كاملة يستطيع أطباء الرئيس إجراء جراحة عاجلة، وبها ٨٥ تليفوناً، وسبعة حمامات غير حمام الرئيس، وتلفزيونات عدة ملونة، وتستطيع حمل ٢٠٠٠ وجبة طعام والطيران مدة أسبوع في الجو دون الحاجة إلى الوقود، بل تزود بالوقود من الجو، وهي صممت في الأساس ليستخدمها الرئيس في إدارة البلد من الجو إذا تعذر عليه النزول في الأرض بسبب حرب عالمية لا قدرها الله. عن وكالة رويتر يوم ٢٣/٣/١٤١١هـ.

### أقول:

أتعلم أيها القارئ الكريم، أن هذا آخر ما وصل إليه علم النقل في يوم الناس هذا! ولو قلت لك: إن الإنسان حصل على أعظم من ذلك قبل الميلاد! نعم، قبل ميلاد عيسى عَلَيْهِ السَّلَام! ربما رفعت حاجبيك مستكراً هذه المعلومات، وتقول: هل الإنسان وصل في العلم قبل الميلاد إلى هذا! وأقول لك: نعم، إنه ملك نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام الذي ثبت بنص القرآن الكريم أنه لن يحصل على مثله أحد من بعده، إذ يقول الله تعالى عنه: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٣٥) فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُفَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿ [ص: ٣٥-٣٦] ويقول المفسرون: إن مركز سليمان عَلَيْهِ السَّلَام يتسع لستين ألف راكب مع ما يلزمهم في الفضاء، ولولا الإطالة عليك لزودناك من هذه المعلومات التي تثبت أن الله تعالى أعطى للأمم السابقة من العلم والقوة أعظم من الأمم اللاحقة.

قال بعض الفقهاء: الناس عندنا على ثلاث منازل (الأنبياء) من أهل الجنة، ومن قال الأنبياء: إنهم من أهل الجنة، فهو من أهل الجنة، والمنزلة الأخرى: (المشركون) تشهد عليهم أنهم من أهل النار، والمنزلة الثالثة: (المؤمنون) نقض عنهم، ولا نشهد على واحد منهم أنه من أهل الجنة، ولا من أهل النار، ولكننا نرجو لهم، ونخاف عليهم.

أقول:

كما قال الله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] حتى يكون الله عزَّجَلَّ يقضي بينهم، وإنما نرجو لهم؛ لأن الله عزَّجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وتخاف عليهم بذنوبهم وخطاياهم، وليس أحد من الناس أوجب له الجنة، ولو كان صواماً قواماً غير الأنبياء، ومن شهدت له الأنبياء أنه من أهل الجنة.

جاء في تاريخ بغداد عن أبي يوسف:

«سمعت أبا حنيفة يقول: وإذا كلمت القدري فإنما هو حرفان إما أن يسكت، وإما أن يكفر، يقال له: هل علم الله في سابق علمه أن تكون هذه الأشياء كما هي؟ فإن قال: لا، فقد كفر، وإن قال: نعم، أفأراد أن تكون كما علم، أو أراد أن تكون بخلاف ما علم، فإن قال: أراد أن تكون كما علم، فقد أقر أنه أراد من المؤمن الإيمان، ومن الكافر الكفر، وإن قال: أراد أن تكون بخلاف ما علم، فقد جعل ربه

متمنياً متحسراً؛ لأن من أراد أن يكون ما علم أنه لا يكون، أو لا يكون ما علم أنه يكون فإنه متمن متحسر، ومن جعل ربه متمنياً متحسراً فهو كافر<sup>(١)</sup>.

سعد زغلول زعيم مصري شهير، زاره مراسل جريدة (الديلي ميل) البريطانية، وروى الصحفي لسعد أن جورج لويد المندوب السامي البريطاني قال له: الغريب إن صحة سعد زغلول تتحسن في الأزمات، فأجابه سعد: إذن الله يديم لنا وجوده، ثم أردف الصحفي: إنك يا باشا، تدخن كثيراً، فنهره سعد قائلاً: وما دخلك في ذلك؟ قال: سألت الناس أين ألقاك؟ قالوا: تجده في بيت الأمة. وسألت ما يعني هذا الاسم؟ قالوا: سعد زعيم الأمة، وبيته بيت الأمة، ومعنى هذا كله أن كل ضرر يصيبك يصيب أمتك. فحملق به سعد، وشفط السيجارة شفطة طويلة، وأطفأها قائلاً: هذا فراق بيني وبينك، ولم يدخن بعدها.

أقول:

سعد زغلول من أرجح الناس عقلاً، وكل مدخن يضر نفسه، ويضر أهله، والعاقل الحصيف يجب أن يقلع عن التدخين فوراً وبجدية، ولا يلتفت إلا إلى المصلحة الدينية والدنيوية، فهو شر كله، وليس فيه منفعة لا قليلة ولا كثيرة، بل كله خبيث، وإذا كنت ممن يتعاطاه فاحزم أمرك، وانبذه تحصيئاً لدينك وصحة لبدنك وحفظاً لمالك، وقل لنفسك:

والنفس كالطفلٍ إن تهمله شبَّ على حبِّ الرضاعِ وإن تطفمته ينفطمِ

أي والله، إن النفس كالطفل، فاحزم أمرك، وتوكل على ربك، واسأل الله أن يعينك عليها.

(١) انظر: تاريخ بغداد (١٣/٢٨٢-٢٨٣).

جاء رجل إلى مسجد الكوفة يوم الجمعة يسألهم عن القرآن: أهو مخلوق؟ وأبوحنيفة غائب بمكة، فاختلف الناس في ذلك، واللّه ما أحسبه إلا شيطاناً تصور في صورة الإنس حتى انتهى إلى حلقتنا، فسألنا عنها، وسأل بعضنا بعضاً، وأمسكنا عن الجواب، وقلنا: ليس شيخنا حاضرًا، أو نكره أن نتقدم بكلام حتى يكون هو المبتدئ، فلما قدم أبوحنيفة قلنا له بعد: إنه وقعت مسألة، فما قولك فيها؟ فكأنه كان في قلوبنا، وأنكرنا وجهه، وظن أنه وقعت مسألة معينة، وأنا قد تكلمنا فيها بشيء، فقال: ما هي؟ قلنا: كذا وكذا. فأمسك ساكنًا ساعة، ثم قال: فما كان جوابكم فيها؟ قلنا: لم نتكلم فيها بشيء، وخشينا أن نتكلم بشيء، فتنكره، فسُرِّي عنه، وقال: جزاكم الله خيرًا، احفظوا عني وصيتي: لا تكلموا فيها، ولا تسألوا عنها أبدًا انتهوا إلى أنه كلام الله عزَّجَلَّ بلا زيادة حرف واحد، ما أحسب هذه المسألة تنتهي حتى توقع أهل الإسلام في أمر لا يقومون، ولا يقعدون معه.

أقول:

هي من أعظم الفتن، التي أبتلي بها الإسلام والمسلمون.

تقدم دراسة أجرتها جامعة متشيجان الأمريكية نصيحة جديدة للرجال الأعزاب الذين يطمحون في ازدياد دخولهم في الترقى على درجات السلم الوظيفي والمهني، تقول الدراسة: تزوجوا، فإن الرجال المتزوجين يكسبون أجورًا أعلى بنسبة ٦, ٣٠٪ من الأعزاب، وقال روبرت شويني وهو طالب يحضر لنيل

الدكتوراه في مركز الدراسات السكانية في الجامعة: إن المتزوجين تزيد دخولهم على الأعزاب في دول أخرى عدة غير الولايات المتحدة، وأضاف شويني: إن متوسط عائدات المتزوجين من الرجال أعلى بصورة ثابتة من عائدات نظرائهم غير المتزوجين في كل الدول التي تناولناها بالدراسة، وهذه الظاهرة موجودة حتى مع أخذ التعليم والعمر أو الخبرة والأصل العرقي في الحسبان، وقدم شويني ثلاثة تفسيرات محتملة لذلك (أولها): إن أصحاب العمل يميلون أكثر إلى توظيف الرجال المتزوجين وترقيتهم؛ لأنهم يعدّونهم أكثر استقراراً وأكثر تعاملًا مع المجتمع، و(ثانيها): إن النساء يملن إلى الزواج من رجال ناجحين ماليًا، و(ثالثها): إن الرجال المتزوجين يشعرون بمسؤولية تجاه الزوجة والأطفال، ويصبحون أكثر إنتاجية.

وقال الباحث: إن المعلومات المتوافرة لا توضح ما التفسير الصحيح، وإن كانت التفسيرات الثلاثة تؤدي دورًا.

هذا ما ذكرته صحيفة (الرياض) في يوم ١٦/٦/١٤١١هـ.

### وأقول:

التفسير صحيح ١٠٠٪ ودليلنا من ديننا الإسلامي قبل ١٤١١هـ سنة من اكتشاف الخواجات لذلك، وهذا الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه يقول عن الآية الكريمة: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢]: إن هذه الآية هي وعد من الله بالغنى لمن تزوج، ولكن هذه النادرة نهدى لمن يؤخرون الزواج، ويدعون إلى تأخره بحجج واهية وأدلة غريبة، ونقول: القوم هناك اعترفوا بالحق، وشبابنا وشاباتنا أولى من هؤلاء بالاعتراف، فهيا إلى الزواج، فبلدكم بحجم قارة، فيها خير الدنيا والآخرة: (الأول) في الشرق، وهو البترول. (الثاني) في غربها وهي مكة والمدينة، والذئاب تحاول نهشها، ولا عاصم لها إلا الله، ثم قوة أهلها وكثرتهم، فهيا يا رجال، املؤوها بالرجال، وعلموهم الرجولة والبطولة، وليست النعومة والكورة.

قال العلماء: إن نحو ٧٠٪ من وزن الجسم من الماء، وإن متوسط وزن الماء في جسم الرجل البالغ يصل إلى ٤٥ كيلوجراماً، وإن ٢٠٪ من وزن العظام ماء، وإن بلازما الدم ٩٥٪ منها ماء، ولا يستطيع الجسم أن يعيش دون ماء، وإن الماء يحمي المخ من الصدمات، وعظامنا ومفاصلنا يحميها من الهزات التي يتعرض لها الجسم بسبب احتكاكها بالأشياء الصلبة من حولنا، ويقول العلماء: إن الانسان العادي يشرب يومياً لتراً إلى لترين، مع العلم أن الجسم يحتاج إلى عشرة لترات، ولكن الله مدّه بالتعويض من الغدد اللعابية لترطيب الفم ولعملية الهضم، والمعدة تنتج مثل ذلك عن طريق العصارات التي تفرزها، وينتج البنكرياس والكبد والأمعاء مثل ذلك.

باختصار من تقرير لأحد خبراء (منظمة الصحة العالمية) يوم

١٠/١٠/١٤١١هـ.

أقول:

كل يوم يزيد إيمان المسلم بالله وبرسوله وبكتابه؛ لأن أهمية الماء جاء النص عليها في القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] وتشديد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونهيه عن منع الماء عن ابن السبيل، وأن سقي الماء من أفضل القربات عند الله، والله إن المسلم حين يقرأ مثل هذه البحوث والتقارير، وهي تصدر في الغالب من علماء غير مسلمين يرجو من كل قلبه أن يطلع هؤلاء العقلاء على كتاب الله وسنة رسوله الكريم، فسيجرّهم علمهم إلى الإيمان والإسلام؛ لأن غالبيتهم من أولي الأبواب، وصدق الله العظيم، إذ يقول: ﴿سُرِّيهِمْ أَيَّتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٥٣] الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

قال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] هو الرجل الذي يشتمه أخوه، فيقول: إن كنت كاذباً فغفر الله لك، وإن كنت صادقاً فغفر الله لي. وعن علي بن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه سبَّه رجل، فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعده من الله عَزَّوَجَلَّ، وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى المدح بعد الذم، اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير.

أقول:

نسأل الله أن يوفقنا وجميع المسلمين إلى تذكر مثل هذه المواضع النبيلة عند الغضب، وخاصة إذا كان الغضب صادراً من صديق أو قريب أو على صديق أو قريب؛ لأنه سيندم، وتندم عندما ترد إليه السيئة بمثلها أو الصاع صاعين، كما تقول العامة. ويروى عن حكيم بريدة ورئيسها في وقته فهد العلي لرشودي رَحِمَهُ اللهُ قَوْلَهُ: إذا غاضبك أحد، فلا ترد عليه واترك المجلس، وبعد يومين ستعود إلى الرشد أنت وهو.

لا تستغرب هذا العنوان، فهو حقيقة واقعة وفي أرقى الدول حضارة في عصرنا الحاضر. أمريكا، نعم إنها حضارة المادة فقط، في صحف يوم ٢١/١١/١٤١١ هـ جاء هذا الخبر: (د. شارك ماكاربي) طبيب في مدينة بوسطن الأمريكية وضع لافتة في عيادته تحمل عبارة (صديق الكلاب) فهو يحتفظ بأكثر من مئة كلب

وقطاً! وصف الرجل بالجنون، وسخر منه جيرانه، ولكن رد عليهم بقوله: إن له ابنة تبلغ ١٦ عاماً ذهبت إلى السوبر ماركت لشراء متطلبات البيت، وعند عودتها هاجمها شابان يحاولان خطفها، وطبعاً تم الاعتداء عليها، وصرخت تطلب النجدة من المارّة، ولم ينجدها أحد؛ ليس لأنه لا يوجد أحد، بل وُجد الناس، ولكن عناية الله، ثم مجموعة من الكلاب والقطط دخلت في معركة مع الشابين، وأنقذت المسكينة، يقول الدكتور: لذا رأيت من واجبي رد الجميل للحيوان الوفي.

أقول:

قرأت قبل ذلك مقالة للدكتور غازي القصيبي، ذكر أنه كان يطل من شباك منزله أيام الدراسة في أمريكا، ورأى شاباً يعتدي على شابة، وهي تصرخ والناس ينظرون، ولا يحرك أحد ساكناً، ويقول: إن أحدهم أوصل والده في سيارته إلى مكان ما، وطلب من والده الأجرة، ولا ننسى أن القرآن وصف الإنسان الخالي من الإيمان بالله والإسلام كالأنعام أو أضل سبيلاً، ووصف قلبه بالحجارة أو أشد قسوة، ومن يكذب بهذا أو يشكك فليقرأ ما فعله الطغاة والجبابرة في بني جنسهم، وفي لندن تعرضت فتاتان بريطانيتان اختطفنا من أمام مطاعم ماكدونالد لحادث اغتصاب جماعي على مرأى وحشد من الناس. وقد شاهد الحادث نحو ٢٠ شخصاً، حيث قام ستة شباب باغتصابها في أحد الأزقة، وقد صرح أحد الضباط البريطانيين حول الحادث، فقال: مع الأسف صادفت حوادث مثل هذا من قبل، ولكن عدد المتفرجين في هذه المرة غير عادي! هذا ما تناقلته الصحف اليومية يوم ١٣ رجب، ١٤١٤هـ.

إنّ ذلك والله يترفع عن فعله أقسى الحيوانات وأخسها.

أكل عيش

١٠٤٥

قال الكاتب الإسلامي محمد السمان في صحيفة (اليمامة) يوم ٢١/١٢/١٤١١هـ: في حياتنا المعاصرة حملة أقلام لا يحتملون أمانة الكلمة، ولا

تجمعهم ضمائرهم على اعتبارها، والكلمة لا تقدر بفصاحتها، ولا بلاغتها، وإنما تقدر بما تتضمنه من صدق وأمانة، وأكثر النماذج في الصحافة والإعلام.

ومن هذا النوع كاتب عرفته طالباً في (جامعة الأزهر)، فبعد تخرجه أجاد فن التسلق، إذ يلبس لكل موجة سياسية لبوسها ما دامت في الحكم، فقد رأيت له في السوق كتاباً يحمل عنوان (خالد بن الوليد) وصدوره بهذه العبارة: «لقد أوصاني أبي قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى أن أقتدي في حياتي باثنين: خالد بن الوليد، وجمال عبد الناصر» ولقيته، وقلت له: ألا تخجل؟! لقد توفي والدك قبل مولد عبد الناصر؟ فابتسم، وقال: كم غيرك يعلم ذلك، دعنا يا أخي، نأكل عيشاً.

أقول:

هؤلاء في عصرنا كثير، نسأل الله أن يكونوا قليلاً، وأحدهم قال في ندوة تلفازية عقدت عن موضوع تحديد النسل، وأصغى المذيع، وقال: هل تريدون أدلة الإباحة وأدلة المنع؟ لهذا شدد الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون المسلم شجاعاً، وأن يوطن نفسه على أن يتبع الحق، ولا يكون إمعة. يقول: «إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم: إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أسأؤوا فلا تظلموا»<sup>(١)</sup> ويقول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يعجبني الرجل إذا سيم خطة لا يريد أن يقول بملء فيه، وكل هذه الأمور مرجعها إلى التربية الإسلامية الصحيحة.

تنقية ثورية

١٠٤٦

أعلنت وزارة الصناعة في اليابان عن رصد مبلغ ١٧٠ مليون دولار لصناعة علاج أشبه بالسفينة يدخل جسم الإنسان، ويدور بالشرابين يشبه المضادات

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٤/٤ رقم ٢٠٠٧)، وقال: حديث حسن غريب. بينما ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٦٢٧١).

الحيوية، والوزارة جادة في صناعة هذه المحركات المصغرة إلى أقصى الحدود الممكنة، وهذه المحركات ستعتمد على شطائر دقيقة لا تُرى بالعين المجردة، ومعها إمكانات ترميم وإصلاح لا يمكن تصورها حالياً، ويقول نائب الوزارة اليابانية: إنها تقنية ثورية، وستستخدم تجارياً في العشر سنوات القادمة، وستدور هذه الآلة مبرمجة وقادرة على التجوال بجسمك حاملة معها وسائل العلاج، وما على الأطباء إلا الوقوف أمام شاشات التلفاز لمتابعة نشاطها دون الحاجة إلى مشرط طبيب.

أقول:

هذا الكلام اختصرته من مقال مطول من مجلة طبية متخصصة في تاريخ ١٠/١/١٤١٤هـ، وهو فتح من الله لعباده، والقوم أدلجوا، ونمنا، وشبابهم يعمل في اليوم ١٥ ساعة، وفي الأسبوع ستة أيام، وبعض شباب العرب والمسلمين يلهو ستة أيام، ويعمل يوماً، وهناك من المخترعات الحديثة لو حدثت بها من عاش قبل خمسين سنة؛ أي في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري لاتهمك بالجنون، بمعنى لو قال الرجل: إنك تتنفس في مصر، ويسمع نفسك من في نجد والحجاز، مثل مذياع الراديو، ولو قلت لآخر: إنك ستجلس في منزلك، وتشاهد من يلعب الكرة بالمشرق أو المغرب من داخل صندوق حديدي لاتهمك بالجنون، وصدق الله، إذ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

معجون أسنان الرئيس

١٠٤٧

عن جريدة (الرياض) يوم ٢٥/١٢/١٤١١هـ:

جاء في مذكرات زوجة الرئيس الأمريكي ريجان ما يلي: بعد شهر من إقامتنا بالبيت الأبيض شعرت بالدهشة عندما بعث إلينا مكتب الحاجب بفاتورة طعامنا، ولم أكن أدري أن الرئيس وزوجته يتعين عليهما دفع ثمن كل وجبة في

البيت الأبيض، علاوة على دفع ثمن الكواء ومعجون الأسنان، ويتعين على الرئيس وزوجته دفع ثمن وجبات ضيوفهما ما لم يكن هؤلاء ضيوف في مهمة رسمية، ومن حسن الحظ، فإن مادب العشاء الرسمية تتحمل وزارة الخارجية الأمريكية تكلفتها.

أقول:

هذا هو الذي جعل الشيخ الغزالي في إحدى محاضراته ينهر أحد الحضور حين لام الشيخ على مدحه الإدارة الغربية بقوله: اسمع يا هذا، أنا لا أمدح فجورهم ولهوهم وكفرهم، ولكن أمدح نظامهم الإداري والمالي، فهو يشبه إلى حد كبير نظام الخلافة الراشدة الصارم، فلا يُعيّن المسؤول إلا إذا كان كفتاً، ولا يصرف المال العام إلا في وجهه، وماذا تقول في رفض الجمعية الوطنية الفرنسية طلب زيادة راتب زوجة الرئيس ديغول وهو منقذها بعد الله في الحرب العالمية الثانية، واضطرت زوجته إلى بيع أثاث بيتها عام ١٩٨١م، وما نقول في الوزير السويدي فلان الذي استقال بسبب ظهور الثراء الفجائي على أحد أقاربه؟ أما عندنا فزوجة السادات خصص لها قصر تسكنه، ولا تستعمله، بل إن أكثر وقتها في أمريكا تحاضر بجامعاتها.

أقول:

مرة أخرى: الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها إن وجدها عند الغرب أو الشرق.

الصلاة علاج للظهر

١٠٤٨

أكدت دراسة طبية، أجراها العالم المصري الدكتور شفيق الزيات الأستاذ بجامعة نيفادا الأمريكية، أن الصلاة علاج طبيعي لآلام الانزلاق الغضروفي، وأوضح العالم المصري الزيات أن الحركات التي يؤديها المصلي تعمل على تحريك الفقرات وتثبيتها، وتحريك أربطة الركبة الداخلية، وتبين أن الصلاة تخفف

الآلام التي تحدث في الفقرات القطنية الموجودة أسفل العمود الفقري، وتقوي عضلات البطن.

أقول:

حينما قرأت هذا التقرير الذي نشر يوم العاشر من محرم ١٤١٢هـ ذكرت قول الله تعالى: ﴿ سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]. الشاهد على صدق ذلك أن المواظبين على الصلاة في أوقاتها لا يشكون من مثل هذه الأمراض على الإطلاق، فهيّا اعقد العزم على طاعة النعمة المسداة والرحمة المهداة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأدِّ الصلاة خاشعاً لله متمّاً ركوعها وسجودها، واركع مع الراكعين؛ لكي يحييك الله حياة طيبة في الدنيا وفي الآخرة.

### ثور النائب الإنجليزي

١٠٤٩

كتب الصحفي اللبناني الساخر (جهد الخازن) في (الحياة) ٣٠/١٢/١٤١١هـ يقول: كان هناك مؤتمر عن الخدمات التي تقدمها الحكومة البريطانية إلى مواطنيها، وتعاقب الخطباء على المنصة، وكل واحد يشرح الخدمات في مجال اختصاصه، فواحد تحدث عن الخدمة الصحية، وآخر عن التعليمية... إلخ.

وقام النائب المحلي، وقال للحاضرين: كلما سمعت كلامكم عن هذه الخدمات التي تقدمها الحكومة للمواطنين تذكرت ثوراً كانت أسرتي تملكه، وأنا صغير، قال: أنا من أسرة مزارعين شمال يوركشير، وكانت الأسرة تملك ثوراً هائل الحجم، وفاز في الجوائز المحلية، واشتهر الثور في المنطقة وكل يزورنا يطلب خدمات البطل لبقراتهم، يقول: وكانت العادة أن يأخذ أبي الثور لمزرعة طالب الخدمة ليقوم الثور بذلك، وطلبت من الوالد أن أذهب معه، فتهرني بقوله: إنك صغير، وطلب أحد الجيران الثور، وقال الوالد: جر الثور لمزرعة

الجار. يقول النائب: ذهبت بالثور، وطلبت من جارنا أن يسمح لي بأن أتفرج على الخدمة التي يقدمها الثور للبقرة، فنهزني، وقال: أنت صغير، يقول: تركت الثور، وعدت كسيف البال، وأريد أن أعرف الخدمة التي اشتهر بها الثور، يقول: واحتلت، وذهبت إلى المزرعة من الخلف أنظر من بين خشبات السور لأرى ما الخدمات التي يقدمها هذا الثور للبلدة... ذهلت عندما رأيت الخدمات التي يقدمها الثور، وبقيت في ذهني كلمة خدمات حتى دخولي البرلمان، ولتعظيم أهل مقاطعتنا الزراعية لأمر خدمات ثورنا، والآن كلما سمعت كلمة (خدمات) التي تقدمها الحكومة لنا، أتذكر ثورنا وخدماته لبقرات منطقة شمال يوركشير.

أقول:

إن رضا الناس غاية لا تدرك، هذا كلام إنجليزي لديه الخدمات منذ مئات السنين، ويستطيع أن يحصل على جميع حقوقه، حيث يستطيع أن يقول مثل هذا الكلام في البرلمان. ولم يرض عن حكومته، فكيف في الدول النامية التي تزحف الخدمات إليها؟ بعضها في أول السلم، وبعضها في وسطه، وبعضها لم تبدأ!

مستقبل الطب

١٠٥٠

أكد خبير في جامعة طوكيو اليابانية ورئيس فريق البحوث الياباني، الذي يضم الآلاف من العلماء والباحثين في الجامعة البروفيسور (إيواو نوعيماسا)، أن التكنولوجيا المجهرية ستسهم خلال السنوات العشر المقبلة في تغيير وجه الحياة على الأرض بشكل جذري، وقال: إن هذه التكنولوجيا ستسهم في القضاء بشكل فاعل على كثير من الأمراض التي تقتك بالإنسان: مثل السرطان، وأمراض القلب، وتصلب الشرايين، وغيرها. وأضاف أنه يقوم منذ ثلاث سنوات بتصميم روبوت مجهري يتم حقنه في مجرى الدم بالجسم، ثم يقوم بتنفيذ الأوامر الصادرة إليه من الخارج، وقد وضع مركز بحوث جامعة طوكيو للتقدم

العلمي والتكنولوجيا جميع إمكاناته لتنفيذ هذا المشروع الذي تسانده المؤسسات الإلكترونية العملاقة في اليابان.

أقول:

هذا ما يفعله شباب اليابان، أما معظم شباب العرب والمسلمين فبين اللهو أو الكرة.

### سَلَطَ اللهُ الظَّالِمِينَ عَلَى الظَّالِمِينَ

١٠٥١

كتب الدكتور هاني الراهب في (صوت الكويت) يوم ١٢/١٢/٥هـ يقول:  
الذين يزورون الكويت منذ إجلاء الجيش العراقي عن أراضيها سيسمعون دون شك تسمية جديدة هناك نبتت من قلب الحرب، هذه التسمية هي (ميل الموت) إنها تسمية سينمائية إلى حد كبير، فالذي يسمعها للوهلة الأولى لن يجد في نفسه اهتماماً كبيراً بها، لكن إذ تصادف وزرت (ميل الموت) هذا فسيبقى في ذاكرتك متراً متراً، وأحياناً بالسنتيمتر، إنه يقع إلى الشمال من مدينة الجهراء عند نقطة تكون المساكن والعمارات قد اختفت منها، ولم يبق سوى الأرض الشاحبة المتجهة شمالاً إلى العراق.

بوسعك بدءاً من تلك النقطة أن ترى متحفاً حربيّاً كئيباً على جانبي الطريق العريض المنطلق نحو العبدلي، إنه متحف كئيب؛ لأن الآليات الحربية فيه مدمرة تماماً، ولأن أنفاس الحرائق التي أذابت الحديد نفسه ما زالت حتى ذلك اليوم تنبعث من الصفائح المعدنية الصدئة، في البداية كانت كثافة الآليات أكثر بكثير مما سيراه الناظر في هذه الأيام، لقد كانت متداخلة إحداها في الأخرى تداخل أصابع اليدين عند اشتباكها، ودون شك لم يكف جانباً الطريق لاستيعابها، فقد هوت على الرمال المجاورة وبالكثافة نفسها إلى مسافة تبلغ في حدها الأوسط مئة متر عرضاً، وكذلك تتابعت ممسكة بتلابيب بعضها بعضاً

من أول متر في (ميل الموت) إلى آخر متر. تسأل؟ فيجيبونك: هذا الميل هو ما تمت المحافظة عليه في مشهد مروع رهيب يبلغ طوله خمسة وسبعين كيلو متراً. المسافة بين شمال الجهراء وجنوب العبدلي يخترقها طريق دولي عريض هو الذي عبرته قوات الرئيس صدام حسين يوم أغارت على الكويت في الثاني من أغسطس (آب) ١٩٩٠م، وهو نفسه الذي عادت منه تلك القوات في الثاني والعشرين من فبراير (شباط) ١٩٩١م. الثاني والعشرون من فبراير (شباط) أجل، وليس السادس والعشرين الذي أعلنت فيه إذاعة بغداد بدء الانسحاب، لقد بدأت القوات العراقية انسحابها مساء يوم الجمعة ذاك، وليس صباح الثلاثاء، ماذا حدث إذن؟ الذي حدث هو أن هؤلاء المنسحبين قد هوجموا بعد أن غادروا مدن الكويت تماماً، وصاروا كتلاً مكشوفة في العراء، وإذا كان صحيحاً أن تعداد الجيش العراقي الذي احتل الكويت يبلغ نصف مليون من بني آدم، فكم قتلت الطائرات من هذا الجمهور الضخم، وهو في طريقه من شمال الجهراء إلى جنوب العبدلي؟ بوسعك أن تقوم بعملية حسابية بسيطة فيما عينك تتأملان النظر الفاجع للآليات العسكرية المحترقة المتعقدة على جانبي الطريق، ليس بين هذه الآليات فراغات على الإطلاق، فبين كل آلية وآلية، آلية أخرى، وإذا كانت هذه هي الصورة بالنسبة للكيلومترات الخمسة والسبعين، فليس بوسع أحد أبداً أن يؤكد أن واحداً من نصف المليون ذاك قد نجا، نصف مليون يا للهول!! هذا كثير هذا معقول لنقل: إذن إنهم ربع مليون أجل، ربع مليون منسحب، أغارت الطائرات عليهم يومي الإثنين والثلاثاء والخامس والعشرين والسادس والعشرين من فبراير (شباط) بينما الحكومة العراقية تعلن أنها قبلت الانسحاب على أساس قرار مجلس الأمن ذي الرقم ٧٦٠، العدد إذن كان كبيراً. هذه الآليات التي احتشد فيها الجنود العراقيون في طريق عودتهم أحبطت أو دُمرت عن بكرة أبيها، لم تسلم آلية واحدة، فيمكن بذلك القول: إن عدداً من الجنود قد سلم، فكيف كان المشهد الرهيب في الأيام الأخيرة من فبراير (شباط) والأول من مارس (آذار)؟ أحد المقاومين الكويتيين التقط فيلماً كاملاً لـ (ميل الموت)

إنه شاب في نحو الثلاثين من العمر متخصص في الأجهزة الدقيقة، لكنه وجد نفسه عبر تلك الفترة المظلمة يتخصص في القتل. كويتي يقتل عراقياً احتل بيته، لا أظن أن هذا المقاوم الكويتي الصديق سيسمح بنشر اسمه على صفحات (صوت الكويت) لكننا نستطيع أن نقول: إن رعبه من انفجار العنف والدم بين كويتي وعراقي هو الذي أملى عليه فكرة حمل الكاميرا أو الذهاب بها إلى (ميل الموت). دون شك كانت المسافة كلها في تلك الأيام أميالاً وأميالاً من الموت، وبعد أن عاين المقاوم الكويتي الطريق بين الجهراء والعبدلي، وشاهد كتل الموت التي غص بها ذلك الطريق رأى أن أي بقعة منه ستعطي للكاميرا ما تحتاج إليه من مشاهد الفجيعة الوجيعة، لماذا سجلت الكاميرا مشاهد الجثث؟ بالتأكيد، الكثافة أولاً، فكما تراكبت الآليات إحداها فوق الأخرى، كذلك تراكبت الجثث، ولأن الآليات هي وسائط نقل جماعي، فلم تعد أمام الكاميرا فرصة لنقل صورة فريدة سوى صورة الموت الجماعي. منظر الموت منظر كرهه ولا شك، ولكن كيف تكون الحال إذا اقترن الموت بالتشوه، ماذا ستقول لنفسك إذا رأيت جثة بلا رأس مثلاً؟ وما المشاعر التي ستعتمل في نفسك إذا رأيت جثة بلا ذراع اليمنى وبلا كتف أيمن وبلا صدر أيمن؟ وقس على ذلك: الساق المبتورة بالكامل، الكبد المشوه، والعين المقلوعة، والجثة المقطوعة نصفين بينهما مسافة مترين، والذراع المرمية في الرمل، وأصابعها لا تزال ممسكة بمقبض مسجلة يابانية، والأمعاء المندلقة على الأرض وبجوارها علبة كلينكس غير مفتوحة، لماذا مات الذين ماتوا بهذه الكثافة؟ الجواب الأول بطبيعة الحال هو أن الطائرات القاصفة لم تترك لهم مجالاً للنجاة، لكن هذا ليس كل شيء، إنه الجواب المباشر لحالة كانت هي نفسها نتيجة لأسباب وعوامل أخطر بكثير وأكثر جوهرية، وحتى الجانب المباشر نفسه يقدم أجوبة أخرى. ساعة ونيفاً كان طول الفيلم لم يبقَ شيء في ذلك المشهد الجنائزي إلا وسجلته عين الكاميرا، ومن بين آلاف الحاجيات والأغراض لم تكن ثمة صورة لمدفع مضاد للطائرات، لم تكن ثمة صورة لآلية يمكنها أن ترد

على قصف جوي، ولا نعرف كيف تم هذا الانسحاب من وجهة نظر عسكرية؟، ومرة أخرى إذا كان عدد الجنود المنسحبين ربع مليون بني آدم، فبأي ذنب حكم عليهم أن ينسحبوا هذا الانسحاب الرهيب؟ كان الاستسلام حقيقة معلنة في إذاعات العالم وتلفازاته، وفي إذاعة بغداد وتلفازها، فلماذا صدرت الأوامر للجنود العراقيين بالانسحاب نحو الموت المحتم بدلاً من الاستسلام لفرصة نجاة مؤكدة؟! أليس هذا رمياً بالنفس إلى التهلكة؟ ربع مليون جندي يعني ربع مليون عائلة، ويعني نيماً ومليون إنسان في الحد الأدنى، ماذا حل بهؤلاء؟ أي صنف من الناس هم؟ إلى أي طبقة اجتماعية ينتمون؟ مرة أخرى نعود إلى الصور، ونعود كذلك إلى (ميل الموت) في الأسابيع الأولى التي تلت الانسحاب، ماذا كانت تلك الآليات تحمل إلى جانب الجنود المهزومين؟ باختصار كانت تحمل ما التقطه الجنود من دكاكين الكويت ومن بيوتها، تلفازات، غسالات، وأدوات مطبخ، وأغذية معلبة، وأكياس الأرز والسكر، وغيرها، وحتى علب الكليتكس وجدت من يراها غنيمة جديدة بالنقل من الكويت إلى العراق في أثناء حرب أوقفت العالم على أنفاسه، وماذا أيضاً في (ميل الموت)؟ كان هناك شيء واحد فقط يدل على الحياة، ذلك هو الجانب الأمريكي المنتصر الذي سجّل هو وجوده بطريقة فريدة من نوعها. فعلى المساحات المستوية في تلك الآليات المحترقة يمكنك أن تقرأ المئات والمئات من رسائل الحب الوجيزة التي كتبها الجنود الأمريكيون، وخاطبوا بها ليس زعيمهم وقائدهم جورج بوش، وإنما حبيباتهم في طول الولايات المتحدة.

أقول:

إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا والله هو البلاء بعينه، وهؤلاء العساكر على فئتين: (الأولى) فئة فاجرة متعاونة على الإثم والعدوان، فما أصابها يكون جزاءً وفاقاً، وأما (الثانية) فمكرهة لا بطلة ولا تريد لإخوانها إلا الخير، فهذه الفئة نرجولها المغفرة، وأن يكون ما أصابها تكفيراً لذنوبها، وكل سيبعث على نيته.

من حق الكويتي الذي يشاهد العربي يصفق لمن يريد اغتصاب عرضه، ألا يثق في الضمانات التي يقدمها النظام العربي لأمنه، ومن حقه كذلك ألا يرهن مستقبله وأمنه في نظام عربي يشارك في اعتلاء قمته من تأمر على حرماته كلها، فالأزمة التي يعيشها النظام العربي اليوم هي أزمة قيم، إذ جردته العلمنة المعاصرة بقصد أو دون قصد من قيم الإسلام، وعاد جاهلياً، يغير فيه القوي على الضعيف، وصار جزء من العرب غنيمة وسبباً، وجزء آخر سيفاً ومتراساً، ولا أحد يقوى على جبر الثقة المكسورة بالضمانات العربية، ولكن من حقنا كذلك أن نقول له: إن الغرب الذي يقدم ضماناته لأمننا يقدمها مادام أمننا لا يتعارض مع مصالحه، ويوم أن يتعارض فلن يلتفت إلينا كما يلتفت في يوم من الأيام إلى الشعب المجري والدبابات السوفياتية تدكه، ولم يلتفت إلى الشعب التشيكوسلوفاكي والآلة العسكرية السوفياتية تطحن عظامه، فالغرب تحكمه بعض القيم، ولكن لا تطفى على مصالحه، وكلنا يذكر رفض تاتشر لاعتراض المسلمين على كتاب سلمان رشدي (آيات شيطانية)؛ لأن هذا الاعتراض يصدم قيم المجتمع البريطاني الذي يؤمن بحرية النشر والتعبير، ولكن هذه القيم دفعتها تاتشر إلى البالوعة يوم اعترض صاحب كتاب (صائد الجواسيس) على عدم نشر كتابه في بريطانيا؛ بحجة أنه يتعارض مع المصالح البريطانية، فقيم المجتمع البريطاني يجب أن تتقدم المصالح البريطانية، والبراغماتيون يفهمون ذلك جيداً. إن كل الكويتيين يجمعون أن الولايات المتحدة الأمريكية حررت الكويت ليس حباً فينا ومن أجل عيوننا..! وإنما فعلته لأن هذا التحرير يتفق مع مصالحها وإرادتها وهيبتها الدولية، وهكذا فعلت بريطانيا، وهكذا فعلت فرنسا. إنهم كانوا يصححون خطأ ارتكبوه عندما ربوا وحشاً مهمته إنهاك الآلة العسكرية التي صنعها مبدأ نيكسون لشرطي الخليج، وإذا بهذا الوحش يكبر، ويصبح كاسراً

متمردًا، ويحدد جائزته بنفسه. لذلك كان لا بد من تحجيم الوحش أو القضاء عليه. إن الغرب يفكر في مصالحه أولاً قبل التفكير في مصائرننا، وفي أثناء الاحتلال العراقي اختلف الغربيون في حل أزمة الكويت بشكل شاهدناه على هيئة مقترحات تتقدم بها فرنسا، وتمتعض منها أمريكا، وأتذكر حينها أنني ناقشت مسؤولاً فرنسيًا كانت مهمته توضيح الأمر لحكومة الكويت في الطائف، فأخبرني بأن فرنسا ملتزمة بقرارات مجلس الأمن كلها، وأهمها الانسحاب من الكويت دون قيد أو شرط، لكنها لا تريد حل الأزمة بأسلوب يخل بالتوازن العسكري في المنطقة، ويجعل من إيران ذات الأربعين مليون نسمة سيدة الموقف في الخليج، إذ تسيّد إيران للمنطقة يصب في النهاية في مصلحة الأمريكيين، سواء لبست إيران العمامة أم التاج، وهذا ما تعترض عليه فرنسا.

أقول:

هذا كلام محنك صدر من رجل من رموز الإسلام في الكويت هو الدكتور إسماعيل الشطي في جريدة (الحياة) يوم ١٩/٣/١٤١٢هـ، وهو حاصل على الدكتوراه في الفيزياء التطبيقية، يعني أنه ليس درويشًا..! حفظ بعض العلوم دون رؤية ولا فقه، كلا، بل هو عالم دين ودنيا، يعني ذيبًا وخطيبًا.

الصدر الأعظم

١٠٥٣

كتب حسن العلوي في (الشرق الأوسط) يوم ١٣/٣/١٤١٢هـ: أحصى محمد جميل بيهم في كتابه (الحكم العثماني) ثلاثة وعشرين صدرًا أعظم؛ أي رئيس وزراء كانت مهمته السابقة بين جندي وسياسي وحامل دورة وساعي بريد وبستاني وحارس ليلي.

وعلى غراره أحصيت واحدًا وأربعين قياديًا ووزيرًا وسفيرًا منذ أن تسلّم السلطة الحزب الحاكم في العراق كانت مهنته السابقة بين نائب ضابط وجندي

وشرطي وحارس وعاطل في المهوى ومأمور سجن وجان في باصات الركاب  
ومستخدم في المستشفى وعامل تليفونات وبائع ثلج.

أقول:

أن يتدرج المسؤول في الوظيفة من أول السلم إلى آخره بطريقة شريفة،  
مثل أن يرفع مستوى تعليمه بالشهادات والخبرة، وأن يكون الصعود متاحاً له مع  
غيره، فسبق هو غيره بجده واجتهاده وجدارته فهذا حسن جميل، وقد تابعت ما  
نشرته جريدة (الجزيرة) من مقابلات مع بعض الشخصيات الناجحة، وإذا  
منهم الأخ عبد الله النعيم أمين مدينة الرياض السابق يقول: بدأت العمل عامل  
محطة بنزين في الخمسينيات عند قيام خط أنابيب التابلين، والتاجر الراجحي  
يقول: بدأت حمالاً، والتاجر الجميح يقول: بدأت أبيع عصي الخيزران. هذه  
عصامية تحمد لهم ولأمثالهم، وأما من ذكرهم العلوي، فالحقيقة أنهم إلى  
العصابات أقرب منهم إلى الحكام.

من مخازي الغرب

١٠٥٤

قالت صحيفة (الشرق الأوسط) يوم ٦/٤/١٤١٢هـ:

بدأت من مدينة كارديف البريطانية الأسبوع الماضي محاكمة قاتل مضطرب  
العقل (سيكوبات) اسمه (أدريان هاول) استدرج ضحيته من خلال المراسلة على  
صفحة إحدى المجلات، إذ كان القاتل آلن هيكس الذي كان يبيع الأفلام الإباحية  
قد نشر إعلاناً فاتصل به القاتل، واتفقا على أن يلتقيا في بيت الأخير لعقد صفقة  
بيع، لكن القاتل (هاول) أبقاه داخل منزله، حيث ضربه على رأسه، فأغمي عليه،  
ثم أخذه إلى منطقة مهجورة، وأطلق عليه النار، وقتله، وألقت الشرطة القبض  
على (هاول) بعد أن عثرت على اسمه في أوراق منزل القاتل، واعترف القاتل بأن  
فكرة قتل صديقه وطفلتها راودته؛ لذا اختار شخصاً لا يمت إليه بصلة لينفس  
عن هاجس القتل الذي انتابه.

أقول:

هذا الفاجر يعرف أن العقوبة سجن وأكل فراخ، ولو كان يعرف أن العقوبة هي القصاص ودرجة رأسه في ميدان عام لما أقدم على فعلته الخبيثة، وصدق الله، إذ يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩]. ويا ليت العرب والمسلمين يأخذون قوانينهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم فينفذون الحدود، ويا ليت من ينفذ الحدود منهم يستكمل الباقي إذن لأراح واستراح، وأذكر أن أحد الصحفيين اليهود أراد إحراج الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ وهو في زيارة لأمريكا، وقال له: كيف تقطعون يد السارق ألا تكونوا تسببتم في جعله عالة على غيره؟ فردَّ رَحِمَهُ اللهُ: هذه تعاليم الإسلام يضحى بيد شخص؛ لكي يصلح ويردع أيادي آلاف الأشخاص التي تفكر في أن تمتد لتهتك حرمان الآخرين.

واستطرد رَحِمَهُ اللهُ قائلاً: وقرأت البارحة نشرة من بلادك تقول: إن جرائم السطو بلغت في شيكاغو عشر حوادث في الساعة الواحدة، وأسقط في يد هذا اليهودي، وتمنى لو أنه لم يدخل في هذا الحوار مع أرطوبون العرب في العصر الحديث الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ، حيث إن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وصف عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأرطوبون العرب.

والأرطوبون: الداهية المحنك.

اطلب حَقَّك بشجاعة وأدب

١٠٥٥

قال هارون بن محمد بن عبد الملك: جلس أبي يوماً فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً، فقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم، تدنيني إليك، فإني مظلوم، فأدناه، فقال: إني مظلوم، وقد أعوزني الإنصاف، قال: ومن ظلمك؟ قال: أنت، ولست أصل إليك، فأذكر حاجتي، قال: ومن يحجبك عني، وقد ترى مجلسي مبدولاً؟

قال: يحجبني عنك هيبتي منك وطول لسانك وفصاحتك وإطراء حجتك. قال: ففيمَ ظلمتك؟ قال: ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصباً بغير ثمن، فإذا وجب عليها خراج أديته باسمي؛ لتُلا يثبت لك اسم في ملكها، فيظل ملكي، فوكيلك يأخذ غلتها، وأنا أؤدي خراجها، وهذا لم يُسمع بمثله في الظلم، فقال له محمد: هذا قول تحتاج فيه إلى بينة وشهود وأشياء، فقال له الرجل: أيؤمنني الوزير في غضبه حتى أجيب، قال: قد أمّنتك، قال: البينة هم الشهود، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شيء، فما معنى قولك: بينة وشهود وأشياء؟ أين هذه الأشياء إلا الغي والتغطرس؟ فضحك، وقال: صدقت والبلاء موكل بالمنطق، وإني لأرى فيك مصطنعاً، ثم وقع بردٌ ضيعته.

أقول:

إذا ظلمت فلا تياس، وطالب بحقك، وكن شجاع القلب حسن الكلام وضعيف اللسان، فمثل حال هذا الرجل يتكرر في كل زمان ومكان.

### خطبها وهو رضيع وتزوجها في الثانية عشرة

١٠٥٦

جاء في صحيفة مصرية يوم ٨/١٠/١٤١٢هـ:

حملت الزوجة زوجها الطفل الذي لم يتعدَّ عمره الثانية عشرة على صدرها، وأخذت تربت عليه في حنان بالغ عندما أجهش بالبكاء أمام أحد ضباط قسم برج العرب في محافظة الإسكندرية في أثناء التحقيق معه في واقعة زواجه، فاضطر ضابطا القسم المقدم أحمد عبدالغفار رئيس مباحث ومعاونيه الرائد محمود خلاف إلى محايلة الزوج بقطعة من الشيكولاتة؛ ليتوقف عن البكاء والاستماع إلى قصة زواجه التي بدأت قبل أن يكمل عامه الأول. قال الزوج الطفل سعد محمد: إن والده خطب له زوجته آمال عبدالعال شعبان (١٨ عاماً) عندما كان

عمره ١٢ عاماً، وذلك كعادة أهل صعيد مصر، إذ إن العروسين من أسيوط، وقبل عام تجدد الموضوع مرة أخرى، واتفق والدا العروسين على تزويجهما، وبالفعل تم الزواج، وقالت الزوجة أمام الضابط: إن زوجها مثالي، وكامل الرجولة، وإنها سعيدة معه تماماً، وأحال ضابط قسم برج العرب العروسين إلى نيابة الداخلية في الإسكندرية ليقتضا أمام خالد شلبي وكيل النيابة ليحقق معهما في هذه الواقعة، خاصة أن الزوجين لا يحملان وثيقة زواج أو هوية تحقيق الشخصية؛ لصغر سنهما، واضطر وكيل النيابة إلى الإفراج عن الزوجين اللذين ظلوا طوال التحقيق الذي استمر ثلاث ساعات يمسخان دموعهما.

أقول:

لماذا يذهبون بهما إلى التحقيق؟ هذه تعليمات القوانين الفرنسية والبريطانية الكافرة، وهذه السن في الزواج كانت معتادة في العصور الإسلامية المشرقة، ويقول المؤرخون: إن فارق السن بين عمرو بن العاص وابنه عبد الله ١٢ سنة فقط، يعني تزوج في سن أصغر من سن هذا الشاب، وفي عصرنا الحاضر الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ من مواليد ١٣٢٤هـ وابنه عبد الله من مواليد ١٣٣٩هـ؛ أي بينهما ١٥ سنة؛ يعني أن الملك تزوج في سن ١٤ سنة، ويا ليت شباب العرب والمسلمين يتزوجون في سن الـ ١٥ سنة أو ١٦ أو ١٧ سنة، فبلاد العرب والمسلمين في حاجة إلى الرجال، واليهود في فلسطين يدفعون جوائز ومغريات لمن يكثر نسله من أولاد القردة والخنازير وعبد الطاغوت، ويا ليت ولاة الأمر لدينا يخصصون مكافآت لمن ينجب البنين والبنات، والمملكة بحمد الله واسعة، وتحتاج إلى من يملؤها كمًا وكيفًا، وما أخالهم إلا صانعين ذلك إن شاء الله.

مقابلة ملكية

١٠٥٧

قيل عن أبي حامد الغزالي: لما أحس بدنو أجله، قال لبعض أصحابه: اثنتي بثوب جديد، فقال له: ما تريد به؟ قال أبو حامد: سألقى به الملك، فجأؤوه بالثوب،

فطلع به إلى بيته، وأبطأ على أصحابه، فلم يعد، فذهب إليه أصحابه يستطلعون نبأه، فإذا هو ميت، وإذا عند رأسه ورقة كتب فيها هذه الأبيات:

قل لإخوان رأوني ميتاً	فرثوني وبكوني حزناً
أتظنونني بأني ميتكم	ليس هذا الميت والله أنا
أنا في الصور وهذا جسدي	كان بيتي وقميصي زمنا
أنا عصفورٌ وهذا قفصي	طرتُ عنه وبقي مُرتهانا
أنا درٌّ قد حواه صدفٌ	لامتحانني فنضيتُ المحنا
أحمدُ الله الذي خلصني	وبنى لي في المعالي سَكنا
كنتُ قبل اليوم ميتاً بينكم	فحييتُ وخلعتُ الكفنا
قد ترحلتُ وخفلتكمو	لستُ أرضى داركم لي وطانا
لا تظنوا الموت موتاً إنه	كحياة وهو غاياتُ المني
لا ترعكمُ هجمة الموتِ فما	هي إلا نقلةٌ من ههنا

أقول:

الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللهُ مِنَ الْأئِمَّةِ الْعِظَامِ فِي الْإِسْلَامِ وَفِي الْبَيْتِ السَّابِعِ يَصِفُ نَفْسَهُ رَحِمَهُ اللهُ بِأَنَّهُ مَيِّتٌ بَيْنَ قَوْمِهِ، وَهَذَا مِنْ تَوَاضُعِ الْعُلَمَاءِ، وَإِلَّا فَهُوَ سِرَاجٌ بَيْنَهُمْ مَنِيرٌ، وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ فَلَيْسَ يُوَصَفُ بِالْمَيِّتِ، بَلِ الْمَيِّتُ صِفَةٌ لِلْجَاهِلِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

الله أكبر

١٠٥٨

عن ابن عباس رَحِمَهُ اللهُ عَنهُ قَالَ: إِذَا أَتَيْتَ سُلْطَانًا مَهِيْبًا تَخَافُ أَنْ يَسْطُوَ عَلَيْكَ، فَقُلْ: اللهُ أَكْبَرُ. اللهُ أَعْزَمُ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا، اللهُ أَعْزَمُ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ

الذي لا إله إلا هو الممسك السماوات السبع أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس اللهم، كن لي جاراً من شرهم، جل ثناؤك وعز جارك، وتبارك اسمك، ولا إله غيرك ثلاث مرات<sup>(١)</sup>.  
رواه ابن أبي شيبة في مصنفه. ورواه ابن مردويه في كتاب (الأدعية) له، وزاد بعد قوله: والآنس اللهم، إنا نعوذ بك أن يفرط علينا أحد منهم، أو أن يطغى.

أقول:

نعم، السلطان إنسان مثلك إن كان الله في نفسك كبيراً ومعظماً أكبر من السلطان، فسيحميك منه.

### ابن بليهد وعجوز السوء

١٠٥٩

هو الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد قاضي مدينة حائل، وكان حاد الذكاء، وكثير الفقه والفراسة، من فراسته أن عجوزاً ذهبت إلى دار قوم في وقته كان عندهم عشاء، فتقدمت العجوز عند فراغها تطرق الباب كأنها رسول سلطان كعادة الثقلاء، ومن قل حياؤه من الطفيلية والأغبياء، فجاءت ربة البيت، وعنفت الكلام لهذه المرأة، فأجابت عجوز السوء للمرأة تشفياً بقولها: لم أجيئ نحوكم للطعام، وإنما أمانة في عنقي كلفت أداءها بأن زوجك أخوك من الرضاعة والسلام، وذهبت كالريح العاصفة، فلما ألفت هذه المقالة، كان جوابها إرسال العبرات من المرأة المسكينة، واجتمع عليها بثها وحرزنها وترك الطعام في المواعين وأهان الداعي المدعوين، فما كان ليلة أطول من ليلتهما، وانبعث الزوج مسارعاً لما طلع الفجر إلى الشيخ سليمان ليكشف هذه الغمة، فلما جاءه وقص عليه القصص قال: اثنتي بها إن كنت تعرفها، فدعا الرجل العجوز، وأجلسها بين

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٠٣/١٠) رقم ٢٩٧٨٧، والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٧٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢/٢٦٧ رقم ٢٢٣٨).

ييدي الحاكم ليأخذ المسألة من فيها، وكلمها مخاطبًا: نريد يا أمة الله، الفراق بين هذا وزوجه، فإن كنت على يقين فتكلمي وإلا فحقي، فأجابت العجوز: أيها الشيخ، إني لست بأمير ولا قاضٍ إنما أخبر عن الواقع، ومن اهتدى فلنفسه ومن أساء فعليها، وما لدي سلطة على أحد، فقال لها: يا هذه، اتقي الله، فبين يديك هول المطلع شديد، وإن هذا النبأ يقتضي أمورًا منها أنك قد فرقت بين مجتمعين طالما اجتمعا، وثانيًا له أولاد، ويلحقهم بذلك خجل، وثالثًا يفارقها بغير طلاق، فيكون عار زوجها وإثمه عليك وكل هذا في ميزانك غدًا والناقد بصير، فكوني على يقين لتتالي السلامة في الدنيا والآخرة، فارتعدت هذه العجوز بعدما خجلت، وأخبرته بحقيقة الأمر؛ بأنها لما عنفت عليها بالكلام لم تجد عقوبة أنكى من هذه الدعوى، فقام عليها بالعصا، وطفق يضربها ضربًا شديدًا، وطردها خاسئة حسيرة، وأمر الرجل أن يذهب إلى أهله. عن تاريخ إبراهيم بن عبيد، الجزء الأول، ص ١٥٤.

أقول:

نهدي هذه النادرة إلى الإخوة القضاة؛ لكي لا يتسرعوا في الحكم، وإلى بقية القراء ليداروا الناس، ويحذروا من كيد الضعيف.

الخشوع

١٠٦٠

كان الصحابي الجليل حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «إياكم وخشوع النفاق» فقليل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع، ورأى عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رجلاً طأطأ رقبته في الصلاة، فقال: يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب. ورأت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا شابًا يمشون، ويتماوتون في مشيتهم، فقالت لأصحابها: من هؤلاء؟ فقالوا: نساك، فقالت: كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع، وإذا أطعم أشبع. وكان هو الناسك حقًا، وقال

الفضيل بن عياض: كان يكره أن يرى الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه. وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، وربّ مصلٍّ لا خير فيه، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعاً». وقال سهل: من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان.

**أقول:**

بعض الناس في هذا العصر تركوا أعمالهم بحجة الزهد، وركبوا الحمير والإبل، ومنعوا أولادهم وبناتهم من التعليم الحكومي، وكل هذا ليس من الزهد، وليس من تعاليم الإسلام في شيء، وإنما من دروشة وضعف.

**أذهب فقد أفتيت نفسك**

١٠٦١

جاء في كتاب (إغاثة اللفهان) لابن القيم: قال رجل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما تقول في الغناء أحلال هذا أم حرام؟ فقال: لا أقول حراماً إلا ما في كتاب الله. فقال: أفحلال هو؟ فقال: ولا أقول ذلك. ثم قال له: أريت الحق والباطل إذا جاء يوم القيامة: فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل، فقال له ابن عباس: اذهب، فقد أفتيت نفسك، فهذا جواب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن غناء الأعراب الذي ليس فيه مدح الخمر والزنا واللواط والتشبيب بالأجنبيات وأصوات المعازف والآلات المطربات، فإن غناء القوم لم يكن فيه شيء من ذلك، ولو شاهدوا هذا الغناء لقالوا فيه أعظم قول، فإن مضرتهم وفتنته فوق مضرة شرب الخمر بكثير وأعظم من فتنته.

**أقول:**

وماذا يقولون فيما يحدث من المغنيين والمغنيات، وممن يسمونهم الفنانين والفنانات؟ والحقيقة أنهم الفتانون والفتانات!

من الجزاء أن يطلب الدعاء. قال تعالى عن أثنى عليهم: ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهَ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جِزَاءً وَلَا نُشْكُرُكُمْ﴾ [الإنسان: ٩]. والدعاء جزاء، كما في الحديث: «من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه»<sup>(١)</sup>.

وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذا أرسلت إلى قوم بصدقة تقول للرسول: اسمع ما يدعون به لنا؛ حتى ندعولهم بمثل ما دعوا لنا، ويبقى أجرنا على الله. وقال بعض السلف: إذا قال لك السائل: بارك الله فيك، فقل: وفيك بارك الله. فمن عمل خيرًا من المخلوقين سواء كان المخلوق نبيًا أو رجلًا صالحًا أو ملكًا من الملوك أو غنيًا من الأغنياء، فهذا العامل للخير مأمور بأن يفعل ذلك خالصًا لله يبتغي به وجه الله، لا يطلب به من المخلوق جزاءً ولا دعاءً ولا غيره، لا نبي ولا رجل صالح ولا من الملائكة، فإن الله أمر العباد كلهم أن يعبدوه مخلصين له الدين.

قال الإمام ابن تيمية: فالذنوب لها عقوبات: السر بالسر والعلانية بالعلانية، وروي عن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا قالت: سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] فقال: «يا عائشة، هذه مبايعة الله العبد مما يصيبه من النكبة والحمى، حتى الشوكة والبضاعة يضعها في كفه، فيفقدها، فيفزع لها، فيجدها في جيبه، حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦/٩ رقم ٥٣٦٥)، وأبو داود (٥٢/٢ رقم ١٦٧٤)، وصححه العجلوني في كشف الخفاء

(٢٢٥/٢ رقم ٢٣٦٨)، والألباني في إرواء الغليل (٦٠/٦ رقم ١٦١٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٩/٤٣ رقم ٢٥٨٣٥)، والترمذي (٢٢١/٥ رقم ٢٩٩١)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٦٠٨٦).

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن الكريم، فإن كان يحب القرآن الكريم فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن الكريم فهو يبغض الله ورسوله»، وقال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو طهرت قلوبنا لما شبعنا من كلام الله عَزَّوَجَلَّ» وقال ابن مسعود: «الذكر ينبت الإيمان في القلوب، كما ينبت الماء البقل، والغنا ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل».

أقول:

تيسر في هذا العصر سماع القرآن وعلومه من الإذاعة المسموعة والمرئية، وماذا على المسلم إذا ثبت مؤثر مذيع السيارة والمنزل على إذاعة القرآن الكريم وعلومه، ونرجو من الإخوان في برنامج (نور على الدرب) أن يرفعوا مستوى الأسئلة فلا يذيعوا إلا الأسئلة الوجيهة، ونأمل في الله ثم وكيل الوزارة لشؤون الإذاعة الأخ الأستاذ الدكتور علي عبدالعزيز الخضير وزملائه كل خير، وهو في العقل والرزانة بمكان رفيع. نسأل الله له ولكل مخلص القبول والتوفيق في العاجلة والآجلة.

قال أئمة الإسلام، كسفيان الثوري وغيره: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يُتاب منها، والمصية يُتاب منها، ومعنى قولهم: إن البدعة لا يتاب منها أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله قد زُين له سوء عمله، فرآه حسناً، فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً؛ لأن أول التوبة العلم أن فعله سيئ ليتوب منه، فما دام يرى فعله حسناً وهو سيئ في الأمر نفسه، فإنه لا يتوب.

روى ابن عيينة عن محمد بن المنكدر قال: «إن العالم بين الله وبين خلقه، فليُنظر كيف يدخل بينهم». وقال سهل بن عبد الله: «من أراد أن ينظر إلى محاسن الأنبياء فليُنظر إلى محاسن العلماء يجيء الرجل، فيقول: يا فلان، ماذا تقول في رجل حلف على امرأته بكذا وكذا؟ فيقول: طلقت امرأته، وهذا مقام للأنبياء، فاعرفوا لهم ذلك». قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: «أدركت عشرين ومئة من الأنصار من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل أحدهم المسألة، فيردها هذا إلى هذا وهذا على هذا حتى ترجع إلى الأول ما منهم من أحد إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا». وقال ابن مسعود: «من أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون»، وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا نحوه. وقال حصين الأسدي: «إن أحدكم ليفتي في المسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لجمع لها أهل بدر». وعن الحسن والشعبي مثله، وقال الحاكم: «سمعت أبا عبد الله الصفار يقول: سمعت عبد الله بن أحمد يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: سمعت محمد بن عجلان يقول: إذا أخطأ العالم (لا أدري) أصيبت مقاتله». وروى ذلك بنحوه عن ابن عباس، وذكر أبو عمر عن القاسم بن محمد أنه جاءه، فسأله عن شيء؟ فقال القاسم: لا أحسنه، فجعل الرجل يقول: إني دفعت إليك لا أعرف غيرك. فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي، والله لا أحسنه، فقال شيخ من قریش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي، الزمها فوالله ما رأيت في مجلس أبيك مثل اليوم، فقال القاسم: والله لئن يقطع لساني أحب إلي من أن أتكلم بما لا أعلم.

أقول:

ليت إخواننا طلبة العلم يدركون هذا الكلام وعظيم مسؤولية الإفتاء، فقد كثرت الإفتاء في الصحف والمجلات وقليلاً ما نسمع من يقول: لا أدري، إلا الشيخ الطنطاوي، فقد سمعته أكثر من مرة يقول: لا أدري، أسألوا غيري، فهذا هو أدب العلماء.

كان أبولهب له ولدان: عتيبة، وعتبة قبل أن يعلن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته، وكان الرسول له بنتان: رقية وأم كلثوم، فخطب بنتي رسول الله لابنيه، فلما جهر رسول الله بدعوته، ووقف منه أبولهب ذلك الموقف قال لابنيه: لستما مني إن لم تطلقا بنتي محمد، فعتبة كان مؤدباً، وطلق رقية. لكن عتيبة قال: والله لا أطلقها حتى أؤذيه. فمر على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: إنني رددت عليك بنتك، وطلقتها، وطلقتها، ثم تفل في الجهة التي فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان عمه أبوطالب موجوداً: «أكلك كلب من كلاب الله»، في هذه الأثناء كانت هناك رحلة لقريش ذاهبة إلى الشام، وكان فيها أبولهب وابنه، فلما وصلوا إلى مكان أرادوا أن ينيخوا فيه، فقال أصحاب ذلك المكان: إنه مكان سبعة- يعني مكان ظهور السباع- فتبته أبولهب، وقال: يا معشر قريش، أغيثوني في دعوة محمد، فما كان منهم إلا أن جاؤوا بإبلهم، وأناخوها كالدائرة، وجعلوا المبيت في وسط الدائرة، وبعد ذلك جاء سبع، فظل يتشمم إلى أن وصل إلى عتبة، فأكله<sup>(١)</sup>.

روى زيد بن أسلم عن أبيه أن بني عدي جاؤوا إلى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقالوا: إنك خليفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخليفة أبي بكر، وأبوبكر خليفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا، فقال: بخ بخ يا بني عدي، أردتم الأكل على ظهري، وأن أهب حسناتي لكم، لا والله، حتى تأتيكم الدعوة، وإن انطبق عليكم الدفتر يعني لو أن تكتبوا آخر الناس، إن لي

(١) ذكر القصة قريباً من هذا إسماعيل الأصفهاني في دلائل النبوة (ص ٢١٩).

صاحبين سلكا طريقاً، فإن خالفتهما خولف بي، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا، ولا نرجو الثواب في الآخرة على عملنا إلا بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب بالأقرب، فوالله لئن جاءت الأعاجم بعمل، وجئنا بغير عمل لهم أولى برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منا يوم القيامة، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه<sup>(١)</sup>.

### أقول:

الله المستعان في عصورنا الأخيرة استأثر ببيت المال ليس قريب السلطان فقط، بل كل من له ناب ومخلب، فزاد الغني غنى، ونُسي الفقير، وأقترح هنا، وأرجو الله أن يطلع على اقتراحي هذا من سلاطين ولاة أمور المسلمين من يأخذ به، وأن يكون في موازين من ينفذه أولاً، ثم في موازيني، وهذا الاقتراح يتلخص في البحث عن المحتاجين في أماكن وجودهم، بواسطة أهل الثقة مثل أئمة المساجد وعقلاء الأحياء السكنية ليبحثوا عن الأرملة والشيخ الطاعن في السن والمعوق والأمي، وأغلبهم لا يعرف طريقة الوصول إلى إدارة الضمان الاجتماعي أو جمعيات البر التي لها جهد مشكور في هذا المجال، وهذا ليس صعباً، فهذا يقل الحسد، وتقل البغضاء، ويكثر الدعاء الصالح للسلطان وولاية الأمور، وأذكر قصة لرجل رُفِع أمره للملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ بأنه يشتمه، واستشار الملك بعض رجاله، فقال أحدهم: اقتله، قال: كلا، هذا ليس برأي، قالت له بطانة الخير: هذا يا عبدالعزيز، من شيبان المسلمين أرسل له بخرجية واعتذار، قال الملك: أحسنت هذا هو الرأي، وحين وصلت الهدية خرج في الصباح، ورفع صوته، وقال: والله الذي لا إله غيره ما أحد يقول في الإمام شيء إلا فقلت هامته بهذا السوط، رأييت كيف فعل السخاء والعطاء؟ وهذه قصة تاجر آخر، وهو إبراهيم الجربوع مع وكيل تجارته إلى بلاد الشام محمد العليان من قريتنا الربيعية قال ذات يوم

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخ الرسل والملوك (٥٧٠/٢)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/٢٩٥-٢٩٦).

وهو في الميدان بدمشق: يا ليت هذه البناية الكبيرة لعمي إبراهيم الجربوع، قالوا: لم لا تطلبها لنفسك يا أبو عليان، قال: أنا أعرف أتعامل مع الفقر، ولكن عمي إبراهيم ما يعرف للفقر، وسبب إثارة عمه ابن الجربوع على نفسه؛ لأن ابن جربوع لم يبخل عليه قط، بل جعل له كامل الصلاحية، وسمح له بأن يصرف، ويهدي، وكأن المال ماله هو، وليس مال الجربوع، وهذا هو سر الحب بدل البغض، وما أحدث العداوات على جميع المستويات إلا الشح المطاع، والهوى المتبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه.

### لماذا يطبع في فرنسا؟

١٠٦٩

قالت جريدة (الشرق الأوسط) يوم ٢٧/١٠/١٤١٣هـ: إن الشيخ حمد الجاسر عضو المجمع اللغوي بمصر انتقد بشدة المعجم العربي الأساسي الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم (اليسكو) التابعة لجامعة الدول العربية، ووصفه بأنه يسيء إلى اللغة العربية؛ لاحتوائه على أخطاء لغوية مذهلة، وحتى أخطاء في آيات القرآن الكريم، وقال: إن الإنسان يستغرب أن تعهد هيئة ثقافية رسمية تابعة لمنظمة إقليمية بهذا العمل إلى فئات غير متخصصة وغير معروفة في المجامع اللغوية المشهورة، بل تعهد بنشره في مؤسسة لاوس الفرنسية.

### أقول للشيخ:

إذا كنت تستغرب فنحن نستنكر، ولكن نذكر للشيخ أن لغة العرب محفوظة بالقرآن الكريم، وليست بمعاجم تطبع في فرنسا، ولن يقرأها أحد؛ لأن العرب لا يقرؤون كما يقول ذلك الأعداء، وهم وإن كانوا كاذبين إلا أنهم في هذه التهمة صادقون.

قال الله تعالى لنبيه وحببيه مثنيًا عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الفلم: ٤] وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلقه القرآن، وسأل رجل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن حسن الخلق، فتلا قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»<sup>(١)</sup> وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(٢)</sup>. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق»<sup>(٣)</sup>، وجاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين يديه، فقال: يا رسول الله، ما الدين؟ قال: «حسن الخلق» فأتاه من قبل يمينه، فقال: يا رسول الله، ما الدين؟ قال: «حسن الخلق» ثم أتاه من قبل شماله، فقال: ما الدين؟ فقال: «حسن الخلق» ثم أتاه من ورائه، فقال: يا رسول الله، ما الدين؟ فالتفت إليه، وقال: «أما تفقه؟ هو ألا تغضب»، وقيل: يا رسول الله، ما الشؤم؟ قال: «سوء الخلق»<sup>(٤)</sup> وقال رجل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أوصني، فقال: «اتق الله حيثما كنت» قال: زدني، قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها» قال: زدني، قال: «خالق الناس بخلق حسن»<sup>(٥)</sup>، وسئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «خلق

(١) أخرجه أحمد (٢٨٣/٢٤ رقم ١٥٦١٨)، والطبراني في الكبير (٢٦٩/١٧ رقم ٧٢٩)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١١٣/٦ رقم ٢٦٠٤).

(٢) أخرجه أحمد (٥١٢/١٤ رقم ٨٩٥٢)، والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٢٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٣٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي بلفظ قريب (٣٦٣/٤ رقم ٢٠٠٤)، وقال: هذا حديث صحيح غريب. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٤٨/٢ رقم ١٧٢٣).

(٤) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (رقم ٢٤٠)، بلفظ قريب، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١١٣٥/١٤ رقم ٧٠٣٢).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٥٥/٤ رقم ١٩٨٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

حسن»<sup>(١)</sup>، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما حسن الله خلق عبد وخلقُه، فيطعمه النار»<sup>(٢)</sup> وقال الفضيل: قيل لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال: «لا خير فيها هي من أهل النار»<sup>(٣)</sup>، وقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الإيمان قال: اللهم، قَوْنِي، فقواه بحسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الكفر قال: اللهم، قوني، فقواه بالبخل وسوء الخلق»<sup>(٤)</sup>، وقيل: يا رسول الله، أي المؤمنين أفضل إيماناً؟ قال: «أحسنهم خلقاً»<sup>(٥)</sup>، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق»<sup>(٦)</sup>، وقال أيضاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»<sup>(٧)</sup>.

وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنك امرؤ قد حسن الله خلقك، فحسن خلقك»<sup>(٨)</sup>، وعن البراء بن عازب قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً»<sup>(٩)</sup>.

- 
- (١) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه (١٨٠/١ رقم ٤٦٨)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (رقم ٣٤٠)  
(٢) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (رقم ٢٠٣٠)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (رقم ١٠)، والدليمي في مسند الفردوس (٣٥٥/٤ رقم ٧٠٢٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (١٠٢/٢ رقم ١٦٠٠).  
(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩٤/١٢ رقم ٩٠٩٨)، والبخاري في الأدب المفرد (رقم ١١٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٩/١ رقم ١٩٠).  
(٤) ذكر الحديث أبو حامد الغزالي في إحيائه (٦٣/٤)، وقال العراقي: وحديث أبي الدرداء "أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق" الحديث لم أفد له على أصل.  
(٥) أخرجه أبو داود (٣٥٤/٤ رقم ٤٦٨٤)، والترمذي (٤٦٦/٣ رقم ١١٦٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.  
(٦) أخرجه أبو يعلى (٤٢٨/١١ رقم ٦٥٥٠)، والبخاري (٤٤٢/٢ رقم ٨٥٤٤)، وقال المنذري في الترغيب (٩/٣ رقم ٢٦٦١): رواه أبو يعلى والبخاري من طرق أحدها حسن جيد. وقال الألباني: حسن لغيره.  
(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (رقم ٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٧٦).  
(٨) أخرجه الدليمي في مسند الفردوس (٤٠٩/٥ رقم ٨٥٧٧)، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٦٤/٤): فيه ضعف.  
(٩) أخرجه البخاري (١٨٨/٤ رقم ٣٥٤٩)، ومسلم (١٨١٩/٤ رقم ٢٣٢٧).

هدى الحسيني هي الصحفية اللبنانية الشهيرة بالمقابلات الصحفية الساخنة، سألتها محرر مجلة (المجلة) (١٤١٢/١١/٢٤هـ) عن أغرب موقف مرَّ عليها مع من قابلتهم؟ فقالت: قابلت عيدي أمين في القاهرة في أثناء مؤتمر قمة عربي إفريقي كان يقيم في فندق الميريديان في الطابق (١٢) ذهبت إليه لأجد في انتظاري مسؤول البروتوكول، فأدخلني إلى غرفة يجلس فيها نحو ستة أشخاص، وأمام كل منهم مجموعة كتب عن أعمال الرئيس وإنجازاته، قالوا لي: خذها ووزعيها ردًّا على الحملة التي يشنها أعداء الرئيس طبعًا، وتناسيتها بعد انتهاء المقابلة، أشار إلي مسؤول البروتوكول أن أتبعه، فأدخلني غرفة مظلمة والستائر مسدلة، وأجسني قرب الباب، وخرج، وساورني قلق كبير، ولت نفسي على هذه الورطة، وفجأة سمعت صوت باب يُفتح، ووقع خطوات وتكتيت آلات التصوير وصوت كاميرا تلفزيونية، ثم أضيء ضوء في وسط الغرفة، لقد كان المصورون الأوغنديون على الجانب الآخر من الغرفة دون حركة، ونظرت فإذا عيدي أمين يقف أمامي ضخماً كالجبل، وحول وسطه مسدس، وعلى الرغم من خروج صورتي معه بالأبيض والأسود إلا أن علامات الخوف بدت في صورتي، فأدرت آلة التسجيل، وبدأت الحوار، وتلاشى الخوف مني، وكانت أكثر مرة في حياتي ضحكت وأنا أجري مقابلة مع مسؤول، وكنت كلما سألته سؤالاً سياسياً يصر على الحديث عن المرأة في حياته، وقال: سأطلب من ملكة بريطانيا التنازل عن رئاسة مجموعة الكومنولث ليحل محلها، وسألته إذا رفضت أي أوغندية أن تتزوجه؟ فكان جوابه زئيراً مثل زئير الأسد، وقال: هذا مستحيل، وقال: كل امرأة تزوجتها أنجبت منها، حتى ولو كانت عاقراً بشهادة من الطبيب.

أقول:

ما أشجع بنت الحسيني، وما أقوى أعصابها وكثير من زعماء العالم الثالث بهذا المستوى من التفكير والسذاجة؛ لأنهم أتوا إلى الحكم بالمصادفة، والانقلابات العسكرية.

جاء في الموافقات للشاطبي أن الشعبي أوصى بعض من تلقوا عنه، فقال: احفظ عني ثلاثاً: إذا سئلت في مسألة، فأجبت فيها، فلا تتبع مسألتك، أرأيت أن الله تعالى قال في كتابه الكريم: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوْبَهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، والثانية إذا سئلت عن مسألة فلا تقس شيئاً بشيء، فربما حرّمت حلالاً أو أحلت حراماً، والثالثة إذا سئلت عما لا تعلم فقل: لا أعلم.

أقول:

ما أحسن هذا التوجيه الذي استمده الشعبي مما جاء في سياق حديث المغيرة ابن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي يقول فيه: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال<sup>(١)</sup>. الشاهد هنا كله كثرة السؤال، فعلى طلبة العلم المتصددين للفتوى ألا ينسوا هذا، وكذلك على المسلم ألا يسأل عن شيء في المعفو عنه، أو المسكوت عنه.

أوصى عالم تلميذه. قال: اعلم أنك متى أسأت عشرة الناس صاروا لك أعداء، ولو كانوا لك أمهات وآباء، وأنك متى أحسنت عشرة قوم ليسوا لك بأقرباء صاروا لك أمهات وآباء، كأنني بك وقد دخلت المدينة وأقبلت على المخالفة بها، ورفعت نفسك عليهم، وتناولت بعلمك لديهم، وانقبضت عن معاشرتهم، وخالطتهم، وهجرتهم وهجروك، وشتمتهم وشتموك، وضللتهم وضللك، وبدعتهم وبدعوك، واتصل ذلك الشين بك وبنا، واحتجت إلى الهرب والانتقال

(١) عن المغيرة بن شعبة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات. وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»، أخرجه البخاري (٤/٨ رقم ٥٩٧٥)، ومسلم (١٣٤١/٣ رقم ٥٩٣).

عنهم. وليس هذا برأي، إنه ليس بعاقل من لم يدار من ليس له من مداراته بدّ. حتى يجعل الله له مخرجاً إذا دخلت المدينة استقبلك الناس وزاروك، وعرفوا حقك، فأنزل كل رجل منزلته، وأكرم أهل الشرف، وعظّم أهل العلم، ووقّر الشيخ، ولاطف الأحداث، وتقرب من العامة، ودار الفجار، واصحب الأخيار، ولا تتهاون بسُلطان، ولا تحقرن أحداً، ولا تقصرن في مروءتك، ولا تخرجنّ سرك إلى أحد، ولا تثق بصحبة أحد حتى تمتحنه، ولا تخادن خسيساً ولا وضيعاً، ولا تأفنّ ما ينكر عليك في ظاهره، وإياك والانبساط إلى السفهاء، وعليك بالمدارة والصبر والاحتمال وحسن الخلق وسعة الصدر، واستجد ثياب كسوتك، واستفره دابتك، وأكثر استعمال الطيب، وابذل طعامك، فإنه ما ساد بخيل قط. ولتكن لك بطانة تعرفك أخبار الناس، فمتى عرفت بفساد بادرت إلى صلاح، ومتى عرفت بصلاح ازددت فيه رغبة وعناية، واعمل في زيادة من يزورك ومن لا يزورك، والإحسان إلى من يحسن إليك أو يسيء، وخذ العفو وأمر بالمعروف، وتغافل عمّا لا يعينك، واترك كل ما يؤذيك، وبادر في إقامة الحقوق، ومن مرض من إخوانك فعُدّه بنفسك، وتعاهده برسلك، ومن غاب منهم افتقدت أحواله، ومن قعد منهم عنك فلا تقعد أنت عنه. وأظهر تودداً للناس ما استطعت، وأفش السلام ولو على قوم لئام، ومتى جمع بينك وبين غيرك مجلس أو ضمك وإياهم مسجد وجرت المسائل وخاضوا فيها بخلاف ما عندك، لم تبد لهم خلافاً فإن سئلت عنها أخبرت بما يعرفه القوم، ثم تقول: فيها قول آخر وهو كذا وكذا والحجة له كذا، فإن سمعوه منه عرفوا مقدار ذلك ومقدارك، فإن قالوا: هذا قول من؟ قل: بعض الفقهاء، وإذا استمروا على ذلك وألفوه عرفوا مقدارك وعظموا محلك، وأعط كل من يختلف إليك نوعاً من العلم ينظرون فيه، وأنسهم ومازحهم أحياناً وحادثهم، فإن المودة تستديم مواظبة العلم، وأطعمهم أحياناً واقض حوائجهم، واعرف مقدارهم، وتغافل عن زلاتهم، وارفق بهم وسامحهم ولا تبد لأحد منهم ضيق صدر أو ضجراً، وكن كواحد منهم، واستعن على نفسك بالصيانة لها

والمراقبة لأحوالها، ولا تكلف الناس ما لا يطيقونه وارض لهم ما رضوا لأنفسهم، وقدّم إليهم حسن النية، واستعمل الصدق، واطرح الكبر جانباً، وإياك والغدر وإن غدروا بك، وأدّ الأمانة، وإن خانوك، وتمسك بالوفاء، واعتصم بالتقوى.

## تفريخ الفتوى بحسب الطلب

١٠٧٤

قال الداعية الإسلامي يوسف القرضاوي في كتابه (أين الخلل؟) ص (٢٢):  
لا عجب أن يهزم ألف مليون من غناء السيل أمام ثلاثة ملايين من اليهود. ذلك هو حال أمتنا من الشتات والضياع والغيبة عن الوجود، فمن المسؤول عنه؟ ونحن لا نريد تحديد المسؤولية هنا عن ضياع أمتنا وتعطيل طاقاتها لنحاكم المسؤولين عنه محاكمة ثورية أو شعبية، فمهمتنا مهمة الدعاة لا مهمة القضاء، وما نريد إلا أن نعرف من أين أتينا حتى نسد مواقع الخلل، ونعالج مواضع الداء، ونتقي مكامن الخطر. وهل تقع المسؤولية على الحكام وأصحاب السلطان؟ إن الأكثرية تميل إلى تحميل الحكام وزر ما نحن فيه؛ وذلك لجملة أسباب: الأول أن الناس عادة يحبون أن يبرئوا أنفسهم، ويحملوا المسؤولية لغيرهم، ولهذا تحب الشعوب أن تحمل عبء تبعثها على عاتق حكامها. والثاني أن شعوبنا نحن المسلمين خاصة عانت من حكامها الكثير، فهي تنفس عن نفسها حين تحملهم إثم ما أصابهم. والثالث أن المسؤولية بقدر المكانة، والسلطة والحكام قد مكنوا وسلطوا، ولكنهم لم يكونوا عند حسن الظن بهم، لم يكونوا كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١]، ولا ريب أن الحكام يحملون قسطاً كبيراً، وربما القسط الأكبر مما نحن فيه، ولكن من المؤكد أيضاً أن الحكام في الغالب أشبه بشعوبهم، وهم إفراز مجتمعاتهم، حتى الحكام الذين يفرضون على شعوبهم إنما يستمر حكمهم بممالاتها لهم أو على الأقل سكوتها عنهم، فقد ورد: «كما

تكونوا يولى عليكم»<sup>(١)</sup>. وهل تقع المسؤولية على العلماء؛ لأنهم ورثة الأنبياء ودعاة الحق وهداة الخلق الذين أخذ الله عليهم الميثاق ليبينن دين الله للناس، ولا يكتُمونه. بيد أن من العلماء من قصر في واجب البيان والبلاغ، ومنهم من مشى في ركاب السلطان، وجعل العلم خادماً للسياسة، وجعل من نفسه جاهزاً لتفريخ (الفتوى بحسب الطلب).

والحقيقة أن علماء اليوم لم يعودوا وحدهم في الميدان كما كانوا في العصور الماضية، فقد غدا الذين يملكون الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية في أجهزة الإعلام أشد تأثيراً في الجماهير من أصحاب المنابر، وإن كان لكلمة الدين من القوة ما ليس لغيرها، وإن مشكلة علماء اليوم أنهم أصبحوا موظفين لدى الحكام، فهم الذين يملكون توليتهم وعزلهم، وليسوا كعلماء السلف الذين اشتغلوا بالحرف والتجارة وغيرها ليكفوا أنفسهم بأنفسهم، ولقد سئل أحد الولاة عن سر قوة الإمام الحسن البصري وشموخه؟ فقال الوالي في صراحة: احتجنا إلى دينه، واستغنى عن دنيانا. فماذا يكون الحال إذا احتاج العلماء إلى ما عند الحكام من دنيا، واستغنى الحكام عما عند العلماء من دين؟ على أن من العلماء من أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ولقي في سبيلها من العذاب ما لقي، بل منهم من قدم رقبته في سبيل الله.

أقول:

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدّد المسؤولية في الحديث الشريف الشهير: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(٢)</sup> ولكن من وجهة نظري الشخصية أن المسؤولية العظمى والكبرى تقع على العلماء والحكام، فإذا صلح هذان الصنفان من الناس فالبقية تتبعهم قطعاً، هل يريد أحد أن يضرب الأمثلة؟ هل نذكر بعهد الرسول الكريم أو بعهد خلفائه الراشدين أو هذا محال الوصول إلى مستواه في الصلاح؟ كلا، كلا، فالخير باقٍ في أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قيام الساعة.

(١) ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١/٤٩٠ رقم ٣٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥/٢ رقم ٨٩٣)، ومسلم (٣/١٤٥٩ رقم ١٨٢٩).

دخل الكمبيوتر في استخدام جديد للبوليس في الولايات المتحدة الأمريكية، هذا هو كمبيوتر الطوارئ، وهو مربوط برقم التليفون (٩١١)، وإذا وقعت في مأزق من أي نوع، فاطلب هذا الرقم، إذ يكفي أن تذكر اسمك ليعرف الكمبيوتر على الفور من أنت وفي أي عنوان، وربما يستنتج من صوتك نوع المشكلة التي تعانيها، فهو يعرف الحالة النفسية لكل نوع من الطلبات بنسبة كبيرة حتى قبل أن ينطلق بها المتحدث، وقد أفادت هذه الخدمة كثيرًا في مساعدة الأطفال التائهين الذين قد يطاردتهم المجرمون من أي نوع، وساعد هذا الكمبيوتر العجيب على نجدة الزوجات اللواتي يتعرضن لإيذاء أزواجهن، فبمجرد أن تطلب الزوجة الرقم يحدد الكمبيوتر العنوان، ويتجه أقرب رجال البوليس إلى البيت، وأهم ما يقوم به هذا الكمبيوتر المنجد أنه في حالة انقطاع المكالمات كما يحدث في هجوم اللصوص على البيوت وتهديد أصحابها، بحيث لا يستطيعون إكمال المكالمات، فإن مجرد ذكر الاسم يكفي ليحدد الكمبيوتر لرجال البوليس مكان المنزل. أكثر من هذا، فإن الكمبيوتر مزود بخرائط إلكترونية تقوم بتحديد المواقع بكفاءة ودقة، ويمكنه هذا من متابعة السيارات المسروقة، وأفضل الأماكن التي يجب أن تقف فيها سيارات البوليس لضبط السيارة المسروقة، ويستطيع الكمبيوتر أن ينذر الذين يصابون بالأزمات القلبية بمجرد الاتصال به، فهو يقوم تلقائيًا بالاتصال بسيارة الإسعاف أو بأقرب طبيب، ويستطيع التدخل بسرعة لإطفاء الحرائق بالاتصال بالجهات المسؤولة وتحديد مكان الحريق ونوعه وأفضل الطرق لمقاومته، وآخر حادث تدخل فيه الكمبيوتر، ونشرته الصحف أن طالبًا هدد مدرسته بنسفها بقنبلة كان يحملها بيده، واتصل ناظر المدرسة بالرقم السحري، وفي دقائق كان الطالب الذي أدهشته المفاجأة قد سلم القنبلة لرجال البوليس.

أقول:

هذا ما فتح الله على عباده الكافرين؛ وذلك لأنهم أخذوا بالأسباب، ولم يجلسوا على الأرض يلعبون البلوت أو في المقاهي لشرب الشيشة وكزكرة الفصص، نعم، تقدموا وتأخرنا والسبب هو جدتهم وهزلنا، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، نسأل الله أن يهديهم للإسلام، ويهدي المسلمين لمثل هذه العلوم؛ لتعيش البشرية على أحسن وجه.

### القيام بالشهادة

١٠٧٦

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٣] فسر العلامة والداعية الإسلامي الشهير محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ الآية السابقة بما يلي: إن الإنسان المسلم يجب أن يكون مستعداً دائماً لأداء الشهادة على وجهها ليحق الحق، ويبطل الباطل، ويدعم العدالة، والقيام بالشهادة يتطلب صراحة لا تخاف في الله لومة لائم؛ ذلك أن الحق يختنق في هذه الدنيا وسط دخان الشهوات المتصاعد من هنا ومن هناك، والمرء ينكل عن الإدلاء بالرأي الصحيح والقول الصحيح؛ لأنه يخشى على مستقبله مثلاً، أو يريد محاباة قريب أو يطمع في مال، أو يتطلع إلى منصب، إنه لا يستبين وجه الله من غلظ الحجب على بصيرته، والمجتمع الإسلامي يسقط مع اختفاء الذين هم بشهاداتهم قائمون. لا، هؤلاء المؤمنون- كما يزعمون- ليسوا بشهاداتهم قائمين، ربما سكتوا أو قالوا فلم يعدلوا، وكم رأينا من أناس قُدموا وحققهم التأخير، أو أخروا وحققهم التقديم، ولقد عرفت لماذا سبقت بعض المجتمعات سبباً بعيداً عندما قرأت أن زوجاً في هولندا عُزل وجُرد من أوسمته لما كشفت صلته بقضية رشوة، وأن رئيس وزراء اليابان عُزل ورمي به في السجن للتهمة نفسها. إن القيام بالشهادة يعني ألا نترك صاحب حق مستوحشاً في هذه الدنيا لا صديق له ولا ظهير.

أقول:

ما أحسن هذا التخريج والاستدلال! فجزاه الله خيراً.

هذا بذلهم لباطلهم، فما بذلنا لحقتنا؟

١٠٧٧

أصدرت الهيئة الدولية لبحوث الإرساليات المسيحية نشرة إحصائية عن التنصير وأنشطته في العالم عام (١٩٩١م) جاء فيها أن عدد المؤسسات التنصيرية ووكالات الخدمات المسيحية بلغ (١٢٠٨٨٠) وكالة ومؤسسة، وبلغ دخل الكنائس العاملة في مجال التنصير (٩٣٢٠) بليون دولار، وأنفقت (١٦٣) بليون دولار لخدمة المشروعات، وحققت الإرساليات الأجنبية دخلاً مقداره (٨,٩) بليون دولار، وذكرت أنه يعمل في مجال خدمة التنصير (٨٢) مليون جهاز كمبيوتر لحفظ المعلومات ونشرها، وأنه صدر (٨٨٦١٠) كتب و(٢٤٩٠٠) مجلة أسبوعية للدعوة، وبلغ عدد الأناجيل الموزعة مجاناً (٥٣) مليون نسخة، أما محطات الإذاعة والتلفزيون المعنية بالتنصير فتبلغ (٢٣٤٠) محطة، وإذا جمعت الأرقام المنفقة في أغراض التنصير للسنة (١٩٩١م) بلغت (١٨١) مليار دولار.

أقول:

لا حول ولا قوة إلا بالله، ماذا ينفق المسلمون؟ فقد عجزوا عن تأمين ما طلبته هيئة الإغاثة الإسلامية، مليار واحد فقط، وليس (١٨١) نسوق هذه النادرة إلى التجار من الدول والأفراد لعلهم يعون، وينفقون على الحق عشر ما ينفق أعداؤهم على الباطل.

أربعة يُستشهد عليهم بأربعة

١٠٧٨

جاء في كتاب (يوم الفرع الأكبر): أنه يُنادى بالأغنياء وأهل الغبطة، فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله؟ فيقولون: أعطانا الله ملكاً وغبطة شغلنا عن

القيام بحقه في دار الدنيا، فيقال لهم: من أعظم ملكاً أنتم أم سليمان؟ فيقولون: بل سليمان. فيقال: ما شغله ذلك عن القيام بحق الله والدأب في ذكره. ثم يقال: أين أهل البلاء، فيؤتى بهم أنواعاً؟ فيقال لهم: أي شيء شغلكم عن عبادة الله تعالى؟ فيقولون: ابتلانا الله في دار الدنيا بأنواع من الآفات والعاهات شغلنا عن ذكره والقيام بحقه، فيقال لهم: من أشد بلاء أنتم أم أيوب؟ فيقولون: بل أيوب، فيقال لهم: ما شغله ذلك عن حقنا والدأب لذكرنا، ثم ينادى: أين الشباب العطرة والممالك؟ فتقول الشباب: أعطانا الله جمالاً وحسناً فتناً به، فكنا مشغولين عن القيام بحقه وكذلك الممالك، فيقولون: شغلنا رق العبودية في الدنيا، فيقال لهم: أنتم أكثر جمالاً أم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلقد كان في رق العبودية ما شغله ذلك عن القيام بحقنا ولا الدأب لذكرنا؟ ثم ينادى: أين الفقراء؟ فيؤتى بهم أنواعاً، فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله تعالى؟ فيقولون: ابتلانا الله في دار الدنيا بفقير شغلنا، فيقال لهم: من أشد فقراً أنتم أم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فيقولون: بل عيسى، فيقول لهم: ما شغله ذلك عن القيام بحقنا والدأب لذكرنا، فمن بلي بشيء من هذه الأربعة، فليذكر صاحبه.

### العاصي جاهل

١٠٧٩

قال أبو العالية: سألت أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الآية: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧] فقالوا: كل من عصى الله فهو جاهل، ومن تاب قبيل الموت فقد تاب من قريب. وعن قتادة قال: «أجمع أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن كل من عصى ربه فهو في جهالة، عمداً كان أو لم يكن، وكل من عصى الله فهو جاهل»، وكذلك قال التابعون ومن بعدهم. قال مجاهد: «من عمل ذنباً من شيخ أو شاب فهو بجهالة»، وقال: «من عصى ربه فهو جاهل، حتى ينزع من معصيته»، وقال أيضاً: «هو

إعطاء الجهالة العمدة» وقال مجاهد أيضاً: «من عمل سوءاً خطأ أو إثماً عمداً: فهو جاهل حتى ينزع منه».

أقول:

كن عاقلاً بالطاعة لربك.

عظمة الفقه

١٠٨٠

سئل الإمام أبوحنيفة: كيف وفقت إلى الفقة؟ فقال أخبرك: أما التوفيق فكان من الله، وله الحمد كما هو أهله ومستحقه، إني لما أردت تعلم العلم جعلت العلوم كلها نصب عيني، فقرأتها فنأ فناً، وتفكرت عاقبته وموضع نفعه، فقلت: آخذ في الكلام، ثم نظرت، فإذا عاقبته عاقبة سوء ونفعه قليل، وإذا أكمل الإنسان فيه لا يستطيع أن يتكلم جهاراً، ورمي بكل سوء، ويقال: صاحب هوى، ثم تتبعت أمر الأدب، ثم تتبعت أمر الشعر، فوجدت عاقبة أمره المدح والهجاء وقولي الكذب وتمزيق الدين، ثم تفكرت في أمر القراءات، فقلت: إذا بلغت الغاية منه اجتمع إلي أحداث يقرؤون علي والكلام في القرآن ومعانيه صعب، فقلت: أطلب الحديث، فقلت: إذا جمعت منه الكثير احتاج إلى عمر طويل حتى يحتاج الناس إلي، وإذا احتيج إلي لا يجتمع إلا الأحداث، ولعلمهم يرمونني بالكذب وسوء الحفظ، فيلزموني ذلك إلى يوم الدين، ثم قلبت الفقه، فكلما قلبته وأدرته لم يزد إلا جلالته، ولم أجد فيه عيباً، ورأيت الجلوس مع العلماء والفقهاء والمشايخ والبصراء والتخلق بأخلاقهم، ورأيت أنه لا يستقيم أداء الفرائض وإقامة الدين والتعبد إلا بمعرفته وطلب الدنيا والآخرة إلا به، ومن أراد أن يطلب به الدنيا طلب به أمراً جسيماً، وصار إلى رفعة منها، ومن أراد العبادة والتخلي لم يستطع أحد أن يقول: نعبد بغير علم، وقيل: إنه فقه وعمل بعلم.

أقول:

صدق الإمام وصدق قبله سيد الأنام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»<sup>(١)</sup>.

الأمر بالمعروف

١٠٨١

جاء في كتاب (دعاة لا قضاة) لفضيلة المرحوم حسن الهضيبي ص ١٨٧: قد اتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم للأحاديث الثابتة ولقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ثم اختلفوا في كفيته، فذهب بعض أهل السنة من القدماء من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فمن بعدهم، وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وهو قول سعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ إلى أن الغرض من ذلك إنما هو بالقلب فقط ولا بد أو باللسان إن قدر على ذلك، ولا يكون باليد ولا بسل السيوف أصلاً إلا أن يخرج الناطق، فإذا خرج وجب سل السيوف حينئذ معه إلا أن جميع القائلين بهذه المقالة من أهل السنة إنما رأوا ذلك إذا لم يكن الإمام عادلاً، فإن كان عادلاً، وقام عليه فاسق وجب عندهم بلا خلاف سل السيوف مع الإمام العادل، وذهبت طوائف من أهل السنة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية إلى أن سل السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إذا لم يكن دفع المنكر إلا بذلك، وقالوا: إذا كان أهل الحق في عصابة يمكنهم الدفع، ولا يباسون من الظفر ففرض عليهم ذلك.

(١) أخرجه البخاري (١/٢٥٠٧)، ومسلم (٢/٧١٨ رقم ١٠٣٧).

ذكر المؤرخون أن ثمامة بن أشرس سعى إلى الواثق بن أحمد بن نصر المروزي، وذكر له أن يكفر من ينكر رؤية الله تعالى، ومن يقول بخلق القرآن، فاعتصم من بدعة القدرية، فقتله، ثم ندم على قتله، وعاتب ثمامة وابن داود وابن الزيات في ذلك، وكانوا قد أشاروا عليه بقتله، فقال له ابن الزيات: وإن لم يكن قتله صواباً فقتلني الله تعالى بين الماء والنار، وقال ابن أبي داود: حبسني الله تعالى في جلدي إن لم يكن قتله صواباً، وقال ثمامة: سلط الله تعالى عليّ السيف إن لم تكن أنت مصيباً في قتله، فاستجاب الله تعالى دعاء كل واحد منهم في نفسه، أما ابن الزيات فإنه قُتل في الحمام، وسقط في أثوابه، فمات بين الماء والنار، وأما ابن أبي داود فإن المتوكل رَمَهُ اللهُ حبسه، فأصابه في حبسه الفالج، فبقي محبوساً بالفالج إلى أن مات، وأما ثمامة فإنه خرج إلى مكة، فرآه الخزاعيون بين الصفا والمروة، فنادى رجل منهم، فقال: يا آل خزاعة، هذا الذي سعى بصاحبكم أحمد بن فهر، وسعى في دمه، فاجتمع عليه بنو خزاعة بسيوفهم حتى قتلوه، ثم أخرجوا جيفته من الحرم، فأكلته السباع.

أقول:

إياك والبغي، فإن صاحبه معجل له العقاب في الدنيا قبل الآخرة.

قال فضيلة الشيخ سلمان العودة: من المآخذ على الدراسات الفقهية المعاصرة جانب الضعف العلمي، وعدم هضم التراث الفقهي والحديثي الذي يُعدّ قاعدة للانطلاق في الدراسة والفتوى والتأليف، ومن العجيب أن الدراسات الشرعية أصبحت حمى مستباحاً لكل من شاء، سواء في كبر الأمور أو صغيرها، وليس فيها

صغير حتى أصبحت القضايا الخطيرة في الإسلام في متناول أي باحث مهما كان، ولذلك فلا غرو أن يخالف ما أجمع عليه المسلمون خلفاً عن سلف أو يؤيد رأياً شاذاً منبوءاً تجاوزه الزمن، أو ينقب في فقه الرافضة أو من شاكلهم على بعض الآراء التي تروق له، ويقدمها للمسلمين على أنها فقه الإسلام ورأي علماء الإسلام، وكم رأينا من الصحفيين أو صغار الطلبة من يجازف في القول، ولا يتورع عن الخوض فيما لا يحسن، ويكتب، وينشر، ويناقش، ومن ذا يحاسبه أو يعاتبه وهذا مصداق حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جَهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا»<sup>(١)</sup> رواه البخاري.

قال عالم فلك: لا جدال أن العلم يكشف لنا يوماً بعد يوم أن الإنسان يجابه تحديات كون ليس له فقط أربعة أبعاد، بل إن له كما يقول بعض العلماء: أحد عشر بعداً، وإن (جريمي برنشتين) يقول مؤكداً: إن لكوننا هذا عشرة أبعاد، فهناك علماء آخرون يقولون: إن ثمة عدداً آخر من الأكوان، ولكي أقدم مثلاً على ضخامة هذا الكون سأحدث قليلاً عن العناقيد الضخمة من المجرات التي يتألف الواحد منها من عشرة آلاف مجرة أو أكثر، فهناك مثلاً عنقود العذراء الذي يبعد عنا قرابة ثلاثين مليون سنة ضوئية، وإن هناك تكتلاً من المجرات يمتد من عنقود العذراء في اتجاه الدب الأكبر، وقد دعا العالم الفلكي (كبرتس) هذا التكتل من المجرات من سرادق المجرات، وقد أظهر البحث أن ثمة نظاماً له شكل القرص، ومركزه عنقود العذراء، وقطره يبلغ ما يقارب مئة مليون سنة ضوئية، وتقع مجرتنا على طرف هذا النظام، كوقوع شمسنا مع طرف مجرتنا، ويحتوي هذا النظام على عشرة آلاف مجرة، وهناك من يقول: إن نظام العذراء

(١) أخرجه البخاري (١/٣١-٣٢ رقم ١٠٠).

هو مركز الكون، وإنما نحن موجودون في عنقود العذراء المميز، وتظهر العناقيد الأخرى من المجرات، مثل عنقود الذؤابة أقزاماً بالنسبة إلى نظام العذراء، ومن ثم هناك عناقيد عليا أخرى فضلاً على عنقودنا؛ عنقود العذراء، ويبلغ قطر الواحد من هذه العناقيد العليا مئة مليون سنة ضوئية، وتبلغ السنة الضوئية ستة ملايين مليون ميل، ويضم العنقود من هذه العناقيد عشرة آلاف مجرة، وفي وسعنا أن نلتقط صوراً لعشرة آلاف مليون أو مئة ألف مليون مجرة لو أزيل الغبار من درب التبانة (مجرتنا) وقد يكون من المفيد أن أستدرك، فأقول: إن قطر مجرتنا لا يتجاوز ثمانين ألف سنة ضوئية، وإن شمسنا هذه هي واحدة من مئة ألف مليون نجم تتشكل منها مجرتنا، وهي تدور حول نواة المجرة دورة واحدة كل مئتي مليون سنة، وإن التلسكوب الذي بلغ قطره مئتي بوصة يستطيع تصوير ألف مليون مجرة.

أقول:

أخذت هذا الكلام من العالم الفيزيائي (موراي جلمان) ثم تذكرت قول الله عزَّجَل: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] وتذكرت قول رسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الشريف: «أدنى أهل الجنة منزلة وما فيهم دني من له عشرة أضعاف ملك الدنيا»<sup>(١)</sup> يعني لك بالجنة يا مسلم، كبر القارات الست الأمريكيتين وآسيا وإفريقيا وأوروبا وأستراليا. نعم، صدق أن كل هذه الدنيا لا تساوي حجم ضب صغير بالنسبة إلى ما ذكره هذا العالم، «ولا تزن عند الله

(١) ليس هذا لفظ الحديث، إنما لفظه: عن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبُورًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتَهَا مَلَأَى. فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتَهَا مَلَأَى. فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعِشْرَةَ أَمْثَالِهَا. أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ: تَسَخَّرَ مِنِّي أَوْ تَضَحَّكَ مِنِّي، وَأَنْتَ الْمَلِكُ. فَلَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١١٧/٨) رَقْمَ (٦٥٧)، وَمُسْلِمٌ (١٧٣/١) رَقْمَ (١٨٦).

جناح بعوضة»<sup>(١)</sup>، كما في الحديث الشريف. نعم، جناح بعوضة على الحقيقة، وليس على المجاز، فيا عبد الله، اتق الله في دنياك لتفرح في آخراك، في هذا الملك الواسع، وهو ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، سبحانك! يا رب، سبحانك! يا رب، ما أوسع وأعظم سلطانك!

٦٢٠ بليون دولار

١٠٨٥

هذا الرقم الهائل الذي جعلناه عنوان هذه النادرة ليس ميزانية أغنى دولة في العالم، وهي أمريكا أو اليابان أو ألمانيا، كلا، بل هو ما خسره العالم العربي والإسلامي من جراء حماقة أحد زعماء العرب في العراق، فإلى التقرير الذي صدر في وسائل الإعلام يوم ١٠/٣/١٤١٣ هـ يقول: أكد التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٩٢م أن مجموع الخسائر المادية المباشرة التي لحقت بالاقتصاد العربي نتيجة الخليج بلغ ٦٢٠ بليون دولار، ووصف التقرير هذا المبلغ بأنه أكثر دقة من التقديرات السابقة للأضرار الناجمة عن الأزمة إبان العامين ١٩٩٠م و١٩٩١م، وأشار التقرير إلى أن مجموع الخسائر ناجمة عن الانخفاض الحاد في النمو الاقتصادي للكويت والعراق وبدرجات أقل في الدول العربية، والأخرى نجمت عنه خسائر بنحو ١٨٥ بليون دولار وزيادة الإنفاق الحكومي في عدد من الدول العربية لمواجهة متطلبات الأزمة، وتقدر هذه الزيادة بنحو ٨٥ بليون دولار إضافة إلى ٥١ بليون دولار خرجت من الدول العربية في شكل رسمي أو خاص ومظاهر الدمار الذي لحق بالمنشآت الاقتصادية والبيئية الأساسية في كل من الكويت والعراق، ويقدر حجمه بنحو ١٦٠ بليون دولار للكويت و٩٠ بليون دولار للعراق، وأضاف التقرير الذي وزعه صندوق النقد العربي بعدما اطلع عليه محافظو المصارف المركزية العربية في اجتماعهم الذي عُقد في أبوظبي أن هناك

(١) لفظه: عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً من شربة ماء»، أخرجه الترمذي (٤/٥٦٠ رقم ٢٢٢٠)، وقال: هذا حديث صحيح غريب.

مظاهر أخرى للأضرار الجسيمة التي نجمت عن الأزمة يصعب وضع مقابل مادي لها، وفي مقدمتها الأضرار التي لحقت بالبيئة، وأكد التقرير الذي تعدّه إلى جانب صندوق النقد العربي ثلاث جهات عربية أخرى هي: الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ومنظمة الأقطار العربية المصدّرة للبترول (أوابك)، والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي أن الاقتصاد العربي بدأ يستعيد قواه بين عامي ١٩٨٦م و١٩٨٩م حيث حقق خلال ذلك نموًا حقيقياً يقارب ٣٪ سنوياً، وكان أدائه جيداً خصوصاً عام ١٩٨٩م حيث نما بنحو ٥٪ وقال: إن أزمة الخليج عادت بالاقتصاد العربي إلى التراجع، وانخفض مجمل الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي للدول العربية بنحو ٢,١٪ عام ١٩٩٠م، ونحو ٧٪ عام ١٩٩١م، وارتفعت معدلات التضخم في العالم العربي عامي ١٩٩٠م، و١٩٩١م إلى مستويات تقارب ما كان سائداً في السبعينيات البالغة ٢٠٪.

أعود، فأقول:

لو صرف عشر معشار هذا المبلغ في وجهه الشرعي لما وجد في العالم العربي والإسلامي فقير أو محتاج؛ يعني يوفر ملايين فرص العمل، وآلاف المدارس، وآلاف المستشفيات، ولكن وأضغط على كلمة لكن هذه بقولي: «يا حوفك يا الخرقاء، وكيه» أو «على نفسها جنت براقش»، ولن يغير الله ما بنا حتى نغير ما بأنفسنا، والمسؤولية والكلام موجه لنا جميعاً أفراداً وجماعات ورؤساء ومرؤوسين، وكلنا راعٍ، وكلنا مسؤول عن رعيته، كما في الحديث الشريف.

## العمل العمل يا مسلمون

١٠٨٦

قال بعض العلماء: إن البعض يحاول أن يلصق بمنهج الله أنه ترك للدنيا، فما دامت الحياة هي الآخرة، وما دامت هذه دنيا أغيار لها نهاية طالت أم قصرت، فلماذا العمل، ولماذا إجهاد النفس في شيء سيفنى؟! وفي شيء سيزول، وينتهي؟!!

ونقول لهؤلاء جميعاً الذين يرددون هذا الكلام، وما أكثر ما يرددونه: إن هذا غير صحيح، ولو أن الله سبحانه وتعالى كان يريد من المؤمنين به ألا يعملوا لما فرض الزكاة، ولما أوجد الصدقة، ولما وضع في منهجه تشريعات التورث فيما يتركه الإنسان بعد وفاته، ولكن وجوب الزكاة وفضلها معناه أنه لا بد أن يتحرك كل مؤمن في الحياة حركة تزيد على حاجته، وإلا فمن أين سيدفع الزكاة، وكلما زادت حركته زاد مقدار الزكاة الذي سيدفعه، وكلما ازدادت حركة حياته أكثر استطاع أن يتصدق بجزء من ماله، فزاد ثوابه عند الله، وزادت حسناته، وكلما ترك لأولاده شيئاً يعينهم على حياتهم المقبلة كان ذلك أفضل بشرط أن يكون مالاً حلالاً، وزكيت عنه، ولو أن منهج الله حقيقة لا يحث على العمل والتحرك في الحياة بأقصى طاقة ممكنة، بحيث تزيد حركة حياتك عما تحتاج إليه أنت وأسرتك، أنت وزوجك وأولادك ما فرضت الزكاة، وما وجبت الصدقة، إذن فكل من يقول: إن منهج الله ترك للعمل لأن الدنيا فانية، نقول: إنه ترك للعمل غير الصالح، وحث على العمل الصالح؛ لأن مهمة الإنسان هي عمارة الأرض، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما أكل أحدكم طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده»<sup>(١)</sup>، ولو أن منهج الله فعلاً كان يدعو إلى عدم العمل وترك الدنيا للكافرين لكان أول من طبّقه هم المسلمون الأوائل أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن هؤلاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جميعاً فهموا المنهج الصحيح، ولذلك عملوا، وجاهدوا، وأنشؤوا حضارة من أعرق الحضارات التي أخذت الدنيا كلها عنها أساس الحضارة الحديثة. ولذلك، فإن الذين يمتنعون عن العمل هم مخالفون لمنهج الله، والذين يريدون أن يعيشوا على فتات المجتمع في حقيقتهم يسيئون للمنهج، ولا يطبقونه، فمنهج الله يريد أمة قوية قادرة أن تسود الأرض، ولا يريد أمة من الضعاف الجياع يسألون الصدقة، ويعيشون مستضعفين في الأرض، تلك هي الحقيقة التي لا بد أن يعيها الجميع، وأجر الإنسان العامل هو أجر المجاهد

(١) أخرجه البخاري (٥٧/٣) رقم (٢٠٧٢).

مصدقاً لحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كان جالساً مع أصحابه ذات يوم، فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى، فقالوا: ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله! فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقولوا هذا، فإن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة، ويغنيها عن الناس، فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم، ويكفيهم فهو في سبيل الله»<sup>(١)</sup>.

أقول:

الإسلام يريد من المسلم أن يكون قوياً، ولن يكون قوياً إلا بالعمل، والعمل الذي لا يشغله عن حق الله وحق نفسه، وإذا لم يعمل المسلم افتقر هو وبلده ووطنه وأمنه، وكره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفقر، وقال عنه: «كاد الفقر أن يكون كضراً»<sup>(٢)</sup>.

### البيهقي يشرح حسن الخلق

١٠٨٧

قال البيهقي: معنى حسن الخلق استقامة النفس نحو الأرفق والأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى، وقد يكون فيما بين الناس، وهو في ذات الله عَزَّجَلَّ أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله تعالى ونواهيه يفعل ما فُرض عليه طيب النفس به، وينتهي عما حرّم عليه راضياً غير متضجر، ويرغب في نوافل الخير، ويترك كثيراً من المباح لوجهه تعالى وتقدس إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله مستبشراً لذلك غير ضجر منه ولا متعسراً به، وهو في المعاملات بين الناس أن يكون سمحاً بحقوقه لا يطالب غيره بها، ولا يغضب

(١) أخرجه البيهقي في سننه الصغير (٥٤٦/٦ رقم ٢٩٢٠)، وفي سننه الكبرى (٤٧٩/٧ رقم ١٦١٥٨)، والطبراني في أوسط معاجمه (٥٦/٧ رقم ٦٨٣٥)، وفي الصغير (١٤٨/٢ رقم ٩٤٠)، وفي الكبير (١٢٩/١٩ رقم ٢٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٤٢٨).

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٣٤٢/١ رقم ٥٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/٩ رقم ٦١٨٨)، والطبراني في الدعاء (رقم ١٠٤٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٤١٤٨).

الآخرين عليها، فإن مرض ولم يعد أو قدم من سفر فلم يزر أو سلم فلم يرد عليه، أو ضاف فلم يكرم، أو شفع فلم يجب، أو أحسن فلم يشكر، أو دخل على قوم فلم يمكن، وتكلم فلم ينصت إليه، أو استأذن على صديق فلم يؤذن له، أو خطب فلم يزوج، أو استمهل الدائن فلم يمهل، أو استنقص منه فلم ينقص وما أشبه ذلك، لم يغضب ولم يتفكر في سوء حاله، ولم يستشعر في نفسه أنه قد جُفي وأوحش وأنه لا يقابل كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله، بل إنه لا يعتد بشيء من ذلك، ويقابل كل مسيء بما هو أحسن وأفضل وأقرب إلى البر والتقوى وأشبه بما يحمد ويرضى، ثم يكون في إيفاء ما يكون عليه فهو في حفظ ما يكون، فإذا مرض أخوه المسلم عاده، وإن جاء في شفاعته شفّعه، وإن استمهلته في قضاء دين أمهله، وإن احتاج منه إلى معونته أعانه، وإن استسمحه في بيع سمح له، ولا ينظر إلى من يعامله الآن كيف كانت معاملته إياه فيما خلا إنما يتخذ الأحسن إماماً لنفسه، فينحو نحوه، ولا يخالفه.

أقول:

من يستطيع ذلك إلا أولو العزم من الرجال، وقليل ما هم؟

تمتع بقدرات الله

١٠٨٨

قال بعض الفقهاء: عجبت من إنسان يحرم نفسه من بهجة الحياة مدة طويلة، ويظل يذاكر، ويكده حتى يحصل على حياة طيبة، ثم ينكر هذا الإنسان نفسه سنة الله سبحانه وتعالى التي اتبعها هو في الأمور الدنيوية، فيقترف الآثام، ويرتكب المعاصي ناسياً أو متناسياً أن ذلك مثل الذي يلعب في صباه، ويفعل ما تهواه نفسه، فإذا كبر لم يجد عملاً يقتات منه، بل إنه أكثر من ذلك بكثير، فالحياة الدنيا أيام معدودة والحياة الآخرة خلود، والحياة الدنيا أن يتمتع الإنسان بقدراته هو، والحياة الآخرة أن يتمتع الإنسان بقدرته الله سبحانه وتعالى

التي لا تحدها حدود، وفرق هائل بين قدرة المخلوق وقدرة الخالق، والحياة الدنيا فيها مباح محدود إذا أسرف فيها الإنسان هلكت صحته، ولم يستطع التمتع بها، فالذي يفرط في الطعام علاجه الحرمان من الطعام، والذي يفرط في أي لذة أخرى دنيوية حرمه الله منها، ويجعله غير قادر عليها، أما الحياة الآخرة ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

أقول:

هذا والله هو القول الصدق، ولكن ينقصنا العلم بذلك ثم العمل، والعمل سيحتاج إلى الصدق مع الله ومع الناس.

احذر كتب الجاحظ

١٠٨٩

قال الإمام البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) ص ١٦٠: وقد افتخر الكعبي بالجاحظ، وزعم أنه من شيوخ المعتزلة، وافتخر بتصانيفه الكثيرة، وزعم أنه كنانى من بني كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، فيقال له: إن كان كنانياً كما زعمت، فلم صنف كتاب (مفاخر القحطانية على الكنانية وسائر العدنانية)؟

وإن كان عربياً فلم صنف كتاب (فضل الموالي على العرب)؟ وقد ذكر في كتابه المسمى (مفاخر قحطان على عدنان) أشعاراً كثيرة من هجاء القحطانية للعدنانية، ومن رضي بهجو آبائه كمن هجا أباه، وقد أحسن حظه في هجاء ابن بسام الذي هجا أباه، فقال: من كان يهجو أباه فهجوه قد كفاه لو أنه من أبيه ما كان يهجو أباه، وأما كتبه المزخرفة فأصناف، منها كتاب في (حيل اللصوص)، وقد علم بها الفسقة وجوه السرقة، ومنها كتابه في (غش الصناعات) وقد أفسد به على التجار سلعمهم، ومنها كتابه في (النواميس) وهو ذريعة للمحتالين يجتلبون بها ودائع الناس وأموالهم بها، ومنها كتابه في (الفتيا) وهو مشحون

بطعن أساتذه النّظام على أعلام الصحابة، ومنها كتبه في (القحاب والكلاب واللاطة) وفي (حيل المكدين) ومعاني هذه الكتب لاثقة به وبصفته وأسرته، ومنها كتاب (طبائع الحيوان) وقد سلخ فيه معاني كتاب (الحيوان) لأرسطاطاليس، وضم إليه ما ذكره المدائن من حكم العرب وأشعارها في منافع الحيوان، ثم إنه شحن الكتاب بمناظرة بين الكلب والديك والاشتغال بمثل هذه المناظرة يضيع الوقت بالغثّ، ومن افتخر بالجاحظ سلمنا إليه قول أهل السنة في الجاحظ، كقول الشاعر فيه:

لو يُسَخُ الخنزيرُ مسخًا ثانيًا      ما كانَ إلا دونَ قبِحِ الجاحظِ  
رجلٌ ينوبُ عنِ الجحيمِ بنفسِه      وهو القذى في كلِّ طرفٍ لاحظِ

أقول:

هذا الكلام من كتاب (الفرق بين الفرق) للإمام البغدادي، وأعترف أنني في هذه السلسلة نقلت من كتب الجاحظ، وكنت من المعجبين به، وأستغفر الله عما صنعت عن جهل بحقيقة الرجل، ولن أخذ من كلامه إلا ما يصلح نقله وفيه موافقة لكتاب الله وسنة رسوله، وما هو مغفوع عنه من أدب وحكمة، فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها، ولن نترك الدرّة إن كانت وسط القمامة، والرجل من الناحية اللغوية والأدبية وسلامة الأسلوب في القمة، وأما طويته وخبثه فنبراً إلى الله مما يقال فيه وفي أمثاله، وننبه المسؤولين في المعارف والبلديات بعدم تسمية الشوارع بأسماء مثل هؤلاء؛ لكي لا يرسخ في أذهان الناس أنهم قدوة.

عليك بالقول الحسن

١٠٩٠

روى الحافظ أن ابن أبي الدنيا قال: حدثنا عبد الله، حدثنا بشار ابن موسى، حدثنا يزيد بن المقدم بن شريح قال: حدثني أبي المقدم عن أبيه عن

جده هانئ بن شريح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قلت للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أخبرني بشيء يوجب الجنة؟ قال: «عليك بحسن الكلام، وبذل الطعام»<sup>(١)</sup>. رواه ابن حبان.

الحديث الثاني: حدثنا عبد الله، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سفيان سمع ابن المنكدر يقول: «يمكنكم من الجنة إطعام الطعام، وطيب الكلام»<sup>(٢)</sup>. رواه أبونعيم في (الحلية).

أقول:

ما أسهل ذلك وما أصعبه! سهل لمن وفقه الله، وورقه حسن الخلق، وصعب على من عصى الله، ولكن المطيع سييسر ليسرى، والعاصي سييسر للعسرى، اللهم، يسرنا ليسرى.

## الرميكية وابن عباد

١٠٩١

قال البرقوقي في كتاب (دولة النساء...): تزوج المعتمد بن عباد ملك إشبيلية امرأة يقال لها (الرَّمِيكية) وعاشا زمناً من الدهر في سرور متوالٍ وسعادة يُغبطان عليها، وحدث أن رأت النساء يوماً يمشين في الطين لآعبات، فاشتتت المشي فيه واللعب، فشقَّ على المعتمد أن تمشي هي في الطين، فأمر أن يصنع لها طين من الطيب، فسُحقت الطيوب، وذُرَّت في ساحة القصر حتى ملأتها، ثم نصبت الغرابيل، وصبَّ فيها ماء الورد على الطيوب، وعجنت بالأيدي

(١) أخرجه أبو بكر الشيباني في الأحاد والمثاني (٢٢٠/٤ رقم ٢٤٨٧)، والطبراني في أكبر معاجمه (١٨٠/٢٢) رقم ٤٧٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٠٤٩).

(٢) أخرجه الطبراني في أوسط معاجمه (١٤٥/٢ رقم ١٥٢٤)، وهناد في الزهد (٣٤٧/١ رقم ٦٤٦)، وابن أبي الدنيا في الصمت (رقم ٣٠٢)، وفي مداراة الناس (رقم ١٠٢)، وأبونعيم في الحلية (١٤٩/٣)، وجعله الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٩/٤) من الشواهد التي يقوى بها الحديث (رقم ١٤٦٥)، ونفذه: «أطعموا الطعام، وأطيبوا الكلام».

حتى صارت كالطين، فخاضته مع جواربها، وكان يوماً مشهوداً، وغاضبها المعتمد يوماً، فأقسمت إنها لم تر منه خيراً قط، فقال لها: ولا يوم الطين؟ فاستحت.

أقول:

ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض طباع النساء، وأنهن يكفرن العشير، وخلقن من ضلع أعوج، وحث الرجال على حسن معاملتهن وتقدير ظروفهن النفسية والجسدية والعقلية، وهذا لا ينفي أن بعضهن أفضل من بعض الرجال، مثل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا التي كان يرجع إليها كبار الصحابة في الفتوى، واحتجت إحدى الأخوات في بعض المحاضرات على أحد العلماء قائلة: كيف تقولون يا شيخ: إننا ناقصات عقل ودين؟ فقال لها: لم نقل ذلك، ولكن قاله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة، أما أنت وأمثالك فليس نقص، بل لا يوجد عقل أبداً فارتج المكان من الضحك، وأما ما صنعه ابن عباد إذا صح فهو إسراف وتبذير وسفه ينكره الإسلام، وكثيراً ما ابتلي الإسلام والمسلمون بولاة مثل صاحب الرميكية.

لا تنسى هذه الكلمات

١٠٩٢

يروى أن بعض الصالحين قيل له: إن بيتك قد احترق، فقال: ما احترق؟ فقيل له: كل البيوت التي بجوار بيتك احترقت، فقال: ولكن بيتي لم ي احترق، فلما ذهبوا تبينوا أن البيت فعلاً لم ي احترق، فعادوا إليه ليتبينوا وجه هذه الثقة، فأخبرهم أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمهم كلمات من قالها صباحاً لم يمسه سوء حتى يمسي، ومن قالها مساء لم يمسه سوء حتى يصبح، وهي: «اللهم، أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن

الله قد أحاط بكل شيء علماً، اللهم، إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم»<sup>(١)</sup>.

أقول:

هذا حديث شريف احفظه عن ظهر قلب، وثق بالخير، وثق بالمخبر، وثق بحصول الحصانة الإلهية.

### الحسن البصري والفرزدق

١٠٩٣

عن عبيد بن عياش قال: لما ماتت النوار امرأة الفرزدق شهدها الحسن البصري، فلما سُوي عليها التراب وثب الفرزدق لينصرف، فقال للحسن: يا أبا سعيد، أما تسمع ما يقول الناس؟ قال: وما يقول الناس؟ قال: يقولون: اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس يعنونك ويعنونني، فقال الحسن: ما أنا بخيرهم، وما أنت بشرهم، ولكن ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: يا أبا سعيد، شهادة أن لا إله إلا الله، فبكى الحسن، ثم التزم الفرزدق، فقال: لقد كنت أبغض الناس إليّ، وإنك اليوم من أحب الناس إليّ.

أقول:

لا بد مع شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، من إقامة بقية أركان الإسلام الخمسة.

### عائلة النساء

١٠٩٤

كان من أهم ما اختصت به السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن الله عزَّ وجلَّ غار لها لما تكلم فيها أهل الإفك، فأنزل براءتها في عشر آيات تتلى على تعاقب الأزمان

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم ٥٧)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٩٣٩/١٣) رقم (٦٤٢٠): ضعيف جداً.

(الآيات من ١١ إلى ٢٢ من سورة النور) حتى قال عروة: لو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفاها ذلك فضلاً وعلو مجد، فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة؛ لذا أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها، وكانت أعلم نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل هي أعلم النساء على الإطلاق، قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواجه وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل، وقال عطاء: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة، وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقهه، لا بطب ولا شعر من عائشة، ولم تروِ امرأة ولا رجل غير أبي هريرة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحاديث بقدر روايتها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وقال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا أصحاب محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً، وقال مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأكابر يسألونها عن الفرائض، وقد تفردت السيدة عائشة بمسائل عن الصحابة لم توجد إلا عندها، وما يلهج به بعضهم من أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء»<sup>(١)</sup> فإنه ليس له أصل ولا هو مثبت في شيء من أصول الإسلام، وبعد أن يذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ هذا يقول: وسألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزني؟ فقال: لا أصل له، وروى الإمام أبو حنيفة في مسنده عن أم هانئ أخت علي بن أبي طالب مرفوعاً: يا عائشة، سيكون سوارك العلم والقرآن، وسمع الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا رجلاً ينال منها قال له: اسكت مقبوحاً منبوءاً، والله إنها لزوجة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة.

أقول:

هذه النادرة نهدبها إلى بعض الإخوان الذين يمنعون بناتهم من التعليم من غير اختلاط ولا ريبة، وإلى الطائفة التي تسب الصحابة، وتخص عائشة

(١) حكم عليه الألباني بالوضع في إرواء الغليل (١٠/١).

وأبها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهي حقا الصديقة بنت الصديق وزوجة حبيبنا وقدوتنا وسيدنا أشرف خلق الله محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نسأل الله أن يجعلنا معه في عليين.

### الحذر من فتن الشيطان ومكائده

١٠٩٥

قال أبوالفرج بن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أن الآدمي لما خلق رُكِبَ فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه، ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه، وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب، ويجتنب، وخلق الشيطان محرصاً له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عدوانه من زمن آدم، وقد بذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم، وقد أمر الله بالحذر منه، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨] وقال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ﴾ [النساء: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ٩١].

### الله قريب.. قريب

١٠٩٦

قال الشاعر الإسلامي عمر بهاء الدين الأميري:

قريبٌ قريبٌ والدروبُ تطاولتُ	إليكُ وما للقلبِ عنك محيدُ
قريبٌ كخفقِ النورِ في عينِ مبصرٍ	ولكنَّ لمسَ النورِ عنه بعيدُ
قريبٌ من السرِّ الخفيِّ وحدهِ	قريبٌ من الكنهِ الجليِّ وطيدُ
وانك نورٌ للسماواتِ والثرى	ومن خيرِك المعطاءِ دمت أفيدُ

شهيقٌ عميقٌ والزفيرُ مديدٌ  
ولحمي فأرنو والظلامُ عنيدٌ  
دُنا من سنا ما الغمضُ زادَ تزيدُ  
خفايا البرايا فالجنانُ شهيدُ  
جَري وعَري ما أَشتكي وأعيدُ  
وأشعرُ أني بالشقاءِ سعيدُ  
ومن فيضِ آلاءِ تزيدُ رصيدُ  
إليه نزوعُ النفسِ وهو عديدُ  
أريدُ الذي يا ربَّ أنتَ تريدُ  
وحارتُ ودارتُ والصراطُ فريدُ  
ومأربُ نفسي والغرورُ مريدُ  
ودنيايَ فارحمني فأنتَ مجيدُ  
سويًا فقصدُ السالكينَ حميدُ  
فإني في لبِّ الزحامِ وحيدُ  
رهيفٌ لهيفٌ بالجمالِ وديدُ  
مقامٌ ولن يرقى إليكَ نديدُ  
وجرأةُ ذنبي بل أكادُ أميدُ  
إليكَ التجائي والرجاءُ أكيدُ  
إلهي ترفقُ بي ولستُ أزيدُ

ففي رثتي من وهجٍ وحيكِ نسمةٌ  
ونوركِ يسري في عظامي وفي دمي  
وأبصرُ بالقلبِ المنورِ مغمضًا  
وأبصرُ بالروحِ التي منكَ نفحها  
والمحُ في أقداركِ الغرِّ سرًّا ما  
فيدركُ بالتسليمِ قلبي صوابه  
وإني لأستحي وعندي من ندى  
من البثِّ أستحيي من طلبِ الذي  
سأمسكُ عن ذكرِ الذي منكَ أرتجي  
قريبٌ قريبٌ والدروبُ تشعبتُ  
وإني لأواه منيبٌ بظطرتي  
أعيشُ صراعَ العمرِ بينَ سجيّتي  
وخذُ بيدي واجعلُ إليكَ توجّهي  
ولكن في اغترابي المرُّ مؤنسٌ وحشتي  
وقلبي الذي أحسنتَ تقويمَ خلقه  
وأنتَ الذي ماذا أقولُ؟ فإنه  
ويعقدُ إجلالي هوايَ ومنطقي  
إلهي وجاهي واكتناهي وبارئي  
أقولُ على علمٍ بسوءِ تأدبي

أقول:

الأميري من أهل الشام، وهو صادق النية والطوية أحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً، ومن شعراء الدعوة الإسلامية، ومن أصدقاء الإمام البنا وسيد قطب، وذكروه بخير، ودفن في طيبة الطيبة بحسب وصيته، وكل شعره سخره في خدمة عقيدة الإسلام الصافية.

ويقولون

١٠٩٧

قال الداعية محمد قطب رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه (شبهات حول الإسلام) ص ١٩٦:  
ويقولون: إن نظام الحكم في الإسلام دكتاتوري بطبعه؛ لأن الدولة فيه تملك سلطة واسعة، وتزيد الأمر سوءاً أنها تملكها باسم الدين، باسم شيء مقدس له على نفوس الناس سلطان، فما أسهل ما تستنيم لها الدهماء، وبهذا تختنق حرية الرأي، ويصبح الخارج على الحاكم عرضة للاتهام بالخروج على الدين، فمن أين جاؤوا بهذا القول الغريب على الدين؟ أمن قول القرآن: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُرُوعِي بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] وقوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨] أم من قول أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم» أم من قول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فإن وجدتم في أعوجاجاً فقوموه» فيقول له رجل من عامة المسلمين: «والله لو وجدنا فيك أعوجاجاً لقومناه بحد السيف»؟ نعم، وُجد الطاغون باسم الدين، ولا تزال أمثلة هذا الطغيان تقوم في بعض البلاد، ولكن من ذا الذي يقول: إن الدين وحده هو ستار الطغيان في الأرض؟، وهتلر هل كان يطفى باسم الدين؟! وستالين لقد اعترفت الصحافة الروسية نفسها بديكتاتورية ستالين بعد موته!! وقالت: إنه كان يحكم روسيا حكماً بوليسياً فظاً يجوز أن يتكرر، وفرانكو ومالان في جنوب إفريقيا، وشان كي شك في الصين الوطنية، وماوتسي تونج في الصين الشيوعية، كل هؤلاء يطفون باسم الدين! لقد رأى هذا القرن (المتحرر) من

سلطان الدين أبشع ديكتاتوريات التاريخ بعنوانات أخرى لامعة لا تقل قداسة عن الدين في النفوس، وما يدافع أحد عن الدكتاتورية، وما يرضاها إنسان حر الفكر والضمير، ولكن استقامة الطبع والفكر تقتضي الإقرار بالحق الخالص دون ميل مع الهوى والشهوات، والحق أن كل معنى جميل يمكن استغلاله والتستر وراءه لقضاء المآرب الشخصية، وقد ارتكبت باسم الحرية أفظع الجرائم في الثورة الفرنسية، فهل سنلغي الدساتير؟، وباسم الدين قام الطغيان حقاً في الأرض، فهل يبرر ذلك أن نلغي الدين؟، كان هذا يكون مطلباً معقولاً لو أن الدين في ذاته بتعاليمه ونظمه يؤدي إلى الظلم والظلم، فهل يصدق ذلك على الإسلام الذي ضرب من أمثلة العدل المطلق لا بين المسلمين وحدهم، بل بين المسلمين وأعدائهم المحاربين ما أقر به حتى أولئك الأعداء في أكثر من حادث وأكثر من حقبة على مدار التاريخ.

أقول:

جزاك الله خيراً، أنت وأخوك سيد، فقد كنتم رجالاً والرجال قليل، والإسلام هو العلاج، ويلزم تبيانته للناس وأخطاء المسلمين ومعاصي المسلمين، وعدم تمسك المسلمين بهذا الدين لا يُحمَل على الإسلام، بل على المسلمين بتقصيرهم ونقص إيمانهم وإخلاصهم، ولا بد من سلوك قويم على ما كان عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

١٠٩٨ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

هذا العنوان هو آية كريمة من كتاب الله تذكرتها وأنا أقرأ كلاماً كتبه الدكتور خالص جلبي، حيث قال في بحث في مجلة طبية: الدكتور خالص الجلبي يجري مقارنة بين هضم الطعام وهضم الأفكار، فيقول: إن الطعام الذي يدخل البدن بجميع أصنافه، ثم تحولاته الكبيرة داخل الجسم تتم تحت مراقبة صارمة، ولا تحول الطعام إلى سم، فالمواد التي تدخل معقدة التركيب من النشويات

والدهون واللحم والفواكه والخضراوات، ولا يمكن لهذه الأشكال أن تدخل البدن ما لم تتعرض لعملية تفتيت وبشكل مركز وسريع حتى تصل إلى أشكالها الأولية البسيطة التي يستطيع البدن امتصاصها، وهكذا فإن جميع النشويات يجب أن تصل في النهاية إلى سكر الجلوكوز؛ أي إن مليارات من ذرات العنب المتراسة بأشكال معقدة يجب أن تجري عليها عمليات التحويل حتى تصل في النهاية إلى هذا الشكل الوحيد القابل للامتصاص.

أقول:

معنى كلامه لو حققت مادة اللحم أو الموز أو الأرز بالوريد مباشرة، لقتلت الإنسان، فسبحان الله حين نمسي، وحين نصبح، ونعود للآية الكريمة نتلوها، ونتدبرها بخشوع وهيبة ورهبة!

### الخليفة الصالح يعظ ويتعظ

١٠٩٩

عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه بكى يوماً بين أصحابه، فسئل عن ذلك؟ فقال: فكرت في الدنيا وشهواتها، فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواضع لمن أدكر.

أقول:

هذا هو الرجل الفحل، الرجل الذي ملك الدنيا كلها، وتركها كلها، هذا هو الزهد الحقيقي، هذا الخليفة الصالح خامس الخلفاء الراشدين المهديين وأوسعهم ملكاً، كان يجلس في دمشق وأمره نافذ من فرنسا غرباً حتى الصين شرقاً، يعني ثلثي الكرة الأرضية، ومع ذلك يقول وينصح هذا النصح، إنه تلميذ نجيب من مدرسة الرجل الأول في التاريخ كله، مدرسة الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي عن أصحابه، وجمعنا بهم في مستقر رحمته، حيث نحبهم، والمرء مع من أحب.

انفردت السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا برواية أحاديث عدة في فضائل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من ذلك مثلاً: ما أخرجه مسلم في صحيحه من روايتها لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن عثمان رجل حيي»<sup>(١)</sup> وحديث: «ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة»<sup>(٢)</sup> وما أخرجه أحمد والطبراني من أنها لما سمعت بعض الناس ينال من عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ غضبت غضباً شديداً، وقالت: لعن الله من لعنه، لعن الله من لعنه، لقد رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو مسند فخذته إلى عثمان، واني لأمسح العرق عن جبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن الوحي ينزل عليه، ولقد زوجه ابنتيه إحداهما بعد الأخرى، وإنه ليقول: «اكتب عثيم» قالت: ما كان الله لينزل عبداً من نبيه بتلك المنزلة إلا وهو كريم<sup>(٣)</sup>.

### أقول:

صدقت الأم الكريمة، وإياك أن تصدق ما كتبه طه حسين في (الفتنة الكبرى) أو الشرقاوي في كتابه (علي إمام المتقين) وأمثالهما من الكتاب المشبوهين الذين يكتبون، وينقلون ما يجدونه من سموم في كتب أعداء الله وأعداء رسوله، وغالب كتاب السير من أمثال هؤلاء إما منافقين أو علمانيين لم يصلوا لله ركعة، فكل من قذف الصحابة، أو وقع في أعراضهم فاتهمه في دينه ولا كرامة له.

(١) أخرجه مسلم (٤/١٨٦٦ رقم ٢٤٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٨٦٦ رقم ٢٤٠١).

(٣) أخرجه أحمد (٤٣/٢٩٤ رقم ٢٦٢٤٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٢٨٣ رقم ١٣٠٠)، وانظر: البداية والنهاية (٧/٢٣٣-٢٣٤).

## اللهم، احفظ الأولاد والأحفاد

١١٠١

نشرت وكالة (رويتر) في أول شهر ١٤١٤/٥ هـ تقول:

يقول العالم الفلكي الأسترالي (دنكان سنيل) في أثناء مشاركته في مؤتمر فضائي في أستراليا: إن مذنب يندفع إلى الأرض من الفضاء الخارجي بسرعة هائلة، وسيصل إلى الأرض يوم ١٤ أغسطس سنة ٢١١٦ ويتكون من كرة جليدية قطرها خمسة كيلومترات، وسيحدث انفجاراً قوته ٢٠ مليون ميغا طن، من القنابل أقوى من انفجار مليون قنبلة نووية، وسينهى الأرض ومن عليها، يعني بعد ١٢٤ سنة، ونقول:

اللهم، أخلص ظنه وعلمه، واحفظنا، واحفظ الأولاد والأحفاد، واكفناه بما شئت يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

## يعيش الرئيس

١١٠٢

يظهر من آنٍ لآخر كلما نقصت سلعة مهمة في السوق المصرية أو ارتفع سعرها عدد من النكات، وأشهرها صاحب السمكة، إذ تقول النكتة: اصطاد صياد سمكة كبيرة، ففرح بها، وعندما دخل بها على زوجته لم تفرح مثله، بل لم تتحرك من مكانها، فقال لها: «ما لك مش مبسوطة»، قالت: «يا ما جاب الغراب لأمه»، قال: «يا وليه، دي سمكة كبيرة»، قالت: «حانعمل بيها إيه يا حسرة»، قال: «حانقلها في الزيت»، قالت: «مفيش زيت»، قال: «حانطبخها بالصلصة» قالت: «مفيش قوطة»، قال: «حانسلقها في المية»، قالت: «مفيش غاز ولا بوتجاز»، فحمل الصياد السمكة، وعاد إلى الشاطئ، وألقى بها إلى الماء، فهتفت السمكة: «يعيش جمال عبدالناصر».

أقول:

المصري مرح بطبعه، ومطيع، وهادئ، وصبور على البلى، ويوم الجد جد، واجتاح طوفان التتار ديار الإسلام ما صدّه ولا ردّه إلا مصر، وأهل مصر بقيادة الرجل الصالح قطز، نسأل الله أن يعيد لهم هذا المجد، فالأمل معقود بالله ثم بهم، وبالمخلصين من المسلمين في المشرق والمغرب.

### عدد آيات كتاب الله الكريم وحروفه

١١٠٣

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ:

فأما عدد آيات القرآن العظيم فستة آلاف آية، ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال، فمنهم من لم يزد على ذلك، ومنهم من قال: ومئتي آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة آية، وقيل: ومئتان وتسع عشرة آية، وقيل: ومئتان وخمس وعشرون آية، أو ست وعشرون آية، وقيل: ومئتان وست وثلاثون، حكى ذلك أبو عمر الداني في كتابه (البيان) وأما كلماته فقال الفضل بن شاذن عن عطاء بن يسار: سبع وسبعون ألف كلمة وأربع مئة وتسع وثلاثون كلمة. وأما حروفه فقال عبد الله بن كثير عن مجاهد: هذا ما أحصينا من القرآن، وهو ثلاث مئة ألف وواحد وعشرون ألف حرف ومئة وثمانون حرفاً، وقال الفضل بن عطاء بن يسار: ثلاث مئة ألف حرف، وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً<sup>(١)</sup>.

أقول:

إذا قرأ المسلم القرآن في الشهر مرة حصل له من الحسنات أكثر من ٣٠٠ × ١٠ يساوي ٣ ملايين حسنة بعشر أمثالها يعني ٣٠ مليون حسنة في شهر

(١) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م (١/٩٨-٩٩).

واحد، وبعض الأبطال يستطيع الحصول عليها في أسبوع واحد، أو ثلاثة أيام، أو في يوم واحد كما فعل السلف الصالح مثل الشيخ الصالح والخليفة الراشد ذو النورين عثمان ابن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندما ختم القرآن في ركعة واحدة، هذا الشيخ الوقور الذي قارب الثمانين من عمره وقف سبع ساعات تقريباً قانتاً لله، أشهد أنه بطل ومن ذوي العزم من الرجال، فهيّا شدّ حيلك يا أخي المسلم، وافعل بعض ما فعلوا تفرّز بمثل ما فازوا به من حياة طيبة في الدنيا وجزاء حسن في الآخرة.

### التخلف هو السبب

١١٠٤

كتب جهاد الخازن في جريدة (الشرق الأوسط) في يوم ١٥/٥/١٤١٣هـ:

أصيب أحد الصحفيين النرويجيين بخيبة كبيرة، عندما ذهب إلى جوهانسبرج ليكتب عن المؤتمر الوطني الإفريقي ومواقفه، فواجه سلسلة من الإحباطات والمطبات في محاولته التقاء المسؤولين في مقر الحزب، فكلما رتب موعداً للالتقاء بهم لم يلتزموا بالموعد، وكلما هاتفهم ظل التليفون يرن دون أن يجيب عليه أحد، هذا إذا رن التليفون، فشكا ذلك على واحد من المسؤولين، فطمأنه هذا على أن كل هذه النواقص قد تم علاجها وإزالتها، فشكره الصحافي النرويجي، وهم الاثنان بالانصراف من المكتب، ولكنهما لم يستطيعا مغادرة الغرفة، فقد أقفل البوابون الأبواب، وانصرفوا، فقال المسؤول: لا تقلق يا صديق، سأكلم السكرتارية ليأتوا، ويفتحوا لنا الباب، وفتح التليفون على السكرتارية، ولكنه لم يحصل على أي جواب، فبقي الاثنان محبوسين في الغرفة إلى أن جاء الكناسون لينظفوا المكاتب، فأطلقوا سراحهما، والقصة تذكرني تماماً بما حدث في الجزائر بُعيد نيلها الاستقلال، فعندما حضر القائم بالأعمال الهندي لمقابلة الوزير قاده إلى غرفة الانتظار، وتركوه هناك، مرت الدقائق والساعات

والرجل ينتظر حتى لاحظ أن النهار بدأ ينصرم، وعن قريب سيحل موعد العشاء والنوم، فحاول الخروج من الغرفة، فوجد الباب مغلقاً، حاول التليفون، فلم يجب عليه أحد، وأخيراً لم يجد غير أن يفتح الشباك، وينادي على الناس في الشارع: يا عالم، الحقوني، خلصوني، سمع كلماته حرس الوزارة، فحسبوه جاسوساً متسلاً، فوجهوا بنادقهم تجاهه، وكادوا يطلقون النار عليه لولا رحمة رب العالمين، أنزلوه من البناية وهم يكيلون له الضرب والإهانات، وهو يصرخ: «ارحموني يا ناس، أنا القائم بالأعمال الهندية، نحن ساعدناكم في ثورتكم ونيل استقلالكم، ضرب ضرب، وهات من يفهم اللغة الإنجليزية».

أقول:

مآسي الدول العربية والإسلامية مردّها إلى الجهل الديني والدنيوي، فهي مُعرضة عن ربها، ومُعرضة عن إصلاح دنياها وعلاجها في التربية والتعليم والجد كل الجد في إصلاح مناهجه، فلم يتقدم القوم إلا بهذا، ولم تتأخر إلا لتقصيرنا في ذلك.

### الذنوب مثل أكل السم

١١٠٥

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي المجلد الثامن من الفتاوى ص ٢٤٠: إن الإنسان إذا أصابته المصائب بذنوبه وخطاياها كان هو الظالم لنفسه، فإذا تاب، واستغفر جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، والذنوب مثل أكل السم، فهو إذا أكل السم مرض أو مات، فهو الذي يمرض، ويتألم، ويتعذب، ويموت والله خالق ذلك كله، وإنما مرض بسبب أكله وهو الذي ظلم نفسه بأكل السم، فإن شرب الترياق النافع عافاه الله، فالذنوب كأكل السم والترياق النافع كالتوبة النافعة، والعبد فقير إلى الله تعالى في كل حال، فهو بفضلته ورحمته يلهمه التوبة، فإذا تاب تاب عليه، فإذا سأله العبد،

ودعاه استجاب دعاءه كما قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ  
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] (١).

أقول:

ما أبلغ كلام هذا الإمام! ونسأل الله لنا جميعاً السلامة من السموم.

### زعماء الشرق

١١٠٦

كتب الدكتور فهد الحارثي في (اليمامة) العدد ١٢٣١ سنة ١٤١٣هـ يقول:  
إن في الشرق زعماء نصف شعوبهم في السجون ومعامل التعذيب والمصححات  
العقلية، والنصف الآخر يتلهى بتصريحات الزعيم النارية وبرامجه الفنتازية  
ونبوءاته الأقرب إلى الجنون والخبيل، ومع هذا لم يسقطوا، إن في الشرق زعماء  
تموت شعوبهم كلها من الجوع والأمراض والأوبئة والفتن الأهلية، وهم منشغلون  
عن كل ذلك بالانسياق خلف مشعوذين ودجالين وكذبة (بفتح الكاف والذال  
المعجمة: جمع كذاب) ومع ذلك لم يسقطوا، إن في الشرق زعماء تتمزق أوصال  
شعوبهم، وتفتت روابط انتماءاتهم، فيتقاتلون وتسيل دماؤهم في كل لحظة، أما  
الخطر المقبل المتربص فما زال أفضع وأشنع، وهم في هذه الأثناء ما يفتؤون  
يتلهون بأنماط كرتونية من دعاوى الديمقراطية والتعددية الحزبية، ومع ذلك  
فهم لم يسقطوا، إن في الشرق زعماء يذبحون شعوبهم ذبجاً لا هوادة فيه، وهذا  
يحدث أحياناً بسيوفهم أنفسهم حين يغضبون، ويحدث أحياناً أخرى بسيوف  
غيرهم حين يقذفون تلك الشعوب تحت سنانك خيول الأعداء لما تستبد بهم  
شهوة الحروب المجانية، أو حين يأخذ بتلابيب عقولهم الغرور والطيش والغطرسة  
البئيسة، ومع ذلك فهم لا يسقطون، إن في الشرق المسخرة كل هذه الأصناف من

(١) مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المحقق: أنور الباز وعامر  
الجزار، الناشر دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م (٢٤٠/٨).

الحكام والزعماء، ومع هذا لم يسقط منهم، ولن يسقط إلا في إحدى حالتين: إما أن يأتي قدر العنزه، أو أن تعود الدبابة نفسها، فتمارس هوايتها القديمة في هدم سلطات وبناء سلطات أخرى جديدة في مكانها، وهي سلطات ستأتي غالباً بالملاح نفسها والسحنات نفسها، والعياذ بالله.

أقول:

والكلام للدكتور، هذا جزء من التعجب لسقوط الرئيس الأمريكي بوش على الرغم مما قدمه لأمريكا من جهود، وما تم في ولايته من نجاحات، وكيف لم يفز الرئيس بالعرش مرة ثانية، ويقول الدكتور: إذا لم يفهم العالم الثالث السبب فالأمريكان يعرفون السبب، ولا يهمهم المزاج الشرقي في شيء.

أقول:

في الدول المتقدمة أي رؤساء الجمهورية ورئاسة الوزارة هناك عليهم التوقيع على القرارات المدروسة من الخبراء والمتخصصين في كل مجال، ويُعدّ بوش خبيراً من الخبراء أو كبيراً من الخبراء في أمريكا، وكذلك الحال مع تاتشر وميجر وميتران؛ لهذا وصلوا وحصلوا على المرتبة الأولى في دنيا الناس، وديننا الإسلامي لو اتبعنا تعاليمه لسبقناهم، فنسأل الله إصلاح أحوال المسلمين حتى يكونوا متبوعين لا تابعين، فالغرب تقدم في مجال واحد وهو المادة، وتأخر كثيراً في المجال الآخر وهو الروح، والإسلام يدعو إلى التقدم في المادة والروح معاً.

ابن بطوطة يصف الأهرام

١١٠٧

الأهرام بناء بالحجر الصّلد المنحوت، متناهي السمو، مستدير متسع الأسفل، ضيق الأعلى، كالشكل المخروط، ولا أبواب لها، ولا تعلم كيفية بنائها، ومما يذكر في شأنها أن ملكاً من ملوك مصر قبل الطوفان رأى رؤيا هالته، وأوجب

عنده أنه بنى تلك الأهرام بالجانب الغربي من النيل لتكون مستودعاً للعلوم ولجنة الملوك، وأنه سأل المنجمين: هل يُفتح منها موضع؟، فأخبروه بأنها تفتح من الجانب الشمالي، وعينوا له الموضع الذي تفتح منه، ومبلغ الاتفاق في فتحه، فأمر أن يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه أنه ينفق في فتحه، واشتد في البناء، فأتمه في ستين سنة، وكتب عليها: بنينا هذه الأهرام في ستين سنة، فليهدمها من يريد ذلك في ست مئة سنة، فإن الهدم أيسر من البناء، ولما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها، فأشار عليه بعض مشايخ مصر ألا يفعل، فلجَّ في ذلك، وأمر أن تفتح من الجانب الشمالي، فكانوا يوقدون عليها النار، ثم يرشونها بالخل، ويرمونها بالمنجنيق حتى فتحت الثلثة التي بها إلى اليوم، ووجدوا بإزاء النقب مالا أمر أمير المؤمنين بوزنه، فحصر ما أنفق في النقب، فوجدهما سواء، فطال عجبه من ذلك، ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعاً.

#### أقول:

هذا الوصف للرحالة الشهير ابن بطوطة في رحلته ص ٤٢، ولنا على ابن بطوطة ملاحظة، حيث وصف الإمام ابن تيمية بما يتنافى تماماً مع ما عرف عن أعظم أبطال الإسلام في عصره، حيث قال في موضع من الكتاب: «رأى الشيخ ابن تيمية بدمشق يخطب الناس، وتعرض لموضوع نزول الخالق جل علاه فنزل من المنبر، وقال: ينزل ربنا كما أنزل الآن من هذا المنبر»، وهذا مستحيل حصوله من ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، وربما يكون مدسوساً على كتاب الرحالة ابن بطوطة، فهو عالم وفقهه، ومن أهل السنة، فيجب عليه احترام عظماء الإسلام، مثل ابن تيمية الذي جمع الله له من الفضائل والمكارم ما جعله من أولي العزم من الرجال، ومن مجددى الإسلام، ومن أهل الجهاد بالسيف والقلم، وبارك الله له في الأيام والساعات، فهو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والطبري والغزالي وابن الجوزي كتبوا بخط أيديهم طوال حياتهم، لوقام غيرهم بقراءته لم يستطع، وعلماء هذا العصر لم يكتبوا

عشر ما كتبه هؤلاء على الرغم مما يسّر الله لهم من اختراعات ومطابع وكهرباء وخلافه، فلا تفسير لهذا إلا الإعانة الإلهية والبركة في العمر، جمعنا الله وإياهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في مستقر رحمته.

## ميزان الله

١١٠٨

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مر رجل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال: رجل من أشرف الناس هذا، والله حريّ إن خطب أن يُنكح، وإن شفّع أن يُشفّع، فسكت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريّ إن خطب ألا يُنكح، وإن شفّع ألا يُشفّع، وإن قال ألا يُسمع لقوله، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»<sup>(١)</sup>.

## حتى الذرة من الذرة

١١٠٩

عن أبي هريرة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُؤَدَّنُ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقَادَ لِلشَّاةِ الْجِلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءُ»<sup>(٢)</sup> وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقْتَصُّ الْخَلْقُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى الْجَمَاءِ مِنَ الْقِرْنَاءِ وَحَتَّى الذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ»<sup>(٣)</sup>.

المقصود بالذرة صغار النمل، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٨/٧) رقم (٥٠٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٩٩٧) رقم (٢٥٨٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٤/٣٦٤) رقم (٨٧٥٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٤٦٦) رقم (١٩٦٧).

## نار الحجاز التي أضاء لها أعناق الإبل ببصرى

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى»<sup>(١)</sup> رواه البخاري ومسلم، وهذه الآية العظيمة التي أخبر الصادق المصدوق بوقوعها في مقبل الزمان وقعت على الصورة التي أخبر بها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد كان خروجها في سنة ٦٥٤ للهجرة النبوية، وقد تحدث العلامة المؤرخ ابن كثير في أحداث سنة ٦٥٤ عن هذه النار، فقال: فيها كان ظهور من أرض الحجاز التي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى، ما نطق بذلك الحديث المتفق عليه، وقد بسط القول في ذلك الشيخ الإمام العلامة الحافظ شهاب الدين أبوشامة المقدسي في كتابه (الذيل) وشرحه، واستحضره من كتب كثيرة وردت متواترة إلى دمشق من الحجاز بصفة أمر هذه النار التي شوهدت معاينة وكيفية خروجها وأمرها، وملخص ما أورده أبوشامة أنه قال: وجاء إلى دمشق كتب من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة من هذه السنة، وكتبت الكتب في الخامس من رجب والنار بحالها، ووصلت الكتب إلينا في العاشر من شعبان، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ورد إلى مدينة دمشق في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وست مئة، كتب من مدينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها شرح أمر عظيم حدث بها تصديق لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى»<sup>(٢)</sup>، فأخبرني من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوءها الكتب، قال: وكنا في بيوتنا تلك الليالي، وكأن في دار كل واحد منا سراج، ولم يكن لها حر ولفح على

(١) أخرجه البخاري (٥٨/٩ رقم ٧١١٨)، ومسلم (٢٢٢٧/٤ رقم ٢٩٠٢).

(٢) تقدم تخريجه.

عظمتها، إنما كانت آية من آيات الله عَزَّجَلَّ عن كتاب القيامة الصغرى للدكتور  
عمر الأشقر ص ١٤٤ .

أقول:

زرت طيبة الطيبة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم، ورأيت الصخور  
المتخلفة من آثار النار، فرأيت العجب، حيث لا يستطيع أحد المرور إلا راجلاً  
وبمشقة، حيث الصخور كالمشاذيب، ولعلها حماية من الله لطيبة الطيبة رزقنا  
الله المحيا بها والمات.

أعد الحقوق إلى أهلها

١١١١

روى سفيان بن عيينة عن مشعر عن عمر بن مرة قال: سمعت الشعبي  
يقول: حدثني الربيع بن خيثم، وكان من معادن الصدق قال: إن أهل الدين في  
الآخرة أشد تقاضياً له منكم في الدنيا بحبس لهم، فيأخذونه، فيقول: يا رب،  
ألست تراني حافياً؟ فيقول: «خذوا من حسناته بقدر الذي لهم، فإن لم يكن  
له حسنات يقول: زيدوا على سيئاته سيئات»<sup>(١)</sup>. وذكر أبو عمر بن عبد البر من  
حديث البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «صاحب الدين مأسور يوم  
القيامة بالدين»<sup>(٢)</sup>، وروى أبو نعيم الحافظ بإسناده عن زاذان أبي عمر قال:  
دخلت على ابن مسعود، فوجدت أصحاب الخز واليمنة قد سبقوني إلى المجلس،  
فقلت: يا عبد الله، من أجل أنني رجل أعجمي أدنيت هؤلاء، وأقصيتني؟ قال: أدن،  
قد دنوت حتى ما كان بيني وبينه جليس، فسمعته يقول: يؤخذ بيد العبد أو الأمة،  
فينصب على رؤوس الأولين والآخرين، ثم ينادي مناد: هذا فلان ابن فلان، فمن

(١) أخرجه أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/٢٢٩).

(٢) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٢/٢٠٢ رقم ٣٧٨٧)، وأبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم  
(٢١٢ رقم ٨١/٢). بلفظ: الوحدة. بدل: الدين.

كان له حق فليأت إلى حقه، فتفرح المرأة بأن يدون لها الحق على ابنها أو أختها أو أبيها أو على زوجها، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] فيقول الرب تعالى للعبد: ائت هؤلاء هؤلاء حقهم، فيقول: يا رب، فنيت الدنيا، فمن أين أتيتهم؟! فيقول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته، فإن كان ولياً لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير ضاعفها، حتى يدخله بها الجنة، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّمُ مَثْقَالَ دَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] وإن عبداً شقيماً قالت الملائكة: رب، فنيت حسناته، وبقي طالبون، فيقول للملائكة: «خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته، وصبوا له صكاً إلى النار»<sup>(١)</sup>.

## الملكان والمؤمن والكافر

١١١٢

ذكر أبو نعيم في كتابه الحلية عن ثابت البثاني أنه قرأ: (حم فصلت)، حتى إذا بلغ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠] وقف، فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له: لا تخف، ولا تحزن، وأبشر بالجنة التي كنت توعده، قال: فأمن الله خوفه، وأقر الله عينه، فما عظيمة تغشى الناس يوم القيامة، فالمؤمن في قرة عين لما هداه الله له، ولما كان يعمل في الدنيا، وقال عمرو ابن قيس الملائي: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة وطيب ريح، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، إلا أن الله قد طيب ريحك، وحسن صورتك، فيقول: كذا كنت في الدنيا، أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا، اركبني اليوم، ثم تلا: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] وإن الكافر يستقبله عمله في أقبح صورة وأنتن ريح، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، إلا أن

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٠٢/٤)، وانظر: إحياء علوم الدين (٣٢٢/٥).

اللَّهِ قَدْ قَبَّحَ صُورَتَكَ، وَنَتَّنَ رِيحَكَ، فَيَقُولُ: كَذَلِكَ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا، أَنَا عَمَلُكَ السَّيِّئِ  
رَكِبْتَنِي فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا الْيَوْمَ أُرَكِّبُكَ، وَتَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى  
ظُهُورِهِمْ أَلْسَاءَ مَا يَرْزُونَ﴾ [الأَنْعَامُ: ٣١].

أقول:

هنا يكون النجاح الحقيقي في الدار الباقية، أما قصور هذه الفانية  
ومزارعها، فهي إن لم تكن في طاعة الله وكسبها من الوجه الشرعي، فهي المتاع  
القليل، فالله الله احزم الأمر، وكن من أولي الألياب.

تواضع العظماء

١١١٣

قال المؤرخون: حضر المارشال مونتغمري سنة ١٣٨٧هـ الاحتفال بمرور ٢٥  
سنة على نصره الكبير على المارشال رومل وهو النصر الذي غير مجرى الحرب  
العالمية الثانية سنة ١٣٦٢هـ ومر مونتغمري في طريق عودته إلى بلاده على لبنان،  
فقررت الحكومة اللبنانية تكريمه واستقباله بما يليق ببطل الحرب الذي تولى  
قيادة حلف الأطلسي، وفتح للجنرال صالون الشرف، وفوجئ الوفد اللبناني  
المستقبل أن الجنرال الكبير يرفض دخول صالون الشرف؛ لأنه لم يعد مسؤولاً،  
وأُسرع المسؤولون إلى صالة الركاب، ووجدوا الرجل يحمل حقيبة كبيرة بنفسه،  
ولكنهم أصروا على تكريمه، وأصر هو على الرفض حتى حمل الحقيبة.

أقول:

لو كان هذا العسكري من العالم الثالث، وممن جاء إلى القيادة تحت جنح  
الظلام والدبابة والمدفع لما تواضع بعد تقاعده أو طرده، كما فعل هذا الرومي، بل  
دعا بتسيير المواكب ذات اليمين وذات الشمال، وانتفش كالتاوس.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ: أسمع خطباءكم يقولون: هذا إمام عادل، وهذا كذا وكذا، فاعلموا أنه ما من رجل بلغ من المنازل العالية يستطيع أن يكون له أثر، وأن يقوم بعمل جيد إذا كان لا يخشى الله، وإني أحذركم من اتباع الشهوات التي فيها خراب الدين والدنيا، وأحثكم على الصراحة والصدق في القول وعلى ترك الرياء والملق في الحديث، لم يفسد الممالك إلا الملوك وأحفادهم وخدامهم والعلماء المتملقون وأعوانهم، ومتى اتفق الأمراء والعلماء على أن يستر كل منهم على الآخر، فيمنح الأمير الرواتب والعلماء يدلسون، ضاعت حقوق الناس، وفقدنا والعياذ بالله الآخرة والأولى، إلى أن قال خاتماً كلامه: وإني أحمد الله الذي جمع الشمل، وأمن الأوطان، ولكم علي عهد الله وميثاقه أني أنصح لكم كما أنصح لنفسي وأولادي، فهتف الناس إذ ذاك قائلين: «جزاك الله خيراً، جزاك الله خيراً»<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا ثَقِفُوا إِلَّا إِلَّا حِجْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحِجْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾

[آل عمران: ١١٢].

قال الداعية الإسلامي الشيخ محمد قطب رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تفسير هذه الآية: فأما حبل الله فهو قدره ومشيتته ومدده وإرادته، فإنه لا شيء يحدث في الكون كله إلا بقدر من الله ومشيتته وإرادة من الله وإمداده. وأما الحبل من الناس فلننظر في تفاصيله القائمة اليوم، إنه ليس فقط أمريكا، وما تمد به إسرائيل من العون: المالي، والسياسي، والعسكري، والأدبي، وكل أنواع العون وليس فقط روسيا، وما تمد به إسرائيل من العون السياسي بمسرحية التصايح الفارغ كلما ارتكبت

(١) من تاريخ (تذكرة أولي النهي والعرفان): ص ١٥٥ لفضيلة الشيخ: إبراهيم بن عبيد.

إسرائيل جريمة من جرائمها الوحشية البشعة دون أن تفعل شيئاً لمنع العدوان أوردّه، والعون التكنولوجي بسماعها بهجرة اليهود التكنولوجيين إلى إسرائيل، والعون الأدبي بتصريحاتها الدائمة بأنها تعترف بالوجود الإسرائيلي في المنطقة، ولكن بشرط الاعتراف بحقوق العرب، وهو الكلام نفسه الذي صدر به وعد بلفور سنة ١٩١٧م، وهي ترى جيداً أن هذا الشرط لا يتحقق أبداً، ومع ذلك لا تسحب اعترافها بإسرائيل، ولا حتى تريد بسحبها مجرد تهديد، إن الحبل من الناس لا يقتصر على هذا المدد من هؤلاء الناس الروسي والأمريكان، إنه يأتي من كل الناس، كل سكان الأرض إلا من رحم ربك، ولنضرب بعض الأمثلة التي توضح ما نقول: السينما يهودية مألوفاً وفكراً وتخطيطاً وتنفيذاً، وهدفها الأول هو إفساد الأولاد والبنات بما تعرض من صور الحياة العابثة القائمة على العلاقات التي حرّمها الله ورسوله في أوضاع جذابة خلابة مؤثرة بالصوت والصورة والحركة، ففتن ألباب الأولاد والبنات حين يتصورون أنفسهم في مكان البطل والبطلة يمارسون ما يرون هؤلاء يمارسونه أمامهم على الشاشة فيفسدون، وكل ولد أو بنت في الأرض كلها أصابه جنون السينما، فهو حبل من الناس يمد اليهود بمدهم بالمال الذي ينفقه في السينما من جهة، وبالفساد في ذات نفسه من جهة أخرى؛ لأنه يحقق في ذات نفسه جزءاً من المخطط اليهودي الذي يهدف إلى إفساد أخلاق الأميين لتيسير استثمارهم واستغلالهم لتنفيذ مصلحة الشعب الشيطان.

وكذلك جنون التلفزيون والفيديو، فهما يسيران على الدرب نفسه أيّ كان المخرج والمنتج والفنان، وبيوت الأزياء الكبرى يهودية وكذلك بيوت الزينة وكل بنت في الأرض أصابها جنون (الموضة) وجنون الزينة، فهي حبل من الناس: تمد اليهود بالمال، وتمدهم بالفساد في ذات نفسها وفي المجتمع كله حين يتحول المجتمع إلى فتنة هائجة تجتاح الأولاد والبنات على السواء، وتقرب الأشرار من تحقيق هدفهم الشرير.

وجنون الرياضة عامة وجنون الكرة خاصة، لون من الجنون يبثه اليهود في الأرض من خلال وسائل الإعلام التي يسيطرون عليها، ويوجهونها، وكل فتى أو فتاة أصابها جنون الرياضة أو جنون الكرة، فهو حبل من الناس يمد اليهود بتفاهة اهتماماته والوقت الحي الذي يقتله في الاهتمامات الفارغة بعيداً عن الرشد بعيداً عن الوعي بعيداً عن رحمة الله.

أقول:

أما روسيا المتحدة فمزقتها الله شر ممزق، وأمريكا الصليبية فالداء ينخر في جسمها، وإن شاء الله يُلحقها بشريكها، وأما نحن في هذه البلاد فشر السينما مبعث، أما جنون الرياضة فهو موجود، نرجو الله أن يلهم القائمين عليه أو على الرياضة بوجه عام الرفق وتقديم الأهم على المهم.

### عشرة أسباب لمحبة الله

١١١٦

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أسباب محبة الله للعبد عشرة:

- أولاً: قراءة القرآن بتدبر والتفهم لمعانيه، وما أريد به.
- الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض.
- الثالث: دوام ذكر الله على كل حال باللسان والقلب والعمل.
- الرابع: إثارة ما يحبه الله على ما يحبه العبد عند تزاحم المحبتين.
- الخامس: التأمل في أسماء الله وصفاته، وما تدل عليه من الكمال والجلال، وما لها من الآثار الحميدة.
- السادس: التأمل في نعم الله الظاهرة والباطنة ومشاهدة بره وإحسانه وإنعامه على عباده.

- السابع: انكسار القلب بين يدي الله وافتقاره إليه.
  - الثامن: الخلوة بالله وقت النزول الإلهي، حين يبقى ثلث الليل الآخر وتلاوة القرآن في هذا الوقت وختم ذلك بالاستغفار والتوبة.
  - التاسع: مجالسة أهل الخير والصلاح المحبين لله عَزَّجَلَّ والاستفادة من كلامهم.
  - العاشر: الابتعاد عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله من الشواغل.
- أقول:

سجلناها هنا لعل الله أن ينفعنا بها، وينفع بها القراء، فنحن معنا الفرصة التي يتمناها من رحل عنا إلى دار الجزاء.

### عذاب القبر

١١١٧

كتب فضيلة الشيخ صالح الفوزان في كتاب (الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد) ص ٢٥٣: عذاب القبر وسؤال الملكين ينالان كل من مات، ولو لم يدفن، فهو اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وسمي عذاب القبر باعتبار الغالب، فالمصلوب والمحروق والمغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتها، فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار صار ماداً وذري بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمر الله البحر، فجمع ما فيه، وأمر البر، فجمع ما فيه، ثم قال: قم، فإذا هو قائم بين يدي الله، فسأله: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: خشيتك يا رب، وأنت أعلم، فرحمه الله فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه

الحال، حتى لو علق الميت على رؤوس الأشجار في مهابِّ الريح أصاب جسده من عذاب البرزخ وروحه نصيبه، ولو دفن الرجل الصالح في أتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه، فيجعل الله النار على هذا بردًا وسلامًا، والهواء على ذلك نارًا وسمومًا، فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء، ولا يستعصي منها شيء أَرَادَهُ، بل هي طوع أمره ومشئته منقادة لقدرته، فغير ممتنع أن ترد إلى المصلوب والغريق والمحروق، ونحن لا نشعر بها؛ لأن ذلك نوع آخر غير المعهود، فهذا المغمى عليه والمكسور والمبهوت أحياء وأرواحهم معهم، ولا تشعر بحياتهم، ومن تفرقت أجزاءه لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالًا بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه، ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة، وإذا كان الله تعالى قد جعل في الجمادات شعورًا وإدراكًا تُسبح ربها به، وتسقط الحجارة من خشيته، وتسجد له الجبال والشجر، وتسبحه الحصى والمياه والنبات، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] فإذا كانت هذه الأجسام فيها الإحساس والشعور بالأجسام التي كانت فيها الأرواح والحياة أولى بذلك، وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار إعادة حياة كاملة إلى بدن فارقته الروح، فتكلم، ومشى، وشرب، وأكل، وتزوج، وولد له: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وكقبيل بني إسرائيل الذين قالوا لموسى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] فأماتهم الله، ثم بعثهم من بعد موتهم، وكأصحاب الكهف وقصة إبراهيم في الطيور الأربعة، فإذا أعاد الحياة التامة إلى هذه الأجساد بعدما بردت بالموت فكيف يمتنع على قدرته الباهرة أن يعيد

إليها بعد موتها حياة ما، غير مستقرة يقضي بها أمره فيها، ويستنطقها بها، ويعذبها أو ينعمها بأعمالها، وهل إنكار ذلك إلا مجرد تكذيب وعناد وجحود؟!

### صياح الديكة

١١١٨

في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً، وإذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً»<sup>(١)</sup>.

### علم العروض

١١١٩

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي مخترع علم العروض: العلوم أربعة، علم له أصل وفرع، وعلم له أصل ولا فرع له، وعلم له فرع ولا أصل له، وأما الذي له أصل وفرع فالحساب ليس بين أحد من المخلوقين فيه خلاف، وأما الذي له أصل ولا فرع له فالنجوم ليس لها حقيقة يبلغ تأثيرها في العالم؛ يعني الأحكام والقضايا على الحقيقة، أما الذي له فرع ولا أصل له فالطب، وأهله منه على التجارب إلى يوم القيامة، والعلم الذي لا أصل له ولا فرع فالجدل؛ يعني الجدل بالباطل.

أقول:

الخليل من أعظم عباقرة العرب وأزهدهم في الدنيا، وامتدحه الإمام سفيان الثوري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري (١٢٨/٤ رقم ٣٢٠٣)، ومسلم (٢٠٩٢/٤ رقم ٢٧٢٩).

يقول الإمام ابن حزم في كتاب (المفصل): إن دين الله ظاهر لا باطن له، وجهر لا سر تحته، واعلموا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكتف من الشريعة كلمة فما فوقها، ولا أطلع أخص الناس به على شيء كتبه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم، ولا كان عنده سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه، ولو كتبتهم شيئاً لما بلغ كما أمر، وكل من ادعى للديانة سرّاً وباطناً فهي دعاوى ومخازيق<sup>(١)</sup>.

أقول:

صدق الشيخ، وكذب دعاة الباطنية والملاحدة، وكذب المعتزلة والصوفية.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه كان يقول: كنت كثيراً أسمع والدي أحمد بن حنبل يقول: رحم الله أبا الهيثم، فقلت من أبو الهيثم؟ فقال: أبو الهيثم الحداد: لما مددت يدي إلى العقاب، وأخرجت للسياط إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي، ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا، قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين إني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتنفاريق، وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان من أجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الرحمن من أجل الدين، وأبو الهيثم هذا يقال له: خالد الحداد، وكان يضرب المثل بصبره.

وقال له المتوكل: ما بلغ من جلدك؟ قال: أملاً لي جرابي عقارب، ثم أدخل يدي فيه، وإنه ليؤلمني ما يؤلمك، وأجد لآخر سوط من الألم ما أجد لأول سوط،

(١) عن (نوابغ الفكر الإسلامي) لأنور الجندي: ص ٢٤٠.

ولو وضعت في فمي خرقعة، وأنا أضرب لاحتترقت من حرارة ما يخرج من جوفي، ولكنني وطنت نفسي على الصبر، فقال له الفتح: ويحك مع هذا اللسان والعقل ما يدعوك إلى ما أنت عليه من الباطل؟ فقال: أحب الرئاسة.

أقول:

حُب السلطة والرئاسة مغروس في جميع الناس إلا النادر، والنادر لا حكم له، والمسلم إذا تحمل المسؤولية والأمانة، واتقى الله فيما ولي، فله أجر كبير، فقد ورد في الأثر: عدل ساعة في حكومة تعدل عبادة ستين سنة.

زملاؤه أعرف به

١١٢٢

قال الكاتب الإسلامي أنور الجندي في كتابه (صفحات من تراثنا الإسلامي) ص ٣٨٧: يقول الدكتور محمد صبري السربوني زميل طه حسين في جامعة السربون فيما رواه لأحمد حسين الطماوي: دخلت أنا وطه حسين امتحان الليسانس في عام واحد، وعندما ظهرت النتيجة ذهبت، فلم أجد اسمي ولا اسمه، وفي اليوم المقبل وجدت اسمه محشوراً بين السطور، فذهبت إليه، وأبلغته آثار حشر اسم طه حسين بين السطور والكثير من الدارسين المصريين، وقام زميل آخر هو جلال شعيب بكشف الحقيقة، فقال: إن طه حسين ذهب إلى الأساتذة وهم مجتمعون، واستدر عطفهم، وذكرهم بأنه على أبواب الزواج بفرنسية، وأنه غريب وأعمى، فرثوا له، ويدعم هذا ما جاء في كتاب سامي الكيالي عن طه حسين الذي يقول في مقدمة رسالته للدكتوراه: «وليسمح لي بأن أعتذر عن أسلوبى الفرنسى إذا ما بدأ بلا ريب في كثير من المواضع ركيكاً أو خاطئاً، وكذلك عن الأخطاء المطبعية التي قد تقع في هذه الرسالة، فما كنت إلا غريباً وأعمى»، هذا ويسجل الدكتور طه أنه في امتحان الدكتوراه بعد ذلك بعامين أو ثلاثة دخل لجنة الامتحان، ودخلت معه زوجته تحمل طفلها، فلما رآها رئيس اللجنة ابتسم، فأخذت من أمامه ورقة،

وكتبت فيها كلاماً، فلما قرأه قال: إذا سنخفف عنك أسئلة الامتحان، حدثنا عن تاريخ الدولة الأموية، ويروي عباس خضر في مذكراته (خطأ مشيناها) عن الأستاذ محمد الهياوي صاحب جريدة (المنبر)، وكان زميلاً لطله حسين في الأزهر: أن طه حسين سرق منه وهما طالبان معاً مجموعة المتون، وهي مجلد يجمع عدداً من المتون المؤلفة في مختلف العلوم، وقد اتهم الهياوي طه حسين صراحة بأنه أخذها، فأنكرها، ولكن حدث عندما كانا خارجين من الجامعة أن انشغل الشيخ طه حسين، بلبس حذائه، فسقطت المجموعة من حيث يخبئها، حكى له الهياوي ذلك، وهذا هو سر ما كان يوجهه إلى طه حسين وهو يناقشه في آرائه بعد ذلك، فيقول له: ألا تذكر مجموعة المتون؟ فلا يعرف أحد ماذا يقصد، ولكن طه حسين كان يعرف، وأشار الدكتور محمد صبري إلى أن طه حسين لم يكن صادقاً فيما أورده في كتاب (الأيام) من أنه كان يدرس في ثلاثة معاهد أو أربعة في باريس، وبعد أن عدّد طه حسين مجموعة الأساتذة قال: إن هذا الكلام لا يُسكت عليه؛ لأن طه حسين لم يدرس على كل هؤلاء، فإن دارس التاريخ لا بد أن يتخصص إما في القديم أو العصور الوسطى أو التاريخ الحديث، وقد كان طه حسين متخصصاً في التاريخ القديم، فكيف درس تاريخ الثورة الفرنسية، وكيف درس البيزنطي والتاريخ الحديث، والدكتور طه حسين كان قليل التردد على السربون لعاهته، ولا أذكر أبداً أنني رأيته يستمع لهؤلاء، وكونه استمع إلى محاضرة أو محاضرتين لأستاذ من الأساتذة لا يعني أنه درس عليه، ومن ثم لا يعقل أنه تتلمذ على هؤلاء جميعاً، إن ما درسه طه حسين هو اللغة اللاتينية لتعينه على فهم التاريخ القديم. أما الذين نقلوا عن طه حسين كالكياي وكامل زهيرى، فإن معلوماتهما قاصرة بالنسبة إلى الدراسة في السربون. والواقع أنه دار حول طه حسين زيف كثير ومبالغات حاولت تضخم هذا الرجل لحساب الذين استعملوه ضد المسلمين والعرب.

أقول:

كم خدعنا بكثير من الألقاب والأسماء، ولكن لا يصح إلا الصحيح، وهذا الرجل عميل الأدب العربي، وليس عميد الأدب العربي، والذي يستحق عميد الأدب العربي هو علي الطنطاوي أو العقاد أو الرافعي، علمًا أن تحذيرنا وبغضنا لهؤلاء العملاء من أمثال طه حسين مستمر بعد هلاكهم؛ لوجود كتبهم بيننا.

اصبر وتحمل

١١٢٣

سئل بعض الأعراب: من سيدكم؟ فقال: من احتمل شتمنا، وأعطى سائلنا، وأغضى عن جاهلنا.

أقول:

هذا الكلام موافق لقول الله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عِزِّ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] وموافق لقول الشاعر المتبني:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يضر والإقدام قتال

وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كثيرًا ما يستشهد بأمثال العرب وأقوالهم عندما يفسر كتاب الله، وهو ترجمان القرآن، ويحفظ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكثر من عشرة آلاف بيت من الشعر، وكذلك ذكروا عن أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الطبيعة خرافة

١١٢٤

قال الشيخ محمد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: حكمت الجاهلية المعاصرة عقلها في قضية الخلق بعد نفيها لوجود الله سبحانه وتعالى أو في القليل نفي هيمنته وتدييره

لشؤون الكون، فأدت بها عقلانيتها إلى أسطورة ضخمة ليس لها واقع علمي هي الطبيعة الخالقة من ناحية والخلق الذاتي من ناحية أخرى، وصارت هذه الأسطورة علماً يتداوله العلماء بغير برهان علمي في الوقت الذي يرفضون فيه رد الأمور إلى الله بحجة عدم وجود برهان علمي على وجوده أو تدييره لشؤون الخلق، وأعجب إن شئت لسريان هذه الأسطورة في عصر (العلم) عجب أكثر من أن (العالم) إذا ذكر الله في البحث العلمي سقط في أعين العلماء، وصار مضغة في أفواههم يتندرون بجهله وسذاجته وعدم علميته وعدم موضوعيته وتعلقه بالغيبيات، فإذا ذكر (الطبيعة) رفعوه بذكرها، وخرأ لها ساجدين، وصدق الله العظيم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥] والحق أن هذه الأسطورة تستحق منا وقفة بالنظر إلى مدى توغلها في الجاهلية المعاصرة وتأثيرها في كثير من مجاري الفكر ومجاري السلوك مع عدم استنادها إلى شيء على الإطلاق، وكما يقول ول ديورانت عن الأثير: «إنه خرافة ابتدعت لإخفاء الجهل المثقف للعلم الحديث»، فهو غامض غموض الشبح أو الروح، فالطبيعة الخالقة خرافة مبتدعة على ذات المستوى، وإن كانت أسبابها أعمق وأثارها أخطر، فإذا كان الأثير خرافة قد ابتدعت لأسباب علمية؛ أي لتفسير أمور غامضة في هذا الكون لم يتوصل العلماء إليها بعد، فافترضوا فرضاً، واتخذوه كأنه حقيقة، فالطبيعة الخالقة خرافة قد ابتدعت لأسباب دينية، فقد كانت مهرباً وجدانياً لا علمياً من إله الكنيسة الذي تستعبد الناس باسمه، وتسلب أموالهم، وتقلق راحتهم، وتتعقب أفكارهم، وتتدسس إلى داخل أرواحهم إلى إله آخر له معظم خصائص الإله الأول: أبدي أزلي خالق قادر، ولكن ليست له كنيسة، وليست له على البشر التزامات، فعباده أحرار لا يتقيدون تجاهه بشيء في أخلاقهم ولا قيمهم ولا سلوكهم، وإلى هنا يكون الأمر أقرب إلى الهزل منه إلى الجد، أما أن تتحول هذه الخرافة المبتدعة لأسباب وجدانية إلى ما يُعدّ حقيقة علمية هي التي تقبل من العلماء وغيرها الذي هو الحق يرفض منهم فهذه هي العجيبة التي لا يفسرها شيء ولا حتى الفزع من سلطان الكنيسة المفزع،

فقد كانت الأسباب الرئيسية التي من أجلها رفضت العقلانية التجريبية أن تعترف بوجود الله، أو تعترف بهيمنته على الكون، هي أن الله لا تدركه الأبصار، وأنه قضية غيبية لا تدخل في عالم الحس، فأما الطبيعة الخالقة فهي تدركها الأبصار، أم إنها قضية غيبية لا تدخل في عالم الحس، إن الذي تدركه الأبصار هو الطبيعة المخلوقة لا الطبيعة الخالقة، وهذه لا يختلف وضعها سواء آمنّا بالله الحق أم آمنت الجاهلية بإلهها الزائف، فأى شيء يمكن أن يفسر فضلاً على أن يبرر الإيمان بالأسطورة في عهد العلم وبأي حجة يحتج عصر العلم على أساطير الكنسية وخرافات الدينية، إذا وقع هذا العصر في أساطير الإلحاد وخرافته.

عن كتاب (رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر) لمحمد قطب.

أقول:

مع الأسف هذه الخرافة تدرس في كثير من الجامعات في بلاد العرب والمسلمين، لا للنفي، ولكن للإثبات، والله المستعان.

مكتبة خالية من الخير

١١٢٥

قال الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه (تراثنا الفكري) ص ٢٥:

إنني من معرفتي بديني أحتم مصادر المعرفة، وأرحب ببناء المكتبات، وأسعى إلى حراستها وتخليدها، وأقدر الجهود التي تبذل في ذلك، وليس يعنيني نوع المباني ونوع الهندسة، إن الذي أهتم به هو الكتب التي ستعرض على القارئ، لقد سمعت أن المكتبة سوف تصور الثقافة السائدة في البحر المتوسط، حسناً في شمال هذا البحر اليونان والرومان واللاتين في فرنسا وإسبانيا وفي جنوب المغرب الكبير ومصر وفي شرق فلسطين المحتلة ولبنان المحتل والشام وتركيا العلمائيتين، ولقد قامت المكتبة القديمة، وبادت ولا صلة لها بيهودية ولا نصرانية ولا إسلام،

كانت تمثل الفكر السائد في عصرها الأول، فهل ستكون المكتبة الحديثة إنسانية عامة تعرض علوم الكون والحياة والتقدم الباهر الذي بلغه عصرنا الحاضر في الكشوف المعجبة لأسرار هذا العالم وقواه، وليكن ولعل ذلك يرضينا جميعاً.

إن الذي أخطر منه أن تكون المكتبة جسراً لفلسفات بالية وتعصباً وضيغاً لماضي كان الأوروبيون فيه لا يمثلون شيئاً ذا بال من خصائص الإنسانية الرفيعة، ويريدون اليوم أن يستأنفوا جحودهم لنا واجتراءهم علينا، وما سمعته عن أجنحة المكتبة المقترحة يثير شكوكاً كثيرة، إن الإسلام اليوم دين جريح تنتمي إليه شعوب أغلبها من العالم الثالث، ولا يساوي تخلفها المادي إلا تخلفها المعنوي، وإذا كانت الأسفار التي تملأ الدواليب والرفوف من أنواع دوائر المعارف الأوروبية الخالية من الخير ألا تقوم هذه المكتبة.

أقول:

يا أسفاً على الملايين التي تبرّع بها، ليتهما في غير هذا الباب!

أكثر من السواك

١١٢٦

قد وردت في فضائل السواك أحاديث كثيرة نذكر منها ما يلي: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»<sup>(١)</sup> رواه البخاري ومسلم وابن حبان في صحيحه إلا أنه قال: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ الْوُضُوءِ»<sup>(٢)</sup>، ورواه أحمد وابن خزيمة في صحيحه، ولفظه: «لَأَمْرَتِهِمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ وَضُوءٍ»<sup>(٣)</sup>،

(١) أخرجه البخاري (٤/٢ رقم ٨٨٧)، ومسلم (١/٢٢٠ رقم ٢٥٢).

(٢) أخرجه ابن حبان (٤/٤٠٦ رقم ١٥٤٠).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢/١٦ رقم ٩٩٢٨)، وابن خزيمة (١/٧٣ رقم ١٤٠).

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَكْعَتَانِ بِالسَّوَاكِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً بِغَيْرِ سَوَاكٍ»<sup>(١)</sup> رواه أبو نعيم بإسناد حسن. وعن أبي أمامة يرفعه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسُوكُوا، فَإِنَّ السَّوَاكَ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ، مَا جَاءَنِي جَبْرِيلُ إِلَّا أَوْصَانِي بِالسَّوَاكِ حَتَّى لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَفْرُضَ عَلَيَّ أُمَّتِي، وَلَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي لَفَرَضْتُهُ عَلَيْهِمْ، وَإِنِّي لَأَسْتَاكُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَحْضِيَ مَقَادِمَ فَمِي»<sup>(٢)</sup> أخرجه ابن ماجه. وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ترفعه: «السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»<sup>(٣)</sup> رواه النسائي وابن خزيمة، ومثله عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أخرجه البخاري في صحيحه<sup>(٤)</sup> والطبراني في الأوسط الكبير، وزاد فيه: «ومجلاة للبصر»<sup>(٥)</sup>. وعن حذيفة بن اليمان قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك<sup>(٦)</sup>. أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ويشوص؛ أي يدلك.

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَسْنَدَتُهُ إِلَى صَدْرِي، وَمَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَوَاكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَأَبَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصْرَهُ، فَأَخَذَتِ السَّوَاكَ، فَقَضَمْتَهُ، وَرَطَبْتَهُ، ثُمَّ رَفَعْتَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَنَّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا غَدَا أَنْ فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفْعَ يَدِهِ أَوْ إِصْبَعِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ثَلَاثًا» ثُمَّ قَضَى. وفي لفظ: فرأيتَه ينظر إليه فعرفت أنه يحب

(١) ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٣٨/١ رقم ١٥٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٠٦/١ رقم ٢٨٩)، وضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة (٤٣/١ رقم ١١٧)، والألباني في ضعيف الترغيب (٣٧/١ رقم ١٤٤).

(٣) أخرجه النسائي في سننه الصغرى (المجتبى) (١٠/١ رقم ٥)، وابن خزيمة (٧٠/١ رقم ١٣٥)، وحسنه النووي في خلاصة الأحكام (٨٤/١ - ٨٥ رقم ٨٩)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٠٥/١ رقم ٦٦).

(٤) أخرجه البخاري معلقاً (٣١/٣) قبل الحديث (رقم ١٩٣٤).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٨٧/٧ رقم ٧٤٩٦)، قال الألباني في إرواء الغليل (١٠٥/١): إسناده ضعيف جداً.

(٦) أخرجه البخاري (٥٨/١ رقم ٢٤٥)، ومسلم (٢٢١/١ رقم ٢٥٥).

السواك، فقلت: آخذه لك، فأشار برأسه أن نعم<sup>(١)</sup>. أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما، وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَسْتَاكُ بِسِوَاكٍ رَطْبٍ قَالَ: وَطَرَفَ السِّوَاكِ عَلَى لِسَانِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «أَعْ أَعْ»<sup>(٢)</sup>، والسواك فِيهِ كَأَنَّهُ يَتَهَوَّعُ.

أقول:

هاهنا ماذا تصنع بأسنانك بعد اليوم، نظفها بالسواك أولاً وبالمعجون المصنوع من السواك ثانياً، واترك المعاجين التي أزعجتنا بها الشركات في دعاية التلفاز، مثل غيرها من الكماليات التي هزت ميزانية كل أسرة وكل بيت، أنادي بأعلى صوتي من خلال هذه النادرة بالرجاء المخلص إلى المسؤولين في وزارة الإعلام بإيقاف الإعلانات التجارية فوراً؛ لما لها من أضرار اقتصادية، والضرر الاقتصادي يجر إليه أضراراً أخرى، مثل (رجل الديك تجيب الديك)، ولهم بعض العذري في السابق وهو جمع الدريهمات، ولكن أغناهم الله من فضله، فليرفقوا بنا، ونسأله أن يرفق بهم.

يا رب، سلّم يا رب، سلّم

١١٢٧

لقد أعلنت أمريكا أخيراً أنه لا يكفي وجود دورياتها الجوية المستمرة ٢٤ ساعة محملة بالقنابل الذرية حتى تنطلق إلى أهدافها عند أول إشارة ولا طائرات الرادار التي تحلق ٢٤ ساعة لتري وتسمع ما وراء الأفق، دون انقطاع ولا الطائرة المعدة دائماً، بحيث يركبها الرئيس الأمريكي ومعاونوه إذا جاء خبر عن إطلاق صواريخ روسية إلى واشنطن ليقود عملية الرد من الجو، لقد قررت الولايات

(١) أخرج البخاري (١٣/٦ رقم ٤٤٤٩)، ومسلم (١٨٩٣/٤ رقم ٢٤٤٣)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرج البخاري (٥٨/١ رقم ٢٤٤)، ومسلم (٢٢٠/١ رقم ٢٥٤)، وليس عند مسلم: أع أع.

المتحدة أخيراً أن تكون في الجود دائماً طوال الأربع والعشرين ساعة، طائرة ليست مزودة بكل شيء فقط، ولكن فيها قيادة عسكرية عامة تمثل كل القوات المسلحة، وتتصل بها حتى إذا حدث، وأصيبت القيادة الأرضية بأي عطل تكون هناك قيادة عسكرية أخرى كاملة في الجو تتولى المسؤولية فوراً.

أقول:

كيف يهناً لنا العيش؟ ونحن نقرأ هذه الأخبار المرعبة، أي والله العالم يعيش على فوهة بركان، والأمر جد خطير منذ اخترع الإنسان السلاح الخبيث، سلاح الذرة والجرثومة في هذا القرن العشرين أو في نصفه الأخير، فأردد مع شوقي قوله:

وأفّ على العلم الذي تدعونه إذا كان في علم النفوس رداها

أعود فأذيل هذه النادرة بما عنونتها، وهون الدعاء إلى الله العلي العظيم:  
«يا رب، سلم يا رب، سلم».

شهر الطعام أم هو شهر الصيام؟

١١٢٨

قال أحد الفقهاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اعلم أن رمضان حق وأن صومه فرض، وأن قيامه مستحب، وأن أوقاته أزكى من سائر العام، ومن ثمّ استشيرت لهذا الهمم، فنادى من قبل الحق: يا باغي الشر، أقصر ويا باغي الخير، هلم، وعلى المؤمنين أن يفوزوا في هذا السباق، ولكني عندما يقبل رمضان أشعر بالوجل، لا من العبادات المفرضة، بل من العادات السائدة، فقد أبى المسلمون إلا تعكير رونق الشهر المبارك بما استحدثوه من أمور لا تصح دنيا، ولا يصلح بها دين، والمعروف أن الليل سكن للأنفس، وأن السهر فيه قد يكون من شرطي يحرس

الأمن، أو جندي يحمي الثغور، أو طبيب يرضى المرضى، أو عامل في نوبته لمواصلة الإنتاج والسهر في رمضان، إنما هو تهجد لمناجاة الله وقراءة كتابه والتسبيح بحمده والإعداد للقائه، فما معنى أن يسهر المسلمون في رمضان للتسليّة الفارغة واللغو الطويل؟ وما معنى أن تُعدّ لهم برامج خاصة كي يضحكوا، ومن حقهم أن يبكيوا أو يهدؤوا، ومن حقهم أن يشكوا ألا يحس المسلمون ضراوة العدو ونيله الشديد منهم؟ إن نصف الأمة الإسلامية يترنح تحت وطأة الاستعمار الصليبي والشيوعي، والنصف الآخر يرى دينه منكور التوجيه في أكثر من ميدان، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً فصيماً المجون والضحك؟

ومعروف أن استهلاك الأغذية يتضاعف تقريباً في رمضان، وأن الحكومات توفر مزيداً من السلع لاستقبال الشهر، وكأنما هو شهر الطعام لا شهر الصيام، ويبدو أننا نجوع كثيراً لنأكل كثيراً، وما شرع الله الصيام لهذا النوع من الفعل وردّ الفعل، إن شريعة الصيام تدرّيب على جهاد النفس والتحكم في مطالبها ورغائبها وإخضاعها لضوابط الأمر والنهي وإشعار الإنسان أنه روح قبل أن يكون جسماً، وعقل قبل أن يكون هوى وغرائز.

أقول:

صدق الشيخ ورب الكعبة، فالناس عكسوا السنة، وجعلوها بدعة، فليل رمضان للعب والأكل والشرب، ونهاره للنوم إلا من عصم ربي، وقليل ما هم.

فيا أخي الكريم، إذا قرأت هذه النادرة فاحزم أمرك لإصلاح أمرك وإلغاء الصرف الزائد والزيادة في العبادة، فهو شهر الصرامة والجهاد والصبر وانتصارات الأجداد العظام من عصر الرسالة المشرق حتى حرب رمضان ١٣٩٣هـ التي أصروا على جعلها حرب ٦ أكتوبر، وليس رمضان، والله المستعان.

قال الصحفي مصطفى أمين في كتابه (لكل مقال أزمة) ص ١٥٨: منعت نشر قرارات جمهورية صدرت بالعفو عن عدد من كبار مهربي المخدرات الأجانب الذين أصدرت محاكم الجنايات العادية حكمها عليهم بالسجن المؤبد، وأيدت الأحكام محكمة النقض والإبرام، وكان بعض زعماء القومية العربية يتفقون مع أعضاء العصاةة في بيروت أو غيرها، ويأخذون منهم خمسة وعشرين ألف جنيه، وأحياناً خمسين ألف جنيه، وأحياناً مئة ألف جنيه، ثم يجيء الزعيم العربي إلى مصر، ويقابل رئيس الجمهورية، ويقول: إن فلاناً المحكوم عليه بالمؤبد لتهربه المخدرات في سجن طرة من أسرة وطنية متحمسة للقومية العربية، والإفراج عن هذا المهرب يرضي زعيم الأسرة، ويجعله أشد تمسكاً بزعامة مصر، وهنا يصدر قرار جمهوري بالإفراج فوراً عن المهرب الكبير، ولم يحدث مرة أن نشرت جريدة في مصر نبأ عن هذا القرار الجمهوري السري، كل ما يحدث أن القرار الجمهوري يبلغ إلى مصلحة السجون، فتخرج عن السجن المحكوم عليه بالمؤبد، ويختفي القرار الجمهوري، ولا يعرف أحد عنه أي شيء، وتكررت هذه القرارات الجمهورية مرات عدة، وعرف تجار المخدرات في البلاد العربية تسعيرة الإفراج عن المحكوم عليه بالسجن المؤبد، والمحكوم عليه بخمس عشرة سنة أشغالاً شاقة، وكان من المضحك المبكي أن نرى مثلاً مسجوناً لبنانياً هرب طن حشيش، وهو يخرج من ليمان طرة، بينما نجد مسجوناً مصرياً اتهم بتهرب جرام حشيش يمضي ٢٥ سنة في السجن يكسر الأحجار في سجن طرة، بل أكثر من هذا كانت الرقابة تخرق أخطر القرارات الجمهورية، وهي قرارات بالعفو عن جواسيس إسرائيل من الأجانب، وكانت هذه القرارات الجمهورية تصدر في السر، ولا تنشر في الصحف، ولا يعرفها الوزراء، ولم يحدث مرة أن عرف الناس أن جواسيس

إسرائيل من يونانيين وإيطاليين ولبنانيين، كان يفرج عنهم سرّاً.

أما المحكوم عليهم في قضايا سياسية عادية فكانت لا تصدر عنهم قرارات العفو إلا على سبيل الاستثناء، بل كانت التعليمات العسكرية تقضي بالألا يتمتعوا بامتياز الإفراج بعد نصف المدة، وهو امتياز يتمتع به القتلة واللصوص وقطّاع الطرق، ذلك أن الحكومة كانت تُعدّ معارضة الحاكم جريمة أشنع من القتل والسرقعة وقطع الطريق، وأخذت الرقابة عن الشعب نبأ مهمّاً نشرته كل صحف العالم، وهو نبأ الإفراج عن الجاسوس الإسرائيلي لوتز، وكان لوتز مسجوناً معي في ليمان طرة ومحكوماً عليه بالسجن المؤبد، وحدثت هزيمة ٥ يونيو، وطلبت إسرائيل تسليمه مقابل الإفراج عن عدد كبير من الأسرى المصريين، وذات صباح جاء لوتز إلى زنزانتي وفي يده جريدة (الأهرام)، وفيها خبر في الصفحة الأولى بأن الحكومة المصرية رفضت أن تسلم الجاسوس لوتز لإسرائيل، ولن تسلمه لها أبداً، وقال للوتز: معنى هذا الخبر المنشور في (الأهرام) أن الحكومة المصرية ستفرج عنك قريباً، قال: هل لديك أخبار؟ قلت: ليس عندي أخبار، ولكنني واثق أن معنى هذا الخبر أنه تقرر الإفراج عنك سرّاً، ولم أقل له: كيف عرفت، فإنني أعرف الحكومات الديكتاتورية تقول لشعوبها أخباراً كاذبة لتخفي فيها الأخبار الحقيقية!

### ظاهرة خطيرة

١١٣٠

وجه محرر (اليمامة) في العدد ٢٢/١٠/١٤١٣هـ سؤالاً للأستاذ محمد صلاح الدين عن ظاهرة خطيرة ظهرت وبوضوح على المجتمع الإسلامي، وهي تبادل إطلاق المصطلحات بين أبناء الأمة الإسلامية، فالملتزم يصف الآخر المسلم بأنه يساري أو علماني، بينما يصف الآخر الملتزم بأنه متطرف بل وأحياناً

إرهابي... إلخ. ألا ترى أن هذه بذور فتنة جديدة بين أبناء المسلمين؟ لا شك أننا نعيش الآن إرهاب المصطلحات، ولا أيضًا الإنصاف يقتضي أن نقول: إن إرهاب المصطلحات حاد بين الجانبين من الجانب الإسلامي ومن الجانب الذي يمكننا أن نسميه العلماني، والحقيقة أن الإخوان الذين في الجانب غير الملتزم إذا أحببنا أن نقول ذلك هم وحدهم وراء كثير من المصطلحات والغموض، لكنه يشعر بضغط الجو العام، فكل بلد عربي شعوره العام إسلامي، فلا أحد يستطيع أن يقول: يجب ألا نطبق الشريعة، ولا يجب أن نفرض الحجاب على المرأة، لا أحد مطلقًا يستطيع أن يقول مثل هذا الكلام أو يجاهر به، فالذي يحدث أنه يلف ويدور حول هذين الموضوعين على سبيل المثال، ويغلف هذه الأمور بألفاظ غامضة أو رمزية، وفي تقديري بالنسبة إلى الملتزم ألا يبادر بالتهمة، ولا يبادر بالتصنيف إلا إذا كان الأمر واضحًا، مثلًا عندما تأتي إلى شخص مثل أدونيس، وتقرأ كتابه (الثابت والمتحول) تجده نقضًا صريحًا للإسلام ومن جذوره وجوانبه، فهو ينقض الإسلام عقيدةً وتاريخًا، فلا يمكن أن تخاطب أدونيس إلا أنه علماني مارق؛ لأن الرجل صريح فيما كتب، ولم ينفِ ذلك، ولم يتبرأ، بالعكس هذه رسالة الدكتوراه بالنسبة إليه.

أيضًا سمح لي أن أعجب، ففي البلدان العربية ليس هناك أي ذكر لأدونيس وقلة نادرة تعرف أن رسالته للدكتوراه هي (الثابت والمتحول) وقلة معدومة هي التي أطلقت على هذا الكتاب اسمه، فلماذا لا ترديد ولا ذكر ولا إبراز لأدونيس إلا في هذا البلد الذي هو مسقط القداست ومهبط الإسلام والوحي وفي صحف هذا البلد وكيف نتقبل هذا؟ في مصر وفي تونس وفي الجزائر لا ذكر له نهائيًا ولا في بلد عربي إلا هنا، وهذا مثار دهشة واستغراب، أجل كيف نفعل ذلك؟

جاء في جريدة (الشرق الأوسط) يوم ١١/٢/١٤١٣هـ:

إن للاستحمام يوميًا في ماء بارد مزايا صحية مهمة ينعكس مردودها الإيجابي على مختلف جوانب الصحة الجسمانية في وقت قصير نسبيًا، وأنه يزيد عدد الخلايا الدموية البيضاء، وكان العالم تشارلز داروين أول من اكتشف عام ١٨٥٧م مزايا الاستحمام في الماء البارد، ولكن لم يعرف سببها، إذ وجد أنه كان يخفف آلامه ومتاعبه الصحية، إلا أن معهد بحوث مرض تخثر الدم في لندن اكتشف أخيرًا الجواب القاطع على تساؤلات داروين، إذ يزعم الباحثون أن الاستحمام في الماء البارد يحسن الدورة الدموية، ويعطي الإنسان الشعور بالعافية من جميع النواحي، ويؤدي إلى زيادة عدد الخلايا الدموية البيضاء، وذلك يعزز قدرة الجهاز المناعي في التصدي للفيروسات والقضاء عليها، وعلاوة على ذلك يؤدي الاستحمام بالماء البارد إلى زيادة إفرازات هرمون توستوستيرون في الذكور وهرمون إستروجين في الإناث، وذلك يؤدي إلى زيادة الإخصاب لدى الجنسين، والماء البارد يؤدي أيضًا إلى تحسين بنية البشرة وتقوية الأظافر وزيادة نمو الشعر، إلا أن الباحثين يحذرون من الاستحمام بماء بارد جدًا، ويوصون بأن تكون درجة حرارة ماء الاستحمام في حدود ٦٠ فهرنهايتية ١٥ درجة مئوية، وخلص الباحثون إلى هذه النتائج بعد متابعة مجموعة من الأشخاص الذين استحموا بماء بارد عند درجات حرارية متفاوتة.

أقول:

قرأت، ثم رفعت صوتي مكبرًا: الله أكبر، حيث إن الذي وجده البريطانيون في ذلك العام المذكور في القرآن الكريم منذ ١٤ قرنًا، وهاك الدليل في قوله تعالى، حيث اشتكى أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ

الضُرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿[الأنبياء: ٨٣]﴾ ثم يصف له سبحانه العلاج بقوله:  
﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].

ارفع صوتك معي بالتكبير والتحميد لله رب العالمين، واحرص على الدش  
البارد يومياً.

## كيف تعرف عيوبك؟

١١٣٢

قال أحد العلماء: إن الله عزَّ وجلَّ إذا أراد بعبد خيراً بصَّره بعيوب نفسه، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخفَ عليه عيوبه، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج، ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم، يرى أحدهم القذى في عين أخيه، ولا يرى الجذع في عين نفسه، فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً، فينصِّبه رقيباً على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه، فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين، كان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي، وكان يسأل سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن عيوبه؟ فلما قدم عليه قال له: ما الذي بلغك عني مما تكرهه؟ فاستغفى، فألح عليه، فقال: بلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة، وأن لك حلتين: حلة بالنهار، وحلة بالليل، قال: وهل بلغك غير هذا؟ قال: لا. فقال: أما هذان فقد كفيتهما، وكان يسأل حذيفة، ويقول له: أنت صاحب سر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنافقين، فهل ترى علي شيئاً من آثار النفاق؟ فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهتمه لنفسه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فكل من كان أوفر عقلاً وأعلى منصباً كان أقل إعجاباً وأعظم اتهاماً لنفسه إلا أن هذا أيضاً قد عز، فقلَّ في الأصدقاء من يترك المداهنة، فيخبر بالعيوب، أو يترك الحسد، فلا يزيد على قدر الواجب، فلا تخلو في أصدقاتك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيوب عيباً، أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك.

أقول:

لا تغضب إذا انتدك صديقك، وعلى الصديق أن يحسن النقد، ويرفق بصديقه؛ لأن صديقك من صدقك لا من صدقك.

حفظه الله حياً وميتاً

١١٣٢

جاء في أحداث عام (٥٥٧هـ) أنه وصل إلى المدينة المنورة رجلان في زي المغاربة، وادعيا أنهما من أهل الأندلس، ونزلا في الناحية التي تلي حجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القبلة خارج المسجد عند دار آل عمر في رباط قرب الحجرة، وقد أظهرها الصلاح والتقوى بالصلة والبر والصلاة وزيارة البقيع، وقبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هكذا ظاهرهما، أما الباطن فهما نصرانيان كلّفا بنقل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة إلى بلاد النصرى، وأغريا بالمال ومُولا به، وقد كانا يحفران سرداباً ينتهي للحجرة المحروسة، وصارا ينقلان التراب قليلاً قليلاً، فتارة يرميانه في بئر بالرباط، وتارة ينقلانه في محفظة من جلد ويوهمان الناس بزيارة البقيع ويرميان التراب فيه، ومكثا على حالتها هذه مدة، حتى توها أنهما قربا من غايتها، ووصلا إلى قرب القبر المطهر، وأخذ المجرمان يفكران في كيفية نقل الجسد المطهر، وظنّا أن ذلك قريب المنال، ولكن الله لهما بالمرصاد لكشف عملهما السيئ وإبطاله، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحترم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، والقرآن الذي جاء به من عند الله يحترم الأنبياء والرسل السابقين، لكنها شقاوة بعض النصرى نعوذ الله من الشقاوة، لقد رأى السلطان نور الدين محمود بن زنكي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، وهو يشير إلى رجلين أشقرين، ويقول: «يا محمود! أنقذني من هذين»، فاستيقظ منزعجاً، وصلى، ونام، فرأى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام مرة ثانية يشير إلى الرجلين الأشقرين، ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا محمود! أنقذني من هذين»

فلما استيقظ في الثالثة دعا وزيره جمال الدين الموصلبي، وكان وزيراً عاقلاً ديناً ورعاً، وقص عليه الرؤيا، فقال له: هذا أمر حدث بالمدينة المنورة اخرج الآن للمدينة النبوية، واكنم ما رأيت، فتجهز السلطان نور الدين محمود بن زنكي، وخرج على رواحل في عشرين رجلاً ومعه الوزير ومال كثير، وقال مجد الدين المطري: معه ألف راحلة، وما يتبعها من خيل وغير ذلك، وقطع المسافة من الشام إلى المدينة المنورة في ستة عشر يوماً، وصلى بالروضة، وزار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم جلس لا يدري ماذا يفعل؟ فقال الوزير: أتعرف الشخصين إذا رأيتهما؟ قال: نعم، فقال الوزير لأهل المدينة، وقد اجتمعوا في المسجد: إن السلطان معه أموال للصدقة، فاكتسبوا الذين عندكم من المحتاجين، وأحضروهم، وكل من حضر يأخذ نصيبه، وكان السلطان يتأمل الذين يحضرون؛ فلم يجد فيهم أحداً صفته صفة الرجلين اللذين رأهما، لكنه لم يقطع الأمل في التعرف إليهما ومسكهما وإنقاذ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذاهما، فقال السلطان: هل بقي أحد لم يأخذ؟ فقالوا: لم يبق إلا رجلان مغربيان لا يتناولان شيئاً، وهما صالحان، فقال: علي بهما؛ فأحضرا فإذا هما الرجلان اللذان أشار إليهما صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، فقال لهما: من أين أنتما؟ فقالا: إننا من المغرب جئنا حاجين، فقال لهما: اصدقاني، وقررهما، فأصرا على كلامهما، فتركهما، وذهب لمحل سكنهما في الرباط مع بعض أهل المدينة، فوجدوا مالاً كثيراً ومصحفين وكتباً فوق الرف، ولم يجدوا شيئاً آخر، وجعل السلطان يطوف بالمحل، ثم ألهم الله السلطان نور الدين محمود بن زنكي، فرفع خصفةً في المحل، فوجد تحتها لوحاً من الخشب، فرفعه، فوجد السرداب محفوراً ومتوجهاً للحجرة المحروسة الشريفة ومخترقاً جدار المسجد، فذهل أهل المدينة، وكانوا يعتقدون فيهما الصلاح والتقوى، فضر بهما السلطان ضرباً مبرحاً، فاعترفا أنهما بعثهما ملوك النصارى في زي المغاربة الحجاج مؤلوهما بأموال عظيمة، وأمروهما بالتحايل في إخراج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من

قبره ونقله لبلادهم، فلما ظهر حالهما، واعترفا بجريمتهما أمر السلطان بضرب عنقيهما عند الشباك الشرقي للحجرة المطهرة، ثم أحرقا آخر النهار بالنار<sup>(١)</sup>.

### الشيخ ابن سليم يلغي الروتين

١١٣٤

خرج الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بن سليم بعد العصر من بيت سليمان السلطان العرفج متجهاً إلى بستان الشقيري غربي مدينة بريدة للنزهة والوضوء، وفي الطريق تعرض له خصوم من المواطنين بينهم قضايا شرعية، وقد روى عبد الله بن محمد ابن سليم حكماً في سبع قضايا، وهو في الطريق، ومن بين هذه القضايا قضية دم.

أقول:

كان الناس قبل خمسين سنة في حالة من الأمن والصدق تشبه حالة سلفهم الصالح، فهذا القاضي النزيه ينهي سبع قضايا لو كانت في عصرنا هذا لبلغت أوراق كل قضية حمل بغير، وأنا أعرف بعض الإداريين هنا قالوا عنه: إنه اختصر توقيع بعض المعاملات عن عشرة مسؤولين في إدارته إلى توقيع اثنين فقط.

### وصية جدنا قدس الله روحه

١١٣٥

قال عنه الشيخ ناصر العمري في كتابه (ملاح) ص ١٠٨:

عبد الله السالم الزمام من سكان الربيعية في القصيم، وتقع شرقي مدينة بريدة وشمال الشماسية وغرب المستوى، وهو من قبيلة شمر رجل فيه دين يجالس طلبة العلم، ويحضر مجالس التدريس في جامع بريدة إذا وجد بها، وهو رجل

(١) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (٤/٢٣٠).

شجاع، وقد عرف حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأثرها في إصلاح نفوس سكان نجد وغيرها من البلاد العربية، وعند كتابة وصيته في آخر حياته أوصى للشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح العالم الداعية الإسلامي بأضحية من ماله الموقوف تقديراً للشيخ محمد بن عبد الوهاب ووفاءً له، واعترافاً بفضلته على أهل نجد، واللّه المستعان، وقد تولى ابنه محمد العبد اللّه الزمام إمارة الروضة، وقال له رجل من أهل الرياض: أنت شمري؟ فقال: نعم، أنا شمري، ولكنني أحارب تحت بيرق الملك عبدالعزيز آل سعود، والمعروف أن الانتماء إلى الوطن أقوى من الانتماء إلى القبيلة، وأقوى منهما الانتماء إلى الدين، واللّه المستعان.

أقول:

حدثني الأخ حمد السليمان الزيد من بلدتنا الربيعية، قال: كان جدك رَحْمَةُ اللَّهِ يقوم بالحسبة تبرعاً قبل أن تكون هيئة رسمية، يقول الزيد: وكنا شباباً مراهقين، ونهايه هيبة عظيمة، وكان رَحْمَةُ اللَّهِ يمشي كأنه راكب، ويغير المنكر بيده، وفي إحدى المرات سمعته زوجته الثانية، وهو في الطريق إليها يضرب أحد العصاة، وهو أي صاحب المعصية يصيح: أتوب يا أبا محمد، أتوب تقول؟ ثم سألته: من هذا؟ قال: لا شيء حمار بالزرع، وطردته، تقول زوجته: وعرفت أنه يريد الستر بعد إزالة المنكر، وهذا دليل على فقهه رَحْمَةُ اللَّهِ.

موعظة لكل مسؤول مسلم

١١٣٦

ذكر المؤرخون أن الفضل بن الربيع قال: حج هارون الرشيد، فأتاني، فخرجت مسرعاً، فقلت: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إلي لأتيتك، فقال: ويحك! قد حاك في نفسي شيء، فانظر لي رجلاً، فقلت: ههنا سفيان بن عيينة، فقال: امض بنا إليه، فأتيناها، فقرعت الباب، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين؛ فخرج

مسرّعاً، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إلي لأتيتك، فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله، فحادثة ساعة، ثم قال: عليك دين؟ فقال: نعم، فقال: يا عباس! اقض دينه، فلما خرجنا قال لي: ما أغنى صاحبك عني شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله؟ قلت: ههنا عبدالرازق بن همام. قال: امض بنا إليه، فأتيناها، فقرعت الباب، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إلي لأتيتك، فقال: خذ لما جئناك له، فحادثة ساعة، ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم، قال: يا عباس، اقض دينه، فلما خرجنا قال: ما أغنى صاحبك عني شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله، قلت: الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه، فأتيناها، فإذا هو قائم يصلي، ويتلو آية من القرآن يرددها، قال: اقرع الباب، فقرعت الباب، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: ما لي ولأمير المؤمنين؟! فقلت: سبحان الله! أما عليك طاعته؟ فنزل، وفتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا، فجعلنا نحول عليه بأيدينا، فسبقت كف أمير المؤمنين قبلي إليه، فقال: يا لها من كف ما أليتها إن نجت من عذاب الله عزَّجَلَّ! فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي: خذ لما جئناك له رحمك الله، فقال الفضيل: إن عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا علي، فعدَّ الخلافة بلاء، وعددها أنت وأصحابك نعمة، فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا، وليكن إفطارك فيها الموت، وقال محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فوَقَّرَ أباك، وأكرم أخاك، وتحنَّنْ علي ولدك، وقال رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عزَّجَلَّ فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واکره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إن شئت، وإني أقول لك: إني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام، فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء أو من يشير عليك بمثل هذا؟ فقلت له: ارفق

بأمير المؤمنين رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شكَا إليه، فكتب إليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أخي! أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك العمل عن الله، فيكون ذلك آخر العهد بك، وانقطاع الرجاء منك، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عَزَّجَلَّ فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً، ثم قال: زدني رحمك الله، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن العباس عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء إليه، فقال: يا رسول الله! أمرني على إماره، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت ألا تكون أميراً فافعل»<sup>(١)</sup>.

فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً، ثم قال: زدني رحمك الله، فقال: يا حسن الوجه، أنت الذي يسألك الله عَزَّجَلَّ عن هذا الخلق يوم القيامة؟ فإن أردت أن تقي هذا الوجه من النار فإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيته، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة»<sup>(٢)</sup> فبكى هارون. وقال له: عليك دين؟ قال: دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألتني، والويل إن لم ألهم حجتي، قال: إنما أعني دين العباد، قال: إن ربي لم يأمرني بذلك إنما أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فقال له: هذه ألف دينار خذها، فأنفقها على عيالك، وتقوِّ بها على طاعة ربك، قال: سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا

(١) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٤٨/٤٣٩)، وأبو نعیم في حلیة الأولیاء (١٠٧/٨). وانظر: سیر أعلام النبلاء (٤٢٠/٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠٧/٢٠) رقم (٤٧٤)، ولفظه عنده: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت غاشاً لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»

سلمك الله ووفقك، ثم صمت فلم يكلمه، فخرجنا من عنده، فلما صرنا إلى الباب قال هارون: يا عباسي! إذا دلتني على رجل، فدلني على مثل هذا سيد المسلمين، فدخلت عليه امرأة من نساءه، فقالت: يا هذا، قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال، فتفرجنا به؟ قال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بغير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه، فأكلوا لحمه. فلما سمع هارون الكلام قال: ندخل، فعسى أن يقبل المال، فلما علم الفضيل خرج، فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون، فجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه، فلا يجيبه، فبينما نحن كذلك، إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا، قد أذيت الشيخ، فأنصرف رحمك الله، فأنصرفنا<sup>(١)</sup>.

أقول:

هي موعظة لكل مسؤول مسلم، وهي كذلك عبرة لكل شيخ في الترفع عن المطامع العاجلة، فطاعة الوالي واجبة، ولكن نصحه وزجره عن الخطأ أوجب.

الهوة الرهيبة

١١٣٧

قال الدكتور غازي القصيبي في كتابه (أزمة الخليج محاولة للفهم) ص ١٩٤: كانت هناك هوة رهيبة بين عالم النظرية، حيث تسود المصلحة العربية العليا المفترضة وعالم الواقع، حيث تسود مصلحة كل دولة من عالم النظرية، نبع حشد هائل من الأسواق العربية المشتركة ومواثيق الأمن الجماعي المشترك ومختلف أنواع الوحدة الاقتصادية العربية، أما الواقع فقد كان لا يتحرك بمعزل عن عالم النظرية فحسب، بل في الاتجاه المعاكس، وأحياناً بضعف السرعة، وهكذا رأينا أنه كلما صدر قرار جديد بإلغاء الحواجز الجمركية زاد رجال الجمارك تضييقاً على البضائع العربية المعفاة، وكلما صدر بيان جديد بوحدة

(١) انظر: حلية الأولياء (١٠٦/٨-١٠٧)، وتاريخ دمشق (٣٣٩/٤٨-٤٤٠)، وتهذيب الكمال (٢٩٧-٢٩٥/٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٤٢٩/٨-٤٣١).

عربية جديدة قطعت دولة عربية أو مجموعة دول علاقتها بدولة، وكلما صدر بيان بدعم القضية الفلسطينية زادت معاناة الفلسطينيين المدعومين في الدول العربية، وكلما نشأ مشروع عربي مشترك تفكك مشروعان عربيان قائمان.

أقول:

هو صادق، وينطبق علينا المثل العامي: «غَمَّرَ هواء، واحصد ماش».

أكرموا لمصلحتهم

١١٣٨

جاء في مجلة (الرجل) في عدد (١٤) مقابلة مع الشيخ أحمد العمودي التاجر السعودي، يقول: سافرت إلى أمريكا لحضور حفل تخرج ابني محمد، وهناك تعرفت إلى شخص أمريكي من أصل فلسطيني اسمه أحمد كنعان، وكان رجلاً طيباً يعايش الطلبة هناك، وعندما عرف أنني ذاهب إلى إيطاليا لشراء مصنع جديد للطوب عرض علي فكرة شراء المصنع من الشركات الأمريكية، واقتنعت بالفكرة، فتمَّ شراء مصنع أمريكي بطاقة (٣٠٠) طن، وقد كلف حينها (٤٠) مليون ريال، وبطبيعة الحال كانت الصفقة كبيرة خاصة بالنسبة إلى الشركة التي تم التعاقد معها، وأذكر أنها دعت الصحفيين والتلفاز لتغطية الحدث حتى وصل خبر الصفقة إلى المسؤولين، فاتصل مجلس النواب ووزير المالية بمدير الشركة، وقال له: إنهم اطلعوا على أخبار الصفقة، ويرغبون اللقاء بي، فذهبت أنا ومرافقي الفلسطيني إلى واشنطن، وهناك استقبلوني في المطار، وجهزوا لي سيارة يعلوها العلم السعودي. هذا الكلام قاله الشيخ العمودي، وهو تاجر سعودي.

أقول:

هذه الحفاوة من الغرب بالرجل وبصفقته التجارية لمصلحتهم هم، وهذا ذكاء وفطنة، ولو تمَّ مثلها في كثير من بلاد العرب والمسلمين لما صنع للرجل شيء

من ذلك، بل يُرمى بالطوب، ويُعرقل المشروع، ويقال عنه: برجوازي استغلالي، حتى يهرب التاجر بجلده، وهذا أحد أسباب التخلف لدى العرب والمسلمين.

## الرضا وحسن الخلق

١١٣٩

قال الشاعر محمد مصطفى حمام:

عَلَّمْتَنِي الْحَيَاةَ أَنْ أَتَلْقَى      كَلَّ الْوَانِهَارِضَا وَقَبُولَا  
وَرَأَيْتُ الرِّضَا يُخَفِّضُ أَثْقَالِي      وَيَلْقِي عَلَى الْمَاسِ سُدُولَا  
وَالَّذِي أَلْهَمَ الرِّضَا لَا تَرَاهُ      أَبَدَ الدَّهْرِ حَاسِدًا أَوْ عَدُولَا  
أَنَا رَاضٍ بِكُلِّ مَا كَتَبَ اللَّهُ      وَمَزَجَ إِلَيْهِ حَمْدًا جَزِيلَا

أَنَا رَاضٍ بِكُلِّ صَنْفٍ مِنَ النَّاسِ      لئِمَّا أَلْفَيْتُهُ أَوْ نَبِيلَا  
لَسْتُ أَخْشَى مِنَ اللَّئِيمِ إِذَا هُ      وَلَنْ أَسْأَلَ النَّبِيلَ فَتِيلَا  
فَسَخَّ اللَّهُ فِي فَوَادِي فَلَا أَرْضَى      مِنَ الْحَبِّ وَالْوَدَادِ بَدِيلَا  
فِي فَوَادِي لِكُلِّ ضَيْفٍ مَكَانٌ      فَكُنْ لِلضَّيْفِ مُؤْنَسًا أَوْ ثَقِيلَا  
ضَلُّ مَنْ يَحْسِبُ الرِّضَا عَنْ هَوَانٍ      أَوْ يَرَاهُ عَلَى النَّضَاقِ دَلِيلَا  
فَالرِّضَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لَمْ يَسْعُدْ      بِهَا فِي الْعِبَادِ إِلَّا الْقَلِيلَا  
وَالرِّضَا آيَةُ الْبِرِّ وَالْإِيمَانِ      بِاللَّهِ نَاصِرًا وَوَكِيلَا  
عَلَّمْتَنِي الْحَيَاةَ أَنَّ لَهَا طَعْمِينَ      مُرًّا وَسَائِغًا مَعْسُولَا  
فَتَعَوَّدْتُ حَالَتَيْهَا قَرِيرًا      وَأَلْفَتُ التَّغْيِيرَ وَالتَّبْدِيلَا  
أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّنَا شَارِبٌ      الْكَاسِينَ إِنْ عَلِقَمَا وَإِنْ سَلْسَبِيلَا  
نَحْنُ كَالرُّوْضِ نَضْرَةٌ وَذُبُولَا      نَحْنُ كَالنَّجْمِ مَطْلَعًا وَأَفُولَا  
نَحْنُ كَالرِّيْحِ ثَوْرَةٌ وَسُكُونَا      نَحْنُ كَالْمِزْنِ مَمْسُكًا وَهُطُولَا

نحنُ كالحظُّ منصفًا وخذولا  
سخریاتِ الوری قبیلاً قبیلاً  
ویراها سواي خُطبًا جلیلاً  
وضلُّوا بصائرًا وعُقولا  
من عیونِ المَها وخذاً أسیلاً  
لیسَ إلا مُثرثراً مَخبولاً  
هو أهدي هدی وأقومُ قیلاً  
خشعُوا أو تبتلُّوا تبتیلاً  
وعافوا القرآنَ والإنجیلاً  
إن الإنسانَ كانَ عَجولاً  
إن الإنسانَ كانَ عَجولاً  
لم تعفَ فتيةٌ أو كُهلوا  
لستَ ربًّا ولا بعثتَ رسولاً  
ولا یرهبُ الحسابَ الثقیلاً  
وهیهاتَ أن یكونوا عُدولاً  
ولکم لقبوا الکریمَ بخیلاً  
ولکم أهملوا العفیفَ الخجولاً  
ویغیُّ قد صوَّروها بتولاً  
أشبعَ الناسُ کفهَ تَقبیلًا  
وسجینِ مدللِ تدلیلاً  
قد أساءَ التقلیدَ والتَّمثیلاً

نحنُ كالظنُّ صادقًا أو كذوبًا  
قد تُسرِّي الحیاةُ عني فتُبدی  
فأراها مواعظًا ودروسًا  
أمعنَ الناسُ في مخادعةِ النفسِ  
عبدوا الجاهَ والنضارَ وعینا  
الأدیبُ الضعیفُ جاهًا ومالًا  
والعتیلُ القویُّ جاهًا ومالًا  
وإذا غادةٌ تجلتُ علیهم  
وتلوا سورةَ الهیامِ وغنَّوها  
لا یریدونَ آجالاً من ثوابِ اللهِ  
لا یریدونَ آجالاً من ثوابِ اللهِ  
فتنةٌ عمَّتِ المَدینةَ والقریةَ  
وإذا ما انبریتَ للوعظِ قالوا:  
أرایتَ الذی یكذبُ بالذینِ  
أكثرَ الناسِ یحکمونَ علی الناسِ  
فلکم لقبوا البخیلَ کریمًا  
ولکم أعطوا المُلحَ فأغنوا  
ربُّ عذراءٍ حرةٍ وصموها  
وقطیعِ الیدینِ ظلمًا ولصَّ  
وسجینِ صبوا علیه نکالًا  
جلُّ من قلدِ الضرنجةَ منا

نقبس من الطيبات إلا قليلا  
 إبريل غدا كل عمرنا إبريلا  
 فنشرناه كتاباً مفصلاً تفصيلا  
 سيل فمن ذا الذي يرد السيولا  
 بل أرى الخير فيه أصلاً أصيلا  
 لا يحب الله اليؤوس الملوла  
 ويطوي الزمان جيلاً فجيلا  
 على الناس بكرة وأصيلا  
 وعزيز بالأمس صار ذليلا  
 وشبعان يستحث الرحيلا  
 فيُردي ببغيه هابيلا  
 سفاحون سنوا الخراب والتقتيلا  
 أجاد التزوير والتضليلا  
 وبضكري إلا خشيت الذهولا  
 أين لحن الرضا رخيماً جميلا  
 عودتها بلسم الرضا لتزولا  
 ليس إلا التقاعس المرذولا  
 خلقاً شائهاً وقدرًا ضئيلا  
 لست أرضى تخاذلاً أو خمولا  
 وسيفاً على العدا مسلولا  
 لنفسي أعش حقيراً هزيلا  
 أتعلم فلا أزال جهولا

فأخذنا الخبيث منهم ولم  
 يوم سنن الفرنج كذبة  
 نشروا الرجس مجملا  
 علمتني الحياة أن الهوى  
 ثم قالت: والخير في الكون باق  
 إن تر الشر مستفيضاً فهون  
 ويطول الصراع بين النقيضين  
 وتظل الأيام تعرض لونيها  
 فذليل بالأمس صار عزيزاً  
 رب جوعان يشتهي فسحة العمر  
 وتظل الأرحام تدفع قابيلا  
 ونشيد السلام يتلوه  
 وحقوق الإنسان لوحة رسام  
 صور ما سرحت بالعين فيها  
 قال صبحي نراك تشكو جروحاً  
 قلت: أما جروح نفسي فقد  
 غير أن السكوت عن جرح قومي  
 لست أرضى لأمة أنبتتني  
 لست أرضى تحاسداً أو شقاقاً  
 أنا أبغي لها الكرامة والمجد  
 علمتني الحياة أني إن عشت  
 علمتني الحياة أني مهما

أقول:

أشهد شهادة حق أنني قرأت آلاف القصائد، ولم أر أحسن منها في شمولها ومعناها؛ لأن هذا الكلام والشعر الجميل لا يعلو عليه إلا قول الله ورسوله، وليت مثل هذه القصائد تقرر على طلبة الثانوية، في درس النصوص، أو درس المطالعة الحرة!

لا تكن ثوراً

١١٤٠

قال الدكتور عبدالسلام الهواس لمحرر مجلة (المجتمع) عدد ١٠٥٦:

لقد سبقنا اليابان، وبدأنا قبلهم في الاتصال بالحضارة الغربية، ولكننا جلبنا المباني، وجلبوا هم المعاني، فتقدموا، وتخلفنا كما كان يقول الأستاذ مالك بن نبي: نحن نهتم بالمباني لا بالمعاني، ونهتم بالأشكال لا بالأرواح، ولذلك ينبغي أن نقرأ القرآن والسيرة من جديد، وفي السيرة غرائب وعجائب قفز عنها الكثيرون، ولا نذهب بعيداً عن عصرنا، حيث إن اليهود يدرسون بدقة أسباب سقوط الأندلس ليطبقوها على أرض الواقع في فلسطين المغتصبة، ولذلك اليهود ذهبوا إلى هناك ليدرسوا عن كثر أسباب سقوط الأندلس ليستفيدوا منها، فهل درسنا نحن أسباب سقوط الأندلس بدقة وتحليل كي نستفيد منها؟ لا أتهم الجميع معاذ الله، ولكن بعضنا ما زال يمارسها عفواً دور الثور في حلبة مصارعة الثيران، حيث يستفزه المصارع بالخرقة ليجعله يهيج، ويثور ويزبد ويريد، ثم بالأخير يغمد السيف في عنقه ليقتضيه عليه تماماً، فحتى متى يقوم بعض منا بهذا الدور ويستسلم للاستفزاز والهياج؟ ثم تكون النهاية إخفاقاً بعد إخفاق، فنرى الكثير من إخواننا الطيبين والمسلمين أنفسهم في سبيل الله يمارسون دور الثور في نطح الخرقة الحمراء، وهم بذلك لا ينتبهون للمصارع، ولا لمساعديه الذين منهم من يكونون راجلين، ومنهم راكبون، ومنهم داخل الحلبة، ومنهم خلف الأسوار، ولا للمشاهدين لهذه المذبحة،

وهكذا تكون الكثير من ردود فعلنا كما يقوم ذلك الثور مع ذلك المصارع، وهكذا يستدرجنا العدو ليدخلنا داخل الحلبة ليتم القضاء علينا بعد ذلك دون أن نعرف أن الخرقه الحمراء ما هي الأصلية، وليست هي حقيقة الصراع وما وراء الخرقه الحمراء هو الذي يريده ذلك المصارع، فهل نعي هذه اللعبة؟

أقول:

ما أكثر الثيران، والدعوة والتقدم تحتاج إلى ناس يجمعون بين الإخلاص والذكاء، والإخلاص وحده لا يكفي لا بد من الذكاء.

يا جميلة، احفظي هذه القصيدة

١١٤١

قال الشاعر الدكتور أسامة عبدالرحمن مخاطباً كل مسلمة في ديوان (واستقرت على الجودي) القصيدة تقول:

لا تخذشي هذا الجمالَ وتَسفِحيه على الطَّرِيقِ  
تستعرضين إذا خطرَتِ مفاتِنَ الجسدِ الرشيقي  
قد ضاقَ بالفستانِ والفستانُ آثرَ أن يضيّقَ  
وعبَاءةُ شفافَةٌ كزجاجِ نافذةِ رقيقِ  
يضفي بريقًا رائعًا كسناكِ من فوقِ البَرِيقِ  
والعطرُ والأصباغُ والمكياجُ والزِّيُّ الأنيقُ  
جعلتكِ أفوحَ في الورودِ شذىً وأحلاها رحيقِ  
ألهمتِ أفئدةَ الرِّجالِ فما أطاقَتْ هلْ تطيقِ؟  
وتركتِها مثلَ الهشيمِ إذا سرى فيه الحَرِيقِ  
يا دميةً في قلبها المكبوتِ إحساسُ الطَّلِيقِ

ليست من الدهر الجديد وطلقت منه العتيق  
لا يخدعك في التمدن ما يليق وما لا يليق  
كم فيه من زيف الحضارة ما يضر وما يحيق  
في الغرب كم باعوا الهوى باسم الصديقة والصديق  
بين التحضر والتحلل دميتي خيط دقيق  
لا تسمعي لغو الكلام تلو كفه شفة الصفيق  
فالورد لا يصغي لما تزجي الضفادع من نقيق  
والطير لا يصغي إلى الغربان تهديه النعيق  
والظبي لا يصغي إذا هفت الحمير إلى النهيق  
دنياك لو لم تحذري الأمواج كالبحر العميق  
كم طوقت بذراعها جسداً وكم لفظت غريق  
رفقا بخطوك أن يقود إلى شفا واد سحيق  
هذا الجمال إذا سما فبكل ما يسمو خليق  
وإذا أريق فلن يكون من الجمال إذا أريق

أقول:

جزاك الله خيراً، ولكل فتاة مسلمة من بلدي الإسلامي أقرئي هذه القصيدة التي آمل أن تحفظها وترددتها كل عربية مسلمة؛ لأن هذا الأستاذ الجامعي المهذب والمحنك عرف الغرب الفاجر، وعاش فيه سنوات عدة هي مدة دراسته العليا، فجزاه الله خيراً، وجعلها في موازين حسناته يوم يلقي وجهه ربه، وأتمنى على المسؤولين برئاسة البنات تقريرها في درس النصوص للثانوية.

يقول زميل خليجي يعمل في الترجمة في دائرة مرموقة: إنه قضى أكثر من (٨) أيام على ترجمة تقرير مفصل وموسع عن مواسم الأمطار والتربة وعناصر الإنبات في المنطقة، داخل قناعة هذا المترجم الفذ أن هذا التقرير لن يكون له نصيب وافر من القراءة والتمعن والنقاش، وأنه لن يوضع على جدول أعمال أي ندوة علمية، ولن يرفع إلى المسؤولين الكبار أو إلى مواقع القرار من أجل اتخاذ قرار فيه، فرأى صاحبي على سبيل الامتحان أن يضع نصًّا ليس له صلة بالموضوع بين الفقرات، وعندما وصل إلى النقطة في وسط السطر بدأ من أول السطر وكتب: يا عروس الروض، يا ذات الجمال يا حمامة، ثم سار في ترجمته على بركة الله، وبعد صفحة أو صفحتين كتب:

ترونه في ضحكة السواقي      وفي رفة الفراش اللعوب  
في البحر في تنفس المراعي      وفي غناء كل عندليب

وهذا جزء من أغنية لفيروز كلمات نزار قباني حتى لا نبخس المغني والمؤلف حقيهما، يقول صاحبي: إن الوحيد الذي اكتشف هذا التداخل العلمي الرومانسي هو كاتب الآلة، وسار الموضوع في طريقه إلى الأعلى، ولم يتسلم المترجم حتى الآن لفت نظر، أو يُستدعى لسؤاله عن سر هذا التداخل الغريب؟ وفي اعتقادي وعلى وجه العموم، فإن المستويات العليا في الإدارات في العالم الثالث عامة والخليج العربي خاصة تعاني ما يشبه الغفوة أو الاسترخاء الإداري والحياة السهلة، وإن الدوافع وراء اتخاذ القرارات هو المشي فقط مع متطلبات العملية الإدارية، فهم لا يذهبون إلى الثمرة، بل ينتظرونها تأتي إليهم نتيجة جهد غيرهم.

أقول:

هذا الكلام كتبه الأخ الأستاذ عبدالعزيز الذكرير في جريدة (الرياض) يوم ١٤/٢/٣هـ ولم أملك نفسي إلا أن أقول قول أحد أهل نجد عند أي استغراب أو استنكار، وهو قول: «أفأ ياذا العلم».

## حرب السيارات

١١٤٣

قالت صحيفة (الرياض) يوم ٢٢/٢/١٤١٤هـ:

بلغ عدد الحوادث المرورية في مناطق المملكة المختلفة خلال عام ١٤١٢هـ ٤٠٠٧٦ حادثة، وبلغ عدد المصابين في هذه الحوادث ٢٧٣٨٥ مصاباً، في حين بلغ عدد الوفيات من جراء حوادث المرور ٣٤٩٥ حالة وفاة، وفي منطقة الرياض بلغت الحوادث خلال عام ١٤١٢هـ ٢٣٠٧٠ حادثة أصيب فيها ٤٦٧٨ شخصاً، وتوفي ٣٦١ شخصاً، أما في منطقة مكة المكرمة فقد بلغ عدد الحوادث ٥٢٦٥ حادثة أصيب فيها ٧٣٥٥ شخصاً، وتوفي ٨٨٤ شخصاً، وفي المنطقة الشرقية بلغ عدد الحوادث ٤٠٥٨ حادثة أصيب فيها ٣٥٦٠ شخصاً، وتوفي ٦١٧ شخصاً، وفي منطقة المدينة المنورة وقع ٦٣٥ حادثة مرورية أدت إلى إصابة ٩٨٠ شخصاً ووفاة ٢٣٢ شخصاً، أما في منطقة القصيم فقد بلغ عدد الحوادث المرورية خلال العام نفسه ٥٣١ حادثة، أصيب فيها ٧٢١ شخصاً، وتوفي ٢١١ شخصاً، وفي منطقة تبوك وقع ٩١١ حادثة مرورية أدت إلى إصابة ٥٦٩ شخصاً ووفاة ٨٠ شخصاً، في حين بلغ عدد الحوادث المرورية في منطقة عسير ١١٦٣ حادثة أصيب فيها ٢١٠٧ أشخاص، ووفاة ٤٠٨ أشخاص، أما في منطقة الباحة فقد بلغ عدد الحوادث ٥١٥ حادثة، أصيب فيها ٩٥٥ شخصاً، وتوفي ٦٦ شخصاً، وفي منطقة القريات وقع ٧٦ حادثة مرورية أدت إلى إصابة ٩٩ شخصاً ووفاة ٢٤ شخصاً، وفي منطقة الحدود الشمالية وقع ٥٣٥ حادثة مرورية أصيب فيها ٨٠٠ شخص، وتوفي ١٤٠ شخصاً،

وفي منطقة الجوف وقع ٣١٤ حادثة مرورية، أصيب فيها ٤٥٢ شخصًا، وتوفي ٥٦ شخصًا، وفي منطقة حائل وقع ١٥٣٥ حادثة مرورية أدت إلى إصابة ١٠٢٢ شخصًا ووفاة ١٢٤ شخصًا، أما في منطقة نجران فقد وقع ٣٨٨ حادثة مرورية أصيب فيها ١٧١٧ شخصًا، وتوفي ٢٠٤ أشخاص.

أقول:

أي والله إنها الحرب الضروس، وكثير من الحروب لا يقترب العدد اليومي من الوفيات من هذا الرقم؛ يعني نحو ١٠ أشخاص يوميًا لا حول ولا قوة إلا بالله اللهم، سلم سلم، فالمسؤولية الأولى تقع على المسؤولين عن المرور، حيث يجب تطبيق النظام على الجميع وبحزم وعزم، ثم على المواطن في الدرجة الثانية بالألا يعطي المراهق السيارة، وهو في قمة النشاط والاندفاع، ثم في الدرجة الثالثة تقع المسؤولية على الجامعات والمثقفين بعقد الندوات والمحاضرات والتوعية الفورية لكي يوقف هذا النزيف البشري والنزيف المالي، فالوطن أمانة، ودم المسلم كذلك أمانة، والبلد يحتاج إلى خمسين مليونًا؛ لأن فيه دينًا، وهو المقدسات، ودنيا وهو البترول الأولى في شرقه والثانية في غربه، وأقترح منع العمالة العادية من شراء السيارات وتحسين وضع النقل الجماعي وتكثيره وتصغير الأتوبيسات.

النجاح الكبير

١١٤٤

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: من تفكر في الدنيا قبل أن يوجد رآها طويلة، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج منها رآها قصيرة، وعلم أن اللبث في القبور طويل، فإذا تفكر في يوم القيامة علم أنه خمسون ألف سنة، فإذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له، فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا فرضنا ستين سنة مثلاً، فإنه يمضي منها ثلاثون سنة في النوم، ونحو من خمس عشرة في الصبا، فإذا حسب الباقي كان أكثره الشهوات والمطاعم والمكاسب،

فإذا خلص ما للأخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثيراً، فبماذا تشتري الحياة الأبدية، وإنما الثمن هذه الساعات.

أقول:

إياك والتفريط في الفرصة المتاحة لك في هذه الدار لتعمل، وتتجح في دار القرار؛ أي والله إنها خسارة ما بعدها خسارة أو نجاح ما بعده نجاح، والنجاح هو النجاح الأكبر في الحياة السرمدية في النعيم المقيم، أما هذه الحياة فهي كما وصفها الخالق الكريم: ﴿لَعِبٌّ وَهْوٌ﴾ [الحديد: ٢٠] و﴿مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] نجاحها إذا لم يرتبط بطاعة الله على سنة رسول الله فهو فشل، وكم من سعيد مطيع لله يحسبه الناس فاشلاً، وهو ناجح، وكم من فاجر عاصٍ يحسبه الناس ناجحاً، وهو شقي فاشل.

فقهاء السوء

١١٤٥

قال الإمام ابن القيم في كتابه (الفوائد) ص ١٠٠:

كل من آثر الدنيا من أهل العلم، واستحبها فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه في خبره، والزامه؛ لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسة الذين يتبعون الشبهات، فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق، فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهة، فتتنقق الشبهة والشهوة، ويثور الهوى، فيخفى الصواب، ونطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهراً لا خفاء به، ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته، وقال لي مخرج بالتوبة، وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾ [مريم: ٥٩].

وقال تعالى فيهم: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْذَّارُ الْآخِرَةُ حَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْتَقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩]. فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم: وقالوا: ﴿ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ وإن عرض لهم عرض آخر أخذه، فهم مصررون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق، فيقولون: هذا حكمه وشرعه ودينه، وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك أو لا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه، فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه.

أقول:

رحمك الله يا ابن القيم، ما أعلمك وأفقهك!

### العشرة الضائعة

١١٤٦

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها: علم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص فيه، ومال لا ينفق منه، فلا يستمتع به جامعها في الدنيا، ولا يقدمه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن معطل من طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضا المحبوب وامتثال أوامره، ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام بر وقربه، وفكر يجول فيما لا ينفع، وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله، ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

أقول:

احذر أن تكون من أهل هذه الصفات إن كنت ذا علم فاعمل به، وإن كنت ذا مال فكله قبل أن يأكله غيرك، فتكون أشد الناس ندامة، كما قال بعض الفقهاء:

أشد الناس ندامة يوم القيامة رجل جمع المال من حلال وحرام، ثم لم ينفق منه في حسناته، ثم ورثه غيره، وعمل به الوارث في مرضاة الله، فكان يرى هذا المال كالجبال في ميزان غيره.

## حتى تقبل التوبة

١١٤٧

سئل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: متى تنقطع التوبة وما حكم توبة من حكم عليه بالإعدام أو حصر في مكان يحترق أو كان في طائرة حدث فيها خلل، وبدأت تهوي إلى الأرض؟

فقال: في جريدة (الرياض) يوم ١٧/٣/١٤١٤هـ:

التوبة: هي الرجوع إلى الله عَزَّجَلَّ من معصيته إلى طاعته، ولها شروط خمسة:

الإخلاص لله عَزَّجَلَّ.

الندم على فعل المعصية.

الإقلاع عنها.

العزم على ألا يعود.

أنه تكون في الوقت الذي تقبل فيه التوبة.

والوقت الذي تقبل فيه التوبة بأن يكون ذلك قبل طلوع الشمس من مغربها وقبل حضور الموت، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التُّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨] والدليل على الوقت الثاني، وهو طلوع الشمس من مغربها قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ

الْمَلَكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا  
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انظُرُوا أَنَا مُنظَرُونَ ﴿ [الأنعام: ١٥٨].

وبعض الآيات التي أشار الله إليها في هذه الآية هو طلوع الشمس من مغربها، فإذا تاب الإنسان بعد طلوع الشمس من مغربها فإن توبته لا تقبل، وأما توبة من حكم عليه بالإعدام، أو حوصر في مكان يحترق، أو كان في طائرة هوت، فإن توبتهم تصح؛ لأن الذي في طائرة قد هوت ربما ينجو، فقد قرأت منذ مدة عن طائرة سودانية، أو قائدها سوداني تعطلت، فأمر قائد الطائرة الركاب بأن يكبروا، وأن يهللوا، وأن يسألوا الله الفرج، ويأذن الله عزَّجَلَّ هبطت الطائرة في نهر النيل، وكان جناحها على الأرض وهيكلها في وسط النهر، بمعنى أن الطائرة لم تتحطم؛ لأنها سقطت على ماء، وجعل الله جناحها جسراً يعبرون منها إلى البر، إذن قد ينجي الله سبحانه وتعالى من هوت به الطائرة، وأما من كان في بيت يحترق فذلك ربما ينجو، ومن حكم عليه بالقتل، فربما يرفع القتل، فالهم أن هؤلاء الثلاثة تصح توبتهم.

أقول:

بارك الله في هذا السوداني، وأكثر من أمثاله، هذا الطيار الشجاع الذي أدركته وصحبه عناية الله تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ ﴾

[النمل: ٦٢].





## تنويه وشكر

«تحية خاصة» وشكر خاص لهؤلاء الفضلاء: محمد عبد الله الفريح مدير إدارة النشر والترجمة في شركة العبيكان للتعليم.

وكذلك الأخ الأستاذ خالد آل إبراهيم الذي يقول: كتابك رفيقي في السفر، والذي دعانا لزيارته الأستاذ محمد الفريح، وأكرمنا غاية الإكرام، وأهدانا كتباً من مكتبته العامرة، وحين ودّعنا وركبنا السيارة وانصرفنا، التفت الأخ الفريح إلي وقال: يا أبا عبد الله، ألا تلاحظ أن بعض وجهاء الناس عندنا ألطف معشرًا وأخف أنفُسًا من بعض الفقراء؟

قلت له: تقصد هذا النبيل وأهله؟ قال: نعم. قلت: هؤلاء القوم؛ السماحة والكرم سجية وطبع طبعوا عليه وليس تصنعًا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وكذلك نشكر جليسننا المحامي الشيخ فهد بن محمد بن صالح الخضير، لاهتمامه وتشجيعه، وتزويدي ببعض الكتب الثمينة مع رفضه أخذ الثمن.

والعلامة الشيخ محمد بن ناصر العبودي، الذي قال لي: استمر فكتابك مهم، ولقد أخذت منه أكثر من ١٥ صفحة.

والشيخ الأديب سليمان العبد العزيز التويجري، وحفيده طالب الدكتوراه سليمان المحمد لكثرة مدحهم للكتاب.

وكذلك الأديب الشيخ المحامي محمد الصالح العيد، وأخاه الكريم عبد الله -شفاه الله، وجعل ما أصابه من عارض صحي في ميزان حسناته- الذي قال: سأشتري من العبيكان كمية من الكتاب، وأوزعها على أصدقائي.

وكذلك لا أنسى قول الأمير مقبل محمد المقبل: إنني يا أخ صالح أكرر قراءة بعض النوادر، وأدعي لك بظهر الغيب. وقد قلت: «الأمير لأنه عمل عدة سنوات في عدد من المناطق: في جازان أميرًا بالنيابة ووكيلًا للأمير بالقصيم وحائل وتبوك. وكان كفوًا يجمع بين اللين والشدة».

وممن نشكره ابنتي الفاضلتين: لطيفة، ونوره لاهتمامهما وملاحظتهما الجيدة، وترتيبهما لمكتبتي وبعض أوراقني.

وأشكر كذلك كل من شجع وأثنى ونظر بعين الرضى له مني الشكر، وأشركه معي بالأجر، نسأل الله أن يكون علمًا ينتفع به.

وأكرر أن الفضل بهذا الطبع الجيد والإخراج الجيد والاهتمام بالكتاب لله أولاً، ثم للأخ محمد الفريح الذي يقول: لا تستغرب اهتمامي بهذا الكتاب لأنني أحبه، وكنت أقرأ بالأجزاء الأولى عندما كنت في المرحلة المتوسطة والثانوية منذ ثلاثين سنة. الله يفرحه بالجنة، وجزى الله الفريح وشركة العبيكان وأهلها جميعاً عنا وعن أهل العلم والأدب خير الجزاء.



# الفهرس

رقم الصفحة	عنوان النادرة	رقم النادرة
١٩	هل أنت ملك	٧٣٩
١٩	كأنهما صقران	٧٤٠
٢٠	كتاب الوحي	٧٤١
٢٠	من شجاعة علي <small>رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ</small>	٧٤٢
٢٢	تجارة مع الله	٧٤٣
٢٣	علامات الساعة العشر	٧٤٤
٢٣	نزاهة العرض	٧٤٥
٢٣	شجاعة وحيلة	٧٤٦
٢٤	الإنسان وقلبه	٧٤٧
٢٥	الزم الأدب مع كتاب الله	٧٤٨
٢٥	جماعة أهل الحق	٧٤٩
٢٦	تخلف باسم الإسلام	٧٥٠
٢٧	احذر الربا	٧٥١
٢٨	الله	٧٥٢
٢٩	نتيجة الرفق	٧٥٣
٣٠	مثل وحقيقة	٧٥٤
٣١	صحبة الرجال	٧٥٥
٣١	من أخلاق سيد ولد آدم <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>	٧٥٦
٣٢	طول العمر	٧٥٧
٣٣	الاختلاف بين الناس	٧٥٨
٣٤	أثر الصدقة	٧٥٩
٣٤	الإجابة المرضية	٧٦٠
٣٤	وصايا	٧٦١
٣٥	للعقرب فوائد	٧٦٢

٣٥	ضل الرعيل ومن يقوده	٧٦٣
٣٦	أجهزة الإعلام المغتصبة	٧٦٤
٣٧	تأملات عالم	٧٦٥
٣٨	﴿وَمَا تَحْتِ الرَّئِي﴾ [طه:٦]	٧٦٦
٣٩	إنها جنتان يا أمير المؤمنين	٧٦٧
٤٠	هكذا يجب أن يكون الدعاة إلى الله	٧٦٨
٤١	حياة البرزخ	٧٦٩
٤٣	صدقك وهو كذوب	٧٧٠
٤٤	علامات الكبر	٧٧١
٤٥	ركوب الحمير	٧٧٢
٤٥	الصراط المستقيم	٧٧٣
٤٥	كيف تختلف هذه الأمة؟	٧٧٤
٤٦	على هذا فليغن من غنى	٧٧٥
٤٧	خبث اليهود	٧٧٦
٤٧	هذا العالم المجنون	٧٧٧
٥٠	الحاكم الأسود النبيل	٧٧٨
٥٢	شتان شتان!	٧٧٩
٥٢	إلى كل طاغية وجبار	٧٨٠
٥٤	المال عز	٧٨١
٥٦	الرؤيا	٧٨٢
٥٧	ألفاظ إبليس ورفقائه	٧٨٣
٥٧	لعل في الأمر خيراً	٧٨٤
٥٨	الكلب لاكي	٧٨٥
٦٠	يدعو على القمر	٧٨٦
٦١	مع الله	٧٨٧
٦١	ارحل يا وردان	٧٨٨
٦٢	بسطوا له الأردية	٧٨٩

٦٣	العاقل والعالم	٧٩٠
٦٤	الأعرابي والعروض	٧٩١
٦٤	كلّ يا أعرابي	٧٩٢
٦٤	العدل العدل	٧٩٣
٦٥	شريح والجراد	٧٩٤
٦٥	درهم بـ ١٢٠ ألف درهم	٧٩٥
٦٦	ضربة سوط	٧٩٦
٦٧	هيهات أبا معاذ	٧٩٧
٦٧	شربة ماء	٧٩٨
٦٨	الجهل جعله يلعن الإمام	٧٩٩
٦٩	أبوذر والشيوخيون	٨٠٠
٧٠	لم يعص الله في بلاد المتحللين	٨٠١
٧١	أعياد الفن	٨٠٢
٧٢	أمهات الأمس	٨٠٣
٧٣	اسمعوا يا شباب	٨٠٤
٧٥	سيف الله والقائد جرجة	٨٠٥
٧٧	الملك فيصل والطبيب	٨٠٦
٧٨	الطيور تشهد	٨٠٧
٧٩	تخيّر أخوال أولادك	٨٠٨
٧٩	ثلاث وثلاث	٨٠٩
٧٩	لا يفضح شعبه	٨١٠
٨٠	عجل الهدية	٨١١
٨١	لا يجرّ الإسلام من ذيله	٨١٢
٨٢	الأعرابي وابن عيينة	٨١٣
٨٢	العاشق المسكين	٨١٤
٨٣	قتيبة وأسيره	٨١٥
٨٤	المؤمن والكافر	٨١٦

٨٥	أربعة يستشهد عليهم بأربعة	٨١٧
٨٥	لا يؤاخذ الله عبداً بأول ذنب	٨١٨
٨٦	كان عندنا مثل ذلك	٨١٩
٨٧	ثمانية وعشرون!	٨٢٠
٨٧	يضحكون وبقية الأجل ٤٥ ثانية	٨٢١
٨٨	بخيل وجبان	٨٢٢
٨٨	قرآن مسيلمة	٨٢٣
٨٩	شجاعة الأنصار	٨٢٤
٩٠	﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمُرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]	٨٢٥
٩١	لا تياس من روح الله	٨٢٦
٩٢	علو الهمة بلاء	٨٢٧
٩٣	أسباب عدم إجابة الدعاء	٨٢٨
٩٤	قرت عينك يا حمد	٨٢٩
٩٤	المال في الشيخوخة	٨٣٠
٩٥	وصية حكيم	٨٣١
٩٥	الحمى مريجة	٨٣٢
٩٦	فوائد المسواك	٨٣٣
٩٧	الخواطر	٨٣٤
٩٧	البحار وهدية الملك	٨٣٥
١٠٠	رقيب عتيد	٨٣٦
١٠٠	سلاح المسلمين المرعب	٨٣٧
١٠١	الفقه	٨٣٨
١٠٢	هيكل المليونير من دعاة الاشتراكية	٨٣٩
١٠٢	رد شهادة السلطان	٨٤٠
١٠٣	ابن أمير المؤمنين	٨٤١
١٠٣	خذ الحكمة	٨٤٢
١٠٤	الغلام الجشع	٨٤٣

١٠٤	العقل والشرع	٨٤٤
١٠٥	خصمهم الحقيقي الإسلام	٨٤٥
١٠٦	إينشتاين والملحدون	٨٤٦
١٠٧	الطنطاوي والتاجر الفاجر	٨٤٧
١٠٨	جراح الخيبة الكبرى	٨٤٨
١٠٨	عمر والرجل الجميل العفيف	٨٤٩
١٠٩	دهاء ورفق	٨٥٠
١١٠	أعمال لا يتصورها إبليس	٨٥١
١١١	سبب كارثة حزيران ١٩٦٧م	٨٥٢
١١٢	العوني وعبيد رشيد	٨٥٣
١١٢	غصب للأرض	٨٥٤
١١٣	الشركة العمياء	٨٥٥
١١٤	ابن سعود وأهل القصيم	٨٥٦
١١٥	أحسن الأصدقاء	٨٥٧
١١٦	أدب المجلس	٨٥٨
١١٦	الكبر والحرص	٨٥٩
١١٧	السيء سيكفيكه إساءته	٨٦٠
١١٨	جوائز الأمراء	٨٦١
١١٨	المرأة والطوفان	٨٦٢
١١٩	الدكاترة زكي مبارك والقاهرة	٨٦٣
١١٩	العمرية	٨٦٤
١٢٧	جائزة نوبل والعرب	٨٦٥
١٢٩	الطفل الذي ولد مرتين	٨٦٦
١٢٩	سيهلك حسن أو الحسن أو الفرخ	٨٦٧
١٣٠	اختيار القادة	٨٦٨
١٣٢	ممن يؤخذ العلم	٨٦٩
١٣٣	قوة حفظ الإمام الشافعي رحمه الله	٨٧٠

١٣٣	غلطوا بالزفاف	٨٧١
١٣٤	عَفَّ عن الباذنجانة فرزق المرأة	٨٧٢
١٣٦	التقوى وبركتها	٨٧٣
١٣٧	كل ما في الأرض للمسلم	٨٧٤
١٣٨	كلمة (اللَّهُ) فوق عين طفل	٨٧٥
١٣٨	أراد حرق المصحف فاحترقت يده	٨٧٦
١٣٩	عالم قادم	٨٧٧
١٤١	اللَّجَاجَة	٨٧٨
١٤١	نساء ألمانيا يطالبن بمنع الاختلاط في التعليم	٨٧٩
١٤٢	يا للهول!	٨٨٠
١٤٤	عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصف الموت	٨٨١
١٤٤	طبق طائر	٨٨٢
١٤٥	الطنطاوي على مائدة الملك فيصل	٨٨٣
١٤٦	العلاقة بين المال والسياسة	٨٨٤
١٤٧	التخفيف أمر نسبي	٨٨٥
١٤٨	الرؤيا	٨٨٦
١٤٩	دعوة الإخوان في نظر زعيمها الثالث	٨٨٧
١٥٢	إن ربك لبالمرصاد	٨٨٨
١٥٣	رسول الذي يجيب المضطر	٨٨٩
١٥٤	المسافر وما يلزمه	٨٩٠
١٥٤	مع سيف الله خالد	٨٩١
١٥٥	عاشق شهيم شجاع	٨٩٢
١٥٨	أمانة النصارى السورية	٨٩٣
١٥٨	الشعبي يصف شعر الأعشى	٨٩٤
١٥٩	سماحة أهل حائل	٨٩٥
١٦٠	هيكل بيكي أمام عبد الناصر	٨٩٦
١٦١	احتضار طاغوت	٨٩٧

١٦٢	﴿وَيَمَكُرُونَ وَبِمَكْرُ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٠]	٨٩٨
١٦٣	نيللي والشيخ كشك	٨٩٩
١٦٤	الاشتراكية واردة من البيت الأبيض	٩٠٠
١٦٦	أنواع الصبر	٩٠١
١٦٧	حكمة تحريم أواني الذهب	٩٠٢
١٦٧	صوت البنادق	٩٠٣
١٦٨	انتهاك حرمان البشر	٩٠٤
١٦٩	من مذكرات مدرس	٩٠٥
١٧١	رئيس أمريكا رجعي	٩٠٦
١٧٢	انتبهوا لأطفالكم	٩٠٧
١٧٣	تفسير آية	٩٠٨
١٧٤	من ابتلي بأربع فلا ينسى أربعاً	٩٠٩
١٧٤	الليث يستمع للقرآن	٩١٠
١٧٥	خمس خصال	٩١١
١٧٦	قسوة القلوب	٩١٢
١٧٧	سجل لا يشرف	٩١٣
١٧٨	وسع الكون	٩١٤
١٧٩	الانضباط العسكري	٩١٥
١٧٩	ليتهم انتحروا	٩١٦
١٨٢	ولله في خلقه شؤون	٩١٧
١٨٢	هل يحصل هذا في بلاد الأزهر؟	٩١٨
١٨٣	رئيسة وزراء كالتلميذة	٩١٩
١٨٤	كل العصافير بيدها	٩٢٠
١٨٤	دوران الأرض	٩٢١
١٨٧	يعاقب المتكلم وينجو المتهم	٩٢٢
١٨٨	الأعمار بيد الله	٩٢٣
١٨٩	المفتي كالطبيب	٩٢٤

١٩٠	فضل يوم الجمعة	٩٢٥
١٩٠	وصفة نبوية	٩٢٦
١٩١	الأخطاء تكون معجزات	٩٢٧
١٩١	يوم الإثنين الأسود	٩٢٨
١٩٢	أذنان الماسونية	٩٢٩
١٩٣	مصير أولاد الكفار	٩٣٠
١٩٣	الإسلام هو الحل	٩٣١
١٩٤	برّ الوالدين	٩٣٢
١٩٥	أحب الأسماء	٩٣٣
١٩٥	احرص على التجارة الحلال	٩٣٤
١٩٥	خرج عليه من القبر	٩٣٥
١٩٦	علاج	٩٣٦
١٩٧	الوهم علاج	٩٣٧
١٩٧	الله أكبر	٩٣٨
١٩٨	تميرات ابن موسى	٩٣٩
١٩٩	يسقيه جبريل من حليب ناقته	٩٤٠
٢٠٠	في عمره بقية	٩٤١
٢٠٠	الشاعر بشار بن برد	٩٤٢
٢٠١	المتردية والنطيحة	٩٤٣
٢٠٢	رد ابن تيمية على زعيم الشيعة	٩٤٤
٢٠٣	القاضي الشجاع	٩٤٥
٢٠٣	استخرج الشكر لله	٩٤٦
٢٠٤	نساؤنا ونساء الإفرنج	٩٤٧
٢٠٥	أم عقيل	٩٤٨
٢٠٥	بنوك الآخرة	٩٤٩
٢٠٧	نبي الله في السجن	٩٥٠
٢٠٧	وفد تميم	٩٥١

٢٠٧	التقوى	٩٥٢
٢٠٨	جولة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الرسمية	٩٥٣
٢٠٩	نفس ابن آدم	٩٥٤
٢٠٩	القرآن وأمثال العرب	٩٥٥
٢١٠	المفتاح	٩٥٦
٢١٠	«إذا رأيتم الحريق فكبروا»	٩٥٧
٢١١	كيف تشهد الأعضاء؟	٩٥٨
٢١٢	فتوى من شيخ وليست من شويخ	٩٥٩
٢١٣	الشبيلي حاتم عصره	٩٦٠
٢١٥	من الغرب السلاح ومن الشرق الرجال	٩٦١
٢١٧	ظلم الإنسان لأخيه الإنسان	٩٦٢
٢١٨	دار الظالمين	٩٦٣
٢١٩	سبحان من قتل الأمير وفك الأسير!	٩٦٤
٢٢٠	لله في خلقه شؤون	٩٦٥
٢٢٠	تطيبوا	٩٦٦
٢٢١	اللباس الحسن	٩٦٧
٢٢١	مؤمن غني شجاع	٩٦٨
٢٢٦	أهمية صلاة الجماعة	٩٦٩
٢٢٧	حتى صاحب الدواة والقلم	٩٧٠
٢٢٧	رؤية ابن عمر لجهنم	٩٧١
٢٢٨	أصغر أم في العالم	٩٧٢
٢٢٨	الأمير الشهم	٩٧٣
٢٣٠	الرجل الأول في التاريخ كله	٩٧٤
٢٣٠	أسماء أولاد إبليس	٩٧٥
٢٣١	أمير داهية	٩٧٦
٢٣٣	أعرابي لا يقرأ ولكنه جيولوجي	٩٧٧
٢٣٤	أنواع البكاء عشرة	٩٧٨

٢٣٤	كشف الخليفة الأمر	٩٧٩
٢٣٥	الجبهة الشعبية	٩٨٠
٢٣٧	قدوة لكل رجل أمن	٩٨١
٢٣٩	الصراع بين الحق والباطل	٩٨٢
٢٤١	إنه الإسلام في قلوب الجيل الجديد	٩٨٣
٢٤٢	ما قيل في التعزية	٩٨٤
٢٤٤	يقول: ما فائدة الكويت؟	٩٨٥
٢٤٤	يريد حماره فقط	٩٨٦
٢٤٥	تيس أبي زيد	٩٨٧
٢٤٦	زعيم قريش لا يكذب	٩٨٨
٢٤٨	نصف الأدوية السويسرية غير صالحة	٩٨٩
٢٤٩	شجاعة عالم	٩٩٠
٢٥٠	الإسلام قبل الثورة الفرنسية	٩٩١
٢٥١	نصيحة ابن تيمية لتلميذه ابن القيم	٩٩٢
٢٥٢	منتهى الوفاء	٩٩٣
٢٥٣	القتل أنفى للقتل	٩٩٤
٢٥٣	الله	٩٩٥
٢٥٥	إياك والدم الحرام	٩٩٦
٢٥٦	أحسنوا عرض الإسلام على الناس	٩٩٧
٢٥٨	عظمة ملكوت الله	٩٩٨
٢٥٩	أشد ما يؤلم النفس	٩٩٩
٢٦٠	فضل الإقامة في المدينة المنورة	١٠٠٠
٢٦١	من تلبس إبليس على السلاطين	١٠٠١
٢٦٢	الشيطان والأبوان الكريمان	١٠٠٢
٢٦٥	القدر	١٠٠٣
٢٦٥	سراب المكاسب الاشتراكية	١٠٠٤
٢٦٦	رجال وأي رجال!	١٠٠٥

٢٦٧	الأعرابي وثوبه	١٠٠٦
٢٦٧	الشیطان والإنسان	١٠٠٧
٢٦٨	اشتغال علماء الدين بالسیاسة	١٠٠٨
٢٧٠	حماية المدينة ومكة من الدجال	١٠٠٩
٢٧٠	أهل الجنة	١٠١٠
٢٧١	تفسير آية من كتاب الله	١٠١١
٢٧١	ابن آدم والملائكة	١٠١٢
٢٧٢	من عجائب النحل	١٠١٣
٢٧٣	الموتتان	١٠١٤
٢٧٤	حرب النمل	١٠١٥
٢٧٥	الدجال في خبر تميم الداري	١٠١٦
٢٧٧	الروبيضة	١٠١٧
٢٧٨	كن الرجل الثاني	١٠١٨
٢٧٩	الفنجان بيد الحساء	١٠١٩
٢٨٠	قذف الله بالحق على الباطل قدمغه	١٠٢٠
٢٨٢	يا سلام سلم العالم على كف عفريت!	١٠٢١
٢٨٦	الخوارج وبطل القادسية	١٠٢٢
٢٨٧	ما أحسن ذا إذا تم ذا!	١٠٢٣
٢٨٧	فلسطين والجيران	١٠٢٤
٢٨٨	صفيح لا صواريخ	١٠٢٥
٢٨٩	الدريهمات إلى أين؟	١٠٢٦
٢٩١	هل الوحوش والبهائم تدفن نفسها؟	١٠٢٧
٢٩١	حتى النمل يعاقب على الكذب	١٠٢٨
٢٩٢	اللغة العربية	١٠٢٩
٢٩٤	العطسة زلزلة للجسم	١٠٣٠
٢٩٤	الخليفة وزوجته	١٠٣١
٢٩٥	إياك وشتم الصحابة	١٠٣٢

٢٩٦	أقسام العلم	١٠٣٣
٢٩٦	هذا هو الدهاء	١٠٣٤
٢٩٧	الجنس اللطيف والحرب	١٠٣٥
٢٩٩	البيت الطائر	١٠٣٦
٣٠٠	الناس على ثلاث منازل	١٠٣٧
٣٠٠	بين حرفين	١٠٣٨
٣٠١	صحة سعد	١٠٣٩
٣٠٢	شيطان	١٠٤٠
٣٠٢	جامعة أمريكية تنصح بالزواج	١٠٤١
٣٠٤	الماء الماء	١٠٤٢
٣٠٥	رد على الغضبان بالحلم	١٠٤٣
٣٠٥	الإنسان في خدمة الحيوان	١٠٤٤
٣٠٦	أكل عيش	١٠٤٥
٣٠٧	تنقية ثورية	١٠٤٦
٣٠٨	معجون أسنان الرئيس	١٠٤٧
٣٠٩	الصلاة علاج للظهر	١٠٤٨
٣١٠	ثورة النائب الإنجليزي	١٠٤٩
٣١١	مستقبل الطب	١٠٥٠
٣١٢	سلط الله الظالمين على الظالمين	١٠٥١
٣١٦	كلام محنك	١٠٥٢
٣١٧	الصدر الأعظم	١٠٥٣
٣١٨	من مخازي الغرب	١٠٥٤
٣١٩	اطلب حقاك بشجاعة وأدب	١٠٥٥
٣٢٠	خطبها وهورضيع وتزوجها في الثانية عشرة	١٠٥٦
٣٢١	مقابلة ملكية	١٠٥٧
٣٢٢	الله أكبر	١٠٥٨
٣٢٣	ابن بليهد وعجوز السوء	١٠٥٩

٣٢٤	الخشوع	١٠٦٠
٣٢٥	اذهب فقد أفتيت نفسك	١٠٦١
٣٢٦	اعمل المعروف لله فقط	١٠٦٢
٣٢٦	عقوبات ورحمات	١٠٦٣
٣٢٧	ثبّت المذيع على القرآن الكريم	١٠٦٤
٣٢٧	البدعة أحب إلى إبليس	١٠٦٥
٣٢٨	العالم بين الله وبين خلقه	١٠٦٦
٣٢٩	أكله كلب من كلاب الله	١٠٦٧
٣٢٩	كيف تصرف الأموال؟	١٠٦٨
٣٣١	لماذا يطبع في فرنسا؟	١٠٦٩
٣٣٢	فضيلة حسن الخلق	١٠٧٠
٣٣٤	ورطة هدى مع عيدي أمين	١٠٧١
٣٣٥	وصية إلى أهل الفتوى	١٠٧٢
٣٣٥	وصية عالم لتلميذه	١٠٧٣
٣٣٧	تفريخ الفتوى بحسب الطلب	١٠٧٤
٣٣٩	العلم وتقدمه	١٠٧٥
٣٤٠	القيام بالشهادة	١٠٧٦
٣٤١	هذا بذلهم لباطلهم فما بذلنا لحقنا؟	١٠٧٧
٣٤١	أربعة يستشهد عليهم بأربعة	١٠٧٨
٣٤٢	العاصي جاهل	١٠٧٩
٣٤٣	عظمة الفقه	١٠٨٠
٣٤٤	الأمر بالمعروف	١٠٨١
٣٤٥	أهل البدع	١٠٨٢
٣٤٥	الدراسات الفقهية المعاصرة	١٠٨٣
٣٤٦	سعة الكون	١٠٨٤
٣٤٨	٦٢٠ بليون دولار	١٠٨٥
٣٤٩	العمل العمل يا مسلمون	١٠٨٦

٣٥١	البيهقي يشرح حسن الخلق	١٠٨٧
٣٥٢	تمتع بقدرات الله	١٠٨٨
٣٥٣	احذر كتب الجاحظ	١٠٨٩
٣٥٤	عليك بالقول الحسن	١٠٩٠
٣٥٥	الرميكية وابن عباد	١٠٩١
٣٥٦	لا تنسَ هذه الكلمات	١٠٩٢
٣٥٧	الحسن البصري والفرزدق	١٠٩٣
٣٥٧	عائلة النساء	١٠٩٤
٣٥٩	الحذر من فتن الشيطان ومكائده	١٠٩٥
٣٥٩	الله قريب.. قريب	١٠٩٦
٣٦١	ويقولون	١٠٩٧
٣٦٢	﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]	١٠٩٨
٣٦٣	الخليفة الصالح يعظ ويتعظ	١٠٩٩
٣٦٤	لعن الله من لعنه	١١٠٠
٣٦٥	اللهم، احفظ الأولاد والأحفاد	١١٠١
٣٦٥	يعيش الرئيس	١١٠٢
٣٦٦	عدد آيات كتاب الله الكريم وحروفه	١١٠٣
٣٦٧	التخلف هو السبب	١١٠٤
٣٦٨	الذنوب مثل أكل السم	١١٠٥
٣٦٩	زعماء الشرق	١١٠٦
٣٧٠	ابن بطوطة يصف الأهرام	١١٠٧
٣٧٢	ميزان الله	١١٠٨
٣٧٢	حتى الذرة من الذرة	١١٠٩
٣٧٣	نار الحجاز التي أضاء لها أعناق الإبل ببصرى	١١١٠
٣٧٤	أعد الحقوق إلى أهلها	١١١١
٣٧٥	الملكان والمؤمن والكافر	١١١٢
٣٧٦	تواضع العظماء	١١١٣

٣٧٧	من خطاب ابن سعود ١٣٤٤هـ في الحجاز	١١١٤
٣٧٧	تفسير آية	١١١٥
٣٧٩	عشرة أسباب لمحبة الله	١١١٦
٣٨٠	عذاب القبر	١١١٧
٣٨٢	صياح الديكة	١١١٨
٣٨٢	علم العروض	١١١٩
٣٨٣	إن دين الله ظاهر	١١٢٠
٣٨٣	حب الرياسة	١١٢١
٣٨٤	زملأوه أعرف به	١١٢٢
٣٨٦	اصبر وتحمل	١١٢٣
٣٨٦	الطبيعة خرافة	١١٢٤
٣٨٨	مكتبة خالية من الخير	١١٢٥
٣٨٩	أكثر من السواك	١١٢٦
٣٩١	يا رب، سلّم يا رب، سلّم	١١٢٧
٣٩٢	شهر الطعام أم هو شهر الصيام؟	١١٢٨
٣٩٤	فضائح تقشعر لهولها الأبدان	١١٢٩
٣٩٥	ظاهرة خطيرة	١١٣٠
٣٩٧	خذ دشًا باردًا	١١٣١
٣٩٨	كيف تعرف عيوبك؟	١١٣٢
٣٩٩	حفظه الله حيًّا وميتًا	١١٣٣
٤٠١	الشيخ ابن سليم يلغي الروتين	١١٣٤
٤٠١	وصية جدنا قدّس الله روحه	١١٣٥
٤٠٢	موعظة لكل مسؤول مسلم	١١٣٦
٤٠٥	الهوة الرهيبة	١١٣٧
٤٠٦	أكرموا لمصلحتهم	١١٣٨
٤٠٧	الرضا وحسن الخلق	١١٣٩
٤١٠	لا تكن ثورًا	١١٤٠

٤١١	يا جميلة احفظي هذه القصيدة	١١٤١
٤١٣	أفأ يا ذا العلم	١١٤٢
٤١٤	حرب السيارات	١١٤٣
٤١٥	النجاح الكبير	١١٤٤
٤١٦	فقهاء السوء	١١٤٥
٤١٧	العشرة الضائعة	١١٤٦
٤١٨	حتى تقبل التوبة	١١٤٧

\*\*\*\*\*